خريدة العجائب وفريدة الغرائب

لسراج الدين بن الوردي

(٦٩١هـ = ١٢٩١م / ٨٦١هـ = ١٤٥٧م)

المنسوب خطأ للقاضي زين الدين عمر بن الوردي البكري القرشي

(كتاب يبحث في غرائب البلدان والبحار والتاريخ والتداوي بالأعشاب وعلوم عجيبة أخرى)

تحقيق

أنور محمود زناتي

كلية التربية - جامعة عين شمس

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد ـ القاهرة
٢٥٩٢٢٦٢٠-٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

ابن الوردى ، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ، ١٢٩٢-١٣٤٩
خريدة العجائب وفريدة الغرائب / لسراج الدين ابن الوردى ، تحقيق
انور محمود زناتى
ـ ط ١ ـ القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٧
٤٣٢ ص : ٢٤ سم
تدمك :977-341-358-6
ا- الغرائب
ا- زناتى، انور محمود (محقق)
ب- العنوان
ديوى : ٠٠١,٩٣

رقم الايداع :١٧٥١٢/ ٢٠٠٧

الإهداء

إلى حبيب الروح

خالد ابني.......

تمهيد

يزخر تراث الأمة الإسلامية، بعدد هائل من المخطوطات التي تمثل جزء حيوي من التراث الحضاري وذخيرة علمية وأدبية وتاريخية وجغرافية أشبه بكنوز مدفونة ولا تجد من يعطيها العناية المناسبة، وربما لو عكف بعض الدارسين عليها لاكتشفوا أسراراً علمية وكونية وجغرافية أشار اليها الأسلاف؛ بل وأكدوا عليها وكنا نظنها نوعاً من الأباطيل وأضغاث أحلام وما هي إلا أعاجيب وأساطير ما أنزل الله بها من سلطان، ولكن بعدها نجد علماء الغرب يكتشفونها وينسبوها اليهم ويؤكدون أن لهم السبق فيها ونتحسر بعدها ونصرخ في يأس أن هذا ما اكتشفه أجدادنا من مئات السنين ولكن يبقى سؤال مفحم لنا وبسباطه «لماذا لم نعلن عن ذلك من قبل؟!!! ويظل هذا الأمر يتكرر بشكل أو بآخر، ويتخذ صورا متعددة في مجالات متنوعه. لكن الأمر الخطير والمحير في الوقت نفسه لماذا لا نتحرك بل ننتظر، فنحن في ثبات وهم في تغير وتغيرهم الى الأمام والى الأفضل رغم أننا لو تحركنا لأبدعنا فنحن نمتلك طاقات وقدرات جبارة ولكن مقيدة مغلولة ولذا سبقتنا الأمم الأخرى وخطت خطوات هائلة في مجال التقدم والتطور مرتكزين على ما تركه لنا الأجداد من تراث قيم فطوروه وزادوا عليه؛ فالأمة التي لم تأخذ بأسباب هذا التقدم بالشكل المناسب في درجة الاهتمام والعناية هي أمه خارج الحدود الكونية.

لقد ترك لنا العرب إنتاجا ضخما في كافة المجالات، وهناك العديد من المصنفات حاولت رصد هذه العجائب وتدوينها، ولعل في ما يعرف ب«كتب العجائب» ما نجده أقرب إلى المعاجم الحديثة الخاصة بهذا النوع من الإبداع. وتذكر لنا الكتب المتعلقة بالمصنفات والمؤلفات من فهرست ابن النديم إلى كشف الظنون لحاجي خليفة عددا كبيرا من العناوين، عثرنا على بعضها، وما يزال بعضها الآخر شبه

مفقود أو مفقودا، ومن تلك الأعمال المخطوط موضع التحقيق وهو «**خريدة العجائب وفريدة الغرائب**» لسراج الدين ابن الوردي

خريدة العجائب وفريدة الغرائب لسراج الدين ابن الوردي

ابن الوردي (الجد) :

كانت عائلة ابن الوردي نقطة بارزة في تاريخ الحضارة الاسلامية نشأت بمدينة معرة النعمان[1]، ورائدها شاعر المعرة وعالمها ومؤرخها القاضي سراج الدين ابن الوردي المعري صاحب اللامية الشهيرة :

اِعْتَزِلْ ذِكْرَ الأغاني والغَزَلْ	**وقُلِ الفَصْلَ وجانب من هَزَلْ**
ودَعِ الذكرى لأيام الصِّبا	**فلأيام الصبا نجمٌ أَفَلْ**
واهجر الخَمْرَةَ إنْ كنت فتىً	**كيف يسعى في جُنُونٍ من عَقَلْ؟**
ليس مَن يَقْطَعُ طُرْقاً بطلاً	**إنما مَن يتقي الله البطلْ**
جَانِبِ السلطانَ واحذر بَطْشَه	**لا تُعَانِدْ مَن إذا قال فَعَلْ**

وقد نُسِبَ مخطوط «**خريدة العجائب وفريدة الغرائب**» خطأً للقاضي زين الدين عمر بن الوردي البكري القرشي، (الجد) وهو في الحقيقة لسراج الدين عمر بن الوردي البكري القرشي (الحفيد)، والفضل يعود في كشف هذه المسألة في المقام الأول إلى الباحث الأكاديمي السوري **محمود السيد الدغيم حيث قال :**

وهذه النسبة المغلوطة تشكل دليلاً على أن أكثرية الناشرين والمحققين والمفهرسين والباحثين العرب لم يصلوا مرتبة الاجتهاد في تحقيق التراث كغيرهم من

---

(١) معرة النعمان : مدينة كبيرة قديمة مشهورة، من أعمال حمص بين حلب وحماة، ماؤها من الآبار، وفيها الزيتون الكثير والتين واليها ينتسب الفيلسوف والشاعر الشهير " أبو العلاء المعري ".

أبناء الأمم الأخرى، ولكن العرب اكتفوا بالتقليد والاجترار، وقد تكرَّرت الأخطاء في نسبة الكتب إلى غير مؤلفيها في كتب تراثية أُخرى جَرَّاء التدليس والتصحيف والتحريف

وأخطأ في نسبة كتاب خريدة العجائب إلى القاضي ابن الوردي يوسف سركيس في الصفحة ٢٨٢ من المجلد الأول من معجم المطبوعات العربية والمعربة. **وأخطأ** في نسبة كتاب خريدة العجائب إلى القاضي ابن الوردي عبد الجبار عبد الرحمن في الصفحة ٢٧٨ من المجلد الأول من فهرس ذخائر التراث العربي الإسلامي الصادر في العراق سنة ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.

سراج الدين ابن الوردي (الحفيد صاحب المخطوط)

هو: سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، البكري القرشي، المعري ثم الحلبي، المتوفى سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٧م، وقيل سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م.كان ابن الوردي الحفيد عالما زراعياً وجغرافياً، وقد ألف كتاباً بعنوان: منافع النبات والثمار والبقول والفواكه، وله كتاب بعنوان: فرائض وفوائد، وأشهر كتبه «**خريدة العجائب وفريدة الغرائب**» ولكن هذا الكتاب منسوب إلى جده القاضي عمر بن الوردي تـ ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م. وقد ألّفَ ابن الوردي هذا الكتاب حسب ما ذكره المؤلف سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م، أي بعد وفاة ابن الوردي الكبير بمدة إحدى وسبعين سنة شمسية.

والدليل قول المؤلف في مقدمة الكتاب:

«فحينئذٍ أشار إلىٰ الفقير الخامل مَن إشارتُهُ الكريمة محمولة بالطاعة علىٰ الرؤوس، وسفارته المستقيمة بين الإمام المعظم والسودان الأعظم قد سطرت في التواريخ والطروس، وهو المقرُّ الأشرف العالي المولوي الأميني الناصحي السَّيِّدي المالكي المخدومي السيفي شاهين المؤيد، مولانا نائب السلطنة الشريفة بالقلعة «الحلبية» المنصورة الجليلة، أعز الله أنصاره؛ ورفع درجته وأعلىٰ مناره: أن أضع له دائرةً مشتملة علىٰ دائرة الأرض، صغيرةً توضح ما اشتملت عليه من الطول والعرض، والرفع والخفض؛ ظناً منه ـ أحسن الله إليه ـ أني أقوم بهذا الصعب الخطير؛ وأنا والله لست بذلك، والفقير في دائرة هذا العالم أحقر حقير. فأنشدت: إنَّ المقادير إذا ساعدت ألحقت العاجزَ بالحازمِ..»

الكتاب

وهذا الكتاب يقدم جملة فوائد : جغرافية وتاريخية ونباتية وفلكية الخ والعجيب أنه متمرس في كل فرع يعرض اليه ويقدم مادة علمية مفيدة، رغم ما يشوبه من بعض الأساطير وهي تعود في المقام الأول الىٰ طبيعة العصر، ورغبة المؤلف في تفسير كل شيء، وهي علىٰ كل حال واضحة غاية الوضوح ولن يحدث التباس للقارئ في التفريق بين الأسطورة والحقيقة، وسوف نؤكد علىٰ ذلك في سياق التحقيق بإذن الله.

والكتاب ألفه تلبية لأمر نائب السلطنة الشريفة بالقلعة المنصورة، وجعله شرحاً للخريطة التي رسمها له، بحيث يصعب الفصل بين الكتاب والخريطة. التي لا تزال مكتبة باريس محتفظة بأصلها. وأتبع ذلك بذكر ما تضمنته الخريطة من أسماء البلدان، وعجائبها وآثارها مرتبة حسب الأقاليم المرسومة، ثم البحار والجزر

والآبار والأنهار والعيون، ثم الجبال والأحجار والنباتات والحيوانات. وختمه بأبواب شتى، منها: رسالة في أجوبة النبي (ص) على ١٤٠٤ مسائل لليهود. وفصول في علامات الساعة، وأحوال القيامة.

وقد رتب فيه باب الحيوان والنبات على حروف المعجم. ومن ميزاته: تسمية النباتات بأسمائها القديمة والحديثة، كقوله: ودم الأخوين هو العندم، والبقلة الحمراء هي الرجلة، والحمّص هو الصنبري، وحب الرشاد هو الحرف..إلخ.

والناظر المدقق في كتاب ابن الوردي يكتشف أن الكتاب قد تضمن ما توصل إليه الجغرافيون في زمانه مع إشارات تاريخية طرأت على البلدان التي ذكرها، والكتاب عبارة عن قراءة في الخرائط التي رسمها ابن الوردي الحفيد، والتي اعتمدها الغربيون المعاصرون له، والذين أتوا بعده، ودقة معلوماته أثارت بلبلة حول نسبة الكتاب إلى القاضي ابن الوردي الجدّ لأن علم الجغرافيا لم يكن متطورا كما هو الحال في خريدة العجائب، ونظرا لجهل الباحثين بوجود عمرين من أبناء الوردي، فقد شككوا بنسبة الكتاب إلى ابن الوردي لأنهم عرفوا الجدّ، وجهلوا الحفيد لأن المراجع والمصادر قد أغفلت ترجمته، وشهرة ابن الوردي الجدّ قد غطّت على ابن الوردي الحفيد، وجنت عليه جناية امتدت آثارها إلى المفهرسين والمحققين، وألصقت بهم صفة الغفلة لأنهم لم يدركوا سبب هذا الالتباس بين الرجلين، فقدموهما وكأنهما رجل واحد رغم الفاصل الزمني «٧١ سنة» بين تاريخي وفاتيهما. وسبب الالتباس تطابق الإسمين واللقبين المتطابقين، والنسبتين والكنيتية المتطابقتين.

وتمتاز خرائط ابن الوردي الحفيد برسمه العالم على شكل دائرة يحيط بها بحر الظلمات، ويحيط ببحر الظلمات جبل قاف. وقد أكّد كروية الأرض حيث قال: « قد

اختلف العلماء في هيئة الأرض وشكلها.. وذكر بعضهم: أنها تشبه نصف الكرة، كهيئة القبة، وأن السماء مركبة على أطرافها. والذي عليه الجمهور: أن الأرض مستديرة كالكرة، وأن السماء محيطة بها من كل جانب، كإحاطة البيضة بالمُحَّة، فالصُّفرة بمنزلة الأرض، وبياضها بمنزلة الماء، وجلدها بمنزلة السماء».لقد استفاد ابن الوردي في كتاب الخريدة من كتب العرب والمسلمين الذين سبقوه، ورسموا الخرائط منذ القرن الأول الهجري حيث أمر الحجاجُ بن يوسف الثقفي قتيبةَ ابن مسلم بتزويده بخريطة بلاد الديلم، فأرسلها إليه سنة٨٩هـ/ ٧٠٨م، وتتابع رسم الخرائط من قبل الجغرافيين والعسكريين المسلمين في عهد الخلافة الإسلامية الأموية(٢) ثم العباسية(٣)، وكانت من أروعها خريطة الأقاليم السبعة للإدريسي(٤)،

---

(٢) الخلافة الأموية : (٤٠-١٣٢ هـ/ ٦٦١-٧٥٠م) : بعد الصراع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما واستشهاد علي تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة، وأسس الخلافة الأموية، وكان له جملة من الإصلاحات الإدارية منها: أنه نظم البريد، والشرطة، وأقام ونظّم ديوان الخاتم، وغير ذلك من الإصلاحات، فكان أول من وضع أساس الإدارة المتقدمة للدولة الإسلامية الموحدة وتنسب إلى بني أمية وقد أقام الأمويون خلافتين سنيتين إحداهما في المشرق وعدد خلفائها ثلاثة عشر، وكان قيام الخلافة سنة إحدى وأربعين للهجرة الموافق لسنة إحدى وستين وستمائة للميلاد، وكان سقوطها على أيدي بني العباس سنة إثنتين وثلاثين ومائة للهجرة، الموافق لسنة تسع وأربعين وسبعمائة للميلاد، أما الخلافة الثانية فكانت في بلاد الأندلس.

(٣) الخلافة العباسية (١٣٢-٦٥٦ هـ/ ٧٥٠-١٢٥٩ م)- Abasid Caliph (١٣٢-٦٥٦ A.H./٧٥٠-١٢٥٩ A.D.)

يرجع أصل العباسيين إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فهم بذلك من أهل البيت. بمساعدة من أنصار الدعوة العلوية إستطاع أبو العباس السفاح (٧٤٩-٧٥٤) و بطريقة دموية القضاء على الأمويين و مظاهر سلطتهم، قام هو و أخوه أبو جعفر المنصور (٧٥٤-٧٧٥) باتخاذ تدابير صارمة لتقوية السلطة العباسية، في عام ٧٦٢ تم إنشاء مدينة بغداد. بلغت قوة الدولة أوجها و عرفت العلوم عصر إزدهار في عهد هارون الرشيد (٧٨٦-٨٠٩) الذي تولت وزارته أسرة البرامكة (حتى سنة ٨٠٣) ثم في عهد ابنه عبد الله المأمون (٨١٣-٨٣٣) الذي جعل من بغداد مركزاً للعلوم و

المتوفى عام ٥٦٠هـ/ وخريطة زكريا بن محمد **القزويني**(٥) تـ ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م. وخرائط ابن الوردي التي استفاد منها الأندلسيون، وأخذها عنهم الأوربيون، فرسموا خرائط مشابهة لخرائط ابن الوردي التي مازالت محفوظة في مكتبة باريس. ثم التفوا حول رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٧م، بعد فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣م، وسقوط الأندلس سنة ١٤٩٢م. وكانت خرائط أميرال البحر العثماني بير رئيس من أدقّ الخرائط العثمانية المتقدمة، وتبعتها مصورات سفر العراقين مع السلطان سليمان القانوني.

وقد طبع كتاب «خريدة العجائب وفريدة الغرائب» أول مرة في مدينة لوند السويدية سنة ١٨٢٤م مع ترجمة لاتينية بعناية هايلندر، ويقع في ٣٠٠ صفحة.

رفع من مكانة المذهب المعتزلي حتى جعله مذهباً رسمياً للدولة. ويعد العصر العباسي الأول العصر الذهبي لبني العباس، فقد سيطر الخلفاء العباسيون خلاله على مقاليد السلطة، ورغم ظهور بعض الدول المستقلة وأهمها الدولة الأموية بالأندلس ودولة الأدارسة بالمغرب والدولة الرستمية في الجزائر ودولة الأغالبة في تونس، إلا أن الدولة ظلت متماسكة حتى نهاية هذا العصر. ثم بدأت في الضعف حتى سقطت على ايدي المغول ٤ من صفر ٦٥٦ هـ= ١٠ فبراير ١٢٥٨م وانتقلت الى القاهرة وظلت خلافة اسمية هناك الى أن سقطت على يد العثمانيين بعد دخولهم مصر ١٥١٧ م.

(٤) الإدريسي (ت ٥٦٠ هـ/ ١١٦٦ م) : هو أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عبد الله بن إدريس الصقلي. أحد كبار الجغرافيين في التاريخ، استُخدمت خرائطه في سائر كشوف عصر النهضة الأوربية. أمر الملك الصقلي روجر الثاني له بالمال لينقش عمله خارطة العالم و المعروف باسم "لوح الترسيم" على دائرة من الفضة تزن ٤٠٠ رطل رومي. و يعرف لوح الترسيم أيضا عند العرب بخريطة الإدريسي (ملحق رقم ٣).

(٥) القزويني (٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) : هو أبو عبد الله بن زكريا بن محمد القزويني ينتهي نسبه إلى أنس بن مالك عالم المدينة ولد بقزوين في حدود سنة ٦٠٥ للهجرة وتوفي سنة ٦٨٢ هـ اشتغل بالقضاء مدة ولكن عمله لم يلهه عن التأليف في الحقول العلمية ففقد شغف بالفلك والطبيعة وعلوم الحياة ولكن أعظم أعماله شأناً هي نظرياته في علم الرصد الجوي.

وطبع في مدينة أوبسالا السويدية في مجلدين بعناية تورنبورغ ما بين سنة ١٨٣٥وسنة ١٨٣٩م.وطبع في المطبعة الوهبية في القاهرة سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٨٠م وطبع في المطبعة الشرفية في القاهرة سنة ١٣٠٠ هـ/ ١٨٨٢م، ثم سنة ١٣١٤ هـ/ ١٨٩٦م.ونشر (سيغفريد فرويند) الفصل الخاص بأحوال يوم القيامة في (برسلاو) سنة١٨٥٣م.

أسلوبي في العمل :

هذا وقد قمنا بتحقيق المخطوط الأكثر دقة في النسخ والأوضح في خرائطه التي لها أهمية كبيرة في سير أحداث المخطوط النادر، وذلك وفق مخطوط « جامعة برنستون » Princeton University قسم يهودا Yahuda من مجموعة غاريت Garrett.

وكانت «جامعة برنستون» في الولايات المتحدة (برنستون، نيوجرزي) قد أصدرت عام ١٩٧٧ مجلداً ضخماً باللغة الإنكليزية يحتوي أسماء المخطوطات التي تضمها مكتبة الجامعة في القسم المسمى يهودا Yahuda من مجموعة غاريت Garrett. وقد وضع هذا المصنف الضخم (٥١٥ صفحة من الحجم الكبير، مع وصف لكل مخطوط) رودولف ماخ، وفهرسه روبرت د. ماكتشسني

وقد حصلنا عليه كاملاً وربما يتم نشره في القريب العاجل خدمة للباحثين.

وكانت طريقتي في التحقيق تقوم على : ضبط النص وتقويمه، والتعريف بأعلامه وتحديد مواضعه، وشرح الغريب من ألفاظه، وعرضت للوقائع التاريخية التي ذكرها حتى تتم الفائدة للقارئ.

كلمة شكر :

وأخيراً أتوجه بالشكر الجزيل الى السيدة **Ana Lee** التي قدمت لي ولأخي الدكتور فاروق زناتي (العالم الجليل بالولايات المتحدة الأمريكية في علوم الفضاء) حيث قدمت لنا كل عون وتسهيل تُحمد عليه.

كما أتوجه بالشكر الجميل إلى الحاج «**أحمد أنسي**» صاحب ومدير مكتبة الثقافة الدينية (عاشق المخطوطات) الذي تحمس كثيراً لنشر العديد من المخطوطات النادرة التي تضمها جامعة برنستون الأمريكية وقد حصلنا على الكثير من تلك المخطوطات النادرة التي تقبع في أبنية الغرب لا يعلم عنها أكثر أهل الشرق شيئاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أنور محمود زناتي

كلية التربية – جامعة عين شمس.

1001 II **768**

Sirāj-al-Dīn abu-Ḥafṣ ‘Umar ibn-Muḥammad ibn-‘Imrān ibn-al-Fawāris ibn-al-Wardi al-Qurashi al-Bakri سراج الدين ابو حفص عمر بن محمد ابن عمران بن الفوارس بن الوردي القرشي البكري flourished *ca.* A.H. 850 [A.D. 1546/7].

Kharīdat al-‘Ajā’ib wa-Farīdat al-Gharā’ib خريدة العجائب وفريدة الغرائب [*the Pearl of the Marvels and the Solitaire of Rarities*]

Fols. 26; 23 x 16.2 cm.; written surface 17.5 x 11 cm.; 25 lines to page; on glazed oriental paper; in naskhi; with catchwords; entries in red.

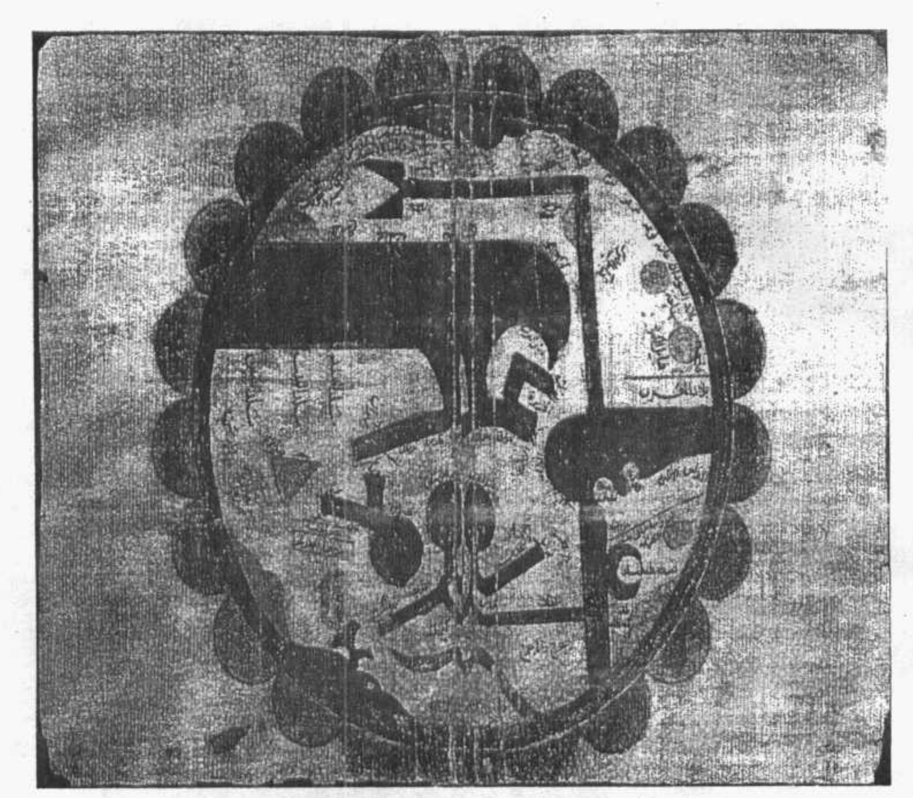
An eschatological treatise on the signs of the last day entitled *Risālah fi ‘Alāmāt al-Sā‘ah*, being a section of the treatise of cosmography, *Kharīdat al-‘Ajā’ib wa-Farīdat al-Gharā’ib.*

Beg.: بسم الله الرحمن الرحيم... روي عن عبد الله ابن عباس

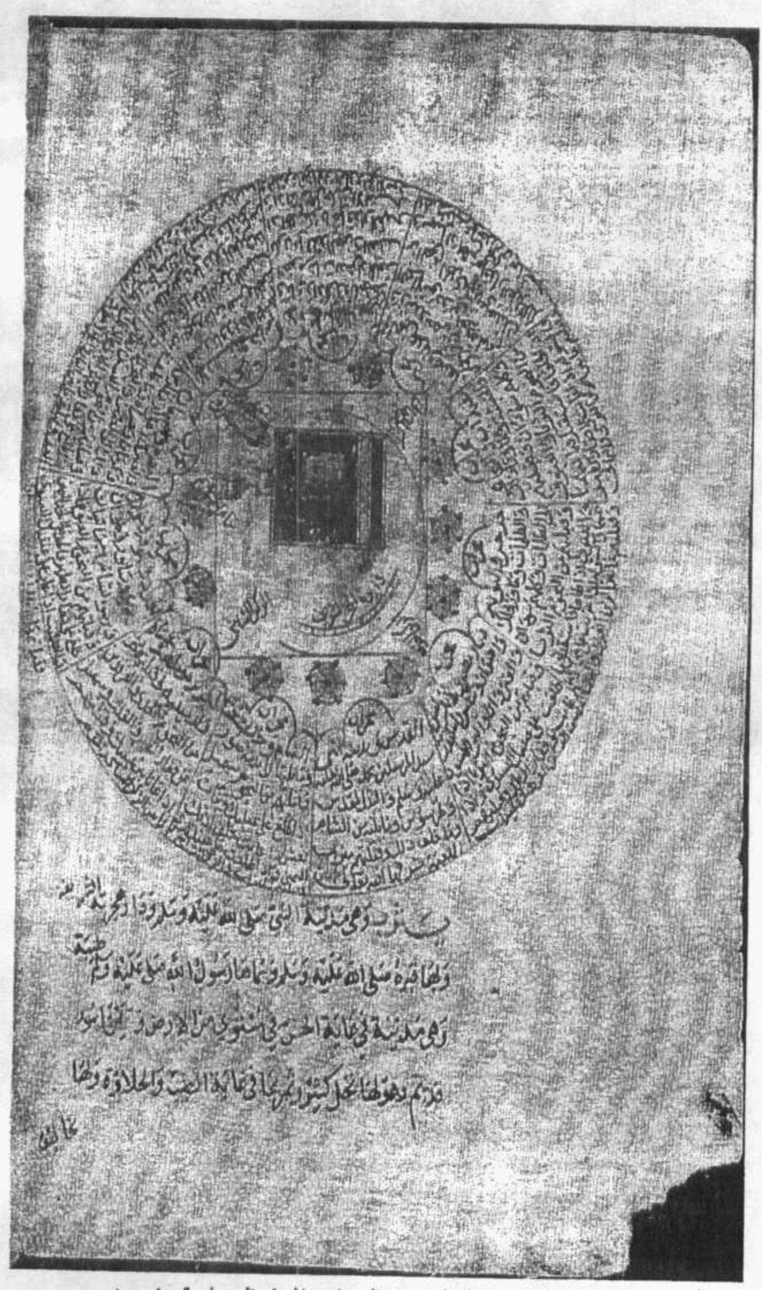
Colophon: تم كتاب خريدة العجائب وفريدة الغرائب جمع الامام العالم العلامة الاديب سراج الدين بن حفص بن عمر بن محمد بن عمران بن الفوارس بن الوردي القرشي البكري تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنته وحل رضوانه امين بجاه سيد المرسلين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم . تم .

الورقة الأولى من مخطوط خريدة العجائب المحفوظ بجامعة برنستون

(مجموعة جاريت.Garrett) عن النسخة الميكروفيلمية

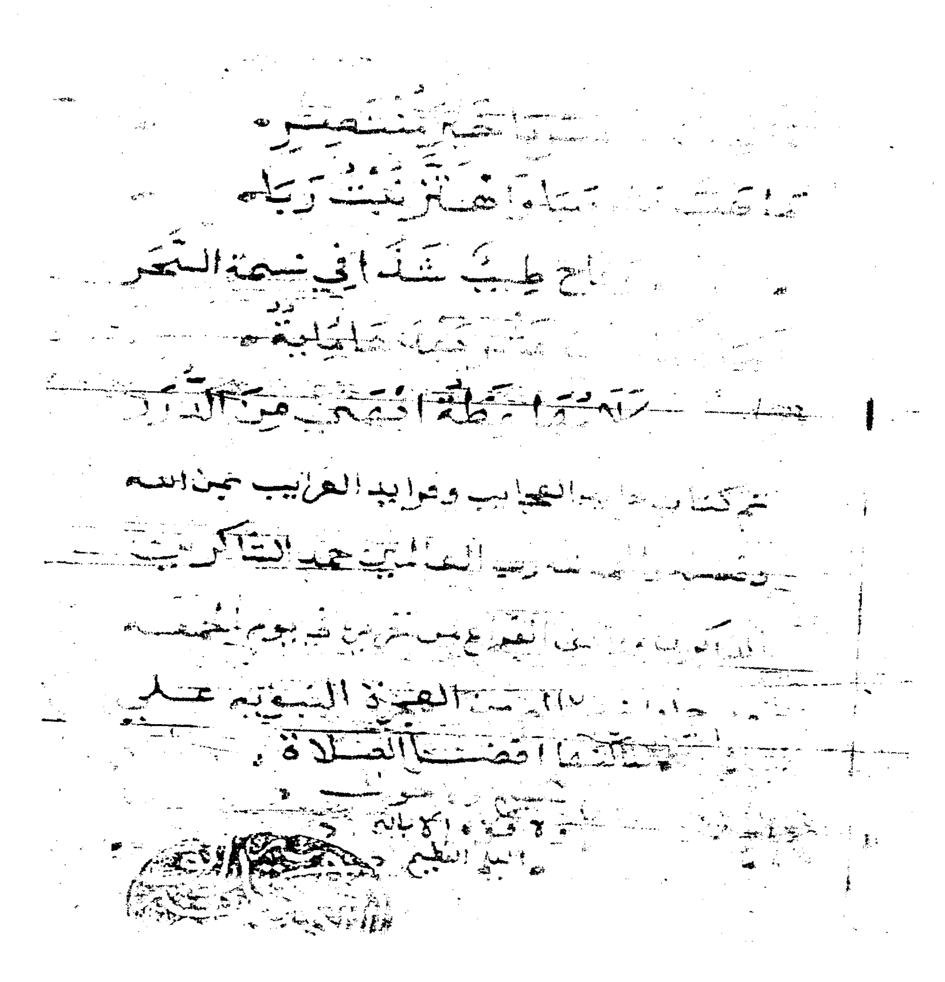


خارطة ابن الوردي الواردة في المخطوط



ورقة رقم ١٣٣ من مخطوط خريدة العجائب المحفوظ بجامعة برنستون

(مجموعة جاريت Garrett)



الورقة الأخيرة من مخطوط خريدة العجائب المحفوظ بجامعة برنستون
(مجموعة جاريت Garrett.)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب. عالم الغيب، راحم الشيب، منزل الكتاب. ساتر العيب، كاشف الريب، مزلل الصعاب. مغيث الملهوف، دافع الصروف، رب الأرباب. خالق الخلق، باسط الرزق، مسبب الأسباب. مالك الملك، مسخر الفلك، مسير السحاب. رافع السبع الطباق مخيمة على الآفاق تخييم القباب. ساطح الغبراء، على متن الماء، ممسكة بحكمته عن الاضطراب. منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم يوم الحشر والمآب.

أحمده وهو المحمود بكل لسان ناطق، وأشكره وهو المشكور في المغارب والمشارق.

وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له، شهادة ركن الإيمان أركانها، وشيد الإتقان بنيانها، ومهد الإذعان أوطانها، وأكد البرهان إدمانها. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. المستولي على شانئه بشأنه، ونبيه المفضل بمعاني علومه وبدائع بيانه، ورسوله الصادع بدليله وبرهانه، القائل: زينت لي مشارق الأرض ومغاربها كشفاً واطلاعاً بسره وعيانه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأعوانه، صلاة تبلغ من آمن به غاية أمنه وأمانه، وتسكن روعته في الدارين، بعفو الله وغفرانه، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد: فإن خالق الخلق والبريئة، ومن له الإرادة والمشيئة، قد ميز الملوك والرعاة عمن دونهم من الرعية، فلذلك قد خصوا بالهمم العلية، والأخلاق[٦] السامية الزكية، ورغبوا في الاطلاع على الأمور الغامضة الخفية، ليكونوا فيما ندبوا له من الاسترعاء على بيضاء نقية، ويحصلوا من أخبار العالم على الأشياء الصادقة الجلية، فحينئذ أشار إلى الفقير الخامل من إشارته الكريمة محمولة بالطاعة على الرؤوس، وسفارته المستقيمة بين الإمام المعظم والسودان الأعظم قد سطرت في التواريخ والطروس وهو المقر الأشرف العالي المولوي الأميني الناصحي السيدي المالكي المخدومي السيفي شاهين المؤيد، مولانا نائب السلطنة الشريفة بالقلعة المنصورة الجليلة، أعز الله أنصاره؛ ورفع درجته وأعلى مناره إن أضع له دائرة مشتملة على دائرة الأرض، صغيرة توضح ما اشتملت عليه من الطول والعرض، والرفع والخفض؛ ظناً منه أحسن الله إليه أني أقوم بهذا الصعب الخطير؛ وأنا والله لست بذلك، والفقير في دائرة هذا العالم أحقر حقير. فأنشدت:

إن المقـــــادير إذا ســــــاعدت	ألحقـــــت العــــاجز بالحــــازم

وتوسلت إلى رب الأرباب ومذلل الصعاب؛ وابتهلت إليه ابتهال المستغيث المصاب. ففتح سبحانة من فيضان لطفه أحسن باب؛ وسهل بامتناع عطفه ذلك الصعب المهاب؛ ويسر برأفته ما لم يخطر في بال وحساب؛ فنهضت مبادراً إلى السجود شاكراً لذي الإنعام والجود. ثم أقبلت على مطالعة حكماء الأنام، وتصانيف علماء الهيئة[٧] الأعلام؛ كشرح التذكرة **لنصر الدين الطوسي**[٨]، وجعفر الأنبياء

(٦) الأخلاق : لغة، جمع خُلُق،، " والخَلق والخُلق: السجية، وهو الدين والطبع للمزيد، أنظر، لسان العرب (١٠/ ٨٦).

(٧) علم الهيئة : Astronomy : هو علم دراسة الأجرام السماوية أويعد من أوائل العلوم الطبيعية ظهوراً أفقد كان الانسان المبكر مهتماً بحركة النجوم والشمس والقمر واستمر هذا الاهتمام حتي العصر الآني.

لبطليموس(٩)، وتقويم البلاد للبلخي(١٠)؛ ومروج الذهب للمسعودي(١١)، وعجائب المخلوقات لابن الأثير الجزري(١٢) والمسالك والممالك للمراكشي؛ وكتاب

---

(٨) الطوسي : هو محمد بن محمد بن الحسن، وينسب إلى طوس، ولد في عام ٥٩٧هـ. درس على والده الذي كان له اعتبار خاص لدى العلماء، ويذهب جورج سارتون Georges Sarton إلى القول أن نقد الطوسي لكتاب المجسطي يدل على عبقرية وطول باع في الفلك.

(٩) بطليموس : العالم الفلكي والرياضي اليوناني، الذي سيطرت نظرياته وتفسيراته الفلكية على الفكر العلمي حتى القرن السادس عشر، عرف بطليموس في مساهماته في حقل الرياضيات والبصريات والجغرافيا وهو صاحب مؤلفات في الرياضيات منها " كتاب المجسطي" المعروف في اللغة العربية. (الموسوعة الثقافية، كتاب الشعب، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٢ م).

(١٠) البلخي : هو أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي بلخي الأصل أخرج منها فتوطن سمرقند كان من كبار الصوفية مات سنة (٣١٩) هـ. كتب أبو عثمان الحيري يسأله ما علامة الشقاوة. فقال ثلاثة أشياء يرزق العلم ويحرم العمل ويرزق العمل ويحرم الإخلاص ويرزق صحبة الصالحين ولا يحترم لهم. وكان أبو عثمان الحيري يقول محمد بن الفضل سمسار الرجال وكان يقول الراحة في السجن من أماني النفوس (يريد بالسجن الدنيا) وكان يقول ذهاب الإسلام من أربعة: لا يعملون بما يعلمون ويعملون بما لا يعلمون ولا يتعلمون مالا يعلمون ويمنعون الناس من التعلم. وقال العجب ممن يقطع المفاوز ليصل إلى بيته فيرى آثار النبوة كيف لا يقطع نفسه وهواه ليصل إلى قلبه فيرى آثار ربه عز وجل.

(١١) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الشافعي البغدادي. جغرافي ومؤرخ وأديب عراقي. ولد في بغداد عام ٩٢١م، وتوفي في القاهرة عام ٩٥٦م. نشأ في بغداد، وأحاط فيها بعلوم عصره، ثم طوف في فارس والهند وسيلان ومدغشقر وربما الصين وبعض جزر الشرق الأقصى وجنوب غربي روسيا والبلقان وسوريا، ثم استقر في مصر وتوفي بالفسطاط. وأشهر أعماله مروج الذهب ومعادن الجوهر من الكتب التاريخية ذات الطابع الموسوعي اذ لا يقتصر فيه المسعودي علي كتابة التاريخ فحسب بل يضمنه معلومات جغرافية واجتماعية ودينية ويبدأ المسعودي كتابه منذ بدا الخليفة فيتحدث عن الأمم القديمة والرسل حتى يبلغ مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فيتحدث عن رسالته وهجراته وغزواته ثم يتحدث عن الخلافة حتى عام ٣٣٦ هـ/ ٩٤٧ م وهي السنة الثانية من خلافة المطيع لله العباسي (٣٣٤ - ٣٦٣هـ/ ٩٤٥ - ٩٧٤م).

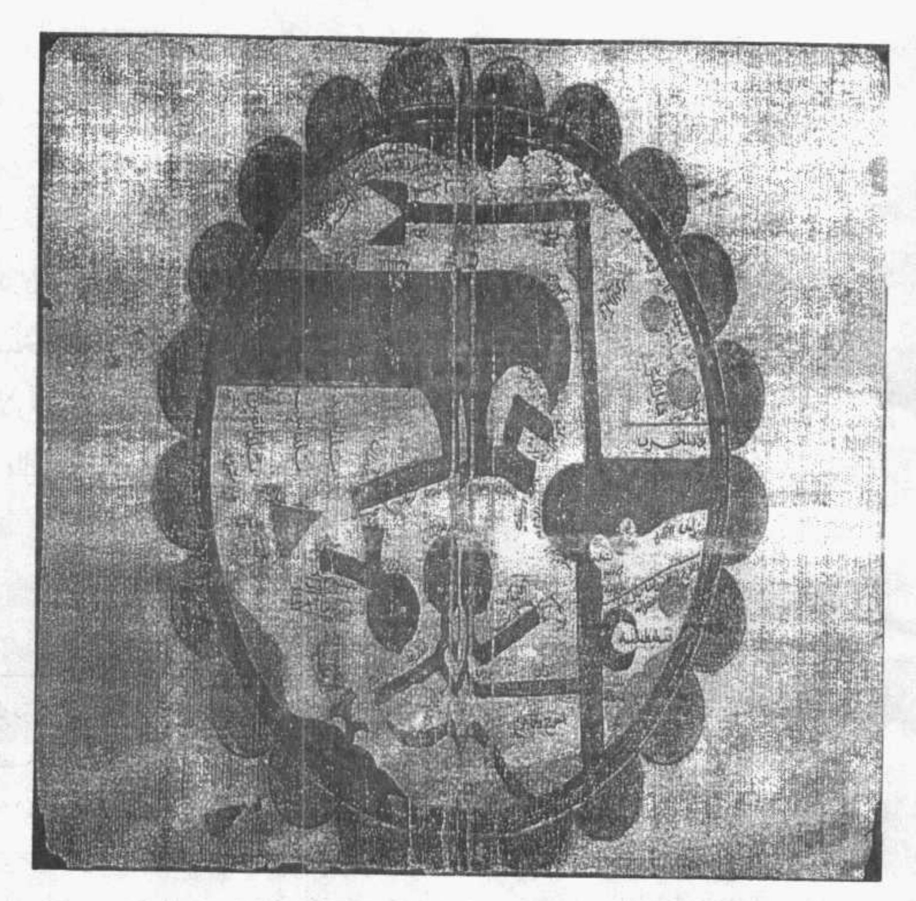
(١٢) ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٤ م). مؤرخ وأديب عراقي، ولد في الجزيرة (العراق) عام ٥٥٦ هـ ١١٦٠ م، وتوفي في الموصل، في العراق عام ١٢٣٤م. تلقى علومه

الابتداء، وغيرها من الكتب المعينة على تحصيل المطلوب. ومعلوم أن الكتب الموضوعة بين الناس في هذا الغرض لم تخل من خلل والتباس؛ فإن ذلك أمر موهوم، لكنه وهم حسن. وكما قيل: بين اليقين والوهم بون كما بين اليقظة والوسن. والله سبحانه هو المتجاوز عن الخطأ والخلل والخطل، والموفق لصالح القول والعمل. وقد وضعت دائرة، مستعيناً بالله تعالى، على صورة شكل الأرض في الطول والعرض، بأقاليمها وجهاتها، وبلدانها، وصفاتها وعروضها وهيئاتها، وأقطارها وممالكها، وطرقها ومسالكها، ومفاوزها ومهالكها، وعامرها وغامرها، وجبالها ورمالها، وعجائبها وغرائبها، وموقع كل مملكة وإقليم من الأخرى، وذكر ما بينهما من المتالف والمعاطب براً وبحراً، وذكر الأمم المقيمة في الجهات والأقطار طراً، وسد ذي القرنين في سالف الأحقاب على يأجوج ومأجوج كما في نص الكتاب، وسميته:

« خريدة العجائب وفريدة الغرائب »

وبالله سبحانه الاعتصام، وهو حسبي على الدوام، ومنه أسأل السداد والتوفيق، فإنه أهل الإجابة والتحقيق. وهذه صورة الدائرة المذكورة.

في الموصل وبغداد على الطويسي وفي الشام على زين الأمناء. وذكر ابن خلكان انه تتلمذ عليه في حلب. ثم عاد ابن الأثير فاستقر في الموصل وكتب فيها معظم كتبه. وابن الأثير ناقل في أكثر مؤلفاته، ولكنه مدقق. فقد نقل في تاريخ العراق وخراسان عن السلامي.



وهذه رسالة لطيفة باهرة كالشرح في توضيح ما في هذه الدائرة، تبين للناظر فيها أحوال الجبال، والجهات، والبحار والفلوات، وما اشتملت عليه من الممالك، مستوعباً فيها لذلك، إن شاء الله تعالى

ولنشرع أولاً في ذكر جبل قاف: قال الله عز وجل في كتابه العزيز «ق، والقرآنِ المَجيدِ»(١٣) وفي تفسير «ق» ستة أقوال للمفسرين، منها: أنه جبل من زبرجدة(١٤)

---

(١٣) سورة ق : آية ١.

(١٤) الزبرجد : حجر كريم يشبه الزمرد وهو ذو ألوان متعددة. أشهرها: اللأخضر المصرى والأصفر القبرصى وفى الزبرجد جمال وعراقة وكرم وأصل تركيبته الكيميائية من سيليكات المغنيسيوم و الحديد

خضراء، قاله أبو صالح عن ابن عباس(١٥) رضي الله عنهما. وروى عكرمة(١٦) عن ابن عباس أيضاً رضي الله عنهما قال: خلق الله جبلاً يقال له قاف، محيطاً بالعالم السفلي، وعروقه متصلة بالصخرة التي عليها الأرض، وهي الصخرة التي ذكرها لقمان(١٧) عليه السلام حيث قال: «يا بُنّي إنها إن تك مثقالَ حبّةٍ من خردلٍ فتكُنْ في صخرة أو في السموات أو فيْ الأرض»(١٨) . فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل قرية في الأرض أمر ذلك الجبل أن يحرك العرق الذي يلي تلك القرية، فتزلزل في الوقت. وقال مجاهد: هو جبل محيط بالأرض والبحار. وروي عن الضحاك أنه زمردة

المزدوجة ووجود الحديد بتركيبته يضفي عليه اللون الأخضر، يعثر عليه في الصخور النارية القاعدية وفي الصخور الجيرية وقد سميت جميع الأحجار الكريمة سابقا ذات اللون المائل للأخضر بالزبرجد.

(١٥) ابن عباس (٣ ق هـ - ٦٨ هـ) : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب. قرشي هاشمي. حبر الأمة وترجمان القرآن. أسلم صغيراً ولازم النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفتح وروي عنه. كان الخلفاء يجلونه. شهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصرة في آخر عمره. كان يجلس للعلم. فيجعل يوما للفقه ويوماً للتأويل، و ويوماً للمغازي، ويوماً للشعر، ويوماً لوقائع العرب توفي بالطائف { الأعلام للزركلي، والإصابة، ونسب قريش ص ٢٦ }.

(١٦) عكرمة (٢٥ ــ ١٠٥ هـ) هو عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس. وقيل لم يزل عبداً حتى مات ابن عباس واعتق بعده. تابعي مفسر محدث. أمره ابن عباس بإفتاء الناس. أتي نجدة الحروري وأخذ عنه رأى الخوارج، ونشره بإفريقية. ثم عاد إلى المدينة. فطلبه أميرها، فاختفى حتى مات. واتهمه ابن عمر وغيره بالكذب على ابن عباس. وردوا علية كثيراً من فتاواه. ووثقه آخرون. [التهذيب ٧/ ٢٦٣ــ ٢٧٣؛ والأعلام للزركلي ٥/ ٤٣؛ والمعارف ٥/ ٢٠١].

(١٧) كان لقمان من قوم عاد، وقد ضُرب به المثل بطول العمر، وعده أبو حاتم السجستاني ثاني المعمرين بعد الخضر، وعُرف لقمان بحكمته ويقال ان اسمه لقمان بن تارخ وتارخ هو آذر أبو سيدنا ابراهيم وقال آخرون بل هو ابن أخت أيوب عليه السلام (تفسير الطبري (٢١ / ٣٩)، المفصل (١ / ٣١٤).

(١٨) سورة لقمان : آية ١٦.

خضراء، وعليه كنفا السماء[١٩] كالخيمة المسبلة. وخضرة السماء منه. والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

وأما ذكر البحار: فأعظم بحر علىٰ وجه الأرض: **المحيط** المطوق بها من سائر جهاتها، وليس له قرار ولا ساحل إلا من جهة الأرض، وساحله من جهة الخلو البحر المظلم، وهو محيط بالمحيط كإحاطة المحيط بالأرض، وظلمته من بعده عن مطلع الشمس ومغربها، وقرب قراره. والحكمة في كون ماء البحر ملحاً أُجاجاً(٢٠) لا يذاق ولا يساغ، لئلا ينتن من تقادم الدهور والأزمان، وعلىٰ ممر الأحقاب والأحيان، فيهلك من نتنه العالم الأرضي، ولو كان عذباً لكان كذلك. ألا ترىٰ إلىٰ العين التي ينظر بها الإنسان الأرض والسماء والعالم والألوان، وهي شحمة مغمورة في الدمع، وهو ماء مالح، والشحم لا يصان إلا بالملح فكان الدمع مالحاً لذلك. المعنىٰ: قاف محيط بالكل، كما تقدم. وفي الظلمات: عين الحياة، التي شرب الخضر عليه السلام(٢١) منها، وهي في القطعة بين المغرب والجنوب.

---

(١٩) السماء : ما يقابل الأرض، وسماء كل شيء أعلاه.

(٢٠) الأجاج : المِلْحُ المُرُّ (القاموس المحيط، أجاج).

(٢١) الخضر عليه السلام : من المعروف أن المؤرخين اختلفوا في حقيقة الخضر عليه السلام (الذي يقال أنه سمي كذلك لأن ما حوله كان يخضر حين يناجي ربه).. وقد توسع ابن كثير في كتاب البداية والنهاية في هذا الموضوع وسرد آراء كثيرة بخصوص هويته واختلاف العلماء حوله. فمنهم من قال أنه رجل صالح، ومنهم من قال إنه ملك، ومنهم من قال إنه كان قائداً لذي القرنين، في حين قال آخرون إنه ابن مباشر لآدم عليه السلام وهبه الله الخلد والعمر الطويل.. غير أن أكثر العلماء رجحوا أنه كان نبياً صالحاً لأنه غلظ في القول علىٰ موسىٰ (رغم مكانته بين الأنبياء) ولأنه تحدث كنبي يوحىٰ إليه كما يتضح من قوله تعالىٰ {فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما} فكيف عرف بمراد ربه لو لم يوحَ إليه (تاريخ الطبري (١ / ٣٦٧) معجم أعلام القرآن (ص١٠٧)، المنتقىٰ (الورقة ١٠٥).

وفي المحيط: الأرض التي فيها عرش إبليس(٢٢) **اللعين**، هو في التي بين المشرق والمغرب والجنوب، وهو إلى المشرق أقرب في مقابلة الربع الخراب من الأرض. والله أعلم.

وأما الخلجان الآخذة من المحيط فهي ثلاثة: أعظمها وأهولها بحر فارس، وهو البحر الآخذ من المحيط الشرقي من حد أرض بلاد الصين إلى لسان القُلزم(٢٣) الذي أغرق الله فيه فرعون(٢٤)، وضرب لموسى وقومه فيه طريقاً يبساً(٢٥)، ثم بحر

---

(٢٢) إبليس : هو اسم الشيطان، وكلمة إبليس يقال أنها ذات أصل يوناني Diabolos، ومعناها المشتكي، ويقال أيضا أن اسم إبليس مشتق من فعل أبلس من رحمة الله أي يئس ومنه سمي إبليس بعدما كفر لاعتراضه على الله يقول تعالى " وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ : سورة البقرة (٣٤).

(٢٣) القُلزم : هو البحر الأحمر حالياً وسمي بذلك نسبة الى مدينة قلزم الواقعة أقصاه، وعده البلدانيون العرب شعبة من بحر الهند (معجم البلدان ١ / ٣٤٤ والمسعودي : مروج الذهب ١ / ١١٠)، وهو بحرمستطيل و موقعه استراتيجي لحركة النقل البحرية إذ يتصل من الجنوب بالمحيط الهندي عن طريق مضيق باب المندب ويمتد شمالا حتى يصل إلي شبه جزيرة سيناء وهناك يتفرع إلى خليج العقبة وخليج السويس الذي يؤدي إلى قناة السويس. يبلغ طول هذا البحر ١٩٠٠ كم ويصل عرضه في بعض المناطق إلى ٣٠٠ كم.

(٢٤) فرعون موسى : لقد اختلفت الآراء في تحديد اسم هذا الفرعون اختلافاً كبيراً. هناك من يرى أن رمسيس الثاني هو فرعون موسى وأصحاب هذا الرأي كثيرون، منهم: أولبرايت - إيسفلت - أونجر - وديفو (ومحقق المخطوط أيضاً) والبعض الآخر يرى أن رمسيس الثاني هو فرعون التسخير ومرنبتاح هو فرعون الخروج وأصحاب هذا الرأي يعتقدون أن خروج بني إسرائيل من مصر كان خروجاً سلمياً ليس فيه مطاردة، وأن مرنبتاح تعقبهم بعد أن وصلوا فعلاً إلى فلسطين، ويعبر عن هذا الرأي ما يراه «جان يويوت» (مصر الفرعونية، مترجم، القاهرة ١٩٦٦ ص٤٠) من أن بني إسرائيل انتهزوا فرصة انشغال جيش مصر في صد غزوة الليبيين لحدود مصر الغربية في السنة الخامسة من حكم مرنبتاح فهربوا من مصر، ثم بعد أن فرغ مرنبتاح من حربه مع الليبيين جرد حملة إلى فلسطين وأباد بني إسرائيل هناك والسند الأساسي لهذه النظرية هو اللوح المسمى «لوح مرنبتاح» أو «لوح إسرائيل» هذا اللوح عبارة عن لوحة

الروم الآخذ من المحيط الغربي من حد الأندلس(٢٦) والجزيرة الخضراء(٢٧)، إلى أن يخالط خليج قسطنطينية. فأما إذا قطعت من لسان القلزم إلى حد الصين على حد مستقيم، كان مقدار تلك المسافة نحو مائتي مرحلة. وكذلك إذا شئت أن تبقطع من القلزم إلى أقصى حد بالمغرب على خط مستقيم، كان نحو مائة وثمانين مرحلة، وإذا

تذكارية منقوشة على الجرانيت الأسود مكتوب عليها قصيدة تسجل انتصار مرنبتاح على الليبيين واللوح محفوظ بالمتحف المصري، والقصيدة في مجموعها فخار بالنصر العظيم الذي أحرزه الملك على الليبيين في السنة الخامسة من حكمه وبه نجت مصر من خطر عظيم، وفي ختام القصيدة يُعدِّد الشاعر القبائل والأقاليم التي أخضعها مرنبتاح وذكر قوم بني إسرائيل وهي المرة الأولى والوحيدة التي يأتي فيها ذكرهم بالاسم في الآثار المصرية، ولما كان بنو إسرائيل قد بدأوا إقامتهم بمصر أيام يوسف ولم يذكر عن ذلك شيء في الآثار المصرية (للمزيد من التفاصيل والأدلة أنظر كتاب موسى وهارون عليهما السلام من هو فرعون موسى؟ تأليف الدكتور رشدي البدراوي الأستاذ بجامعة القاهرة). (أنظر ملاحق الكتاب، رقم٥.

(٢٥) يقول تعالى وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ (سورة طه : ٧٧).

(٢٦) الأندلس : أطلق المسلمون أسم الأندلس على القسم الذي فتحوه من شبه الجزيرة الأيبرية وهي تعريباً لكلمة " فانداليشيا " التي كانت تطلق على الاقليم الروماني المعروف باسم باطقة الذي احتلته قبائل الفندال الجرمانية ما يقرب من عشرين عاماً ويسميهم الحميري بالأندليش ويرى البعض أنها مشتقة من قبائل الوندال التي أقامت بهذه المنطقة مدة من الزمن، ويرى البعض الآخر أنها ترجع الى أندلس بن طوبال بن يافث بن نوح عليه السلام والأندلس فتحها القائد طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ -٧١١م.

(٢٧) الجزيرة الخضراء : ويقال لها جزيرة أم حكيم، وهي جارية طارق بن زياد مولى موسى بن نصير كان حملها معه فخلفها هذه الجزيرة فنسبت إليها، وعلى مرسى أم حكيم مدينة الجزيرة الخضراء، وبينها وبين مدينة قلشانة أربعة وستون ميلاً، وهي على ربوة مشرفة على البحر وسورها متصل به، وبشرقيها خندق وبغربيها أشجار تين وأنهار عذبة؛ وقصبة المدينة موفية على الخندق وهي منيعة حصينة سورها حجارة وهي في شرقي المدينة ومتصلة بها.

قطعت من القلزم إلى حد العراق(٢٨) في البرية على خط مستقيم، وشققت أرض السماوة، ألفيته نحو شهر.

ومن العراق إلى نهر بلخ نحو شهرين، ومن نهر بلخ إلى آخر بلاد الإسلام في حد فرغانة نيف وعشرون مرحلة، ومن هذا المكان إلى بحر المحيط من آخر عمل الصين نحو شهرين، هذا في البر.

وأما من أراد قطع هذه المسافة من القلزم إلى الصين في البحر طالت المسافة عليه، وحصلت له المشقة العظيمة، لكثرة المعاطف والتواء الطرق واختلاف الرياح في هذه البحور، وأما بحر الروم فإنه يأخذ من المحيط الغربي، كما تقدم بين الأندلس وطنجة. حتى ينتهي إلى ساحل بلاد الشام(٢٩)، ومقدار ما ذكر في المسافة أربعة أشهر. وهذا البحر أحسن استقامة واستواء من بحر فارس، وذلك أنك إذا أخذت من فم هذا الخليج، يعني من مبدئه، إلى المحيط أتتك ريح واحدة إلى أكثر هذا البحر. وبين القلزم الذي هو لسان بحر فارس وبين بحر الروم، على سمت القبلة، أربع مراحل. وزعم بعض المفسرين في قوله تعالى: «**بينهما برزخ**(٣٠) **لا يبغيان**»(٣١) أنه هذا الموضع.

• • • •

---

(٢٨) العراق : قال قطرب : إنما سمي العراق عراقاً لأنه دنا من البحر، وفيه سباخ وشجر، وقال الخليل : العراق شاطئ البحر وسمي العراق لأنه على شاطئ دجلة والفرات مدا حتى يتصل بالبحر على طوله، وقال الأصمعي : هو معرب عن ايران شهر، ويقال بل هو مأخوذ من عروق الشجر.

(٢٩) الشأم : بسكون الهمزة، وفتحها، وحذفها، ومدها، وقد تُذكر وتؤنث، وقيل سميت بسام بن نوح بعد تغيير سينها بشين على مبدأ تبادل الحرفين بين بعض اللغات السامية. الشام تاريخيا يشمل : سورية والأردن ولبنان وفلسطين، كان أول دخول المسلمين الشام زمن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة ثم افتتحوا كل بلاد الشام في زمن عمر رضي الله عنه.

(٣٠) البرزخ :Barrier هو : الحاجز بين الشيئين، و المانع من اختلاطهما و امتزاجهما.

(٣١) سورة الرحمن : آية ٢٠.

فصل في ذكر المسافات

فمن مصر إلى أقصى الغرب نحو مائة وثلاثين مرحلة، فكان ما بين أقصى المغرب وأقصاها بالمشرق نحو أربعمائة مرحلة. وأما عرضها من أقصاها في حد الشمال إلى أقصاها في حد الجنوب فإنك تأخذ من ساحل البحر المحيط حتى ينتهي إلى يأجوج ومأجوج(٣٢) ثم يمر على الصقالبة(٣٣) وتقطع أرض البلغار(٣٤)

---

(٣٢) يأجوج ومأجوج اسمان لمنطقتين وشعبيهما ذكرا بالقرآن الكريم. وقد ورد اسم ماجوج بالتوراة (تكوين: ١٠/ ٢) ويتميزان عن بقية البشر بالاجتياح المروع والكثرة الكاثرة في العدد والتخريب والإفساد في الأرض بصورة لم يسبق لها مثيل، وربما يكون اشتقاق اسميهما من أجت النار أجيجا: والأجاج: هو الماء شديد الملوحة المحرق من ملوحته وقيل مأجوج من ماج إذا اضطرب أصل يأجوج مأجوج من البشر من ذرية آدم وحواء عليهما السلام وهما ذرية يافث أبي الترك ويافث من ولد نوح عليه السلام

خروجهم علامة على قرب النفخ في الصور وخراب الدنيا وقيام الساعة. قال تعالى حتى إذا فتحت يأجوج مأجوج وهم من كل حدب ينسلون. واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا)الأنبياء: ٩٦-٩٧.

(٣٣) يطلق مصطلح الصقالبة (السّلاف) على أمة مرجعها أصل واحد، وقد أكثر من ذكرها مؤرخو اليونان والرومان والعرب، ولكن أكثر أقوالهم مبهمة لا تدل دلالة صريحة على أصل مرجعها، وتوزعها في بلاد أوروبا وآسيا، ومن مؤرخي العرب من جعلها فئة قليلة، ومنهم من توسع فنسب إليها بلادا وأمما لم تكن منها. قال ياقوت الحموي: "الصقالبة جيل حمر الألوان صهب الشعور يتاخمون بلاد الخزر في أعالي جبال الروم " وقال أيضا: الصقالبة بلاد بين بلغار وقسطنطينية. وقال المسعودي: الصقالبة أجناس مختلفة ومساكنهم في المغرب وبينهم حروب، ولهم ملوك، فمنهم من ينقاد إلى دين النصرانية، ومنهم من لا كتاب له ولا شريعة. وجعل المسعودي الترك من الصقالبة قال: وهذا الجيش (أي الترك)، أحسن الصقالبة صورا وأكثرهم عددا وأشدهم بأسا. أنظر(الموسوعة العربية الميسرة: محمد شفيق غربال، القاهرة، ١٩٦٥ م. و دائرة المعارف الإسلامية: أحمد الشنتاوي وآخرين المجلد الرابع عشر. ومروج الذهب المسعودي طبعة باريس (الفهرس). ومعجم البلدان ياقوت الحموي مادة (صقالبة). و البيان المغرب، ابن عذاره طبعة دوزي ص ٢٧٦ وما بعدها. دائرة المعارف: البستاني المجلد العاشر. ونفح الطيب المقري ١/ ٨٨،

الداخلة وتمضي في بلاد الروم إلى الشام وأرض مصر والنوبة، ثم تمتد في برية بين بلاد السودان وبلاد الزنج حتى تنتهي إلى البحر المحيط. فهذا خط ما بين جنوب الأرض وشمالها.

وأما مسافة هذه الأرض وهذا الخط فمن ناحية يأجوج ومأجوج إلى بلغار وأرض الصقالبة نحو أربعين مرحلة، ومن أرض الصقالبة في بلد الروم إلى الشام نحو ستين مرحلة، ومن أرض الشام إلى أرض مصر نحو ثلاثين مرحلة، ومنها إلى أقصى النوبة نحو ثمانين مرحلة حتى تنتهي إلى هذه البرية. فذلك مائتان وعشر مراحل كلها عامرة.

وأما ما بين يأجوج ومأجوج والبحر المحيط في الشمال، وما بين براري السودان والبحر المحيط في الجنوب، فقفر خراب، فليس فيه عمارة ولا حيوان ولا نبات ولا يعلم مسافة هاتين البريتين إلى المحيط كم هي. وذلك أن سلوكها غير ممكن لفرط البرد الذي يمنع من العمارة والحياة في الشمال وفرط الحر المانع من العمارة والحياة في الجنوب. وجميع ما بين الصين والغرب فمعمور كله والبحر المحيط محتف به كالطوق ويأخذ البحر الرومي من المحيط ويصب فيه ويأخذ البحر الفارسي من المحيط أيضاً ولكن لا يصب فيه.

٩٢، ٢/ ٥٧. تكملة الصلة ابن الأبار طبعة codera رقم ٨٩.و تاريخ الشعوب الإسلامية كارل بروكلمان مادة (صقالبة).و موسوعة الشروق: المجلد الأول القاهرة ١٩٩٤ م).

(٣٤) البلغار: يعود أصل البلغار إلى عائلة شعوب تركية وقيرغيزية وتركمانية وأذرية أتت من المنطقة الممتدة بين نهر الفولغا وجبال الأورال لتستقر فيما يعرف حالياً ببلغاريا .وفي عام ٦٧٩ تم توقيع معاهدة بين بيزنطة وهذه الجماعات نتج عنه ميلاد أول دولة بلغارية.

وأما بحر الخزر[٣٥] فليس يأخذ من المحيط ولا من غيره شيئاً أصلاً غير أنه مخلوق من مكانه من غير مادة، لكن يصب المحيط بواسطة خليج القسطنطينية. وهو بحر هائل لو سار السائر على ساحله من الخزر على أرض الديلم(٣٦) وطبرستان(٣٧) وجرجان(٣٨) ومفازة سياه كوه لعاد إلى المكان الذي سار منه من غير أن يمنعه مانع إلا نهراً يقطع فيه. وأما بحيرة خوارزم فكذلك غير أن لا مصب لها في المحيط فهذه الأبحر الأربعة العظام التي على وجه الأرض.

وفي أراضي الزنج وبلدانهم خلجان تأخذ من المحيط، وكذلك من وراء أرض الروم خلجان وبحار لا تذكر لقصورها عن هذه البحار وكثرتها. ويأخذ من البحر

---

(٣٥) بحر الخزر : أو بحر قزوين هو بحر مغلق بين آسيا و أوروبا (روسيا الأوروبية). يعد أكبر مسطح مائي مغلق على سطح الأرض إذ تبلغ مساحته حوالي ٣٧١ ألف كم٢. أقصى عمق له هو ٩٨٠ م وبالتالي هو يحمل خصائص البحار والبحيرات. يسمى ببحر قزوين نسبة لمدينة قزوين بإيران والشعب القزويني في تلك المناطق.

(٣٦) بلاد الديلم : أو بلاد جيلان واقعة في الجنوب الغربي من شاطىء بحر الخزر سهلها للجيل وجبالها للديلم وقصبتها روزبار. كانت في القديم إحدى الأيالات الفارسية إلا أن أهلها لم يكونوا من العنصر الفارسي بل عنصر ممتاز يطلق عليه اسم الديالمة أو الجيل.

(٣٧) طَبَرِستانُ : (بلاد الفؤوس) معنى "الطبر" الآلة التي يشق بها الحطب، و"استان" الموضع أو الناحية كأنه يقول: ناحية الطبر. وهي بلدان واسعة كثيرة، خرج من نواحيها من لا يُحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه، والغالب على هذه النواحي الجبال. وطبرستان في البلاد المعروفة بمازَنْدَران، وهي بين الري وقومس والبحر وبلاد الديلم والجيل. وهي كثيرة المياه متهدّلة الأشجار كثيرة الفواكه، إلا أنها مخيفة وخِمَة قليلة الارتفاع كثيرة الاختلاف والنزاع. وكانت بلاد طبرستان في الحصانة والمنعة على ما هو مشهور من أمرها.

(٣٨) جرجان : يقول عنها القزويني " مدينة عظيمة مشهورة بقرب طبرستان بناها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وهي أقل ندى ومطراً من طبرستان يجري بينهما نهر تجري فيه السفن بها فواكه الصرود والجروم وهي بين السهل والجبل والبر والبحر بها الثلج والنخل والزيتون والجوز والرمان والأترج وقصب السكر وبها من الثمار والحبوب السهلية والجبلية المباحة يعيش بها الفقراء.

المحيط أيضاً خليج حتىٰ ينتهي علىٰ ظهر أرض الصقالبة نحو شهرين ويقطع أرض الروم علىٰ القسطنطينية(٣٩) حتىٰ يقع بحر الروم. وأما أرض الروم فحدها من هذا البحر المحيط علىٰ بلاد الجلالقة(٤٠) وافرنجة(٤١) وورومية(٤٢) وأشيناس إلىٰ

---

(٣٩) مدينة القسطنطينية : هي بيزنطة القديمة التي تأسست عام ٦٥٧ ق.م، وأقام الإمبراطور قسطنطين الكبير علىٰ أنقاضها العاصمة الجديدة لإمبراطوريته الرومانية الشرقية عام ٣٢٤م وأسماها بإسمه- وإنقسمت الدولة الرومانية إلىٰ إمبراطوريتين : غربية وعاصمتها روما، وشرقية وعاصمتها القسطنطينية- وهي حالياً مدينة إسطنبول التركية. فتحها السلطان محمد الفاتح، الذي تولىٰ السلطنة بعد وفاة أبيه في (٨٥٥ هـ= ١٤٥١م)، وبدأ في التجهيز لفتح القسطنطينية، ليحقق الحلم الذي يراوده، وليكون هو محل البشارة النبوية التي أكدت فتح القسطنطينية علىٰ يد قائد مبارك، وفي الوقت نفسه يسهل لدولته الفتية الفتوحات في منطقة البلقان، ويجعل بلاده متصلة لا يفصلها عدو يتربص بها. ومن أبرز ما استعد له لهذا الفتح المبارك أن صبَّ مدافع عملاقة لم تشهدها أوروبا من قبل، وقام ببناء سفن جديدة في بحر مرمرة لكي تسد طريق "الدردنيل"، وشيّد علىٰ الجانب الأوروبي من "البوسفور" قلعة كبيرة عُرفت باسم قلعة "روملي حصار" لتتحكم في مضيق البوسفور. وانتظر المسلمون ثمانية قرون ونصف قرن حتىٰ تحققت البشارة، وفُتحت القسطنطينية بعد محاولات جادة بدأت منذ عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣٢هـ=٦٥٢م)، وازدادت إصرارًا في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في مرتين: الأولىٰ سنة (٤٩هـ = ٦٦٦م) والثانية بين سنتي (٥٤-٦٠=٦٧٣-٦٧٩م)، واشتعلت رغبةً وأملاً طموحًا في عهد سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي سنة (٩٩هـ=٧١٩م).. لكن هذه المحاولات لم يُكتب لها النجاح والتوفيق. إلىٰ أن كتب الله ذلك الفتح علىٰ يد القائد السلطان محمد الفاتح؛ فبعد أن أتم السلطان كل الوسائل التي تعينه علىٰ تحقيق النصر، زحف بجيشه البالغ ٢٦٥ ألف مقاتل من المشاة والفرسان، تصحبهم المدافع الضخمة، واتجهوا إلىٰ القسطنطينية، وفي فجر يوم الثلاثاء الموافق (٢٠ من جمادىٰ الأولىٰ ٨٥٧هـ= ٢٩ من مايو ١٤٥٣م) نجحت قوات محمد الفاتح في اقتحام أسوار القسطنطينية، في واحدة من العمليات العسكرية النادرة في التاريخ، وسيأتي تفاصيلها في يوم فتحها.. وقد لُقب السلطان "محمد الثاني" من وقتها ب"محمد الفاتح" وغلب عليه، فصار لا يُعرف إلا به.

(٤٠) بلاد الجلالقة : فرنسا حالياً (للمزيد أنظر كميل جوليان : تاريخ بلاد الجلالقة وملحق رقم ٩).

(٤١) الإفرنج والإفرنجة : اسم لسكان أوروبا ما عدا الأروام والأتراك وهي معرب فرنك أي حر والواحد افرنجي والأنثىٰ افرنجية (محيط المحيط (٢ / ص ١٧٦٦) وقال البعض أنها من الأصل الألماني

القسطنطينية ثم إلى أرض ويشيدان يكون نحو مائة وسبعين مرحلة. وذلك أن من حد الثغور في الشمال إلى أرض الصقالبة نحو شهرين، وقد بينت لك أن من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال مائتي مرحلة وعشر مراحل.

وأما **الروم** المحض من حد رومية إلى حد الصقالبة وما ضمته إلى بلاد الروم من الأفرنجية والجلالقة وغيرهم فإن ألسنتهم مختلفة، غير أن الدين واحد والمملكة واحدة، كما أن في مملكة الإسلام ألسنة مختلفة والملك واحد، وأما مملكة الصين على ما زعم أبو إسحق الفارسي وأبو إسحق إبراهيم بن السكيت حاجب ملك خراسان فأربعة أشهر في ثلاثة أشهر الساكيت فإذا أخذت من فم الخليج حتى تنتهي إلى ديار الإسلام مما وراء النهر فهو نحو ثلاثة أشهر، وإذا أخذت من حد المشرق حتى تقطع إلى حد المغرب في أرض التبت(٤٣). وتمتد في أرض التغزغز(٤٤) وخرخير وعلى ظهل كيماك(٤٥) إلى البحر فهو نحو شهر، ثم في أرض الصين ومملكته السنة مختلفة

وتعود لاسم شعب جرماني استولى على غالية (فرنسا حالياً) فسميت فرنسة (نخلة اليسوعي : غرائب اللغة العربية، ص ٢٨٤).

(٤٢) رومية : هي مدينة رياسة الروم وعلمهم : وهي في شمالي غربي القسطنطينية وبينهما مسيرة خمسين يوماً وهي في يد الفرنج ويقال لملكهم ملك المان من عجائب الدنيا بناء وسعة وكثرة خلق (مراصد، ج١، ص ٦٤٢).

(٤٣) التبت Tibet : اقبليم جبلي يقع في قلب قارة أسيا تتصل حدوده الحالية من الجنوب بولاية كشمير، جمهورية الهند ومملكة نيبال من الغرب بجمهورية طاجيكستان ومن الشرق والشمال بالجمهورية الصينية (القاموس الإسلامي، ج١، ص ٤٣٤).

(٤٤) يقول الاصطخري وأما التغزغز فإنهم ما بين التبت وارض الخزلجية وخرخيز ومملكة الصين (المسالك والممالك، ص١٨).

(٤٥) كيماك : يقول عنهم شرف الزمان المروزي في كتابه طبائع الحيوان " كيماك وهم قوم ليس لهم قرى ولا بيوت وانما هم أصحاب غياض ومشاجر ومياه وكلأ ولهم بقر وغنم كثير ولايكون عندهم إبل لأن الإبل لا تعيش في أرضهم أكثر من سنة ولا يكون عندهم ملح وربما حمل التاجر اليهم الملح فيُشترى

وجميع الأتراك من التغزغز وخرخير وكيماك والغزية وإلى الخزلجية ألسنتهم واحدة، وبعضهم يفهم عن بعض، ومملكة الصين كلها منسوبة إلى الملك المقيم بالقسطنطينية، وكذلك مملكة الإسلام كانت منسوبة إلى المقيم ببغداد، ومملكة الهند منسوبة إلى الملك المقيم بقنوج، وفي بلاد الأتراك ملوك متميزون بممالكهم.

وأما الغزية فإن حدود ديارهم ما بين الخزر وكيماك وأرض الخزلجية وأطراف بلغار، وحدود الديلم ما بين جرجان إلى فاراب واسبيجاب وديار الكيماكية. وأما يأجوج ومأجوج فهم في ناحية الشمال إذا قطعت ما بين الكيماكية، والصقالبة، والله أعلم بمقاديرهم، وبلادهم شاهقة لا ترقاها الدواب ولا يصعدها إلا الرجالة. قال: ولم يخبر أحد عنهم خبراً أوجه من أبي إسحق صاحب خراسان فإنه أخبر أن تجارتهم إنما تصل إليهم على ظهور الرجال وأصلاب المعز، وأنهم ربما أقاموا في صعود الجبل ونزوله الأسبوع والعشرة أيام، وأما خرخير فإنهم ما بين التغزغز وكيماك والبحر المحيط وأرض الخزلجية والغزية.

وأما التغزغز: فقوم من أطراف التبت وأرض الخزلجية وخرخير وأرض الصين. والصين ما بين البحر المحيط والتغزغز والتبت والخليج الفارسي. وأما أرض الصقالبة فعريضة طويلة نحو شهرين في شهرين

منه مَنا ملح بفرو وسمور، وغذاؤهم في الصيف لبن الرماك وفي الشتاء اللحوم المقددة وتكثر الثلوج عندهم حتى تقع الثلجة بقدر قامة رُمح فاذا وقعت مثل ذلك نقل الكيماكية دوابهم الى ناحية الغزية إذا كان بينهم صلح وللكيماكية اسراب قد اتخذوا لشتائهم ويقيمون فيها أيام البرد الشديد وان أراد أحدهم الخروج لاصطياد السمور والقاقم وغيره عمدوا الى خشبتين طول كل واحدة منهما ثلاثة أذرع في عرض شبر قد جعل احد رأسيه مرتفعا مثل صدر السفينة ويشدهما على رجليه مع الخف ثم يتكئ عليهما فيتدحرج على الثلج شبيها بالسفينة التي تُشق عباب الماء ".

وبلغار: مدينة صغيرة ليس لها أعمال كثيرة وكانت مشهورة لأنها كانت ميناء وفرضة لهذه الممالك فاكتسحتها الروس وأتل وسمندر في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة فأضعفتها. والروس قوم بناحية بلغار فيما بينها وبين الصقالبة، وقد انقطعت طائفة من الترك عن بلادهم فصاروا ما بين الخزر والروم، ويقال لهم اليخياكية. وليس موضعهم بدار لهم على قدم الأيام.

وأما الخزر: فإنهم جنس من الترك على هذا البحر المعروف بهم. وأما أتل فهم طائفة أخرى قديمة وسموا باسم نهرهم أتل الذي يصب في هذا البحر، وبلدهم أيضاً تسمى أتل وليس لهذا البلد سعة رزق ولا خفض عيش ولا اتساع مملكة، وهو بلد بين الخزر واليخياكية والسرير.

وأما التبت: فإنه بين أرض الصين والهند وأرض التغرغر الخزلجية وبحر فارس، وبعض بلاده في مملكة الهند وبعضها في مملكة الصين ولهم ملك قائم بنفسه يقال إن أصله من التبابعة ملوك اليمن. والله أعلم.

وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان التي في أقصى المغرب على البحر المحيط فبلاد منقطعة ليس بينها وبين شيء من الممالك اتصال، غير أن حداً لها ينتهي إلى المحيط، وحداً لها ينتهي إلى برية بينها وبين أرض المغرب، وحداً لها إلى برية بينها وبين بلاد مصر على الواحات، وحداً لها إلى البرية التي ذكرنا أن لا نبات بها ولا حيوان ولا عمارة لشدة الحر، وقيل إن طول أرضهم سبعمائة فرسخ(٤٦) في مثلها غير أنها من البحر إلى ظهر الواحات وهو طولها وهو أطول من عرضها. وأما أرض النوبة: فإن حداً لها ينتهي إلى بلاد مصر، وحداً لها إلى هذه البرية المهلكة التي

---

(٤٦) الفرسخ: ثلاثة أميال هاشمية أو اثنا عشر ألف ذراع والفرسخ فارسي مُعرب (مروج الذهب، للمسعودي، ٢ / ٢١٦).

ذكرناها، وحداً لها ينتهي بين بلاد السودان وبلاد مصر المتقدم ذكرها أيضاً، وحداً لها إلى أرض البجة. وأما أرض البجة فإن ديارهم صغيرة وهم فيها بين الحبشة والنوبة وهذه البرية التي لا تسلك.

وأما الحبشة(٤٧) : فإنها على بحر القلزم وهو بحر فارس فينتهي حد لها إلى بلاد الزنج، وحد لها إلى البرية التي بين النوبة وبحر القلزم، وحد لها إلى البجة، والبرية لا تسلك. وأما أرض الزنج فإنها أطول أراضي بلاد السودان ولا تتصل بمملكة من الممالك أصلاً غير بلاد الحبشة وهي في مجاورة اليمن وفارس وكرمان في الجنوب إلى أن تحاذي أرض الهند.

---

(٤٧) أرض الحبشة : هضبة مرتفعة غرب اليمن بينهما البحر، وعاصمتها أديس أبابا، ولهم صلات قديمة مع العرب، ولملكهم موقف يذكر ويشكر مع المسلمين الأوائل الذين هاجروا إليه فوجدوا في كنفه ملجأ وحسن جوار. حيث كانت الحبشة المكان الأول الذي ضم وأحتضن المسلمين الأوائل عند هجرتهم الأولى وهربهم بدينهم الحنيف وفرارهم من كفار مكة. وبالرغم من أن الصلات بين الأحباش والمسلمين كانت في عهد الرسول الكريم r طيبة وودية، إلا أنه بدأت بعض الاحتكاكات بين الأحباش والدول الإسلامية بعد ذلك منذ عهد عمر بن الخطاب. ويذكر أن ميناء جدة تعرض لغارات الأحباش مما أضطر المسلمين لرد هذا العدوان، وقد سجل لنا التاريخ مراحل متعددة بين ممالك الطراز الإسلامي ومملكة حبشه المسيحية فقد طمع الأحباش في مد سلطانهم لهذه الممالك التي نتحكم بحكم موقعها في منطقة القرن الأفريقي في التجارة الخارجية عبر المحيط.وقد أرسلت الملكة " هيلانة " ملكة الحبشة في عام ١٥١٠ رسولاً إلى الملك " عمانويل" ملك البرتغال بهدف الاتفاق على عمل مشترك ضد القوى الإسلامية، لكنها أيضاً كانت تنوي مهاجمة مكة وهي في هذا بحاجة لمساعدة الأسطول البرتغالي الذي أحرز انتصارات حاسمة على الأساطيل الإسلامية في المحيط الهندي.وقد استجابت البرتغال لهذا الطلب الحبشي وأرسلت قوة على رأسها أحد أبناء فاسكوداجاما، وقد منيت القوات البرتغالية بخسائر فادحة وقتل قائدها – لكن لم تستطع القوارب الإسلامية أن تحقق نصراً على الحبشة والقوات المؤازرة لها

وأما أرض الهند: فإن طولها من عمل مكران في أرض المنورة والبدهة وسائر بلاد السند إلى أن ينتهي إلى قنوج، ثم تحوزه إلى أرض التبت، نحو من أربعة أشهر، وعرضها من بحر فارس على أرض قنوج نحو من ثلاثة أشهر.

وأما مملكة الإسلام: فإن طولها من حد فرغانة حتى تقطع خراسان والجبال والعراق وديار العرب إلى سواحل اليمن فهو نحو خمسة أشهر، وعرضها من بلاد الروم حتى تقطع الشام والجزيرة والعراق وفارس وكرمان إلى أرض المنصورة على شاطئ بحر فارس نحو أربعة أشهر. وإنما تركت في ذكر طول مملكة الإسلام حد المغرب إلى الأندلس لأنه مثل الكم في الثوب، وليس في شرقي المغرب ولا في غربيه إسلام، لأنك إذا جاوزت شرقي أرض المغرب كان جنوبي المغرب بلاد السودان وشماله بحر الروم ثم أرض الروم. ولو صلح أن يجعل من أرض فرغانة إلى أرض المغرب والأندلس طول الإسلام لكان مسيرة مائتي مرحلة وزيادة، لأن من أقصى المغرب إلى مصر نحو تسعين مرحلة، ومن مصر إلى العراق نحو ثلاثين مرحلة، ومن العراق إلى بلخ نحو ستين مرحلة، ومن بلخ إلى فرغانة نحو عشرين مرحلة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

. . . .

فصل في
صفة الأرض وتقسيمها
من غير الوجه الذي تقدم ذكره

قال الله عز وجل: «**ألم نجعلِ الأرْضَ مِهاداً والجِبالَ أوْتاداً**»(٤٨) وقال عز من قائل: «**الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء**»(٤٩). وقال سبحانه وتعالى: «**والله جعل لكم الأرض بساطاً**»(٥٠) قال قوم من المفسرين: معنى المهاد والبساط: القرار عليها والتمكن منها والتصرف فيها.

قد اختلف العلماء في هيئة الأرض وشكلها: فذكر بعضهم أنها مبسوطة مستوية السطح في أربع جهات المشرق والمغرب والجنوب والشمال. وزعم آخرون أنها كهيئة المائدة. ومنهم من زعم أنها كهيئة الطبل. وذكر بعضهم أنها تشبه نصف الكرة كهيئة القبة وأن السماء مركبة على أطرافها. **والذي عليه الجمهور أن الأرض مستديرة كالكرة وأن السماء محيطة بها من كل جانب كإحاطة البيضة بالمحة، فالصفرة بمنزلة الأرض، وبياضها بمنزلة الماء وجلدها بمنزلة السماء**(٥١)، غير أن خلقها ليس فيه استطالة كاستطالة البيضة بل هي مستديرة كاستدارة الكرة المستديرة المستوية الخرط، حتى قال مهندسوهم: لو حفر في الوهم وجه الأرض لأدى إلى الوجه الآخر، ولو نقب مثلاً بأرض الأندلس لنفذ الثقب بأرض الصين. وزعم قوم أن الأرض مقعرة، وسطها كالجام.

---

(٤٨) سورة النبأ: آية ٦-٧.

(٤٩) سورة البقرة: آية ٢٢.

(٥٠) سورة نوح: آية ١٩.

(٥١) لاحظ الدقة العلمية المميزة التي تشهد على سبق علماء الإسلام على غيرهم بمئات الأعوام !!.

واختلف في كمية عدد الأرضين قال الله عز وجل وهو أصدق القائلين: «**الذي خلق سبع سمواتٍ ومن الأرضِ مثلهنّ**»(٥٢) فاحتمل هذا التمثيل أن يكون في العدد والطباق. فروي في بعض الأخبار أن بعضها فوق بعض، وغلظ كل أرض مسيرة خمسمائة عام، حتى عدد بعضهم لكل أرض أهلاً على صفة وهيئة عجيبة، وسمى كل أرض باسم خاص، كما سمى كل سماء باسم خاص. وزعم بعضهم أن في الأرض الرابعة حيات أهل الدنيا وفي الأرض السادسة حجارة أهل النار، فمن نازعته نفسه إلى الاستشراف عليها نظر في كتب وهب بن منبه(٥٣) وكعب ومقاتل. وعن عطاء بن يسار(٥٤) في قول الله عز وجل: «**سبع سموات ومن الأرض مثلهن**»(٥٥) قال: في كل أرض آدم(٥٦) مثل آدمكم، ونوح مثل نوحكم، وإبراهيم مثل إبراهيمكم. والله أعلم.

---

(٥٢) سورة الطلاق: آية ١٢.

(٥٣) يعتبر وهب بن منبه (ت ١١٠ هـ/ ٧٣٢م) من رجال الطبقة الأولى من كتاب المغازي والسير وهو من مواليد اليمن، فقد ولد في قرية تسمى زمار بجوار صنعاء حوالي سنة ٣٤ هـ. ومعنى هذا الاهتمام بالمغازي، والسير لم يعد مقصوراً على أهل المدينة وحدهم، بل أصبح الاشتغال بها موضع اهتمام من العلماء في كل الأقطار الإسلامية، وقد أسهم وهب بن منبه إسهاماً طيباً في إثراء حركة التأليف في المغازي والسير وعاش حياة علمية ثرية..

(٥٤) عطاء بن يسار: تابعي أمولى أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج محمد أكنيته أبو محمد. كان قاصّا واعظًا جليل القدر أروى عن أمهات المؤمنين مولاته ميمونة وعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما وعن زيد بن ثابت وأبي هريرة. طارده الحجاج فهرب إلى مكة مع تابعين آخرين فألقي القبض عليه وقتله الحجاج سنة ١٠٣ هـ. وهو ابن ٨٤ سنة.

(٥٥) سورة الطلاق: آية ١٢.

(٥٦) آدم: أبو البشر، أول إنسان خلقه الله تعالى، ونفخ فيه من روحه، ﴿إِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ الحجر: {٢٩} (تاريخ الطبري (١ / ٨٩)، أخبار الزمان (ص ٧١).

وليس هذا القول بأعجب من قول الفلاسفة: إن الشموس شموس كثيرة والأقمار أقمار كثيرة ففي كل اقليم شمس وقمر ونجوم. وقال القدماء الأرض سبع على المجاورة والملاصقة وافتراق الإقليم، لا على المطابقة والمكابسة. وأهل النظر من المسلمين يميلون إلى هذا القول، ومنهم من يرى أن الأرض سبع على الانخفاض والارتفاع كدرج المراقي. ويزعم بعضهم أن الأرض مقسومة خمس مناطق وهي: المنطقة الشمالية والجنوبية والمستوية والمعتدلة والوسطى، واختلفوا في مبلغ الأرض وكميتها، فروي، عن مكحول(٥٧) أنه قال: مسيرة ما بين أقصى الدنيا إلى أدناها خمسمائة سنة، مائتان من ذلك في البحر، ومائتان ليس يسكنها أحد، وثمانون فيها يأجوج ومأجوج، وعشرون فيها سائر الخلق.

وعن قتادة قال: الدنيا أربعة وعشرون ألف فرسخ، منها اثنا عشر ألف فرسخ ملك السودان، وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ، وملك العجم والترك ثلاثة آلاف فرسخ، وملك العرب ألف فرسخ، وعن عبد الله بن عمر(٥٨) رضي الله عنهما قال: ربع من لا يلبس الثياب من السودان أكثر من جميع الناس.

---

(٥٧) مكحول (-٤٥٩ هـ) مكحول قيل هو ابن شهراب، ابو عبد الله، ويقال : ابو ايوب، ويقال : ابو مسلم. مولي هذيل. أصله من الفرس. دمشقي. فقيه تابعي. أعتق بمصر. وجمع علمها، وانتقل في المصار. عده الزهري عالم أهل الشام وامامهم قال يحيي ين معين : كان قدريا ثم رجع. [تذكرة الحفاظ ١/ ١٠١؛ وتهذيب التهذيب ١٠/ ٢٨٩؛ والاعلام ٨/ ٢١٢].

(٥٨) ابن عمر (١٠ ق هـ - ٧٣ هـ) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن. ترشي عدوي. صاحب رسول الله صلي الله علية وسلم. نشأ في الإسلام، وهاجر مع أبيه إلي الله ورسوله. شهد الخندق وما بعدها، ولم يشهد بدرا ولا أحداً لصغره. أفتي الناس ستين سنة. ولما قتل عثمان عرض علية ناس أن يبايعوه بالخلافة فأبي شهد فتح أفريقية. كف بصره في آخر حياته. كلن آخر من توفي بمكة من الصحابة. هو أحد المكثرين من الحديث عن الرسول ﷺ. { الأعلام للرزكلي ٤/ ٢٤٦، والإصابة، وطبقات ابن سعد، وسير النبلاء للذهبي، وأحبار عبد الله ابن عمر لعلي الطنطاوي }.

وقد حدد بطليموس مقدار قدر الأرض واستدارتها في المجسطي(٥٩) بالتقريب، قال: استدارة الأرض مائة ألف وثمانون ألف اسطاربوس؛ والاسطاربوس أربعة وعشرون ميلاً فيكون هذا الحكم مائة ألف ألف وأربعمائة وأربعين ألف فرسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل ثلاثة آلاف ذراع بالملكي، والذراع ثلاثة أشبار، وكل شبر اثنا عشر أصبعاً، والأصبع الواحد خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها إلى بعض، وعرض الشعيرة الواحدة ست شعيرات من شعر بغل. والإسطاربوس اثنان وسبعون ألف ذراع، قال: وغلظ الأرض وهو قطرها سبعة آلاف وستمائة وثلاثون ميلاً فيكون ألفين وخمسمائة فرسخ وخمسة وأربعين فرسخاً وثلثي فرسخ. قال: فبسط الأرض كلها مائة واثنان وثلاثون ألف ألف وستمائة ألف ميل فيكون مائتي ألف وثمانية وثمانين ألف فرسخ، فإن كان ذلك حقاً فهو وحي من الحق(٦٠) سبحانه أو إلهام(٦١)، وإن كان قياساً واستدلالاً فقريب أيضاً من الحق. والله أعلم.

---

(٥٩) المجسطي: موسوعة فلكية ورياضية ألفها بطلميوس حوالي العام ١٤٠ للميلاد.كانت مرجعا رئيسيا لعلماء الفلك العرب والأوروبيين حتى مطلع القرن السابع عشر تقريبا.ترجمت إلى العربية نقلا عن السريانية عام ٨٢٧ للميلاد ثم ترجمت إلى اللاتينية نقلا عن العربية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر.

وهي تقع في ثلاثة عشر كتابا.

(٦٠) الحقّ في اللّغة خلاف الباطل، وهو مصدر حقّ الشّيء يحقّ إذا ثبت ووجب، وعرّفه الجرجاني بأنّه الثّابت الّذي لا يسوغ إنكاره، والحقّ اسم من أسماء الله تعالى، وقيل من صفاته.

(٦١) الإلهام : Afflatus : الإلهام هو ما يلقى في الروع بطريق الفيض وقيل الإلهام ما وقع في القلب من علم وهو يدعو الى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة

وأما قول قتادة(٦٢) ومكحول(٦٣) فلا يوجب العلم اليقين الذي يقطع على الغيب به.واختلفوا في البحار والمياه والأنهار، فروى المسلمون أن الله خلق ماء البحار مراً زعاقاً وأنزل من السماء ماء عذباً كما قال الله تعالى:

«أفرأيتم الماء الذي تشربون، أأنتم أنزلتموه من المُزْن أم نحن المُنْزِلون، لو نشاء لجعلناه أجاجاً فَلَوْلا تشكرون»(٦٤) وقال تعالى «**وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض**».

فكل ماء عذب من بئر أو نهر أو عين فمن ذلك الماء المنزل من السماء، فإذا اقتربت الساعة بعث الله ملكاً معه طست(٦٥) لا يعلم عظمته إلا الله تعالى فجمع تلك المياه فردها إلى الجنة.

وزعم أهل الكتاب أن أربعة أنهار تخرج من الجنة: الفرات وسيحان وجيحان ودجلة(٦٦). وذلك أنهم يزعمون أن أهل الجنة في مشارق الأرض. وروي أن

---

(٦٢) قتادة (٦١ – ١١٨ هـ) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي. من أهل البصرة. ولد ضريراً. أحد المفسرين والحفاظ للحديث. قال أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. وكان مع عمله بالحديث رأساً في العربية، ومفردات اللغة وأيام العرب، والنسب. كان يري القدر. وقد يدلس في الحديث. مات بواسط في الطاعون.[الاعلام للزركلي ٦/ ٢٧؛ وتذكرة الحفاظ ١/ ١١٥].

(٦٣) سبق ترجمته.

(٦٤) سورة الواقعة: آية ٦٨ – ٧٠.

(٦٥) الطست: معرب عن اللفظ الفارسي " تست " وفي العامية المصرية يسمى " طشت ".

(٦٦) دجلة: من أشهر أنهار العرب، تأتي من جبال الأناضول فتلتقي بالفرات فيكونان شط العرب، وعلى ضفتي دجلة تقع مدينة بغداد عاصمة الخلافة العباسية في صدر الإسلام.

الفرات جزر في أيام معاوية(٦٧) رضي الله عنه، فرمىٰ برمانة مثل البعير البارك، فقال كعب: إنها من الجنة. فإن صدقوا فليست هي بجنة الخلد ولكنها من جنان الأرض. وعند القدماء أن المياه من الاستحالات، فطعم كل ماء علىٰ طعم أرضه وتربته؛ وأما نحن فلا ننكر قدرة الله تعالىٰ علىٰ إحالة الشيء علىٰ ما يشاء كما تحول النقطة علقة والعلقة مضغة، ثم كذلك حالاً بعد حال إلىٰ أن يفنيه كما يشاء وكما أنشأه. فسبحان من قدرته صالحة لكل شيء.

واختلفوا أيضاً في ملوحة البحر: فزعم قوم أنه لما طال مكثه وألحت الشمس عليه بالإحراق صار مراً ملحاً واجتذب الهواء ما لطف من أجزائه فهو بقية ما صفته الأرض من الرطوبة(٦٨) فغلظ لذلك. وزعم آخرون أن في البحر عروقاً تغير ماء

---

(٦٧) معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (ت ٦٨٠): مؤسس الدولة الأموية. أول خليفة أموي (٦٦١-٦٨٠). أحد دهاة العرب الأربعة: عمرو بن العاص، المغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه ومعاوية. أسلم يوم فتح مكة. اشترك مع أخيه يزيد الذي كان والياً علىٰ الشام. خلفه معاوية زمن عمر بن الخطاب، وأقره عثمان بن عفان في منصبه. أظهر كفاءة إدارية، واستمال إليه أهل ولايته. خرج علىٰ علي بن أبي طالب، وحاربه في موقعة صفين ٦٥٧، التي انتهت إلىٰ اتفاق الطرفين علىٰ التحكيم، مما أضعف موقف علي. فلما فشل التحكيم استأنفا القتال، واستولىٰ معاوية علىٰ مصر، وأغار علىٰ العراق. في ٦٥٩ اتخذ لنفسه لقب خليفة في بيت المقدس، وأخذ لنفسه البيعة من أهل الشام. أعد علي حملة كبيرة ضده، لكنه اغتيل قبل ذلك. تنازل له الحسن بن علي عن الخلافة، فاصبح أول خليفة أموي ٦٦١. اتخذ دمشق عاصمة له. ونجح في توحيد البلاد، بفضل حنكته السياسية، فقد تفادىٰ المنازعات القبلية وصاهر قبيلة كلب العربية الجنوبية. ينسب إليه إنشاء ديوان البريد، وديوان الخاتم، واتخاذ مقصورة في الجامع. توسعت الدولة الإسلامية في عهده شرقاً حتىٰ بلاد ما وراء النهر، وغرباً في شمال أفريقيا. حارب الروم، وأغار عليهم باستمرار براً وبحراً في حملات الصوائف التي كانت تجري كل صيف، والشواتي التي كانت تجري كل شتاء. حاول فتح القسطنطينية، لكنه فشل أمام أسوارها المنيعة. استخلف ابنه يزيداً قبل موته، فكان أول من حول الخلافة الإسلامية إلىٰ وراثية [البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠ هـ)؛ ومناهج السنة ٢/ ٢٠١ - ٢٢٦؛ وابن الأثير ٤/ ٤؛ والإصابة ٣/ ٤٣٣].

(٦٨) الرطوبة : مصطلح عام يشير الى بخار الماء في الغلاف الجوي (القاموس الجغرافي، ص ٢١٩).

البحر ولذلك صار مراً زعافاً. واختلفوا في المد والجزر، فزعم أرسطاطاليس(٦٩) أن علة ذلك من الشمس إذا حركت الريح، فإذا ازدادت الرياح كان منها المد، وإذا نقصت كان منها الجزر. وزعم كيماويش أن المد بانصباب الأنهار في البحر والجزر بسكونها. والمنجمون منهم من زعم أن المد بامتلاء القمر والجزر بنقصانه. وقد روي في بعض الأخبار أن الله جعل ملكاً موكلاً بالبحار، فإذا وضع قدمه في البحر مد وإذا رفعه جزر؛ فإن صح ذلك والله أعلم كان اعتقاده أولى من المصير إلى غيره مما لا يفيد حقيقة. ولو ذهب ذاهب إلى أن ذلك الملك هو مهب الرياح التي تكون سبباً للمد وتزيد في الأنهار وتفعل ذلك عند امتلاء المقر حتى يكون توفيقاً وجمعاً بين الكل لكان ذلك مذهباً حسناً. والله أعلم.

واختلفوا في الجبال. قال الله تعالى: «وألقى في الأرض رواسيَ أن تميدَ بكم»(٧٠)

وقال تعالى: «**ق، والقرآنِ المجيد**»(٧١). قال بعض المفسرين. إن من جبل قاف إلى السماء مقدار قامة رجل طويل. وقال آخرون. بل السماء منطبقة عليه. وقال قوم: من وراء قاف عوالم وخلائق لا يعلمها إلا الله تعالى. ومنهم من يقول: ما وراءه فهو من حد الآخرة ومن حكمها، وأن الشمس تطلع منه وتغيب فيه وهو الساتر لها عن الأرض؛ ومنهم من يزعم أن الجبال عظام الأرض وعروقها.

---

(٦٩) أرسطوطاليس (أرسطو) (٣٨٤ _ ٣٢٢ ق.م) : فيلسوف يوناني مقدوني، تكاملت على يديه الفلسفة اليونانية فبلغت الذروة في نضوجها. يعده مؤرخ الفلسفة المعروف الدكتور عبد الرحمن بدوي هو وأستاذه أفلاطون (أعظم فلاسفة العالم على طول تاريخ الفكر الانساني)، ولُقِّب بـ (المعلم الأول) و(صاحب المنطق). ترك عدداً كبيراً من المؤلفات ذكر بطليموس الغريب ٨٢ عنواناً منها، تتألف من ٥٥٠ مقالة. لكن قسماً كبيراً منها ضاع ولم يصل إلينا. لكن لحسن الحظ أن الذي بقي هو الجانب الأهم).

(٧٠) سورة لقمان : آية ١٠.

(٧١) سورة ق : آية ١.

واختلفوا فيما تحت الأرض: أما القدماء فأكثرهم يزعمون أن الأرض يحيط بها الماء، وهذا ظاهر، والماء يحيط به الهواء؛ والهواء تحيط به النار، والنار تحيط بها السماء الدنيا ثم السماء الثانية ثم الثالثة إلى السبع، ثم يحيط بالكل فلك الكواكب الثابتة؛ ثم يحيط بالكل الفلك الأعظم الأطلس المستقيم، ثم يحيط بالكل عالم النفس، وفوق عالم النفس عالم العقل، وفوق عالم العقل عالم الروح وفوق عالم الروح والأمر الحضرة الإلهية «**وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير**»(٧٢).

وعلى قاعدة مذهب القدماء يلزم أن تحت الأرض سماء كما فوقها. وروي أن الله تعالى لما خلق الأرض كانت تتكفأ كما تتكفأ السفينة، فبعث الله ملكاً فهبط حتى دخل تحت الأرض فوضعها على كاهله ثم أخرج يديه، إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، ثم قبض على الأرضين السبع فضبطها فاستقرت. ولم يكن لقدم الملك قرار، فأهبط الله ثوراً من الجنة له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة فجعل قرار قدمي الملك على سنامه، فلم تصل قدماه إلى سنامه، فبعث الله تعالى ياقوتة خضراء من الجنة، غلظها مسيرة كذا ألف عام، فوضعها على سنام الثور فاستقرت عليها قدماً الملك وقرون الثور خارجة من أقطار الأرض ممتدة إلى العرش، ومنخر الثور في ثقبين من تلك الياقوتة الخضراء تحت البحر، فهو يتنفس في كل يوم نفسين، فإذا تنفس مد البحر وإذا رد النفس جزر البحر، ولم يكن لقوائم الثور قرار، فخلق الله كثيباً من رمل كغلظ سبع سموات وسبع أرضين، فاستقرت عليه قوائم الثور، ثم لم يكن للكثيب مستقر، فخلق الله حوتاً يقال له البهموت فوضع الكثيب على وبر الحوت والوبر: الجناح الذي يكون في وسط ظهره وذلك الحوت مزموم بسلسلة من القدرة كغلظ السموات والأرض مراراً. قال: وانتهى إبليس لعنه الله إلى ذلك الحوت فقال له: ما خلق الله خلقاً أعظم منك فلم لا تزيل الدنيا عن ظهرك؟ فهم بشيء من

---

(٧٢) سورة الأنعام: آية ١٨.

ذلك فسلط الله عليه بقة في عينيه فشغلته. وزعم بعضهم أن الله سلط عليه سمكة وشغله بها فهو ينظر إليها ويهابها ويخافها

قيل: وأنبت الله عز وجل من تلك الياقوتة جبل قاف، وهو من زمردة خضراء وله رأس ووجه وأسنان، وأنبت من جبل قاف الجبال الشواهق كما أنبت الشجر(٧٣) من عروق الشجر. وزعم وهب رضي الله عنه أن الثور والحوت يبتلعان ما ينصب من مياه الأرض في البحار، فلذلك لا تؤثر في البحور زيادة فإذا امتلأت أجوافها من المياه قامت القيامة. وزعم قوم أن الأرض على الماء والماء على الصخرة والصخرة على سنام الثور والثور على كثيب من الرمل متلبداً، والكثيب على ظهر الحوت والحوت على الريح العقيم والريح العقيم على حجاب من ظلمة والظلمة على الثرى. وإلى الثرى انتهى علم الخلائق، ولا يعلم ما وراء ذلك أحد إلا الله عز وجل الذي له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

وهذه الأخبار مما يتولع به الناس ويتنافسون فيه، ولعمري إن ذلك مما يزيد المرء بصيرة في دينه وتعظيماً لقدرة ربه، وتحيراً في عجائب خلقه، فإن صحت فما خلقها على الصانع بعزيز، وإن يكن من اختراع أهل الكتاب وتنميق القصاص، فكلها تمثيل وتشبيه ليس بمنكر. والله أعلم.

وقد روى شيبان بن عبد الرحمن(٧٤) عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال(٧٥): بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه(٧٦) إذ أتى

(٧٣) الشجر: نبات معمر يقوم على ساق خشبية، أو هو كل ما يقوم على ساق من نبات الأرض.

(٧٤) شيبان بن عبد الرحمن التميمي، أبو معاوية البصري، نزيل الكوفة، ثقة، من الطبقة السابعة، توفي ١٦٤هـ.

عليهم سحاب فقال: هل تدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا العنان، هذه زوايا الأرض يسوقها الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه. ثم قال: هل تدرون ما الذي فوقكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها الرقيع، سقف محفوظ وموج مكفوف. ثم قال: هل تدرون كم بينكم وبينها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فوقه العرش وبينه وبين السماء كبعد ما بين سماءين أو كما قال ثم قال: أتدرون ما تحتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: الأرض، وتحتها أرض أخرى بينهما خمسمائة عام. ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو أنكم أُدليتم بحبل لهبطتم على الله. ثم قرأ صلى الله عليه وسلم: «**هو الأول والآخر والظاهر والباطن**»(٧٧) فهذا الخبر يشهد بصدق كثير مما يروون، إن صح. والله أعلم.

ولنرجع الآن إلى ما نحن بصدده من ذكر شرح الدائرة المذكورة، وتفصيل البلدان وذكرها، وذكر عجائبها وأخبارها.

---

(٧٥) رواه الترمذي (٣٢٩٨)، وأحمد (٢/ ٣٧٠) عن أبي هريرة، وضعفه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (٥٧٣٥).

(٧٦) الصحابي هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك.

(٧٧) سورة الحديد: آية ٣ .

فهرست ما نذكره إن شاء الله تعالى من الفصول المتضمنة ذلك:

فصل في ذكر البلدان والأقطار. فصل في الخلجان والبحار. فصل في الجزائر والآثار. فصل في العجائب للاعتبار. فصل في مشاهير الأنهار. فصل في العيون والآبار. فصل في الجبال الشواهق الكبار. فصل في خواص الأحجار ومنافعها. فصل في المعادن والجواهر وخواصها. فصل في النباتات والفواكه وخواصها. فصل في الحبوب وخواصها. فصل في البقول وخواصها. فصل في حشائش مختلفة وخواصها. فصل في البذور وخواصها. فصل في الحيوانات والطيور وخواصها. خاتمة الكتاب في ذكر الملاحم وعلامات الساعة وظهور الفتن والحوادث، ولها فصول تذكر عند الشروع في كتابتها إن شاء الله تعالى. وبإتمامه يتم الكتاب، والله تعالى الموفق للصواب.

إعلم وفقنا الله وإياك أن بين مطلع الشمس ومغربها مدناً وبلاداً وأنهاراً لا تحصى كثرةً، ولا يحصيها إلا الله سبحانه وتعالى. ولكن نذكر منها ما ذكره فائدة واعتبار من البلاد المشهورة، ونضرب صفحاً عن ذكر ما ليس بمشهور، ولا اعتبار ولا فائدة في ذكره خوفاً من التطويل والسآمة، والله تعالى المستعان.

فنبتدئ أولاً بذكر بلاد المغرب إلى المشرق، ثم نعود إلى بلاد الجنوب وهي بلاد السودان، ثم نعود إلى بلاد الشمال وهي بلاد الروم والأفرنج والصقالبة وغيرهم، على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى: أرض المغرب أولها البحر المحيط، وهو بحر مظلم لم يسلكه أحد ولا يعلم سر ما خلفه. وبه جزائر عظيمة كثيرة عامرة يأتي ذكرها عند ذكر الجزائر، منها جزيرتان تسميان الخالدتين، على كل واحدة منهما صنم(٧٨) طوله مائة ذراع بالملكي، وفوق كل صنم منها صورة رجل من نحاس يشير بيده إلى خلف، أي: ما ورائي شيء ولا مسلك. والذي وضعهما وبناهما لم يذكر له اسم

فأول بلاد المغرب **السوس الأقصى**(٧٩) وهو إقليم كبير فيه مدن عظيمة أزلية وقرى متصلة وعمارات متقاربة، وبه أنواع الفواكه الجليلة المختلفة الألوان والطعوم، وبه قصب السكر الذي ليس على وجه الأرض مثله طولاً وغلظاً وحلاوة حتى قيل: إن طول العود الواحد يزيد على عشرة أشبار في الغالب، ودوره شبر،

---

(٧٨) الصنم Idol : الصنم هم ما تخذ إلها من دون الله، وقد فرق بعض العلماء بين الصنم والوثن فقالوا إن الوثن هو ما صنع من الحجارة، والصنم ما صنع من مواد أخرى كالخشب أو الذهب أو الفضة أو غيرها من الجواهر، وقال البعض : إن الصنم ما كان له صورة أم الوثن فهو ما لا صورة له.

(٧٩) السوس الأقصى : مدينة في نهاية عمران المغرب فيما وراء الأندلس في الساحل الجنوبي من بحر الروم.

وحلاوته لا يعادلها شيء حتى قيل: إن الرطل[٨٠] الواحد من سكره يحمل عشرة أرطال من الماء وحلاوته ظاهرة. ويحمل من بلاد السوس من السكر ما يعم جميع الأرض لو حمل إلى البلاد، وبها تعمل الأكسية الرفيعة الخارقة، والثياب الفاخرة السوسية المشهورة في الدنيا، ونساؤها في غاية الحسن والجمال والظرف والذكاء، وأسعارها في غاية الرخص، والخصب بها كثير.

فمن مدنها المشهورة ما رودنت وهي مدينة العظماء من ملوك المغرب، بها أنهار جارية وبساتين مشتبكة وفواكه مختلفة وأسعار رخيصة. والطريق منها إلى أغمات أريكة في أسفل جبل، ليس في الأرض مثله إلا القليل في العلو والارتفاع وطول المسافة واتصال العمارة وكثرة الأنهار والتفاف الأشجار والفواكه الفاخرة التي يباع منها الحمل بقيراط من الذهب. وبأعلى هذا الجبل أكثر من سبعين حصناً وقلعة، منها حصن منيع هو عمارة محمد بن تومرت(٨١)، ملك المغرب، إذا أراد أربعة من

---

(٨٠) الرطل : اثنتا عشرة أوقية بأواقي العرب والأوقية : أربعون درهماً.

(٨١) ابن تومرت : مؤسس دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين ينتمي إلى قبيلة هرغة إحدى القبائل المصمودية المستقرة بالأطلس الصغير بمنطقة سوس الأقصى المغربية. ولد في الثلث الأخير من القرن الخامس الهجري ببلاد المغرب الأقصى، وقد اختلف المؤرخون في تحديد سنة مولده اشتهر منذ صغره بالتقوى والورع. وقد امتاز بمواظبته على الدراسة والصلاة، إلى حد أنه اشتهر لدى قبيلته باسم "أسفو" أي المشعل. رحل إلى بلاد المشرق ليكمل تحصيله ويعمق معارفه في أهم المراكز العلمية هناك. ويزعم أنه التقى بأبي حامد الغزالي صاحب كتاب إحياء علوم الدين ثم رجع إلى المغرب. يقول عنه ابن خلدون: «بحرا متفجرا من العلم وشهابا واريا من الدين» فأثار الإعجاب بعلمه وورعه وتعلق به وبأفكاره كثير من الناس وعلى رأسهم "عبد المؤمن بن علي الكومي" الذي التقى بابن تومرت بقرية ملالة ففضل ملازمته واتباع نهجه وطريق مسيرته. لقد ركز ابن تومرت دعوته في مواجهته لفقهاء المالكية على أسس دينية وأخلاقية واجتماعية ووافاه الأجل في شهر رمضان ٥٢٤ هـ.

الناس أن يحفظوه من أهل الأرض حفظوه لحصانته، اسمه تأتملت. ولما مات محمد بن تومرت المذكور بجبل الكواكب حمل ودفن في هذا الحصن.

وأذكى: وهي أول مراقي الصحراء وهي مدينة متسعة، وقيل إن النساء التي فيها لا أزواج لهن، إذا بلغت إحداهن أربعين سنة تتصدق بنفسها على الرجال فلا تمتنع ممن يريدها. سجلماسة(٨٢): من مدنها المشهورة، وهي واسعة الأقطار عامرة الديار رائعة البقاع فائقة القرى والضياع. غزيرة الخيرات كثيرة البركات. يقال إنه يسير السائر في أسواقها نصف يوم فلا يقطعها، وليس لها حصن بل قصور شاهقة وعمارات متصلة خارقة، وهي على نهر يأتي من جهة المشرق وبها بساتين كثيرة وثمار مختلفة، وبها رطب يسمى النوبي، وهو أخضر اللون حسن المظهر أحلى من الشهد

---

(٨٢) سجلماسة : من تأسيس بني مدرار الخوارج أواسط القرن الثاني الهجري، وقد حدد كثير من المؤرخين ذلك بعام: ١٤٠ هـ. وذكر ابن أبي محلّي: أن تأسيسها كان على أيدي العرب الفاتحين عام : ٤٠ هـ، ثم وسعها بنو مدرار، فكانت عاصمة لتلك الدولة، إلى أن استولى عليها الفاطميون ملوك القيروان، فأدرت عليهم أموالا طائلة باعتبارها مركزا تجاريا مهما في طرق القوافل المتجرة في السودان، ولما قامت دولة المرابطين ... رجعت إلى حكم المغرب وظلت عامرة كذلك أيام الموحدين والمرينيين إلى أن خربت قبيل قيام دولة السعديين، ويقول محمد بن الحسن الوزان – في سبب خراب سجلماسة - : " وقد استولى بنو مرين على هذا الإقليم، بعد اضمحلال مملكة الموحدين، وعهدوا بحكمه إلى أقرب الناس إليهم، وخاصة أبناءهم، وظل الأمر كذلك إلى أن مات أحمد ملك فاس، فثار الإقليم، وقتل أهل البلاد الوالي، وهدموا سور المدينة، فبقيت خالية حتى يومنا هذا، وتجمع الناس فبنوا قصورا ضخمة، ضمن الممتلكات ومناطق الإقليم، بعضها حر، وبعضها خاضع للأعراب، تعتبر من أعظم حواضر المغرب التاريخية، وأشهر مدنه التجارية والعلمية، وقلما يخلو مؤلف في التاريخ العام أو الخاص، وكذا كتب الجغرافية، من ذكر سجلماسة - بسطا أو اختصاراً - باعتبارها مدينة سياسية واقتصادية وعلمية (انظر: تقييد في التعريف بسجلماسة. مخطوط:م،م. رقم٣٦. ٢٤. نقلا عن حاشية لمحمد حجي. ومحمد الأخضر. على (وصف إفريقية) للوزان. ٢/ ١٢١. ون-أيضا-(الاستقصا) للناصري (١/ ١٢٤)، وصف إفريقية)٢/ ١٢١. ترجمة: د. حجي. و د. محمد الأخضر)

ونواه في غاية الصغر. ويقال إنهم يزرعون ويحصدون الزرع ويتركون جذوره وأصوله في الأرض على حالها قائمة، فإذا كان في العام المقبل وعمه الماء نبت ثاني مرة واستغله أربابه، من غير بذر، وبها يأكلون الكلاب والجراذين وغالب أهلها عمش العيون.

ورقادة(٨٣): وهي مدينة عظيمة حصينة خصيبة. ذكر أهل الطبائع أنه يحصل للرجال بها الضحك من غير عجب، والسرور من غير طرب، وعدم الهم والنصب، ولا يعلم لذلك موجب ولا سبب. **أغمات**(٨٤): وهي مدينتان: أغمات أريكة وهي مدينة عظيمة في ذيل جبل كثير الأشجار والثمار والأعشاب والنباتات، ونهرها يشقها وعلى النهر أرحية كثيرة تدور صيفاً وفي الشتاء يجمد الماء ويجوز عليه الناس والدواب، وبها عقارب قتالة في الحال، وأهلها ذوو أموال ويسار ولهم على أبوابهم علامات تدل على مقادير أموالهم. وأغمات إيلان وهي مدينة كبيرة في أسفل جبل يسكنها يهود تلك البلاد.

---

(٨٣) رقادة : مدينة بناها إبراهيم بن أحمد بن الأغلي سنة ٢٦٣هـ وقيل في تسميتها أكثر من سبب، من هذه الأسباب، أنها سميت (رقادة) لكثرة القتلى فيها، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، جـ٣، ص ٥٥ وتعد رقادة المدينة الثانية بعد القيروان التي اتخذها الأمراء مقرّا لهم، وتقع على بعد ١٠ كلم. من جنوبها الشرقيّ. أمّا اليوم، فلم تبق منها إلاّ آثار قليلة.

(٨٤) أغمات Aghmat : ناحية من جنوب المغرب تقع على نهير بهذا الاسم ينبع من جبال اطلس يتجه احد فروعه غربا الى مراكش، استولى عليها المرابطون عام ٤٤٩ هـ، وجعلها يوسف بن تاشفين حاضرة له حتى بنى مدينة مراكش عام ٤٥٤ هـ وفيها نفي وتوفى المعتمد بن عباد آخر امراء اشبيلية (القاموس الإسلامي، ج١، ص ١٤٠).

فاس[٨٥]: وهي مدينة كبيرة ومدينة صغيرة يشقها نهر كبير يأتي من عيون صنهاجة وعليه أرحاء كثيرة. وتسمى إحدى هاتين المدينتين الأندلس ومياهها قليلة والأخرى القرويس وهي ذات مياه كثيرة يجري الماء في كل شارع منها، وسوق وزقاق[٨٦] وحمام ودار، وفي كل زقاق ساقية متى أراد أهل الزقاق أن يجروها أجروها وإذا أرادوا قطعها قطعوها.

المهدية[٨٧]: مدينة حسنة حصينة بناها المهدي الفاطمي(٨٨) وحصنها وجعل لها أبواباً من حديد، في كل باب ما يزيد على مائة قنطار، ولما بناها وأحكمها قال: أمنت الآن على الفاطميين.

---

(٨٥) مدينة فاس هي ثالث أكبر مدن المملكة المغربية بعد الدار البيضاء والرباط بعدد سكان يزيد عن ٩٤٦ ألف نسمة (إحصائيات ٢٠٠٤ م). تعد فاس مدينة تاريخية عريقة وهي أول عاصمة سياسية للمغرب، يعود تاريخ مدينة فاس إلى القرن الثاني الهجري، عندما قام بتأسيسها إدريس بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسة عام ١٧٢هـ الموافق لعام ٧٨٩ م. في التاريخ الحديث، كانت فاس عاصمة للمملكة المغربية حتى عام ١٩١٢ م فترة الاحتلال الفرنسي والتي استمرت حتى ١٩٥٦ م وتم فيها تحويل العاصمة إلى مدينة الرباط.

(٨٦) الزقاق : طريق ضيق غير نافذ وهو دون السكة والسكة دون الدرب والشارع وقد يطلق على الزقاق على الطريق الضيق عامة نافذا او غير نافذ (القاموس الاسلامي، ج٣، ص ٦٥).

(٨٧) خاب أمل أهل المغرب في عبيد الله المهدي، وساء ظنهم به بعد أن ذهبت الوعود التي وعدهم بها أبو عبد الله الشيعي سُدى، فلم ينقطع الفساد بخلافة المهدي، ولم يحل العدل والإنصاف محل الظلم والجور، بالإضافة إلى السياسة المالية المتعسفة التي انتهجها الفاطميون في جمع الضرائب، والتفنن في تنويعها حتى فرضوا ضريبة على أداء فريضة الحج، وزاد الأمر سوءا قيام عبيد الله المهدي ودعاته بسبّ الصحابة على المنابر فيما عدا علي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، والتغيير في صيغة الأذان، وهو ما لا يمكن أن يقبله شعب نشأ على السنة، وتعصّب لمذهب الإمام مالك، وكان من نتيجة ذلك أن اشتعلت عدة ثورات ضد عبيد الله المهدي، ولكنه وإن نجح في إخمادها فإنه أصبح غير مطمئن على نفسه في مجتمع يرفض مذهبه ويقاطع دولته مقاطعة تامة؛ ولذا حرص على أن يبعد عن السكنى في

رقادة مركز المقاومة السُنّي، وأسس مدينة جديدة عُرفت باسم "المهدية" في سنة (٣٠٣هـ= ٩١٥م) على طرف الساحل الشرقي لإفريقية (تونس) فوق جزيرة متصلة بالبر، ولم ينتقل إليها إلا في سنة (٣٠٨هـ= ٩٢٠م) بعد أن استكمل بناءها وتشييدها، وأقام تحصيناتها ومرافقها المختلفة، وأصبحت المهدية قلعة حصينة للفاطميين بالمغرب ومركزا لعملياتهم الحربية والبحرية، وظلت حتى مطالع العصر الحديث أكبر مركز إسلامي للجهاد في البحر المتوسط.

(٨٨) لا يستطيع أحد القطع برأي حاسم في نسب "عبيد الله المهدي"، فالشيعة الإسماعيلية يؤكدون صحة نسبه إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، في حين يذهب المؤرخون من أهل السُنّة وبعض خصوم الفاطميين من الشيعة إلى إنكار نسب عبيد الله إلى علي بن أبي طالب. خرج عبيد الله المهدي من مكمنه في "سلمية" من أرض حمص ببلاد الشام في سنة (٢٩٢ هـ = ٩٠٥م)، واتجه إلى المغرب، بعد الأنباء التي وصلته عن نجاح داعيته أبي عبد الله الشيعي في المغرب، وإلحاح كتامة في إظهار شخصية الإمام الذي يقاتلون من أجله، وبعد رحلة شاقة نجح عبيد الله المهدي في الوصول إلى "سجلماسة" متخفيا في زي التجار، واستقر بها. ومن ملجئه في سجلماسة في المغرب الأقصى أخذ عبيد الله المهدي يتصل سرّا بأبي عبد الله الشيعي الذي كان يطلعه على مجريات الأمور، ثم لم يلبث أن اكتشف "اليسع بن مدرار" أمير سجلماسة أمر عبيد الله؛ فقبض عليه وعلى ابنه "أبي القاسم" وحبسهما، وظلا في السجن حتى أخرجهما أبو عبد الله الشيعي بعد قضائه على دولة الأغالبة. وكان أبو عبد الله الشيعي حين علم بخبر سجنهما قد عزم على السير بقواته لتخليصهما من السجن، فاستخلف أخاه "أبا العباس" واتجه إلى سجلماسة، ومر في طريقه إليها على "تاهرت" حاضرة الدولة الرسمية فاستولى عليها، وقضى على حكم الرّستميين، وبلغ سجلماسة = فحاصرها حتى سقطت في يده، وأخرج المهدي وابنه من السجن. ويذكر المؤرخون أن أبا عبد الله الشيعي حين أبصر عبيد الله المهدي ترجّل وقابله بكل احترام وإجلال، وقال لمن معه: هذا مولاي ومولاكم قد أنجز الله وعده وأعطاه حقه وأظهر أمره. وأقام أبو عبد الله الشيعي وعبيد الله المهدي في سجلماسة أربعين يوما، ثم رحلوا عائدين فدخلوا رقادة في يوم الخميس الموافق (٢٠ من شهر ربيع الآخر ٢٩٧هـ= ٧ من يناير ٩١٠م). وخرج أهل القيروان مع أهل رقادة يرحبون بالإمام المهدي، وفي يوم الجمعة التالي أمر عبيد الله أن يُذكر اسمه في الخطبة في كل من رقادة والقيروان، معلنا بذلك قيام الدولة الفاطمية. استهدف عبيد الله الفاطمي منذ أن بويع بالخلافة واستقامت له الأمور أن يدعم مركزه، وأن تكون كل السلطات في يديه، وأن يكون السيد المطلق على الدولة الناشئة والدعوة الإسماعيلية، وأنشأ دولة بدهائه وذكائه قبل سيفه وقوته. وخاب أمل أهل المغرب في عبيد الله المهدي، وساء ظنهم به بعد أن ذهبت الوعود التي وعدهم بها أبو عبد الله الشيعي سُدى، فلم ينقطع الفساد

بخلافة المهدي، ولم يحل العدل والإنصاف محل الظلم والجور، بالإضافة إلى السياسة المالية المتعسفة التي انتهجها الفاطميون في جمع الضرائب، والتفنن في تنويعها حتى فرضوا ضريبة على أداء فريضة الحج. وكان من نتيجة ذلك أن اشتعلت عدة ثورات ضد عبيد الله المهدي، ولكنه وإن نجح في إخمادها فإنه أصبح غير مطمئن على نفسه في مجتمع يرفض مذهبه ويقاطع دولته مقاطعة تامة؛ ولذا حرص على أن يبعد عن السكنى في رقادة مركز المقاومة السُنّي، وأسس مدينة جديدة عُرفت باسم "المهدية" في سنة (٣٠٣هـ= ٩١٥م) على طرف الساحل الشرقي لإفريقية (تونس) فوق جزيرة متصلة بالبر، ولم ينتقل إليها إلا في سنة (٣٠٨هـ= ٩٢٠م) بعد أن استكمل بناءها وتشييدها، وأقام تحصيناتها ومرافقها المختلفة، وأصبحت المهدية قلعة حصينة للفاطميين بالمغرب ومركزا لعملياتهم الحربية والبحرية، وظلت حتى مطالع العصر الحديث أكبر مركز إسلامي للجهاد في البحر المتوسط.

سبتة[٨٩]: مدينة في بر العدو قبالة الجزيرة الخضراء، وهي سبعة أجبل صغار متصلة عامرة ويحيط بها البحر من ثلاث جهاتها. وفيها أسماك عظيمة ليست في غيرها. وبها شجر المرجان الذي لا يفوقه شيء حسناً وكثرة، وبها سوق كبيرة لإصلاح المرجان، وبها من الفواكه وقصب السكر شيء كثير جداً. **طنجة**(٩٠): هي في

---

(٨٩) سبتة : seuta : تقع مدينة سبتة في موقع كبير الأهمية، سواء بالنسبة لموقعها الجغرافي على البحر المتوسط، وتقابل الأراضي الأسبانية، أو بالنسبة لاعتبارها كمنطلق أساسي لجميع الجيوش الإسلامية التي عبرت البحر،باتجاه الأندلس، وتشير الروايات التاريخية إلى أهمية موقع هذه المدينة، لأنها تطل على جميع السفن التي تعبر جبل طارق، فضلا عن أهمية مرساها البحري كقاعدة تجارية وحربية، حتى سميت (باب الجهاد) .وكانت سبتة خاضعة للحكم الروماني الذي حكم المغرب لمدة قرون، ثم استطاع الوندال أن يزيل الحكم الروماني نهائيا، وأن يستمر في حكم المغرب لمدة قرون تقريبا، ثم خلفهم البيزنطيون لفترة وجيزة، وسرعان ما كانت جيوش الفتح الإسلامي بقيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد، تتقدم بقوة وثبات في شمال افريقيا والأندلس لتقيم أول دولة إسلامية في الغرب الإسلامي..وكانت مدينة سبتة إحدى أهم المدن التي فتحها المسلمون الأوائل، وانطلقوا منها إلى الأندلس،في أول سَريةٌ إسلامية بقيادة طريف بن مالك سنة ٩١ هجرية، وبعد عام انطلق منها الجيش الإسلامي نحو الأندلس وأصبحت مدينة سبتة خلال عصر المرابطين من أهم مراكزهم الحربية،وأقام فيها يوسف بن تاشفين مدة من الزمن، لكي يتمكن من أن يتابع بنفسه الإشراف على الجيش الإسلامي ونصرة إخوانهم في الأندلس. ومما يؤكد هذا الازدهار العلمي والحضاري والتجاري الذي شهدته المدينة قبل الغزو البرتغالي، هو الإحصائيات التي استخرجت من كتاب (اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الآثار)لمحمد بن القاسم الأنصاري السبتي الذي ذكر أن المدينة اشتملت على:

١٠٠٠ مسجد،و٦٢ خزانة علمية، و٤٧ رباط وزاوية، و٢٢ حماما، ١٧٤ سوقا، ٢٤٠٠٠ حانوتا،و ٣٦٠ فندقا، و٣٦٠ فرنا،إضافة الى أنواع الفواكه والورود،وهذا كله يدل على الازدهار الفكري والحضاري الذي وصلت إليه مدينة سبتة في عصرها الإسلامي، قبل أن تسقط بيد البرتغال، ثم تصبح بعد ذلك مدينة اسبانية في أرض عربية مسلمة.

(٩٠) مدينة طنجة (بالإنجليزية: Tangier) في شمال المغرب بعدد سكان يقارب ٣٥٠|٠٠٠ أو ٥٥٠|٠٠٠ بضواحيها. تتميز طنجة بكونها نقطة التقاء بين البحر الأبيض المتوسط و المحيط الأطلسي من جهة، و بين القارة الأوروبية و القارة الافريقية من جهة أخرى. طنجة هي عاصمة جهة طنجة تطوان.

العدوة أيضاً وكذلك فاس وباقي المدن المشهورة كافريقية وتاهرت ووهران والجزائر والمقل والقيروان فكلها مدن حسنة متقاربة المقادير. والله سبحانه وتعالى أعلم

الغرب الأوسط: وهو شرق بلاد البر، ومن مدنه بلاد الأندلس وسميت بالأندلس لأنها جزيرة مثلثة الشكل رأسها في أقصى المغرب في نهاية المعمورة، وكان أهل السوس وهم أهل المغرب الأقصى يضرون أهل الأندلس في كل وقت ويلقون إليهم الجهد الجهيد إلى أن اجتاز بهم الإسكندر(٩١) فشكوا إليه حالهم فأحضر المهندسين وحضر إلى الزقاق، وكان له أرض جافة، فأمر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامي، فوجدوا المحيط يعلو البحر الشامي بشيء يسير، فأمر

---

(٩١) الإسكندر الأكبر أو الإسكندر المقدوني : حاكم مقدونيا، قاهر إمبراطورية الفرس وواحد من أذكى و أعظم القادة الحربيين على مر العصور. ولد الأسكندر في بيلا، العاصمة القديمة لمقدونيا. ابن فيليبّوس الثاني ملك مقدونيا و ابن الأميرة أوليمبيا أميرة سيبرس. وكان أرسطو المعلم الخاص للأسكندر. حيث درّبه تدريبا شامل في فن الخطابة و الادب و في صيف (٣٣٦) قبل الميلاد اغتيل فيليبّوس الثاني فاعتلى العرش ابنه الإسكندر فوجد نفسه محاطاً بالأعداء من حوله ومهدد بالتمرد و العصيان من الخارج. فتخلص مباشرة من المتآمرين و أعدائه من الداخل بالحكم عليهم بالاعدام. ثم انتقل إلى ثيساليا حيث حصل حلفائه هناك على استقلالهم و سيطرتهم. و باستعادة الحكم في مقدونيا. قبل نهاية صيف (٣٣٦) قبل الميلاد، أعاد تأسيس موقعه في اليونان وتم اختياره من قبل الكونغرس في كورينث قائداً. وكان الإسكندر من أعظم الجنرالات على مر العصور حيث وصف كتكتيكي و قائد قوات بارع و ذلك دليل قدرته على احتلال كل تلك المساحات الواسعة لفترة وجيزة. قبل أن يموت بفترة وجيزة أمر الإسكندر الإغريق بتمجيده و عبادته كإله، و أرجعها لأسباب سياسية و لكن هذا القرار سرعان ما ألغي بعد موته. أهم ما قام به دخوله مدينة الإسكندرية (التي سميت بإسمه) و تغييرها تغييرا جذريا حيث أبدا لها اهتماما خاصا و كانت مهيئة بالمكان الاستراتيجي الجيد و وفرة الماء حيث أقبل عليها في عهده التجار و الطلاب و العلماء و جميع الفئات و بهذه الإنجازات أصبحت اللغة اليونانية واسعة الانتشار و مسيطرة على لغات العالم.

برفع البلاد التي على ساحل البحر الشامي ونقلها من الحضيض إلى الأعلى، ثم أمر أن تحفر الأرض بين طنجة وبلاد الأندلس فحفرت حتى ظهرت الجبال السفلية وبنى عليها رصيفاً بالحجر والجير بناء محكماً وجعل طوله اثني عشر ميلاً، وهي المسافة التي كانت بين البحرين، وبنى رصيفاً آخر يقابله من ناحية طنجة وجعل بين الرصيفين ستة أميال. فلما أكمل الرصيفين حفر لها من جهة البحر الأعظم وأطلق فم الماء بين الرصيفين ودخل في البحر الشامي. ثم فاض ماؤه فأغرق مدناً كثيرة وأهلك أمماً عظيمة كانت على الشاطئين، وطغى الماء على الرصيفين إحدى عشرة قامة. فأما الرصيف الذي يلي بلاد الأندلس فإنه يظهر في بعض الأوقات إذا نقص الماء ظهوراً بيناً مستقيماً على خط واحد، وأهل الجزيرتين يسمونه القنطرة، وأما الرصيف الذي من جهة طنجة فإن الماء حمله في صدره واحتفر ما خلفه من الأرض اثني عشر ميلاً، وعلى طرفه من جهة الشرق الجزيرة الخضراء، وعلى طرفه من جهة الغرب جزيرة طريف. وتقابل الجزيرة الخضراء في بر العدوة سبتة، وبين سبتة والجزيرة الخضراء عرض البحر.

والأندلس به جزائر عظيمة كالخضراء، وجزيرة قادس(٩٢)، وجزيرة طريف، وكلها عامرة مسكونة آهلة.

---

(٩٢) قادس : جزيرة بالأندلس عند طالقة من مدن إشبيلية، وطول جزيرة قادس من القبلة إلى الجوف اثنا عشر ميلاً، وعرضها في أوسع المواضع ميل، وبها مزارع كثيرة الريع، وأكثر مواشيها المعز، فإذا رعت معزهم خروب ذلك المكان عند عقدها، واسكر لبنها، وليس يكون ذلك في ألبان الضان. وقال صاحب الفلاحة النبطية: بجزيرة قادس نبات رتم إذا رعته المعز أسكر لبنها إسكاراً عظيماً؛ وأهلها يحققون هذه الخاصية.وفي طرف الجزيرة الثاني حصن خرب أولي، بين الآثار، وبه الكنيسة المعروفة بشنت بيطر(سان بيتر)، وشجر المثنان كثير بهذه الجزيرة، وبها آثار للأول كثيرة.ومن أعجب الآثار بها الصنم المنسوب إلى هذه الجزيرة، بناه أركليش، وهو هرقليس، أصله من الروم الإغريقيين، وكان من قواد الروم وكبرائهم.

ومن مدنه **إشبيلية**[٩٣] وهي مدينة عامرة على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة، وعليه جسر[٩٤] مربوطة به السفن، وبها أسواق قائمة وتجارات رابحة وأهلها ذوو أموال عظيمة وأكثر متاجرهم في الزيت، وهي تشتمل على كثير من أقاليم الشرق، واقليم الشرق على تل عال من تراب أحمر مسافته أربعون ميلاً في مثلها، يمشي فيها المسافر في ظل الزيتون والتين، ولها على ما ذكر التجار ثمانية آلاف قرية عامرة بالأسواق العامرة والديار الحسنة والفنادق والحمامات.

ومن أقاليم الأندلس اقليم الكنانية ومن مدنه المشهورة **قرطبة**(٩٥) وهي قاعدة بلاد الأندلس ودار الخلافة[٩٦] الإسلامية، وهي مدينة عظيمة وأهلها أعيان البلاد،

---

(٩٣) إشبيلية (بالاسبانية:Sevilla) هي عاصمة منطقة الأندلس ومحافظة إشبيلية في جنوب اسبانيا، و تقع على ضفاف نهر الوادي الكبير. يزيد عدد سكان المدينة بضواحيها عن ١.٥ مليون نسمة. اشتهرت أيام الحكم الإسلامي لاسبانيا وكان عبد الرحمن الثاني قد أمر ببناء أسطول بحري ودار لصناعة الأسلحة فيها في أواسط القرن التاسع الميلادي من أشهر حكامها المعتمد بن عباد وسميت (حمص) نسبة لنزول جند الشام فيها اثناء الفتح الاسلامي. من معالمها منارة الخيرالدا التي بنيت بأمر من السلطان أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي.

(٩٤) الجسر : القنطرة والجمع أجسر (اللسان ١ / ٦٢٣).

(٩٥) قرطبة (بالإسبانية:Córdoba) مدينة وعاصمة مقاطعة تحمل اسمها بمنطقة الأندلس في جنوب إسبانيا وتقع على نهر جوادالكبير. و على دائرة عرض (38) شمال خط الاستواء يبلغ عدد سكانها حوالي ٣١٠،٠٠٠ نسمة. اشتهرت أيام الحكم الإسلامي لإسبانيا حيث كانت عاصمة الدولة الاسلامية هناك. من أهم معالمها مسجد قرطبة، وصلت المدينة لأوج مجدها في القرن العاشر في عهد حكامها العظام: الخليفة عبد الرحمن الناصر (٩١٢ - ٩٦١)، وابنه الحكم الثاني (٩٦١ -٩٧٦) و المنصور بن أبي عامر (٩٨١ - ١٠٠٢). خلافة قرطبة كانت أكبر الدول الأوروبية في القرن العاشر. وكانت منارة العلم في اوروبا والتي اخذ عنها الاوروبيين العلم عن العرب المسلمين في مجالات كثيرة منها الطب والفلك والرياضيات والكيمياء.

(٩٦) الخلافة : يعرفها الماوردي " خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا.

وسراة الناس في حسن المآكل والملابس والمراكب وعلو الهمة، وبها أعلام العلماء وسادات الفضلاء وأجلاء الغزاة وأمجاد الحروب؛ وهي في نفسها خمس مدن يتلو بعضها بعضاً، وبين المدينة والمدينة سور حصين حاجز، وبكل مدينة منها ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات والصناعات، وطولها ثلاثة أميال في عرض ميل واحد، وهي في سفح جبل مطل عليها يسمى جبل القروش.

ومدينتها الثالثة وهي الوسطى، فيها باب القنطرة وبها الجامع الذي ليس في معمور الأرض مثله، طوله ذراع في عرض ثمانين ذراعاً وفيه من السواري الكبار ألف سارية، وفيه مائة وثلاث عشرة ثريا للوقود، أكبرها يحمل ألف مصباح، وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر أحد على وصفه، وبقبلته صناعات تدهش العقول، وعلى فرجة المحراب سبع قسي قائمة على عمد طول كل قوس فوق القامة، تحير الروم والمسلمون في حسن وضعها. وفي عضادتي المحراب أربعة أعمدة، اثنان أخضران واثنان لازورديان، ليس لها قيمة. وبه منبر(٩٧) ليس على معمور الأرض مثله في حسن صنعته، وخشبه ساج وأبنوس وبقس وعود قاقلي. ويذكر في كتب تواريخ بني أمية أنه أحكم عمله ونقشه في سبع سنين، وكان يعمل فيه ثمانية صناع، لكل صانع في كل يوم نصف مثقال محمدي، وكان جملة ما صرف على المنبر أجرة لا غير عشرة آلاف مثقال وخمسي مثقال. وفي الجامع حاصل كبير ملآن من آنية الذهب والفضة لأجل وقوده. وبهذا الجامع مصحف فيه أربع ورقات من مصحف عثمان

والهدف منها هو إقامة الدين والالتزام بأحكامه سواء ما اتصل منها بأمور الدين المتعلقة بالعقيدة والعبادة أو تلك الأحكام المتعلقة بحياة الناس ومعاملاتهم.

(٩٧) المنبر : شرفة يعتليها الخطيب أو من يتلو المراسيم ويكون إما من الرخام أو الحجر المدهون أو الخشب القيم.

بن عفان[٩٨] رضي الله تعالى عنه بخطه، أي بخط يده، وفيهن نقط من دمه. وله عشرون باباً مصفحات بالنحاس الأندلسي؛ مخرمات تخريماً يعجز البشر، وفي كل باب حلق، في نهاية الصنعة والحكمة. وبه الصومعة العجيبة التي ارتفاعها مائة ذراع بالملكي المعروف بالرشاشي، وفيها من أنواع الصنائع الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه ونعته. وبهذا الجامع ثلاثة أعمدة حمر مكتوب على أحدها اسم محمد، وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف، وعلى الثالث صورة غراب نوح. والجميع خلقة ربانية.

وبمدينة قرطبة القنطرة العجيبة(٩٩) التي فاقت قناطر الدنيا حسناً وإتقاناً، وعدد قسيها سبعة عشر قوساً، كل قوس منها خمسون شبراً وبين كل قوسين خمسون شبراً. ومحاسن هذه المدينة أعظم من أن يحيط بها وصف.

---

(٩٨) عثمان بن عفان (٤٧ ق هـ ـ ٣٥ هـ) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص. قرشي أموي. أمير المؤلفين،وثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة من السابقين إلى الإسلام. كان غنياً شريفاً في الجاهلية، وبذل من ماله نصرة الإسلام. زوجه النبي صلي اله علية وسلم بنته رقية، فلما ماتت زوجة بنته الأخرى أم كلثوم ، فسمى ذا النورين بويع بالخلافة بعد أمير المؤمنين عمر. واتسعت رقعة الفتوح في أيامه. أتم جمع القرآن. وأحرق ماعدا نسخ مصحف الإمام. نقم علية بعض الناس تقديم بعض أقاربه في الولايات. قتله بعض الخارجين علية بداره يوم الأضحى وهو يقرأ القرآن. [الأعلام للزركلي ٤/ ٣٧١؛ و(عثمان بن عفان) لصادق إبراهيم عرجون؛ والبدء والتاريخ ٥/ ٧٩].

(٩٩) وفي ذلك قال الشاعر : بأربع فاقت الأمصار قرطبة.... منهن قنطرة الوادي وجامعها

هاتان ثنتان والزهراء ثالثة..... والعلم أعظم شئ وهو رابعها.

ومن أقاليم جزيرة الأندلس إقليم أشبونة(١٠٠). ومن مدنه أشبونة وهي مدينة حسنة شمالي النهر المسمى باجة، الذي هو نهر طليطلة. والمدينة ممتدة مع هذا النهر، وهي على بحر مظلم وبها أسواق قائمة وفنادق عامرة وحمامات كثيرة، ولها سور منيع ويقابله على ضفة النهر حصن المعدن وسمي بذلك لأن البحر يمتد عند سيحانه فيقذف بالذهب التبر(١٠١) إلى نحو ذلك الحصن وما حوله، فإذا رجع الماء قصد أهل تلك البلاد نحو هذا الحصن فيجدون به الذهب إلى أوان سيحانه أيضاً. ومن أشبونة هذه كان خروج المغرورين في ركوب البحر المظلم الذي في أقصى بلاد الغرب وهو بحر عظيم هائل غليظ المياه كدر اللون شامخ الموج صعب الظهر، لا

---

(١٠٠) أشبونة : يصفها الحميري كالآتي : " بالأندلس من كور باجة المختلطة بها، وهي مدينة الاشبونة، والأشبونة بغربي باجة، وهي مدينة قديمة على سيف البحر تنكسر أمواجه في سورها، واسمها قودية، وسورها رائق البنيان، بديع الشأن، وبابها الغربي قد عقدت عليه حنايا فوق حنايا على عمدٍ من رخام مثبتةٍ على حجارة من رخام وهو أكبر أبوابها، ولها باب غربي أيضاً يعرف بباب الخوخة مشرف على سرح فسيح يشقه جدولا ماء يصبان في البحر، ولها باب قبلي يسمى باب البحر تدخل أمواج البحر فيه عند مده وترتفع في سوره ثلاث قيم، وباب شرقي يعرف بباب الحمة، والحمة على مقربةٍ منه ومن البحر ديماس ماءٍ حارٍ وماءٍ باردٍ، فإذا مد البحر واراهما؛ وباب شرقي أيضاً يعرف بباب المقبرة.والمدينة في ذاتها حسنة ممتدة مع النهر، لها سور وقصبة منيعة؛ والأشبونة على نحر البحر المظلم؛ وعلى ضفة البحر من جنوبه قبالة مدينة الأشبونة حصن المعدن؛ ويسمى بذلك لأن عند هيجان البحر يقذف بالذهب التبر هناك؛ فإذا كان الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذي به إلى انقضاء الشتاء، وهو من عجائب الأرض.ومن مدينة الأشبونة كان خروج المغرورين في ركوب بحر الظلمات ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهاؤه، ولهم بأشبونة موضع بقرب الحمة منسوب إليهم يعرف بدرب المغرورين، وذلك أن ثمانية رجال، كلهم أبناء عم، اجتمعوا فابتغوا مركباً وأدخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهرٍ، ثم دخلوا البحر في أول طاروس الريح الشرقية، فجروا بها نحواً من إحدى عشر يوماً؛ فوصلوا إلى بحرٍ غليظ الموج، كدر الروائح، كثير التروش، قليل الضوء، فأيقنوا بالتلف، فردوا قلعهم في اليد الأخرى، وجروا في البحر في ناحية اثنى عشر يوماً؛ فخرجوا ".

(١٠١) التبر : فتات الذهب قبل أن يُصاغ (المعجم الوسيط ١ / ٨٤).

يمكن ركوبه لأحد من صعوبته وظلمة متنه وتعاظم أمواجه وكثرة أهواله وهيجان رياحه وتسلط دوابه. وهذا البحر لا يعلم أحد قعره ولا يعلم ما خلفه إلا الله سبحانه وتعالى، وهو غور المحيط ولم يقف أحد من خبره على الصحة ولا ركبه أحد ملججاً أبداً، إنما يمر مع ذيل الساحل لأن به أمواجاً كالجبال الشوامخ، ودوي هذا البحر كعظم دوي الرعد لكن أمواجه لا تنكسر، ولو تكسرت لم يركبه أحد، لا ملججاً ولا مسوحلاً

حكاية: اتفق جماعة من أهل أشبونة، وهم ثمانية أنفس وكلهم بنو عم، فأنشئوا مركباً كبيراً وحملوا فيه من الزاد والماء ما يكفيهم مدة طويلة وركبوا متن هذا البحر ليعرفوا ما في نهايته ويروا ما فيه من العجائب، وتحالفوا أنهم لا يرجعون أبداً حتى ينتهوا إلى البر الغربي أو يموتوا. فساروا فيه ملججين أحد عشر يوماً، فدخلوا إلى بحر غليظ عظيم الموج كدر الريح مظلم المتن والقعر كثير القروش، فأيقنوا بالهلاك والعطب، فرجعوا مع البحر في الجنوب اثني عشر يوماً فدخلوا جزيرة الغنم وفيها من الأغنام ما لا يحصي عددها إلا الله تبارك وتعالى، وليس بها آدمي ولا بشر، ولا لها صاحب، فنهضوا إلى الجزيرة وذبحوا من ذلك الغنم وأصلحوه وأرادوا الأكل فوجدوا لحومها مرة لا تؤكل: فأخذوا من جلودها ما أمكنهم، ووجدوا بها عين ماء فملئوا منها وسافروا مع الجنوب اثني عشر يوماً آخر، فوافوا جزيرة وبها عمارة فقصدوها، فلم يشعروا إلا وقد أحاط بهم زوارق، بها قوم موكلون بها، فقبضوا عليهم وحملوهم إلى الجزيرة فدخلوا إلى مدينة على ضفة البحر وأنزلوهم بدار، ورأوا بتلك الجزيرة والمدينة رجالاً شقر الألوان طوال القدود، ولنسائهم جمال مفرط خارج عن الوصف، فتركوهم في الدار ثلاثة أيام. ثم دخل عليهم في اليوم الرابع إنسان ترجمان وكلمهم بالعربي وسألهم عن حالهم فأخبروه بخبرهم، فأحضروا إلى

ملكهم فأخبره الترجمان(١٠٢) بما أخبروه من حالهم، فضحك الملك منهم وقال للترجمان: قل لهم إني وجهت من عندي قوماً في هذا البحر ليأتوني بخبر ما فيه من العجائب، فساروا مغربين شهراً حتى انقطع عنهم الضوء وصاروا في مثل الليل المظلم، فرجعوا من غير فائدة، ووعدهم الملك خيراً. وأقاموا عنده حتى هبت ريحهم فبعثهم مع قوم من أصحابه في زورق وكتفوهم وعصبوا أعينهم وسافروا بهم مدة لا يعلمون كم هي، ثم تركوهم على الساحل وانصرفوا. فلما سمعوا كلام الناس صاحوا فأقبلوا إليهم وخلوا عن أعينهم وقطعوا كتافهم، وأخبروهم بخبر الجماعة، فقال لهم الناس: هل تدرون كم بينكم وبين أرضكم؟ قالوا: لا قالوا: فوق شهر. فرجعوا إلى بلدهم. ولهم في أشبونة حارة مشهورة تسمى حارة المغرورين إلى الآن.

(١٠٢) الترجمان : المفسر للسان والذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة الى أخرى (اللسان ١ / ٤٢٦).

ومالقة(١٠٣) : وهي مدينة كبيرة واسعة الأقطار عامرة الديار، قد استدار بها من جميع جهاتها ونواحيها شجر التين المنسوب إلى زيد، وهو أحسن التين لوناً وأكبره جرماً وأنعمه شحماً وأحلاه طعماً، حتى إنه يقال ليس في الدنيا مدينة عظيمة محيط بها سور من حلاوة. عرض السور يوم للمسافرين إلى مالقة، ويحمل منها التين إلى سائر الأقاليم حتى إلى الهند والصين، وهو مسافة سنة لحسنه وحلاوته وعدم تسويسه ونقاء صحته. ولها ربضان عامران: ربض عام للناس وربض للبساتين. وشرب أهلها من الآبار، وبينها وبين قرطبة حصون عظيمة.ومن أقاليم جزيرة الأندلس إقليم السيارات ومن مدنه المشهورة غرناطة(١٠٤) وهي مدينة محدثة. وما كان هناك

---

(١٠٣) مالقة Malaga : تقع جنوب شرق الأندلس وكانت مالقة مدينة ثانوية الأهمية في القرون الأولى بعد الفتح الإسلامي ولم تصبح ميناء تجاريًا على جانب من الأهمية في البحر الأبيض المتوسط سوى في عهد الموحدين ومملكة بني نصر. وكان الملك الزيري باديس بن حبوس هو من بنى القصبة فوق القلعة القائمة آنذاك. دخلها المرابطون في خريف ١٠٩٠ وألحقوها بدائرة غرناطة. ويبرز من عمران المرابطين فيها تشييدهم للمساجد بصورة خاصة، كما اكتشف في قصبة المرابطين حي مكون من ثمانية منازل اقيمت على الأغلب في القرن الحادي عشر. وتتحدث المراجع عن قصر كان قائما في داخل القصبة. ثار قاضي المدينة ابن حسون على المرابطين في سنة ١١٤٥ وأعلن نفسه أميرا عليها. وكان لاستياء ابناء مالقة من حاكمهم أن طلبوا نجدة الموحدين الذي استجابوا للنداء وأقاموا حصارا على القلعة-القصر انتهى بانتحار ابن حسون. ولعب الموحدون الدور الأكبر في تطوير عمران المدينة إذ أنشأوا فيها البنى التحتية التي اعتمدها فيها بعد بنو نصر. بدأت حروب الاستيلاء على منطقة مالقة من قبل القشتاليين في سنة ١٤٨٢. فقد حاصر الملك فرناندو الكاثوليكي المدينة وحال دونها والتموّن وكانت مقاومة أهلها شديدة الى درجة أنها أصبحت اكثر الوقعات دموية في تأريخ سقوط مملكة غرناطة. وتم استسلام المدينة غير المشروط في ١٨ أغسطس من سنة ١٤٨٧ (راجع المقري : نفح الطيب، ج١، ص ١٨٦، ومعجم البلدان ج١٨، ٣٧٦).

(١٠٤) غرناطة Granada : وتعني باللغة الأسبانية " الرمانة " وهي شعار الأندلس التاريخي وتأريخ غرناطة حافل بالأساطير، ربما لأنها تحتضن قصور الحمراء ولأنها كانت آخر معقل لحضارة الأندلس

مدينة مقصودة إلا البيرة [١٠٥] فخربت وانتقل أهلها إلى غرناطة. وحسن الصنهاجي هو الذي مدنها وبنى قصبتها وأسوارها ثم زاد في عمارتها ابنه باديس بعده، وهي مدينة يشقها نهر الثلج المسمى سيدل وبدؤه من جبل سمكير، والثلج بهذا الجبل لا يبرح.

الغربية في شبه الجزيرة الايبرية للمزيد أنظر (محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ج٨، ص ١٦٠).

(١٠٥) البيرة : Ilbira : مدينة قديمة في الأندلس يرجع تاريخها الى العصر الروماني، تقع على نهير شنيل بالقرب من جبل يُرف باسمها وعلى مسيرة ميل وربع في الشمال الغربي لمدينة غرناطة .ولعبت دوراً كبيرا في تاريخ الدولة الأموية ونزل بها في عهد أبو الخطار حسام بن ضرار جند دمشق.

ومن المدن المشهورة المرية(١٠٦) وكانت مدينة الإسلام في أيام التمكين، وكان بها من جميع الصناعات كل غريب، وكان بها لنسج الطرز الحريرية ثمانمائة نول. وللحلل الحرير النفيسة والديباج(١٠٧) الفاخر ألف نول وللسفلاطون كذلك، وللثياب الجرجانية كذلك، وللأصبهاني مثل ذلك، وللعنابي والمعاجر المذهبة الستور

---

(١٠٦) ألمرية Almaria : كانت باب الأندلس عبر امتداد تاريخه ومن خلالها أقام علاقات انسانية وتجارية مع العالم الاسلامي في القرون الوسطى. أسسها المسلمون عند مرسىٰ روماني الأصل مدركين حسنات خليجه الذي يتيح الرسو كيفما جرت الرياح. منحها الخليفة عبد الرحمن الثالث صفة المدينة في سنة ٩٥٥، فبني مسجدها الجامع الذي كان يتسع لتسعة آلاف مصلي وأنشأ أسوارها. قلعتها ترجع الى عصر بني أمية وكانت مقرا لامراء وملوك المرية وهي أفضل ما وصل الينا من صروحها، فموقعها فوق قمة متطاولة لجبل منعزل يشرف على المدينة والخليج جعل منها معقلا حصينا بامتياز. أما أسوار المدينة التي بنيت ما بين القرنين العاشر والحادي عشر فكان يتخللها ما لا يقل عن ثلاثة عشر بابا. جعل المرابطون من ألمرية أهم مركز تجاري وصناعي وملاحي في الأندلس، فالمدينة كانت تنتج آنذاك كميات كبيرة من الأنسجة لكثرة المناسج المنزلية التي كانت تقوم عليها النسوة. وفي الآن ذاته قادت المرية التمرد الديني ضد المرابطين وغدت مركزا للمتصوفة برز فيه ابو العباس احمد بن العارف الذي كان له شأن كبير. سقطت المرية في سنة ١١٤٧ تحت سنابك جيش قشتالة بقيادة الملك الفونسو الثامن وبمساعدة جيوش قدمت من نافارّا وبيزا وجنوة. واستعادة المسلمين للمدينة أعاد مجرىٰ الحياة اليها فعاودت الصلات التجارية مع شمال افريقيا والجمهوريات الايطالية، لكن شبه الجزيرة بدأت تفقد دورها كموزع للمنتجات ما بين الشرق والغرب، غير أن عودة المنفيين اليها مثّل دفعا مهما فرمّم المسجد الجامع والقيصرية والترسانات. تبعت المرية في آخر عهودها الاندلسية لمملكة غرناطة قبل أن يستولي عليها النصارىٰ نهائيًا في سنة ١٤٨٩. مر بالمدينة وأقام فيها رجالات الفكر والعلوم من قبيل الشاعر ابن شرف والمتصوف ابن مسرّة الذي جعل من المدينة مركزا للنساك، والشيخ الأكبر ابن عربي المرسي (١٢٠٣-١١٦٥) الذي مر بها بعد اقامته في المغرب، والجغرافي احمد بن عمر العذري المولود في بلدة دلاية Dallas من كورة المرية والبكري الولبي الذي وضع في المدينة أعمالا مهمة والفيلسوف ابن باجة (راجع الروض المعطار للحميري، ص ١٨٣ — ١٨٤).

(١٠٧) الديباج : مشتق من الدبج وهو النقش والتزيين وهو فارسي معرب وهو نوع من الأثواب الحريرية (المروج ١ / ٣١٢).

والمكللة بالشرج، وكان يصنع بها صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج مما لا يوصف. وكان بها أنواع الفاكهة العجيبة التي تأتيها من وادي بجاية ما يعجز عنه الواصف حسناً وطيباً وكثرة، وتباع بأرخص ثمن، وهذا الوادي طوله أربعون ميلاً في مثلها، كلها بساتين مثمرة وجنات نضرة وأنهار مطردة وطيور مغردة. ولم يكن في بلاد الأندلس أكثر مالاً من أهلها ولا أكثر متاجر ولا أعظم ذخائر، وكان بها من الفنادق والحمامات ألف مغلق إلا ثلاثين، وهي بين جبلين بينهما خندق معمور، على الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة، وعلى الجبل الآخر ربضها. والسور محيط بالمدينة والربض، وغربيهن ربض لها آخر يسمى ربض الحوض، ذو أسواق وحمامات وفنادق وصناعات، وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة وأحجار أزلية وكأنما غربلت أرضها من التراب، ولها مدن وضياع متصلة الأنهار.

قرطاجنة(١٠٨): مدينة أزلية كثيرة الخصب، ولها اقليم يسمى القندوق، قليل مثله في طيب الأرض ونمو الزرع. ويقال إن الزرع فيه يكتفي بمطرة واحدة. وكانت هذه المدينة في قديم الزمان من عجائب الدنيا لإرتفاع بنائها واظهار القدرة فيه، وبها أقواس من الحجارة المقرنصة، وفيها من التصاوير والتماثيل وأشكال الناس وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة. ومن عجيب بنائها الدواميس، وهي أربعة وعشرون داموساً على صف واحد من حجارة مقرنصة طول كل داموس مائة وثلاثون خطوة في عرض ستين خطوة، وارتفاع كل واحد طول مائتي ذراع، بين كل داموسين أثقاب محكمة تصل فيها المياه من بعضها إلى بعض في العلو الشاهق، بهندسة عجيبة وإحكام بليغ، وكان الماء يجري إليها من شوتار وهي عين بقرب القيروان تخرج من جانب جبل، وإلى الآن يحفر في هدمها من سنة ثلثمائة فيخرج منها

---

(١٠٨) الرخام : ضرب من الحجر يتكون من كاربونات الكالسيوم المتبلورة الموجودة في الطبيعة ويمكن صقل سطحه بسهولة (المعجم الوسيط ١ / ٣٤٩).

من أنواع الرخام[١٠٩] والمرمر[١١٠] والجزع الملون ما يبهر الناظر، قاله الجواليقي. ولقد أخبرني بعض التجار أنه استخرج منها ألواحاً من الرخام طول كل لوح أربعون شبراً في عشرة أشبار، والحفر بها دائم على ممر الليالي والأيام لم يبطل أبداً، ولا يسافر مركب أبداً، في البحر في تلك المملكة إلا وفيه من رخامها. ويستخرج منها أعمدة طول كل عامود ما يزيد على أربعين شبراً. وغالب الدواميس قائمة على حالها.

شاطبة(١١١) : وهي مدينة حسنة يضرب بحسنها المثل، ويعمل بها الورق الذي لا نظير له في الأقاليم حسناً.

قنطرة السيف[١١٢]: وهي مدينة عظيمة، وبها قنطرة عظيمة وهي من عجائب الدنيا، وعلى القنطرة حصن عظيم منيع الذرى.

---

(١٠٩) تعد قرطاجنة من أقدم ثغور إسبانيا الشرقية، أنشأها "هزدروبال" القائد القرطاجني المعروف سنه (٢٤٣ ق.م)، وتمتاز بمناعة موقعها البري والبحري، وهي تقع جنوب مرسية على شاطئ البحر المتوسط، وظلت تتمتع بأهمية تجارية وبحرية في ظل الوجود الإسلامي بإسبانيا، وكانت مركزًا من مراكز الجهاد والغزو، تخرج منها الحملات الحربية، وبقيت تحت حكم المسلمين حتى سقطت نهائيًا في أيدي "خايمي الأول" ملك أراجون سنة (٦٧٥هـ = ١٢٧٦م) ولأن أكثر من مدينة سميت بقرطاجنة، فقد حرص العلماء على تسمية هذه المدينة بقرطاجنة الأندلس؛ تمييزًا عن أختها التي توجد بتونس.

(١١٠) المرمر : صخر رخامي جيري متحول يتركب من بلورات الكلسيت يُستعمل للزينة في البناء ولصنع التماثيل ونحوها (المعجم الوسيط ٢ / ٩٠٠).

(١١١) تقع شاطبة على سفح جبل فيرنيسا Vernissa لتشرف على سهل خصب كان في أزمنة غابرة ثغرا حدوديا. ما زالت جدران قلعتها القديمة بادية للعيان، وقد اعتبرت بعد سقوطها في يد النصارى من أمنع قلاع مملكة أراغون. في الطرف الجنوبي من المدينة تصادفنا بعض آثار قصبتها الاسلامية كأجزاء من السور والأبراج. أفل الاسلام في شاطبة سنة ١٢٤٨ بعد أربع سنوات من سقوطها في يد ملك أراغون خايمي الاول اذ أقدم النصارى على طرد أهلها من المدينة..

طليطلة[١١٣]: وهي مدينة واسعة الأقطار عامرة الديار، أزلية من بناء العمالقة الأولى العادية ولها أسوار حصينة لم ير مثلها إتقاناً أو متاعاً، ولها قصبة عظيمة وهي

---

(١١٢) يذكر الحميري عن حصنها " وهو حصن بينه وبين ماردة يومان وهو حصن منيع على نهر القنطرة، وأهلها متحصنون فيه، ولا يقدر لهم أحد على شيء، والقنطرة لا يأخذها القتال إلا من بابها فقط، والقنطرة هذه قنطرة عظيمة على قوسٍ من عمل الأول، في أعلاها سيف معلق لم تغيره الأزمنة ولا يدري ما تأويله.

(١١٣) طليطلة (Toledo) : طليطلية مدينة قديمة للغاية، ويغلب أنها بنيت زمن الإغريق. ازدهرت طليطلة في عهد الرومان، فحصنوها بالأسوار، وأقاموا فيها المسرح والجسر العظيم. وعندما جاء الفتح الإسلامي لها على يد طارق بن زياد عام (٧١٢م) بعد واقعة وادي لكة على القوط، وظلت طليطلة بعد الفتح تتمتع بتفوقها السياسي على سائر مدن الأندلس. اسم طليطلة تعريب للاسم اللاتيني "توليدوث" (Tholedoth) وكان العرب يسمون طليطلة مدينة الأملاك لأنها كانت دار مملكة القوط ومقر ملوكهم.عبر مؤرخو العرب عن عظمة موقع طليطلة، من ذلك ما ذكره الحميري في كتابه الروض المعطار في عجائب الأقطار إذ يقول: «وهي على ضفة النهر الكبير، وقل ما يرى مثلها إتقاناً وشماخة بنيان، وهي عالية الذرى، حسنة البقعة»، ثم يقول في موضع آخر: «ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة، وقلاع منيعة، وعلى بعد منها في جهة الشمال الجبل العظيم المعروف بالشارات».وفي عهد محمد بن عبدالرحمن الأوسط عام (٢٣٣هـ) خرجت عليه طليطلة فبرز إليها بنفسه وهزمهم، وانتظمت في عهد خلافة عبد الرحمن الناصر، وازدهر فيها فن العمارة. استقل بنو ذي النون بطليطلة بعد سقوط الخلافة بقرطبة "وهم أسرة من البربر"، وتولى عبد الملك بن متيوه أمر طليطلة، وأساء إلى أهليها فاتفقوا عليه، استقل ابنه إسماعيل بها، وترك شئونها إلى شيخها أبي بكر الحديدي، وتوفى إسماعيل، وخلفه ابنه يحيى بن إسماعيل الذي توفى، وتولى حفيده القادر بالله يحيى الذي ثار عليه أهل طليطلة لقتل ابن الحديدي فاستعان بألفونسو السادس ملك قشتالة الذي دخلها عام (١٠٨٥م). وبذلك تكون قد سقطت طليطلة في أيدي النصارى.حكم بنو يعيش طليطلة بين عامي ١٠٠٩ - ١٠٢٨ حيث كان قاضي المدينة أبو بكر يعيش بن محمد بن يعيش وهي حالياً مدينة بمنطقة كاستيا لا منتشا في وسط أسبانيا. يبلغ عدد سكانها حوالي ٧٣٠٠٠ نسمة. تقع على بعد ٧٥ كيلو متر من مدريد العاصمة الأسبانية. وتقع على مرتفع منيع تحيط به أودية عميقة وأجراف عميقة، تتدفق فيها مياه نهر تاجة. ويحيط وادي تاجة بطليطلة من ثلاث جهات مساهماً بذلك في حصانتها ومنعتها.

على ضفة البحر الكبير يشقها نهر يسمى باجة ولها قنطرة عجيبة وهي قوس واحد، والماء يدخل من تحته بشدة جري، وفي آخر النهر ناعورة طولها تسعون ذراعاً بالرشاشي، يصعد الماء إلى أعلى القنطرة فيجري على ظهرها ويدخل إلى المدينة.

وكانت طليطلة دار مملكة الروم، وكان فيها قصر مقفل أبداً، وكلما تملك فيها ملك من الروم أقفل عليه قفلاً محكماً؛ فاجتمع على باب القصر أربعة وعشرون قفلاً، ثم ولي الملك رجل ليس من بيت الملك، فقصد فتح تلك الأموال على عدم فتحها فلم يرجع، وأزال الأقفال وفتح الباب فوجد فيها صور وحذروه وجهدوا به، فأبى إلا فتحها، فبذلوا له جميع ما بأيديهم من نفائس الأموال على عدم فتحها فلم يرجع، وأزال الأقفال الباب فوجد فيها صور العرب على خيلها وجمالها وعليهم العمائم المسبلة متقلدين السيوف وبأيديهم الرماح الطوال والعصي، ووجد كتاباً فيه: إذا فتح هذا الباب تغلب على هذه الناحية قوم من الأعراب على صفة هذه الصور، فالحذر من فتحه الحذر

قال ففتح في تلك السنة الأندلس طارق بن زياد(١١٤) في خلافة الوليد بن عبد الملك(١١٥) من بني أمية، وقتل ذلك الملك شر قتلة ونهب ماله وسبى من بها وغنم

---

(١١٤) طارق بن زياد الليثي : قائد مسلم في جيش الدولة الأموية من قبائل البربر التي تعيش شمال أفريقيا، و قد فتح الأندلس سنة ٧١١م. يعتبر طارق بن زياد من أشهر القادة العسكرين في التاريخ و يحمل جبل طارق جنوب أسبانيا أسمه حتى يومنا هذا و قد توفي في سنة ٧٢٠م. ولد طارق بن زياد في القرن الأول من الهجرة وأسلم على يد موسى بن نصير، وكان من أشد رجاله، فحينما فتح موسى بن نصير طنجة ولى عليها طارقا سنة ٨٩ هـ وأقام فيها إلى أوائل سنة ٩٢ هـ ولما أراد موسى بن نصير غزو الأندلس جهز جيشا من ١٢ ألف مقاتل معظمهم من البربر المغربيون، وأسند قيادة الجيش إلى طارق بن زياد وتمكن من فتح الأندلس بالتعاون مع موسي ابن نصير، ولم يعرف بعد ذلك مصيره بعد ذلك.

(١١٥) الوليد بن عبد الملك : هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم. ولد عام ٥٠ هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان. بويع بولاية العهد في عهد أبيه وأصبح خليفة للمسلمين عام ٨٦ هـ بعد وفاة أبيه.

أموالها، ووجد بها ذخائر عظيمة، من بعضها مائة وسبعون تاجاً من الدر والياقوت والأحجار النفيسة، وإيوناً تلعب فيه الرماحة بأرماحهم قد ملىء من أواني الذهب والفضة مما لا يحيط به وصف، ووجد بها المائدة[116] التي لنبي الله سليمان[117] بن

ترك عبد الملك للوليد دولـة مترامية الأطـراف هادئـة مستقرة ممـا ساعده عـلى القيـام بالاصـلاحات الكثيرة. توسعت الدولة الاسلامية في الشرق والشمال والغرب ففتحت بـلاد مـا وراء النهـر (تركستان حاليا) وأصبح المسلمون على أبواب الصين واصبحت بلاد الأندلس تحت الحكم العربي، وامتد الاسـلام الى جنوب آسيا الصغرى وتطلع المسلمون الى فتح القسطنطينية. وكان الوليد يرسل في كـل غـزوة لـبلاد الروم أحد بنيه مما يدل على اهتمامه بهذه الجبهة. اهتم الوليد بالاصلاح الداخلي فواصل تعريب الـدواوين واهتم بالمرضى والمقعدين فسهر على راحتهم وأكرم حفظة القرآن وقضى عـنهم ديـونهم. ونالـت حركـة العمارة والبنيان اهتمام الوليد فبنى مسجد الصخرة المشرفة وأقام المسجد الأموي في دمشق ووسـع الحـرم المكي والحرم النبوي. واهتم باصلاح الطرق وحفر الآبار وزودها بما يلزم من خانات تساعد عـلى راحـة المسافرين وتخفف ما يلاقونه من مشاق ومتاعب. من قادة الوليد ومساعديه عمر بن عبد العزيز والحجاج بن يوسف الثقفي وموسى بن نصير وقتيبة بن مسلم ومحمد بن القاسم. كانت وفاة الوليد عام ٩٦ هـ بعد حكم دام قرابة عشر سنوات.

(١١٦) قاد طارق بن زياد جيش المسلمين في معركة وادي لكة بينه وبين القوط الغربيين وأغلب الظن أن هذه المعركة فيها قتل رودريك (لذريق) ملك القوط. اتجه بعـدها طـارق شـمالا نحـو إشـبيلية ففتحهـا، وكلف بفتح قرطبة، ومالقة، ثم فتح طليطلة عاصمة الأندلس، وتوجه شمالا فعبر وادى الحجارة، وواديا أخر سمى فج طارق، وكان بذلك قد تمكن من فتح عدة مدن منها مدينة سالم التى يقال إن طارقا عثر فيها على مائدة سليمان (وذكروا أنه كان لمائدة سليمان عليه السلام في كل سنة إحدى عشر ألف ثـور وخمسمائة ثور وزيادة وستة وثلاثين ألف شاة سوى الإبل والصيد فانظروا ماذا يكفي لحوممن ذكرنا من الخبـز وقـد ذكروا عدداً مبلغه ستة آلاف مدى في العام لمائدتهخاصة واعلموا أن بلاد بني إسرائيـل تـضيق عـن هـذه النفقات هذا مع قولهم أنهعليه السلام كان يهدي كل سنة ثلثي هـذا العـدد مـن بـر ومثلـه مـن زيـت إلى ملكصور فليت شعري لأي شيء كان يهاديه بذلك هل ذلك إلا لأنه كفؤه ونظيره فيالملك وهـذه كلـمات كذبات ورعونة لا خفاء بها وأخبار متناقضة. وذكروا أنهكانت توضع في قصر سليمان عليـه الـسلام كـل يوم مائة مائدة ذهب على كل مائدةمائة صفحة ذهب وثلاثمائة طبق ذهب عـلى كـل طبـق ثلاثمائـة كـأس ذهب فأعجبوا لهذه الكذبات الباردة. واعلموا أن الذي عملها كان ثقيل الذهن في الحسابمقصراً في علم

داود عليهما السلام[118]، وكانت على ما ذكر من زمرد أخضر. وهذه المائدة إلى الآن في مدينة رومية باقية، وأوانيها من الذهب وصحافها من اليشم والجزع. ووجد فيها الزبور(119) بخط يوناني في ورق من ذهب مفصل بجوهر، ووجد مصحفاً محلى فيه منافع الأحجار والنبات والمعادن واللغات والطلاسم وعلم السيمساء والكيمياء. ووجد مصحفاً فيه صناعة أصباغ الياقوت والأحجار وتركيب السموم والترياقات، وصورة شكل الأرض والبحار والبلدان والمعادن والمسافات، ووجد

المساحة لأنه لا يمكن أن يكون قطر دائرة الصفحة أقل من شبروإن لم تكن كذلك فهي صحيفة لا صحفة طعام ملك فوجب ضرورة أن تكون مساحة كلمائدة من تلك الموائد عشرة أشبار في مثلها لا أقل سوى حاشيتها وأرجلها. واعلموا أن مائدة من ذهب هذه صفتها لا يمكن ألبتة أن يكون في كل مائدة منتلك الموائد أقل من ثلاثة آلاف رطل ذهب فمن يرفعها ومن يضعها ومن يغسلهاومن يمسحها ومن يديرها فهذا الذهب كله وذا الأطباق من أين؟).

(117) هو من الرسل الذين أرسلهم الله إلى بني إسرائيل بعد أبيه داود عليهما السلام، وقد انفردا من بين الرسل بأن الله آتاهما الملك والنبوة. وقد ذكر الله سليمان في عداد مجموعة الرسل عليهم السلام، فقال تعالى في سورة النساء: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا...} [النساء: 163] وقد أوصى داود عليه السلام بالملك لولده سليمان، ولما مات داود ورثه سليمان في الملك، وكان عمره حينئذٍ اثنتي عشرة سنة، وكان سليمان - على حداثة سنه - ممن آتاهم الله الحكمة والفطانة وحسن السياسة.

(118) داوُد أو داود أو داؤود : معناه "محبوب"، هو ثاني ملك على مملكة إسرائيل المتحدة (1011 ق.م. - 971 ق.م.) وأحد أنبياء بني إسرائيل. ويُعتبر أحق وأنزه ملك من بين ملوك إسرائيل التاريخيين، وهو صاحب مزامير داود الشهيرة.

(119) الزبور Zabur : هو الكتاب الذي نزل على نبي الله داود ويسمى في التوراة "مزامير داود" ويحتوي على 150 مزموراً واشتق منها لفظة المزمار التي تصحب الاناشيد (أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي، مجلد 3، ص 24) وكان داود ـ عليه السلام ـ حسن الصوت، جميل الإنشاد، إذا قرأ الزبور تكف الطير عن الطيران، وتقع على الأغصان، ترجع بترجيعه، وتسبح بتسبيحه.

قائمة كبيرة مملوءة من الأكسير، يرد الدرهم(١٢٠) منه ألف درهم من الفضة ذهباً إبريزاً.

ووجد مرآة مستديرة عجيبة من أخلاط قد صنعت لسليمان عليه السلام، إذا نظر الناظر فيها رأى الأقاليم السبعة فيها عياناً ورأى مجلساً فيه من الياقوت والبهرمان وسق بعير. فحمل ذلك كله إلى الوليد بن عبد الملك، وتفرق العرب في مدنها. وبطليطلة بساتين محدقة وأنهار مغذقة ورياض وفواكه مختلفة الطعوم والألوان، ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة ورساتيق(١٢١) مريعة وضياع وسيعة وقلاع منيعة، وشمالها جبل عظيم معروف بجبل الإشارات، به من البقر والغنم ما يعم البلاد كثرة وغزراً.

• • • •

---

(١٢٠) الدرهم : فارسي معرب والجمع دراهم وهو ستون عشيرا (المروج ٢ / ٣٤٢).

(١٢١) الرستاق : معرب ويستعمل في الناحية التي هي طرف الإقليم والرزداق بالزاي والدال مثله والجمع رساتيق ورزاديق قال ابن فارس الرزدق السطر من النخل والصف من الناس ومنه الرزداق وهذا يقتضي أنه عربي وقال بعضهم الرستاق مولد وصوابه رزداق (اللسان ٣ / ١٦٤٠).

ذكر الغرب الأدنى
وهو الواحات وبرقة وصحراء الغرب والإسكندرية

فأما الواحات: فإن بها قوماً من السودان يسمون البربر، وهم في الأصل عرب مخضرمون وبها كثير من القرئ والعمائر والمياه وهي أرض حارة جداً، وهي في ضفة الجبل الحائل بين أرض مصر والصحارئ، وينتج بهذه الأرض وما اتصل بها من أرض السودان حمر وحشية منقوشة ببياض وسوداء بزي عجيب لا يمكن ركوبها، وإن خرجت عن أرضها ماتت في الحال. وكان في القديم يزرع بأرضها الزعفران(١٢٢) كثيراً وكذلك البليلج(١٢٣) والعصفر(١٢٤) وقصب السكر، وبها حيات في رمال تضرب الجمل في خفة فلا ينقل حدوة حتى يطير وبره من ظهره وينهري.

---

(١٢٢) الزعفران Safran : نبات بصلي من فصيلة السوسنيات، والجزء الفعال في الزعفران أعضاء التلقيح وتسمى (السّمات) وتنزع من الزهور المتفتحة، وتجفف في الظل و لونها أحمر برتقالي وذات رائحة نفاذة وطعم مميز، وزراعة الزعفران من النباتات المكلفة في زراعته ماديا وفنيا وتقنيا لذا اصبح سعره باهظ الثمن وخصوصا الأنواع الفاخرة. والزعفران يقوي القلب ويورث البهجة ولكن الزائد منه سم قاتل كما يستخدم في الاكحال وادرار الطمث والاسراع بالولادة ويدخل كصبغة صفراء في تلوين العجائن (القاموس الإسلامي، ج٣، ص ٦٣).

(١٢٣) بكسر الباء واللام الاولى وفتح الثانية : دواء هندي معروف يتداوى به .

(١٢٤) العُصفُر : هو نبات عشبي حولي والجزء المستعمل منه هو الازهار والتي تشبه ازهار الزعفران، ويعرف العصفر بعدة اسماء منها القرطم والبهرمان والزرد ويطلق عليه البعض الزعفران مع انه ليس بزعفران.

شنترية: بها قوم من البربر(١٢٥) وأخلاط العرب، وبها معدن الحديد والبريم، وبينها وبين الإسكندرية برية واسعة. يقولون: إن بها مدناً عظيمة مطلسمة من أعمال الحكماء والسحرة، ولا تظهر إلا صدفة.

فمنها ما حكي أن رجلاً أتى عمر بن عبد العزيز(١٢٦) رحمه الله تعالى، وعمر رضي الله عنه يومئذ عامل(١٢٧) على مصر وأعمالها، فعرفه أنه رأى في صحراء الغرب

---

(١٢٥) البربر : هم سكان المغرب العربي الأصليون، فهم ليسوا أوربيون ولا أفارقة لأنهم لايتسمون بأي صفة من صفات العرقين السابقين ويظهر للعيان أن الملامح التي يحملونها مشرقية سواء كانت البشرة البيضاء كما حال قريش والجميع يعلم مواصفات النبي القرشي صلوات الله وسلامه عليه وإما بشره حنظاوية فاتحة اللون. هناك أيضا ثورة مشهورة قام بها البرابرة وتسمى ثورة البربر في الأندلس وأشار المؤرخ شارل أندري جوليان في كتابه تاريخ أفريقيا الشمالية "إلى أن البربر لم يطلقوا على أنفسهم هذا الاسم، بل أخذوه من دون أن يروموا استعماله عن الرومان الذين كانوا يعتبرونهم أجانب عن حضارتهم، وينعتونهم بالهمج، ومنه استعمل العرب كلمة بر ابر وبرابرة.(أنظر، التيجاني بلعوالي، البربر الأمازيغ، ازدواجية التسمية ووحدة الأصل و إيلي لوبلان، تاريخ الجزائر والمؤرخون، باريس ١٩٣١).

(١٢٦) عمر بن عبد العزيز : ولد في المدينة المنورة على اسم جدّه "عمر بن الخطاب"، فأمُّ عمر بن عبد العزيز هي "أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب". ولا يُعرف على وجه اليقين سنة مولده؛ فالمؤرخون يتأرجحون بين أعوام ٥٩ هـ ٦١هـ ٦٢هـ، وإن كان يميل بعضهم إلى سنة ٦٢هـ وأيًا ونشأ بالمدينة على رغبة من أبيه الذي تولى إمارة مصر بعد فترة قليلة من مولد ابنه، وظلّ واليًا على مصر عشرين سنة حتى توفي بها (٦٥هـ- ٨٥هـ= ٦٨٥-٧٠٤م). وقبل أن يلي عمر بن عبد العزيز الخلافة تمرّس بالإدارة واليًا وحاكمًا، ورأى عن كثب كيف تُدار الدولة، وخبر الأعوان والمساعدين؛ فلما تولى الخلافة كان لديه من عناصر الخبرة والتجربة ما يعينه على تحمل المسؤولية ومباشرة مهام الدولة، وكانت لديه رغبة صادقة في تطبيق العدل. وأهم ما قدمه عمر هو أنه جدّد الأمل في النفوس أن بالإمكان عودة حكم الراشدين، وأن تمتلئ الأرض عدلاً وأمنًا وسماحة ولم تطل حياة هذا الخليفة العظيم الذي أُطلق عليه "خامس الخلفاء الراشدين"، فتوفي وهو دون الأربعين من عمره، قضى منها سنتين وبضعة أشهر في منصب الخلافة، ولقي ربه في (٢٤ رجب ١٠١هـ=٦ من فبراير ٧٢٠م) [الاعلام للزركلي ٥/ ٢٠٩،و«وسيرة عمر ابن عبد العزيز» لابن الجوزي؛ و (الخليفة الزاهد) لعبد العزيز سيد الاهل].

(١٢٧) العامل : يُقصد به الوالي أو الحاكم .

بالقرب من شنترية، وقد أوغل فيها في طلب جمل له ند منه، مدينة قد خرب الأكثر منها وأنه قد وجد فيها شجرة عظيمة بساق غليظ تثمر من جميع أنواع الفواكه، وأنه أكل منها كثيراً وتزود. فقال له رجل من القبط(١٢٨): هذه إحدى مدينتي هرمس الهرامسة وبها كنوز عظيمة. فوجه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مع ذلك الرجل جماعة من ثقاته واستوثقوا من الزاد والماء عن شهر، وطافوا تلك الصحارى مراراً فلم يقفوا على شيء من ذلك.

ويُحكى: إن عاملاً من عمال العرب جار على قوم من الأعراب فهربوا من عنفه وجوره ودخلوا صحراء الغرب ومعهم من الزاد ما يكفيهم مدة، فسافروا يوماً أو بعض يوم فدخلوا جبلاً فوجدوا فيه عنزاً كثيرة وقد خرجت من بعض شعاب الجبل، فتبعوها فنفرت منهم فأخرجتهم إلى مساكن وأنهار وأشجار ومزارع وقوم مقيمين في تلك الناحية قد تناسلوا وهم في أرغد عيش وأنزه مكان، وهم يزرعون لأنفسهم ويأكلون ما يزرعون بلا خراج ولا مقاسمة ولا طلب. فسألوهم عن حالهم فأخبروهم أنهم لم يدخلوا إلى بلاد العرب ولا عرفوها. فرجع هؤلاء القوم

((١٢٨ قبط و أقباط : جمع قبطي، تستخدم للدلالة على المصريين كجنسية و في الثقافة الشعبية للدلالة على المسيحيين المصريين تحديدا. وكلمة قبط هو صورة مختصرة من لفظة إيجيبتوس Aegyptos أو هي لفظة أطلقها البيزنطيين على أهل مصر مأخوذه من العبارة الفرعونية حت - كا - بتاح Het- Ke - Path أو ها - كا - بتاح أو بيت كا (روح) بتاح أو هو اسم لمعبد فرعوني في مدينة منف (ممفيس) التي كانت عاصمة مصر القديمة وقد حور الإغريق ومن بعدهم البيزنطيين نطق هذه العبارة " هي جي بنو" ثم أضافوا حرف السين وهو يساوي الضمة في لغتهم ويضاف حرف السين دائما إلى نهاية الأسماء الذي تطور بمرور الزمن أ فأطلقوا أسم " هيجبتس " أو " إيجيبتوس " ويقول الدكتور زاهي حواس : " واعتقد العلماء أن اليونانيين قد سموا اسم إيجوبنوس لمصر وذلك لاحتمال الاشتقاق من اسم أجبي وهو اسم ينسب إلي الماء الأزلي أو إلي النيل والفيضان " .ومنها جائت كلمة EGYPT في اللغة الإنجليزية وفي باقي اللغات الأوربية مثل اللغة الفرنسية L, EGYPTE أو في الإيطالية L, EGITTO أو في وفي الألمانية AEGYPTE

الذين هربوا من العامل إلى أولادهم وأهليم ودوابهم فساقوها ليلاً وخرجوا بهم يطلبون ذلك المكان، فأقاموا مدة طويلة يطوفون في ذلك الجبل فلم يقفوا لهم على أثر، ولا وجدوا لهؤلاء من خبر

ويحكى أن موسى بن نصير(١٢٩) لما قلد الغرب وليها في زمان بني أمية، أخذ في السير على ألواح الأقصى بالنجوم والأنواء وكان عارفاً بها فأقام سبعة أيام يسير في رمال بين مهبي الغرب والجنوب، فظهرت له مدينة عظيمة لها حصن عظيم بأبواب من حديد، فرام أن يفتح باباً منها فلم يقدر وأعياه ذلك لغلبة الرمل عليها، فأصعد رجلاً إلى أعلاه فكان كل من صعد ونظر إلى المدينه صاح ورمى بنفسه إلى داخلها ولا يعلم ماذا يصيبه ولا ما يراه، فلم يجد له حيلة، فتركها ومضى. وحكي أن رجلاً

---

(١٢٩) موسى بن نصير : أبوعبد الرحمن موسى بن نصير بن عبد الرحمن زيد اللخمي (٦٤٠-٧١٦ م/ ١٩ هـ-٩٧ هـ) نشأ في دمشق وولي غزو البحر لمعاوية بن أبي سفيان، فغزا قبرص، وبنى بها حصونًا، وخدم بني مروان ونبه شأنه، وولى لهم الأعمال، فكان على خراج البصرة فى عهد الحجاج. لما تولي الوليد بن عبد الملك الخلافة قام بعزل حسان بن النعمان واستعمل موسى بن نصير بدلا منه وكان ذلك في عام ٨٩ هـ وكان أن قامت ثورة للبربر في بلاد المغرب طمعا في البلاد بعد مسير حسان عنها فوجه موسى ابنه عبد الله ليخمد تلك الثورات ففتح كل بلاد المغرب واستسلم آخر خارج عن الدولة وأذعن للمسلمين. قام موسى بن نصير بإخلاء ما تبقى من قواعد للبيزنطيين على شواطئ تونس وكانت جهود موسى هذه في إخماد ثورة البربر وطرد البيزنطيين هي المرحلة الأخيرة من مراحل فتح بلاد المغرب العربي. لم يكتف موسى بذلك بل أرسل أساطيله البحرية لغزو جزر الباليار البيزنطية الثلاث مايوركا ومينورقة وإيبيزا وأدخلها تحت حكم الدولة الأموية. بعد أن عمل موسى على توطيد حكم المسلمين في بلاد المغرب العربي، بدأ يتطلع إلى فتح الأندلس التي كانت تحت حكم القوط الغربيين. قام موسى باستئذان الخليفة الوليد بن عبد الملك في غزوها فأشار له الوليد ألا يخاطر بالمسلمين وأن يختبرها بالسرايا قبل أن يفتحها. بعد أن قام موسى بإرسال السرايا واختبار طبيعة الجزيرة الأيبيرية قام بتجهيز جيش بقيادة مولاه البربري المسلم طارق بن زياد، وبمعاونة من يوليان حاكم سبتة دخل المسلمون الأندلس وانتصروا على القوط الغربيين انتصارا حاسما في معركة وادي لكة عام ٧١٢ م/ ٩٢ هـ.

من صعيد مصر أتاه رجل آخر وأعلمه أنه يعرف مدينة في أرض الواحات بها كنوز عظيمة. فتزودا وخرجا، فسافرا في الرمل ثلاثة أيام ثم أشرفا على مدينة عظيمة بها أنهار وأشجار وأثمار وأطيار ودور وقصور، وبها نهر محيط بغالبها وعلى ضفة النهر شجرة عظيمة، فأخذ الرجل الثاني من ورق الشجرة ولفها على رجليه وساقيه بخيوط كانت معه وفعل برفيقه كذلك، وخاضا النهر فلم يتعد الماء الورق ولم يجاوزه، فصعدا إلى المدينة فوجدا من الذهب وغيره ما لا يكيف ولا يوصف، فأخذا منه ما أطاقا حمله ورجعا بسلامة وتفرقا؛ فدخل الرجل الصعيدي إلى بعض ولاة الصعيد وعرفه بالقصة وأراه من عين الذهب، فوجه معه جماعة وزودهم زاداً يكفيهم مدة، فجعلوا يطوفون في تلك الصحارئ ولا يجدون لذلك أثراً، وطال الأمر عليهم فسئموا ورجعوا بخيبة. وأما أرض برقة فكانت في قديم الزمان مدناً عظيمة عامرة، وهي الآن خراب ليس بها إلا القليل من الناس والعمارة؛ وبها يزرع من الزعفران شيء كثير.

وأما الإسكندرية (١٣٠)فهي آخر مدن الغرب، وهي على ضفة البحر الشامي وبها الآبار العجيبة والروم الهائلة التي تشهد لبانيها بالملك والقدرة والحكمة. وهي حصينة الأسوار عامرة الديار كثيرة الأشجار غزيرة الثمار؛ وبها الرمان والرطب والفاكهة والعنب، وهي من الكثرة في الغاية، ومن الرخص في النهاية. وبها يعمل من الثياب الفاخرة كل عجيب، ومن الأعمال الباهرة كل غريب، ليس في معمور

(١٣٠) الإسكندرية : أسسها الإسكندر الأكبر ٣٣٣ ق.م، فغدت مركزًا للثقافة العالمية. اشتهرت عبر التاريخ بمكتبة الإسكندرية الغنية التي أثرت الثقافة الأنسانية و أشتهرت أيضا بمدرستها اللاهوتية والفلسفية. وحديثاً، بُنيَ في الإسكندرية مكتبة الإسكندرية الجديدة في عام ٢٠٠١م. مثل القاهرة فالإسكندرية محافظة مدينة، أي أنها محافظة تشغل كامل مساحتها مدينة واحدة، وفي نفس الوقت مدينة كبيرة تشكل محافظة بذاتها.

الأرض مثلها؛ ولا في أقصىٰ الدنيا كشكلها، يحمل منها إلىٰ سائر الأقاليم في الزمن الحادث والقديم، وهي مزدحم الرجال ومحط الرحال ومقصد التجار من سائر القفار والبحار، والنيل يدخل إليها من كل جانب، من تحت أقبية إلىٰ معمورها، ويدور بها وينقسم في دورها بصنعة عجيبة وحكمة غريبة، يتصل بعضها ببعض أحسن اتصال لأن عمارتها تشبه رقعة الشطرنج في المثال.

وإحدىٰ عجائب الدنيا فيها وهي المنارة التي لم ير مثلها في الجهات والأقطار، وبين المنارة(١٣١) والنيل ميل واحد وارتفاعه مائة ذراع بالشاشي لا بالساعدي، جملته مائتا قامة إلىٰ القبة. ويقال إنه كان في أعلاها مرآة ترىٰ فيها المراكب من مسيرة شهرة، وكان بالمرآة أعمال وحركات لحرق المراكب في البحر، إذا كان عدواً، بقوة شعاعها. فأرسل صاحب الروم يخدع صاحب مصر ويقول: إن الإسكندر قد كنز بأعلىٰ المنارة كنزاً عظيماً من الجواهر واليواقيت واللعب والأحجار التي لا قيمة لها خوفاً عليها، فإن صدقت فبادر إلىٰ استخراجه، وإن شككت فأنا أرسل لك مركباً موسوقاً من ذهب وفضة وقماش وأمتعة، ولا يقوم، ومكني من استخراجه ولك من الكنز ما تشاء. فانخدع لذلك وظنه حقاً فهدم القبة فلم يجد شيئاً مما ذكر، وفسد طلسم المرآة؛ ونقل أن هذه المنارة كانت وسط المدينة؛ وأن المدينة كانت سبع قصبات متوالية وإنما أكلها البحر ولم يبق منها إلا قصبة واحدة وهي المدينة الآن، وصارت المنارة في البحر لغلبة الماء علىٰ قصبة المنارة. ويقال إن مساجدها حصرت في وقت من الأوقات فكانت عشرين ألف مسجد.

---

(١٣١) شيد البطالمة منارة الإسكندرية، والتي اعتبرت من عجائب الدنيا السبع، وذلك لإرتفاعها الهائل حوالي ٣٥ مترًا. ظلت هذه المنارة قائمة حتىٰ دمرها زلزال شديد سنة ١٣٠٧م.

وذكر الطبري(١٣٢) في تاريخه أن عمرو بن العاص(١٣٣) رضي الله عنه لما افتتحها أرسل إلى عمر بن الخطاب(١٣٤) رضي الله عنه، يقول: قد افتتحت لك مدينة فيها أثنا عشر ألف حانوت تبيع البقل.وكان يوقد في أعلى هذه المنارة ليلاً ونهاراً

---

(١٣٢) الطبري : هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م). مؤرخ وفقيه طبرستاني. ولد في آمل من بلاد طبرستان ودرس في الري وبغداد والبصرة والكوفة وزار مصر وسورية. كان الطبري في أول الأمر شافعيا ثم خرج بمذهب جديد هو الجريرية فعاداه بسببه الحنابلة. ويشتهر الطبري بمؤلفه (تاريخ الأمم والملوك)، أو(أخبار الرسل والملوك) الذي ضمنه تاريخ العالم منذ بدء الخليقة حتى عصره، والذي نقل عنه ابن الأثير واليعقوبي. ويعتمد الكتاب على مصادر غير موثوق بها وهو في أربعة أجزاء تنتهي في عام ٩١٥م. وقد ذيل عليه مؤرخون عديدون. ومن كتبه الأخرى (تاريخ الرجال)، وتفسيره المعروف باسم (جامع البيان في تفسير القرآن)

(١٣٣) عمرو بن العاص رضي الله عنه (٥٠ ق هـ ــ ٤٣ هـ) هو عمرو بن العاص بن وائل، أبو عبد الله، السهمي القرشي، فاتح مصر، وأحد عظماء العرب وقادة الإسلام وذكر الزبير بن بكار والواقدي بسين لهما أن إسلامه كان على يد النجاشي وهو بأرض الحبشة. وولاه النبي ﷺ إمرة جيش "ذات السلال " وأمده بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم استعمله على عمان. ثم كان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشام في زمن عمر وولاه عمر فلسطين ومصر. وله في كتب الحديث ٣٩ حديثاً. [الإصابة ٣/ ٢، والاستيعاب ٣/ ١١٨٤، والأعلام ٥/ ٢٤٨].

(١٣٤) عمر رضي الله عنه (٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ) هو عمر بن الخطاب بن نفيل، عبد العزَّى القرشي العدوي، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة (٤٠ عام قبل الهجرة) أبو حفص الفاروق. عُرف في شبابه بالشدة والقوة، وكانت له مكانة رفيعة في قومه اذ كانت له السفارة في الجاهلية فتبعثه قريش رسولا اذا ما وقعت الحرب بينهم أو بينهم و بين غيرهم وأصبح الصحابي العظيم الشجاع الحازم الحكيم العادل، صاحب رسول الله صلي الله علية وسلم، وأمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين. كان النبي صلي الله عليه وسلم يدعو الله ان يعز الإسلام بأحد العمرين، فاسلم وهو. وكان إسلامه قبل الهجرة بخمس سنين، فأظهر المسلمون دينهم. ولازم النبي ﷺ، وكان أحد وزيريه، وشهد معه المشاهد. بايعه المسلمون خليفة بعد أبي بكر، ففتح الله في عهده اثنا عشر ألف منبر. وضع التاريخ الهجري. ودون الدواوين. قتله أبو لؤلؤة المجوس وهو يصلي الصبح.[الأعلام للزركلي ٥/ ٢٠٤؛ وسيرة عمر بن الخطاب للشيخ علي الطنطاوي].

لاهتداء المراكب القاصدة إليها. ويقولون: إن الذي بنى المنارة هو الذي بنى الأهرام.

وبهذه المدينة المثلثان وهما حجران مربعان وأعلاهما ضيق حاد، طول كل واحد منها خمس قامات وعرض قواعدهما في الجهات الأربع كل جهة أربعون شبراً، عليها خط بالسرياني، حكي أنهما منحوتان من جبل برسم الذي هو غربي ديار مصر، والكتابة التي عليهما: أنا يعمر بن شداد، بنيت هذه المدينة حين لا هرم فاش، ولا موت ذريع، ولا شيب ظاهر، وإذا الحجارة كالطين وإذا الناس لا يعرفون لهم رباً، وأقمت أسطواناتها وفجرت أنهارها وغرست أشجارها، وأردت أن أعمل فيها شيئاً من الآثار المعجزة والعجائب الباهرة فأرسلت مولاي البتوت بن مرة العادي ومقدام بن عمرو بن أبي رغان الثمودي خليفة إلى جبل بريم الأحمر، فاقتطعا منه حجرين وحملاهما على أعناقهما فانكسرت ضلع من أضلاع البتوت، فوددت أن أهل مملكتي كانوا فداء له، وهما هذان. وأقامهما إلى القطن بن جارود المؤتفكي في يوم السعادة، وهذه المثلثة الواحدة في ركن البلد من الجهة الشرقية والمثلثة الأخرى ببعض المدينة.

ويقال إن المجلس الذي بجنوب المدينة المنسوب إلى سليمان بن داود عليهما السلام، بناه يعمر بن شداد المذكور، وأسطواناته وعضاداته باقية إلى الآن، وهو سنة[١٣٥] خمس وثمانين وثلاثمائة وهو مجلس مربع في كل رأس منه ست عشرة سارية، وفي الجانبين المتطاولين سبع وستون سارية، وفي الركن الشمالي أسطوانة عظيمة ورأسها عليها، وفي أسفلها قاعدة من الرخام مربعة، جرمها ثمانون شبراً،

---

(١٣٥) الفرق بين العام والسنة : أن العام جميع جمع أيام، والسنة جمع شهور، فيقال عام الفيل لا سنة الفيل (الفروق في اللغة، ص ٢٢٤).

وطولها من القاعدة إلى الرأس تسع قامات، ورأسها منقوش مخروم بأحكم صنعة، وهي مائلة من تقادم الدهور ميلاً كثيراً، لكنها ثابتة، وبها عمود يقال عمود القمر، عليه صورة طير يدور مع الشمس.

أرض مصر: وهي غربي جبل جالوت، وهو إقليم العجائب ومعدن الغرائب، وأهله كانوا أهل ملك عظيم وعز قديم، وكان به من العلماء عدة كثيرة وهم متفننون في سائر العلوم مع ذكاء مفرط في جبلتهم وكانت مصر خمساً وثمانين كورة، ومنها أسفل الأرض خمس وأربعون كورة وفوق الأرض أربعون كورة، ونهرها يشقها، والمدن على جانبيه وهو النهر المسمى بالنيل، العظيم البركات المبارك الغدوات والروحات، وهو أحسن الأقاليم منظراً وأوسعها خيراً وأكثرها قرى، وهو من حد أسوان إلى الإسكندرية.

وفي أرض مصر كنوز عظيمة، ويقال إن غالب أرضها ذهب مدفون، حتى قيل إنه ما فيها موضع إلا وهو مشغول بشيء من الدفائن. وبها الجبل المقطم وهو شرقيها، ممتد من مصر إلى أسوان في الجهة الشرقية، يعلو في مكان وينخفض في مكان. وتسمى تلك التقاطيع منه اليحاميم وهو سود، ويوجد فيها المغرة والكلس، وفيه ذهب عظيم، وذلك أن تربته إذا دبرت استخرج منها ذهب خالص، وفيه كنوز وهياكل وعجائب غريبة. ومما يلي البحر الجبل المنحوت المدور الذي لا يستطيع أحد أن يرقاه لملاسته وارتفاعه، وفيه كنوز عظيمة لمقطم الكاهن(١٣٦) الذي نسب إليه

---

(١٣٦) المقطم : قيل سمي باسم مقطم الكاهن كان مقيماً فيه لعمل الكيميا. وقال أبو عبد الله اليمني: سمي بالمقطم بن مصر بن بصير وكان عبداً صالحاً انفرد فيه لعبادة الله تعالى. وذكر الكندي في كتاب فضائل مصر ما يوافق ذلك: وهو أن عمرو بن العاص رضي الله عنه سار في سفح المقطم ومعه المقوقس فقال له عمرو: ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات كجبال الشام فلو شققنا في أسفله نهراً من النيل وغرسناه نخلاً فقال المقوقس: وجدنا في الكتب أنه كان أكثر البلاد أشجاراً ونبتاً وفاكهة وكان ينزله

هذا الجبل، وللملوك مصر القديمة أيضاً من الذهب والفضة والأواني والآلات النفسية والتماثيل الهائلة والتبر والإكسير وتراب الصنعة ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

ومن مدنه المشهورة الفسطاط(١٣٧) وهو فسطاط عمرو بن العاص، وهي مدينة عظيمة وبها جامع(١٣٨) عمرو بن العاص رضي الله عنه، وكان مكانه كنيسة للروم فهدمها عمرو بن العاص وبناها مسجداً جامعاً، وحضر بناءه جماعة من الصحابة. وشرقي الفسطاط خراب، وذكر أنها كانت مدينة عظيمة قديمة ذات أسواق وشوارع واسعة وقصور ودور وفنادق وحمامات، يقال إنها كان بها أربعمائة حمام

المقطم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام فلما كانت الليلة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام أوحى الله تعالى إلى الجبال: إني مكلم نبياً من أنبيائي على جبل منك فسمت الجبال كلها وتشامخت إلا جبل بيت المقدس فإنه هبط وتصاغر فأوحى الله تعالى إليه: لم فعلت ذلك وهو به أخبر فقال: إعظاماً وإجلالاً لك يا رب! فأمر الله تعالى الجبال أن يحيوه كل جبل مما عليه من النبت فجاد له المقطم بكل ما عليه من النبت حتى بقي كما ترى فأوحى الله تعالى إليه إني معوضك على فعلك بشجر الجنة أو غرس الجنة. وأنكر القضاعي وغيره أن يكون لمصر ولد اسمه المقطم وجعلوه مأخوذاً من القطم وهو القطع لكونه منقطع الشجر والنبات.

(١٣٧) قيل الفسطاط بمعنى الخيمة نسبة لخيمة عمرو بن العاص التي بنى مكانها المدينة وقيل أصلها يوناني (فسطاطون) أي المدينة ويقال بل الفسطاط تعني في اللغة العربية المدينة (أنظر ملحق رقم (٨).

(١٣٨) يقع جامع عمرو بن العاص بالفسطاط بحي مصر القديمة، وهو أول جامع بني بمصر بعد أن من الله تعالي على عمرو بن العاص قائد الجيوش العربية بفتح مصر سنة ٢٠ للهجرة الموافق سنة ٦٤١ ميلاديا.

وقد بني هذا الجامع سنة ٢١ هجريا ٦٤١ ميلاديا وكان أول إنشائه مركزا للحكم ونواة للدعوة للدين الإسلامي بمصر، ومن ثم بنيت حوله مدينة الفسطاط التي هي أول عواصم مصر الإسلامية، ولقد كان الموقع الذي اختاره عمرو بن العاص لبناء هذا الجامع ملكا لأحد الأشخاص يدعي "قيسبة" وكان في ذلك الوقت يطل على النيل كما كان يشرف حصن بأبليون الذي يقع بجواره عليه، ولأن هذا الجامع هو أول الجوامع التي بنيت في مصر فقد عرف بعدة أسماء منها الجامع العتيق وتاج الجوامع.

فخربها **شاور**(١٣٩)، وهو وزير **العاضد**(١٤٠)، خوفاً من الفرنج أن يملكوها. وسمي الفسطاط فسطاطاً لأن عمرو بن العاص نصب فسطاطه أي خيمته هنا مدة إقامته، ولما أراد الرحيل وهدم الفسطاط أخبر أن حمامة باضت بأعلاه فأمر بترك الفسطاط على حاله لئلا يحصل التشويش للحمامة بهدم عشها وكسر بيضها، وأن لا يهدم حتى تفقس عن فراخها وتطيرهم، وقال: والله ما كنا لنسيء لمن لجأ بدارنا واطمأن إلى جانبنا.

---

(١٣٩) شاور : أبو شجاع شاور بن مجير بن نزار بن عشائر بن شأس بن مغيث بن حبيب بن الحارث بن ربيعة بن يخنس بن أبي ذؤيب عبد الله وهو والد حليمة مرضعة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم (توفي ٥٦٤هـ) هو وزير العاضد صاحب مصر سنة ٥٥٨ هـ. كان يخدم الصالح بن رزيك، فأقبل عليه وولاه الصعيد وهو أكبر الأعمال بعد الوزارة. وظهرت منه كفاءة عظيمة وتقدم واستمال الرعية والمقدمين من العرب وغيرهم، فعسر أمره على الصالح ولم يمكنه عزله، فاستدام استعماله لئلا يخرج عليه. وعند وفاته أوصى ابنه العادل ألا يعزله لقوته، ولكن أهله حسنوا للعادل عزله، واستعمال بعضهم مكانه وخوفوه منه. فأرسل إليه بالعزل، فجمع جموعا كثيرة وقدم من الصعيد وحارب العادل وقتله وصار شاور وزيرا وتلقب بأمير الجيوش. ثم إن الضرغام جمع جموعا كبيرة ونازع شاور في الوزارة، وهزم شاور وفر إلى نور الدين محمود مستجيرا به، فأكرم مثواه وأحسن إليه وأنعم عليه وأرسل معه أسد الدين شيركوه بعساكره إلى مصر وقتلوا الضرغام. واستولى شاور على الوزارة وتمكن منها. وآخر الأمر غدر بهم شاور وعزم على قتل أسد الدين والأمراء الذين معه، فبادروه وقتلوا شاور سنة ٥٦٤ هـ. وصفا الأمر لأسد الدين شيركوه، وظهرت السنة بالديار المصرية وخطب فيها بعد اليأس للدولة العباسية.

(١٤٠) العاضد : هو أبو محمد عبد الله بن يوسف الحافظ بن محمد، الملقب بالعاضد آخر خلفاء الدولة الفاطمية، بويع بالخلافة وهو صغير لم يتجاوز العاشرة وظل في الحكم حتى سنة ٥٦٧ هـ بعد أن أسقط وزيره صلاح الدين الأيوبي اسمه من الخطبة؛ إيذانًا بسقوط الخلافة الفاطمية، وبدأ عصر جديد.

وقبالة الفسطاط الجزيرة المعروفة بالروضة(١٤١)، وهي جزيرة يحيط بها بحر النيل من جميع جهاتها، وبها فرج ونزه ومقاصف وقصور ودور وبساتين، وتسمى هذه الجزيرة دار المقياس، وكانت في أيام بعض ملوك مصر، يجتاز إليها على جسر من السفن فيه ثلاثون سفينة وكان بها قلعة عظيمة فخربت، وبها المقياس يحيط به أبنية دائرة على عمد، وفي وسط الدار فسقية عميقة ينزل إليها بدرج من رخام دائرة وفي وسطها عمود رخام قائم وفيه رسوم أعداد الأذرع والأصابع يعبر إليه الماء من قناة عريضة. ووفاء النيل ثمانية عشر ذراعاً وهذا المبلغ لا يدع من ديار مصر شيئاً إلا رواه، وما زاد على ذلك ضرر ومحل لأنه يميت الشجر ويهدم البنيان. وبناء مصر كلها طبقات بعضها فوق بعض يكون خمساً وستاً وسبعاً، وربما سكن في الدار الواحدة الجامعة مائة من الناس ولكل منهم منافع ومرافق مما يحتاج إليه. وأخبر الجواليقي أنه كان بمصر على أيامه دار تعرف بدار ابن عبد العزيز بالموقف، يصب لمن فيها من السكان في كل يوم أربعمائة راوية وفيها خمسة مساجد وحمامات وفرنان.

القاهرة المعزية: حرسها الله تعالى وثبت قواعد أركان دولة سلطانها وجعلها دار إسلام إلى يوم القيامة آمين. وهي مدينة عظيمة أجمع المسافرون غرباً وشرقاً وبراً وبحراً على أنه لم يكن في المعمورة أحسن منها منظراً ولا أكثر ناساً ولا أصح هواء ولا أعذب ماء ولا أوسع فناء، وإليها يجلب من أقطار الأرض وسائر الأقاليم من كل شيء غريب، ونساؤها في غاية الحسن والظرف، وملكها عظيم ذو هيبة وصيت

---

(١٤١) الروضة : تقابل الفسطاط على الضفة الغربية للنيل جزيرة قديمة يحيط بها الماء، ويفصل بينها وبين الفسطاط من ناحية وبينها وبين الجيزة من ناحية أخرى، وكان على الجزيرة حصن روماني قديم يعتبر ملحقا لحصن بابليون وجزءاً من وسائل الدفاع عن غرب الدلتا وظلت الجزيرة قروناً طويلة تعتبر كضاحية ملكية يبني فيها الأمراء والوزراء والخلفاء حصونهم وقصورهم وبساتينهم ومتنزها جميلاً ومقراً لمقياس النيل الذي بناه أسامة بن زيد التنوخي ٩٧ هـ عهد سليمان بن عبد الملك (جمال الدين الشيال، تاريخ مصر الإسلامية، ج١، ص ٤٧) والروضة الأرض ذات الخضرة (اللسان ٣ / ١٧٧٥).

كثير الجيوش حسن الرأي لا يماثله ملك في زيه وترتيبه، تعظمه ملوك الأرض وتخشى بأسه وترغب في مودته وتترضاه وهو سلطان الحرمين الزاهرين والحاكم على البحرين الزاخرين؛ وهي مدينة يعبر عنها بالدنيا، وناهيك من إقليم يحكم سلطانه على مواطن العبادة في الأرض المشرفة والمدينة الشريفة وبيت المقدس؛ ومواطن الأنبياء ومستقر الأولياء وأهل هذه المدينة في غاية الرفاهية والعيشة الهنية والهيئة البهية، وقد ورد في الخبر: مصر كنانة الله ما رماها أحد بسوء إلا أخرج من كنانته سهماً فرماه به وأهلكه.

عين شمس(١٤٢) وهي شرق القاهرة، وكانت في القديم دار مملكة لهذا الإقليم، وبها من الأعمال والأعلام الهائلة والآثار العظيمة، وبها البستان(١٤٣) الذي لا ينبت

---

(١٤٢) عين شمس (اون) : كانت في الازمنة القديمة عاصمة مصر الدينية وقاعدة من قواعد مقاطعات الوجة البحري ومعني هذا الاسم «مدينة الشمس» وكانوا يطلقون اسم «عين شمس» علي موقعها الحقيقي وعلي ما يلية من الاماكن الي بابل ولم يبق من مدينة «اون» القديمة شيء للان فيما عدا شجرة العذراء بالمطرية التي استراحت الاسرة المقدسة بجوارها أوفيما عدا العين التي انفجرت تحتها أثم مسلة منفردة من المسلتين اللتين اقامهما سنوسرت الاول عند مدخل معبد «رع» أما المسلة الثانية فقد سقطت سنة ١١٩٠ م، بقيت هذة المسلة المنفردة وسط الحقول كشاهد حزين علي مجد عين شمس الذي زال واندثر !! ولا يزال في تل الحصن المجاور لهذا المكان اثار سور قوي قديم ارتفاعة حوالي عشرين قدما وقد علا سطح السهل أالذي كانت تقوم علية مدينة «اون» أبضعة امتار منذ القرون الماضية أويدل علي ذلك العمق الذي توجد فية المسلة اليوم أوالعمق الذي توجد فية الاثار الاخري تحت مستوي سطح السهل وكانت مدينة «اون» معروفة بعظمة اثارها كما كانت معروفة بانها قبلة لاهل العلم كانت تقوم اقدم جامعة عرفتها المدينة في العالم وهي ام الجامعات كلها أخلفتها جامعة الاسكندرية في العصر اليوناني والروماني والمسيحي ثم جامعة الفسطاط فجامعة القطائع فالجامعة الازهرية في العصر العربي وبعد ذلك جامعة فواد الاول بالقاهرة وجامعة فاروق بالاسكندرية في العصر الحديث هنا في جامعة عين شمس تلقي موسي الكليم علية السلام أحكمة المصريين و علومهم علي ايدي كهنة معبد «رع» هنا في هذة الجامعة تناقش هيرودوت مع اكبر الكهنة علما وثقافة هنا في هذة الجامعة تلقي افلاطون علومة أودرس

شيء من الأرض إلا وهو فيه، وهو بستان طوله ميل في ميل(١٤٤)، والسر في بئره لأن المسيح عليه السلام اغتسل فيه.

وغربيها مدينة قليوب وهي مدينة عظيمة يقولون إنه كان بها ألف وسبعمائة بستان، ولكن لم يبق إلا القليل. وبها من أنواع الفاكهة شيء كثير في غاية الرخص، وبها السردوس(١٤٥) الذي هو أحد نزه الدنيا، يسار فيه يومان بين بساتين مشتبكة وأشجار ملتفة وفواكه فاخرة ورياض ناضرة، وهي حفير هامان(١٤٦) وزير فرعون(١٤٧). يقال إنه لما حفرها جعل أهل البلاد يخرجون إليه ويسألونه أن يجريها إليهم ويجعلون له على ذلك ما شاء من المال، ففعل وحصل من أهل البلاد مائة ألف

ادوكسيس الرياضي الحكمة والفلسفة وعلم الفلك و تخرج كلود بطليموس الجغرافي الخالد الذكرهنا في هذة الجامعة تعلم الناس قياس الزمن علي اساس ان السنة الشمسية وحدة في التوقيت.

(١٤٣) البستان : الحديقة وهي فارسية معربة من بو : الرائحة و ستان : المكان (اللسان ١ / ٢٧٩).

(١٤٤) لم يتبقى من البستان سوى شجرة وحيدة محاطة بسور ضخم وهي شجرة مريم عليها السلام.

(١٤٥) السردوس : ويقال السردوسي بزيادة ياء في آخره وهو الذي حفره هامان لفرعون. وكان هذا الخليج أحد نزهات الدنيا يسار فيه يوما بين بساتين مشتبكة وأشجار ملتفة وفواكه دانية، الآن فقد ذهب ذلك وبطل الخليج.

(١٤٦) هامان : وزير فرعون الأكبر ورد في القرآن ست مرات، وكان ذو شأن في بلاط فرعون وربما جاءت كلمة هامان من ها + آمان الفرعونية بمعنى النافذ الى آمون والتي تدل على أنه كبير الكهنة والوزراء (من إعجاز القرآن ج١، دار الهلال، ص ٦٠

(١٤٧) فرعون : لقب للملوك المصريين القدامى، ومن ذلك فرعون موسى الذي كان في أيام موسى - عليه السلام - وكلمة (فرعون) في اللغة المصرية القديمة معناها : المنزل العظيم، فكانت الكلمة في البداية وصفا للقصر الملكي ثم صارت وصفا للملك.- وتطلق كلمة (فرعون) على كل طاغية متجبر، كما قيل في أبي جهل : فرعون هذه الأمة، لما قام به من الأذى للنبي - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه (أنظر للباحث، قاموس المصطلحات التاريخية، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٧).

ألف دينار[١٤٨] فحملها إلى فرعون؛ فسأله من أين هذا المال الكثير؛ فأخبره أن أهل البلاد سألوا منه اجراء الماء إلى بلادهم وجعلوا هذا المال مقابلة لذلك فقال فرعون: بئس ما صنعت من أخذ هذه الأموال، أما علمت أن السيد المالك ينبغي له أن يعطف على عبيده ولا يأخذ منهم على إيصال منفعة أجراً ولا ينظر إلى ما بأيديهم؟ اردد المال إلى أربابه ولا تأتِ بمثلها

الجيزة[١٤٩]: وهي مدينة عظيمة على ضفة النهر الغربية ذات قرى ومزارع، وبها خصب كثير وخير واسع، وبها القناطر التي لم يعمل مثلها وهي أربعون قوساً على سطر واحد، وبها الأهرام التي هي من عجائب الدنيا لم يبن على وجه الأرض مثلها في إحكامها وإتقانها وعلوها، وذلك أنها مبنية بالصخور العظام وكانوا حين بنوها يثقبون الصخر من طرفيه ويجعلون فيه قضيباً من حديد قائم ويثقبون الحجر الآخر وينزلونه فيه ويذيبون الرصاص ويجعلونه في القضيب بصنعة هندسية حتى كمل بناؤها، وهي ثلاثة أهرامات، ارتفاع كل هرم منها في الهواء مائة ذراع بالملكي، وهو خمسمائة ذراع بالذراع المعهود بيننا، وضلع كل هرم من جهاته ذراع بالملكي.

---

(١٤٨) الدينار : فارسي معرب وأصله دين آر أي الشريعة جاء بها والدينار ستون حبة والحبة تساوي حبة الشعير ويسمى المثقال من الذهب من الذهب ديناراً (أحمد الشرباصي، المعجم الاقتصادي الإسلامي، ١٦٤).

(١٤٩) الجيزة : هي من المدن القديمة التي أنشئت وقت فتح العرب لمصر ، وقال ياقوت في معجم البلدان : الجيزة في لغة العرب : معناها الوادي أو أفضل موضع فيه ورد في كتاب الانتصار أن مدينة الجيزة هي مدينة إسلامية بنيت في سنة ٢١هـ وورد في أحسن التقاسيم للمقدسي أن الجيزة مدينة خلف العمود (يقصد مقياس النيل)، كانت الطريق إليها من الجزيرة على جسر، إلى أن قطعه الخليفة الفاطمي عاصمتها مدينة الجيزة التي أنشئت سنة ٢٠هـ مع الفتح الإسلامي لمصر وحالياً هي احدى محافظات مصر.بلغ إجمالي سكانها التقديري ٥.٢ مليون نسمة في أول يناير ٢٠٠١. وتنقسم المحافظة إدارياً إلى ٩ مراكز، ١١ مدينة، ٧ أحياء، ٥٢ وحدة محلية قروية، ١٧٠ قرية تابع، ٦٣٧ كفر ونجع.

وهي مهندسة من كل جانب محددة الأعالي من أواخر طولها على ثلثمائة ذراع. يقولون إن داخل الهرم الغربي ثلاثين مخزناً من حجارة صوان ملونة مملوءة بالجواهر النفيسة والأموال الجمة والتماثيل الغريبة والآلات والأسلحة الفاخرة التي قد دهنت بدهان الحكمة فلا تصدأ أبداً إلى يوم القيامة. وفيه الزجاج الذي ينطوي ولا ينكسر، وأصناف العقاقير المركبة والمفردة والمياه المدبرة. وفي الهرم الشرقي الهيئات الفلكية والكواكب، منقوش فيها ما كان وما يكون في الدهور والأزمان إلى آخر الدهر(١٥٠). وفي الهرم الثالث أخبار الكهنة (١٥١) في توابيت صوان مع كل كاهن لوح من ألواح الحكمة وفيه من عجائب صناعاته وأعماله. وفي الحيطان من كل جانب أشخاص كالأصنام تعمل بأيدها جميع الصناعات على المراتب. ولكل هرم منها خازن. وكان المأمون(١٥٢) لما دخل الديار المصرية أراد هدمها فلم يقدر على ذلك فاجتهد وأنفق أموالاً عظيمة حتى فتح في أحدها طاقة صغيرة، يقال إنه وجد خلف الطاقة من الأموال قدر الذي أنفقه لا يزيد ولا ينقص، فتعجب من ذلك وقال:

انظــر إلى الهــرمين واســمع مــنهما ... مــا يرويــان عــن الزمــان الغابــر

---

(١٥٠) الدهر: جمع أوقات متوالية مختلفة وهو مدة الحياة الدنيا كلها (اللسان، مادة دهر، والفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص ٢٢٣).

(١٥١) الكهانة: Divination: ادعاء علم الغيب.

(١٥٢) المأمون (الخليفة العالم) (٨١٣ -٨٣٣ هـ): عبد الله أبو العباس بن الرشيد ولد سنة سبعين ومائة في ليلة الجمعة منتصف ربيع الأول وهي الليلة التي مات فيها الهادي واستخلف أبوه. قرأ العلم في صغره، و سمع الحديث من أبيه وكان أفضل رجال بني العباس حزماً وعزماً وحلماً وعلماً ورأياً ودهاء وهيبة وشجاعة وسوددا وسماحة. استقل المأمون بالأمر بعد قتل أخيه سنة ثمان وتسعين وهو بخرسان واكتنى بأبي جعفر. ومات المأمون يوم الخميس لاثنتي عشرة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة بالبدندون من أقصى الروم ونقل إلى طرطوس فدفن بها.

لـــو ينطقـــان لخبّـرانـــا بـالـــذي — فعـــل الزمـــان بـــأوّلٍ وبـآخـــر

وقال غيره:

خليلي مـا تـحـت الـسـمـاء بـنـيّـةٌ — تناسـب في إتقانها هـرمـي مـصـر

بنـــاء يخـــاف الـدهـــر مـنـــه — وكل على ظاهر الدنيا يخاف من الـدهر

وقال آخر:

أيـــن الـــذي الهرمـــان مـــن بنيانـــه — مـــا قومـــه، مـــا يومـــه، مـــا المـصرع؟

تتخلّـــف الآثـــار عـــن أصحـابهـــا — حينـــاً ويـــدركها الفنـــاء فتـــصـرع

الفيوم(١٥٣): وهي مدينة عظيمة بناها يوسف الصديق عليه السلام، ولها نهر يشقها. ونهرها من عجائب الدنيا، وذلك أنه متصل بالنيل وينقطع منه في أيام الشتاء وهو يجري على العادة. ولهذه المدينة ثلثمائة وستون قرية عامرة آهلة، كلها مزارع وغلال. ويقال إن الماء في هذا الوقت أخذ أكثرها. وكان يوسف عليه السلام قد جعلها على عدد أيام السنة فإذا أجدبت(١٥٤) الديار المصرية كانت كل قرية تقوم بأهل مصر يوماً، وبأرض الفيوم بساتين وأشجار وفواكه كثيرة رخيصة وأسماك

---

(١٥٣) كانت الفيوم في العصور القديمة هي المقاطعة ٢١ من الأقاليم الإدارية للوجه القبلي وكانت تسمى Mc rt-phtوتعنى الشجرة السفلي، وكانت هي والمقاطعة ٢٠ تكونان مقاطعة واحدة قبل أن تستقل كل منهما عن الأخرى وقد سميت الفيوم بإسم (مير وير) أى البحر العظيم يوم كانت المياه تغمر كل منخفض الفيوم، ثم سميت شيدتsdt sdt أى أرض البحيرة المستخلصة بناءاً على عمليات إستصلاح الأراضي باستخلاصها من مياه البحيرة، وفى العصر اليونانى الرومانى أطلق عليها اسم (كريكوديلوبوليس Crocoddilipolis) لوجود التمساح بالمنطقة والذى كان معبوداً بها تحت إسم (الإله سبك) وكان يطلق عليها أيضاً إسم (برسوبك) أى دار الإله سوبك وتغير الإسم إلى (أرسينوى) تكريماً لأخت زوجة بطليموس الثاني فيلادلفوس، وذكر في النصوص Q١٠ ? و Q١٠ وهى أصل ديموطيقى ym٣P- أى بى يم معناها اليم أو البحيرة التى تحورت إلى فيوم وأضيفت إليها آداة التعريف العربية بعد الفتح العربي إضافة إلى آداة التعريف المصرية p فأصبحت (الفيوم)وتقع مدينة الفيوم فى قلب مصر بين الدلتا والصعيد جنوب غرب القاهره بمسافة مائة كيلو متر وهى إحدى الواحات الموجوده بالجمهوريه وتعتبر صوره مصغره لمصر حيث يمثل بحر يوسف نيلها ودلتاها وتمثل بحيرة قارون شمالها الساحلى.. وتعتبر الفيوم من أهم المناطق السياحيه فى مصر حيث تتجمع فيها كل عناصر الجذب السياحى حيث تمتاز بجمال الطبيعه وجوها المعتدل طول العام، وقد ظهرت فيها حضارات ماقبل التاريخ والتى تركت بصماتها الخالده من خلال الآثار الفرعونيه واليونانيه والرومانيه والقبطيه والإسلاميه وتبلغ مساحتها ٦٠٦٨.٧٠ كيلومتر مربع وتضم خمسة مراكز إداريه هى (الفيوم - سنورس - إطسا - طاميه - أبشواى).

(١٥٤) الجدب : القحط وليس بها قليل ولا كثير ولا مرتع ولا كلأ (اللسان ١ / ٥٥٧).

زائدة الوصف، وبها من قصب السكر شيء كثير، ويقال إنه كان على الفيوم وإقليمها كلها سور واحد.

سخا(١٥٥): مدينة حسنة، ولها إقليم واسع، بجامعها حجر أسود عليه طلسم بقلم الطير، إذا أخرج ذلك الحجر من الجامع دخله العصافير، وإذا دخل إليه خرجت العصافير.

وأما أنصنا(١٥٦) والأشمونان(١٥٧) وأبو صير(١٥٨): فمدن أزلية وبها آثار عجيبة وأعلام هائلة. ويقال إن سحرة فرعون كانوا من مدينة أبي صير، وبها الآن بقية منهم.

وأما أسيوط وأخميم ودندرا: فمدن أزلية بها آثار عجيبة وأعلام هائلة.

---

(١٥٥) مدينة سخا : مركز كفر الشيخ بمحافظة كفر الشيخ بمصر. وتقع على بعد ٢ كم جنوب مدينة كفر الشيخ. وهى "خاسوت" الفرعونية و"اكسويز" اليونانية الرومانية وكانت سخا عاصمة الإقليم السادس من أقاليم الوجه البحرى وقد كانت مقراً وعاصمة للأسرة الرابعة عشرة الفرعونية.

((١٥٦ أنصنا : كورة من مصر في الصعيد شرقي النيل، خرجت علماء نسبوا إليها.

(١٥٧) الأشمونين Hermopolis : كانت الأشمونين مدينة هامة من اقدم مدن مصر وكان اسمها باللغة المصرية القديمة خمنو وتكتب بالهيروغليفية ومعناها ثمانية وذلك نظراً لعدد آلهتها الثمانية وأكبرهم توت المرموز إليه بطير اللقلق وقد تطورت الكلمة فصارت تكتب باللغة القبطية ويذكر كتاب صبح الاعشى أن أقليم الأشمونين كان ممتدا من تلا بالمنيا إلي أخميم بسوهاج.

(١٥٨) أبو صير : كانت تعتبر أبو صير موقع المنسيين من ملوك الأسرة الخامسة. وبالرغم من تعدد الآثار الخاصة بهم، لم يحظ هؤلاء الملوك بنفس الشهرة التى حظى بها أسلافهم وتقع أبوصير في شمال منطقة سقارة، ويوجد بها بقايا معابد الشمس، والأهرامات وبعض مقابر كبار رجال الدولة من الأسرة الخامسة ونذكر من هذه الآثار، هرم نفر افر المميز. فبالرغم انه فى حالة سيئة وغير مكتمل إلا أنه تم العثور على قطع هامة بداخله، منها مجموعة تماثيل لملوك الدولة القديمة.

وزماخر: وهي مدينة حسنة كثيرة الفواكه يقرب منها جبل الطليمون وهو يأتي من جهة المغرب فيعترض مجرى نهر النيل، والماء ينصب إليه بقوة حتى يمنع المراكب فلا يقدرون على الجواز عليه إلى أسوان. ذكروا أن كرهية الساحرة كانت ساكنة بأعلى هذا الجبل في قصر عظيم، وكانت تتكلم على المراكب المقلعة في البحر فتقف

وأسوان(١٥٩): وهي آخر الصعيد الأعلى، وهي مدينة صغيرة عامرة كثيرة اللحوم والأسماك والغزلان. وليس يتصل بأسوان من جهة المشرق بلد للإسلام إلا جبل العلاقي، وهو جبل في واد جاف لا ماء به لكن يحفر عليه فيوجد الماء قريباً فيسمى معيناً، وبه معدن الذهب والفضة وعلى جنوبه من النيل جبل في أسفله معدن الزمرد في برية منقطعة عن العمارة ليس في الأرض كلها معدن للزمرد سواه. ويتصل بأسوان من جهة المغرب أرض الواحات، وبديار مصر معدن الملح والنطرون، وهما من عجائب الدنيا.

وأما رمال الضليم: فإنها آية من آيات الله عز وجل، فإنه يؤخذ العظم فيدفن في ذلك الرمل سبعة أيام فيعود حجراً صلداً. وكان على أسوان وأرضها سور محيط من جانبيها فتهدم ويقال له حائط العجوز الساحرة.

أرض القلزم: وهي بين مصر والشام وهو بحر في ذاته، وفيه جبال فوق الماء، وفيه قروش وحيوانات مضرة ظاهرة ومخفية. وكانت القلزم مدينتين عظيمتين فتهدمتا من تسلط العرب على أهلهما وشربهما من عين سدير وهي وسط الرمل، وماؤه زعاق، وبين القلزم وهو منتهى بحر فارس الآخذ من المحيط الشرقي من الصين وبين البحر الشامي مسافة أربع مراحل يسمى بحصين التيه، وهو تيه بني

((١٥٩ تعتبر محافظة أسوان بوابة مصر المحروسة من جهة الجنوب و هي حلقة الربط بين شطري وادي النيل شماله وجنوبه وهي نقطة الإتصال بين مصر وإفريقيا، والمحافظة تقع ضمن إقليم جنوب الصعيد.

إسرائيل، وهي أرض واسعة ليس بها وهدة[١٦٠] ولا رابية ولا قلعة، ومسافتها خمسة أيام في خمسة.

ومن مدنه المشهورة عقبة أيلة وهي قرية مشهورة على جبل عال صعب المرتقى، يكون ارتفاعه والانحدار منه يوماً كاملاً. وهي طريق لا يمكن أن يجوز فيها إلا واحد واحد، على جانبها أودية بعيدة المهوى.

والحوزى: وهي قرية صغيرة بها معدن البرام، ويحمل منها إلى سائر أقطار الأرض. وشربهم من آبار عذبة. وهي على ساحل بحر القلزم.مدينة مدين: وهي خراب، وبها البئر التي استسقى منها موسى لغنم شعيب عليهما السلام، وهي الآن معطلة.

أرض البادية: هي ما بين أرض الشام والحجاز(١٦١) وتسمى أرض الحجر.

أرض الشام: وهو إقليم عظيم كثير الخيرات جسيم البركات ذو بساتين وجنات وغياض وروضات وفرج ومنتزهات وفواكه مختلفة رخيصة. وبها اللحوم كثيرة، إلا أنها كثيرة الأمطار والثلوج. وهو يشتمل على ثلاثين قلعة وليس فيها أمنع من قلعة الكرك. وإقليم الشام يشتمل على مثل كورة فلسطين وكورة عمدان بينيا، وكورة يافا، وكورة قيسارية، وكورة طرابلس، وكورة سبيطة، وكورة عسقلان، وكورة حطين، وكورة غزة، وكورة بيت جبريل، وفي جنوبه فحصى التيه وكورة الشويك، وكورة الأردن وكورة لبنان، وكورة بيروت وكورة صيدا، وكورة التبينة،

---

(١٦٠) الوهدة : أي الأرض المنخفضة وتجمع على وهاد (لسان العرب مادة (وهد) .

(١٦١) الحجاز : حجز بين نجد وتهامة، فيها مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة، والطائف، وخيبر، وفدك، وتبوك (ياقوت، معجم ٢ / ٢١٩).

وكورة السامرة، وكورة عانة، وكورة ناصرة وكورة صور. **وأرض دمشق**(١٦٢): من كورها كورة الغوطة وكورة البقاع وكورة بعلبك، وكورة جولان، وكورة ظاهر، وكورة الحولة، وكورة طرابلس، وكورة البلقاء، وكورة جبريل الغور، وكورة كفر طاب، وكورة عمان، وكورة السراة.

ومن مدن الشام الشهيرة دمشق المحروسة وهي أجمل بلاد الشام مكاناً وأحسنها بنياناً وأعدلها هواء وأغزرها ماء. وهي دار مملكة الشام ولها الغوطة التي لم يكن على وجه الأرض مثلها، بها أنهار جارية مخترقة وعيون سارحة متدفقة وأشجار باسقة وثمار يانعة وفواكه مختلفة وقصور شاهقة. ولها ضياع كالمدن.

---

(١٦٢) دمشق : هي أقدم عاصمة في العالم، ويقول البعض أنها أقدم مدينة مأهولة في العالم أيضاً. ورد ذكرها في مخطوطات مصرية تعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ويعود نشوء دمشق إلى تسعة آلاف سنة قبل الميلاد، كما دلت الحفريات بالقرب من منها في موقع تل الرماد وقد اختلفت الروايات التاريخية في تحديد معنى تسميتها، والأرجح أنها كلمة ذات أصول اشورية قديمة تعني الأرض الزاهرة أو العامرة، ومن اسمائها أيظاً جلق والشام وشامة الدنيا وكنانة الله والفيحاء كما تدعى دمشق الفيحاء. دخلت الجيوش العربية الإسلامية دمشق في القرن السابع، وتحولت المدينة في العصر الأموي من مركز ولاية إلى عاصمة امبراطورية تمتد إلى حدود الصين شرقا والى مياه الأطلسي والأندلس غربا. ارتفعت قصور الخلفاء في العاصمة الأموية وامتدت فيها مساحة العمران، وكان من أهم مبانيها في ذاك العهد جامع بني أمية الكبير الذي بني في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، وهو الصرح الذي يبقى واحدا من أجمل المباني العربية الإسلامية في العالم. وحالياً دمشق هي العاصمة السورية وهي أقدم عاصمة مأهولة في العالم، وقد كانت احتلت مكانة مرموقة في مجال العلم والثقافة والسياسة والفنون خلال الألف الثالث ق. م، وأصبحت عاصمة الدولة العربية الإسلامية عام ٦٦١ أيام الأمويين. و يعرف أنه في نهاية الألف الثاني (ق. م.) أسس الزعيم الآرامي ريزون مملكته في دمشق. يبلغ عدد سكان دمشق وريفها حوالي ٤.٥ مليون نسمة حسب إحصائية عام ٢٠٠٤ م. تقع المدينة بالقرب من سلسلة جبال لبنان الشرقية في جنوب غرب البلاد. القسم الأكبر من دمشق، بما فيه المدينة القديمة، يقع على الضفة الجنوبية لنهر بردى، بينما تنتشر الأحياء الحديثة على الضفة الشمالية. مدينة دمشق هي بنفس الوقت محافظة دمشق.

وبدمشق الجامع المعروف ببني أمية الذي لم يكن على وجه الأرض مثله، بناه الوليد بن عبد الملك وأنفق عليه أموالاً عظيمة، قيل: إن جملة ما أنفق عليه أربعمائة صندوق من ذهب، وكل صندوق أربعة عشر ألف دينار. واجتمع في ترخيمه اثنا عشر ألف مرخم. وقد بني بأنواع الفصوص المحكمة والمرمر المصقول والجزع المكحول. ويقال إن العمودين اللذين تحت قبة النسر اشتراهما الوليد بألف وخمسمائة دينار، وهما عمودان مجزعان بحمرة لم ير مثلهما. ويقال إن غالب رخام الجامع كان معجوناً، ولهذا إذا وضع على النار ذاب. وفي وسط المحيط الفاصل بين الحرم والصحن عمودان صغيران يقال إنهما كانا في عرش بلقيس. ومنارة الجامع الشرقية يقال: إن المسيح ينزل عليها، وعندها حجر يقال إنه قطعة من الحجر الذي ضربه موسى بعصاه فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً. قال بعض السلف الصالح: مكثت أربعين سنة ما فاتتني صلاة من الخمس بهذا الجامع وما دخلته قط إلا وقعت عيني على شيء لم أكن رأيته قبل ذلك من صناعة ونقش وحكمة

ومن باب دمشق الغربي وادي البنفسج، طوله اثنا عشر ميلاً في عرض ثلاثة أميال، مفروش بأجناس الثمار البديعة المنظر والمخبر، ويشقه خمسة أنهار. ومياه الغوطة كلها تخرج من نهر الزبداني وعين الفيجة، وهي عين تخرج من أعلى جبل وتنصب إلى أسفل بصوت هائل ودوي عظيم، فإذا قرب إلى المدينة تفرق أنهاراً وهي بردى ويزيد وتورة وقناة المزة وقنوات الصوف وقنوات بانياس وعقربا. واستعمال هذا النهر للشرب قليل لأن عليه مصب أوساخ المدينة. وهذا النهر يشق المدينة وعليه قنطرة. وكل هذه الأنهار يخرج منها سواق تخترق المدينة فتجري في شوارعها وأسواقها وأزقتها وحماماتها ودورها وتخرج إلى بساتينها.

والشام خمس شامات هكذا قرر في كتاب العقد الفريد: فالشام الأولى: غزة والرملة وفلسطين وعسقلان وبيت المقدس، ومدينتها الكبرى فلسطين. والشام الثانية: الأردن وطبرية والغور واليرموك وبيسان، ومدينتها الكبرى طبرية. والشام الثالثة الغوطة: ودمشق، وسواحلها. ومدينتها الكبرى دمشق. والرابعة: حمص وحماة وكفر طاب وقنسرين وحلب. والخامسة: أنطاكية والعواصم والمصيصة وطرسوس.

فأما فلسطين[١٦٣] : فهي أول أجواز الشام من الغرب، وماؤها من الأمطار والسيول وأشجارها قليلة لكنها حسنة البقاع. وهي من رفح إلى اللجون طولاً ومن

---

(١٦٣) فلسطين : هي جزء طبيعي من بلاد الشام ومنطقة تاريخية تقع شرق البحر الأبيض المتوسط تصل بين جزئي العالم العربي الأسيوي والأفريقي بوقوعها وشبه جزيرة سيناء عند نقطة إلتقاء القارتين، حدودها ما بين نهر الأردن والبحر المتوسط. وتحتوي هذه المنطقة على عدد كبير من المدن الهامة وعلى رأسها مدينتي القدس وبيت لحم وحيفا. العرب الكنعانيون كانوا أول السكان المعروفين لفلسطين. خلال الألف الثالثة قبل الميلاد وقد أصبحوا مدنيين يعيشون في دول ومدن منها أريحا. طوّروا أبجدية ومنها إشتقّت أنظمة كتابة آخرى. موقع فلسطين في مركز الطرق التي تربط الثلاث قارات جعل لها موقع للاجتماع الديني و التأثير الثقافي على مصر، سوريا، بلاد ما بين النهرين، وآسيا الصغرى. وكانت أيضا ساحة للحروب بين القوى العظمى في المنطقة و خاضعة لهيمنة الإمبراطوريات المجاورة، بدأ بمصر في ألفية الثالثة قبل الميلاد. الهيمنة المصرية والحكم الذاتي للكنعانيين كانا بشكل دائم في تحدّ خلال ألفية الثانية قبل الميلاد من قبل غزاة متنوّعين عرقيا كالعموريون، هيتيتيس، وهورريانس. على أية حال، هزم الغزاة من قبل المصريين والكنعانيون وفتحت الجيوش العربية الإسلامية فلسطين والقدس في العام ٦٣٨ م بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، تصاعدت حدّة هجمات الجماعات الصهيونية على القوات البريطانية في فلسطين، مما حدا ببريطانيا إلى احالة المشكلة الفلسطينية إلى الامم المتحدة، وفي ٢٨ ابريل بدأت جلسة الجمعية العامة التابعة للأمم المتحدة بخصوص قضية فلسطين، واختتمت اعمال الجلسات في ١٥ مايو بقرار تأليف لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين (UNSCOP)، وهي لجنة مؤلفة من ١١ عضوا، نشرت هذه اللجنة تقريرها في ٨ سبتمبر الذي أيد معظم افرادها حل التقسيم، بينما اوصى الاعضاء الباقون بحل فيدرالي، فرفضت الهيئة العربية العليا اقتراح التقسيم اما الوكالة اليهودية فاعلنت

يافا إلى زعر عرضاً، وهي مدينة قوم لوط(١٦٤)، والبحيرة التي بها يقال لها البحيرة المنتنة. ومنها إلى بيسان وطبرية يسمى الغور لأنها بقعة بين جبلين وسائر مياه الشام تنحدر إليها.

نابلس(١٦٥): هي مدينة السامرية؛ وبها البئر التي حفرها يعقوب عليه السلام، وجلس عليه السلام يطلب من المرأة ماء للشرب. وعلى ذلك المكان كنيسة معهودة.عسقلان: هي مدينة حسنة، ولها سوران، وهي ذات بساتين وثمار وبها من الزيتون والكروم واللوز والرمان شيء كثير. وهي في غاية الخصب.

بيت المقدس: ويسمى إيلياء وهي حسنة ولها سوران عظيمان بين جبلين. وفي طرفها الغربي باب المحراب وعليه قبة داود عليه السلام. وفي طرفها الشرقي باب

قبولها بالتقسيم، ووافق كل من الولايات الامريكية المتحدة والاتحاد السوفييتي على التقسيم على التوالي، واعلنت الحكومة البريطانية في ٢٩ أكتوبر عن عزمها على مغادرة فلسطين في غضون ستة أشهر اذا لم يتم التوصل إلى حل يقبله العرب والصهيونيون وفي ١٣ مايو وجه حاييم وايزمان رسالة إلى الرئيس الامريكي ترومان يطلب فيها منه الايفاء بوعده الاعتراف بدولة يهودية، واعلن عن قيام دولة إسرائيل في تل ابيب بتاريخ ١٤ مايو الساعة الرابعة بعد الظهر، وغادر المندوب السامي البريطاني مقره الرسمي في القدس متوجها إلى بريطانيا، وفي أول دقائق من ١٥ مايو انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين وأصبح الاعلان عن قيام دولة إسرائيل نافذ المفعول، واعترفت الولايات الامريكية المتحدة بدولة إسرائيل بعد ذلك بعشرة دقائق، ولكن القتال استمر ولكن هذه الآن اصبحت الحرب بين دولة إسرائيل والدول العربية المجاورة وحتى الان فلسطين محتلة وتنتظر من يحررها.

(١٦٤) هو لوط بن هاران بن تارح، ابن أخي ابراهيم، وقومه هم أهل سدوم، وكانوا لا يعبدون الله، ويأتون الخبائث (اتيان الذكور في أدبارهم) وطردوا لوط لأنه طاهر ومعه أهله، وسار لوط الى أرض الشام بعد أن طهره الله من أهل الفجور (تاريخ الطبري (١ / ٢٤٤)، المحبر (٤٦٧).

(١٦٥) نابلس : هي احدى أكبر المدن الفلسطينية سكانا واهما موقعا،-أكبر المدن الفلسطينية مساحة- حيث يقدر عدد سكانها ب ٣١١٤٠٠ نسمة (٢٠٠٦)، اما محافظة نابلس بالمدينة وقراها البالغ عددها ٥٦ قرية فيقدر عدد سكانها ب ٣٣٦٣٨٠ نسمة(٢٠٠٦).

الرحمة، وكان يقفل فلا يفتح من عيد الزيتون إلى عيد الزيتون. ومن الباب الغربي يسار إلى الكنيسة العظمى المسماة بكنيسة القيامة(١٦٦) وهي المعروفة بكنيسة قمامة، وتحج إليها الروم من سائر الأقطار. ويقابلها من المشرق كنيسة الحبس الذي فيه المسيح عيسى عليه السلام. وبها مقابر الفرنج وشرقيه المسجد المعظم المسمى بالأقصى، وليس في الدنيا كلها مسجد على قدره إلا جامع قرطبة من بلاد الأندلس. وطول المسجد الأقصى مائتا باع في عرض مائة وثمانين. وفي وسطه قبة عظيمة تسمى قبة الصخرة(١٦٧). ويقال إن سقف جامع قرطبة أكبر من سقف الأقصى وصحن الأقصى أكبر من صحن جامع قرطبة. وبالقرب من باب الأسباط كنيسة حسنة كبيرة

---

(١٦٦) كنيسة القيامة : من أعرق كنائس بيت المقدس، تقع على مقربة من قبة الصخرة المشرفة في البلدة القديمة في القدس، حيث تم بنائها في عهد الإمبراطور قسطنطين بأمر من أمه الملكه هيلانة سنة ٣٢٥ ميلادية. تمتعت كنيسة القيامة ولا تزال بأهمية استثنائية وقد وصفها الرحالة المسلمون الذين زاروا بيت المقدس ومنهم ناصر خسروا الذي يقول:"للنصارى في بيت المقدس كنيسة لها عندهم مكانة عظيمة ويحج إليها كل سنة كثير من بلاد الروم

(١٦٧) تعتبر قبة الصخرة المشرفة إحدى أهم المعالم المعمارية الإسلامية في العالم: ذلك أنها إضافة إلى مكانتها وقدسيتها الدينية، تمثل أقدم نموذج في العمارة الإسلامية من جهة. ولما تحمله من روعة فنية وجمالية تطوي بين زخارفها بصمات الحضارة الإسلامية على مر فتراتها المتتابعة من جهة أخرى، حيث جلبت انتباه واهتمام الباحثين والزائرين وجميع الناس من كل بقاع الدنيا لما امتازت به من تناسق وانسجام بين عناصرها المعمارية والزخرفية حتى اعتبرت آية من في الهندسة المعمارية، تتوسط قبة الصخرة المشرفة تقريباً ساحة الحرم الشريف، حيث تقوم على فناء (صحن) يرتفع عن مستوى ساحة الحرم حوالي ٤م، ويتوصل إليها من خلال البوائك (القناطر) التي تحيط بها من جهاتها الأربع، بنى هذه القبة المباركة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٤-٧٠٥م)، حيث بدأ العمل في بنائها سنة ٦٦هـ/ ٦٨٥م، وتم الفراغ منها سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م. وقد اشرف على بنائها المهندسان العربيان رجاء بن حيوة وهو من بيسان فلسطين ويزيد بن سلام مولى عبد الملك بن مروان وهو من القدس (مجير الدين (١٩٧٣)، ج١، ٢٧٢-٢٧٣).

وفيها قبر مريم[١٦٨] أم عيسى عليهما السلام وتعرف بالجسمانية. وهناك جبل يقال له جبل الزيتون، وبهذا الجبل قبر العاذر الذي أحياه الله للمسيح عليه السلام. وعلى الميامن من جبل الزيتون قرية منها جلب حمار المسيح. وقريب من قبر غاذر مدينة أريحاء وعلى الأردن كنيسة عظيمة على اسم يوحنا المعمدان. والأردن نهر يخرج من بحيرة طبرية ويحط في بحيرة سدوم وعامورا[١٦٩] مدائن لوط. وبجنوب بيت المقدس كنيسة صهيون وهي التي فيها قلاية يقال إن المسيح أكل فيها مع حوارييه من المائدة لما أنزلت عليه؛ ويقال إن المائدة باقية فيها. وهي كنيسة حصينة وفيها على طرف الخندق كنيسة **بطروس**، وبهذا الخندق عين سلوان وهي التي أبرأ فيها المسيح الضرير الأعمى، ويقرب منها الحقل وهو مقابر الغرباء، وبها بيوت كثيرة منقورة في الصخر، وفيها رجال مقيمون قد حبسوا أنفسهم لله تعالى فيها.

وأما بيت لحم: فهي كنيسة حسنة البناء متقنة الصنعة، وهو الموضع الذي ولد فيه عيسى(١٧٠) عليه السلام، وبينه وبين بيت المقدس ستة أميال، وفي وسط الطريق

(١٦٨) هي مريم بنت عمران بن ماثان أم السيد المسيح عليه السلام، ولدته دون أن يمسسها بشر، وأمها حنة بنت فاقوذ (تاريخ الطبري (٢ / ٥٨٦)، والمحبر (١ / ٥٥) رُوي أنّ حنّة زوجة عمران كانت عاقراً لم تلد، إلى أن عجزت، فبينما هي في ظلّ شجرة أبصرت بطائر يطعم فرخاً له، فتحرّكت عاطفتها للولد وتمنّته فقالت: يا ربّ إنّ لك عليّ نذراً، شكراً لك، إن رزقتني ولداً أن أتصدّق به على بيت المقدس فيكون من سَدَنته وخدمه. وقد استجاب لها الله سبحانه، فحملت، وأثناء حملها توفي زوجها عمران، كانت حياة السيدة مريم(ع) عبارة عن سلسلة من الامتحانات والبلاءات والمعاجز والصبر على ما كتب الله تعالى.

(١٦٩) مدينتا سدوم وعامورة : أشهر مدينتين من المدن المطلة على البحر الميت التي ورد ذكرها في العهد القديم في سفر التكوين، وقيل عنهما أنهما معقل الفاسدين والآثمين. وقد غضب الله على هاتين المدينتين فتعرضتا للدمار والخراب، وتحولتا إلى قفر بعد أن كانتا تتسمان بخصوبة أرضهما. وهما مدائن سيدنا لوط.

(١٧٠) ورد اسم عيسى عليه السلام في القرآن خمساً وعشرين مرة وهو عيسى ابن مريم بنت عمران وهو آخر أنبياء بني اسرائيل كما أنه رسول الله وكلمته عيسى بشر ككل البشر وأن الله خلقه كما خلق آدم بدون أب، وأن أمه مريم صديقة اختارها الله لمعجزته بولادة عيسى من غير ذكر. و قد اختاره المولى ليكون نبي

قبر راحيل(١٧١) أم يوسف الصديق(١٧٢) عليه السلام. ويقرب من ذلك مسجد الخليل عليه السلام، وهو قرية ممتدة بها قبر الخليل إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام. وكل صاحب قبر من قبورهم تجاهه امرأته، وهو في وهدة بين جبلين، ملتفة الأشجار كثيرة الثمار.

طبرية(١٧٣): هي مدينة جليلة على جبل مطل، وأسفلها بحيرة عذبة، وبها مراكب سابحة ولها سور حصين ويعمل بها من الحصر السامان كل حسن بديع وبها

قومه وأيده بالمعجزات من إحياء الموتى بإذن الله وغيرها أوحي إليه الإنجيل، ورفعه الله اليه، وسوف يعود ليملأ الأرض عدلاً ورحمة [راجع : الموسوعة الثقافية، مؤسسة دار الشعب، ١٩٧٢ م / ١٣٩٢ هـ]

(١٧١) راحيل الزوجة الثانية ليعقوب ووالدة النبي يوسف، ذكر إسمها في العهد القديم من الكتاب المقدس، راحيل بالعبرية تعني نوع من النعجة (حسب السياق الذي تظهر هذه الكلمة فيه في أماكن أخرى من سفر التكوين وفي سفر نشيد الأنشاد).

(١٧٢) هو يوسف بن يعقوب من زوجته راحيل، ولد في "فدان آرام" بالعراق حينما كان أبوه عند خاله (لابان)، ولما عاد أبوه إلى الشام – مهجر الأسرة الإبراهيمية – كان معه حدثاً صغيراً. قالوا: وكان عمر يعقوب لما ولد له يوسف (٩١) سنة، وإن مولد يوسف كان لمضي (٢٥١) سنة من مولد إبراهيم، توفيت أمه وهو صغير، فكفلته عمته وتعلقت نفسها به، فلما اشتد قليلاً أراد أبوه أن يأخذه منها، فضنَّت به وألبسته منطقة لإبراهيم كانت عندها وجعلتها تحت ثيابه، ثم أظهرت أنها سُرقت منها، وبحثت عنها حتى أخرجتها من تحت ثياب يوسف، وطلبت بقاءه عندها يخدمها مدةً جزاءً له بما صنع، وبهذه الحيلة استبْقَتْه عندها، وكف أبوه عن مطالبتها به، كان يوسف أثيراً عند أبيه من بين إخوته، وقد رأى يوسف – وهو غلام صغير – رؤيا قصها على أبيه، فقال له أبوه: {لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ} [يوسف: ٥]، وذلك خشية عليه من حسدهم. وخلاصة الرؤيا: أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له، فعرف يعقوب أنها تتضمن مجداً ليوسف يجعل إخوته وأبويه يخضعون لسلطانه (للمزيد أقرأ سورة يوسف).

(١٧٣) تقع مدينة طبرية في الجزء الشمالي الشرقي لفلسطين وهي قائمة على شاطئ بحيرة طبرية الغربي، شكل موقع طبرية منذ إنشائها مركزا تجاريا وعسكريا مهما، فهي تقع على الطريق التجاري الذي يبدأ من

حمامات حامية من غير نار وبها حمام يعرف بحمام الدماقر كبير وأول ما يخرج ماؤه يسمط الحدأة والدجاج ويسلق البيض، وهو مالح، وبها اللؤلؤ، وهو أصغر حماماتها وليس فيها حمام يوقد فيه نار إلا الصغير. وفي جنوبها حمام كبير مثل عين يصب إليها مياه حارة من عيون كثيرة، وإنما يقصده أهل البلاد ويقيمون به ثلاثة أيام فيبرؤون.

وأما حمص(١٧٤): فهي مدينة حسنة في مستوى من الأرض حصينة، مقصودة من سائر النواحي، وأهلها في خصب ورغد عيش، وفي نسائها جمال فائق. وكانت في قديم الزمان من أكبر البلاد. ويقال إنها مطلسمة لا يدخلها حية ولا عقرب، ومتى وصلت إلى باب المدينة هلكت. ويحمل من تراب حمص إلى سائر البلاد فيوضع على لسعة العقرب فتبرأ. وبها القبة العالية التي في وسطها صنم من نحاس على صورة انسان راكب على فرس تدور مع الريح كيفما دارت. وفي حائط القبة حجر فيه صورة عقرب، يأتي إليه الملدوغ والملسوع ومعه طين فيطبعه على تلك الصورة ويضعه على اللدغة أو اللسعة فتبرأ لوقتها. وجميع شوارعها وأزقتها مفروشة بالحجر الصلد؛ وبها جامع كبير. وأهلها موصوفون بالرقاعة وخفة

دمشق إلى طبرية واللجون وقلنسوة واللد وأسدود وغزة ورفح وسيناء فمصر، وكانت العملة الطبرانية هي العملة المتداولة عند عرب الجاهلية، واستمرت حتى جاء خالد بن الوليد وأمر بضرب النقود الإسلامية وكذلك وجود الحمامات في العهد الروماني زاد من أهمية موقع طبرية.

(١٧٤) حمص: مدينة تقع في وسط سوريا، ويمر فيها نهر العاصي، وهي مدينة قديمة يعود تاريخها الى عام ٢٣٠٠ قبل الميلاد و كانت تسمى في عهد الرومان باسم اميسا. كانت مستعمرة رومانية مهمة. و تقع حمص في القسم الأوسط الغربي من سورية، على طرفي وادي العاصي الأوسط والذي يقسمها إلى قسمين، القسم الشرقي وهو منبسط والأرض تمتد حتى قناة ري حمص. والقسم الغربي وهو الأكثر حداثة يقع في منطقة الوعر البازلتية.، تبعد حمص عن دمشق / ١٦٢كم/ وإلى الجنوب من حلب على مسافة / ١٩٢كم/ وإلى الشرق منها تبعد تدمر / ١٥٠كم/ وإلى الغرب منها طرابلس لبنان على مسافة / ٩٠كم/ . لعل أقدم موقع سكني في مدينة حمص هو تل حمص أو قلعة أسامة، وفيها كثير من المقامات مثل مقام أبو الهول، مقام أبو موسى الأشعري أوالصحابي عمروبن عنبسة والصحابي العرباط بن سارية في الحولة وغيرها.

العقل. **وأما بعلبك**[175]: فهي مدينة حسنة حصينة على رأس جبل مسفح، والماء يشقها ويدخل كثيراً في دورها. وعلى نهرها أرحية كثيرة وبها أنواع الفاكهة ووجوه الخصب والرخاء، وفيها قلعة من ثلاثة أحجار، وهي أعجوبة الزمان.

وأما حلب[176]: فهي المدينة الشهباء. كانت في قديم الزمان من أوسع البلاد قطراً. قيل أوحى الله عز وجل إلى خليله إبراهيم عليه السلام أن يهاجر بأهله إلى الشونة البيضاء فلم يعرفها، فسأل الله تعالى في ارشاده إليها، فجاءه جبريل[177] عليه

---

(١٧٥) بعلبك : مدينة لبنانية تقع في قلب سهل البقاع الذي اشتهر بغناه ووفرة محاصيله الزراعية لامتداد أراضيه، وتحيط بها من الشرق والغرب سلسلتا جبال لبنان الشرقية والغربية. وهي مركز قضاء بعلبك بمحافظة البقاع، تعلو بعلبك عن سطح البحر ١١٥٠ م. وتبعد عن العاصمة بيروت حوالي ٩٠ كلم. تشتهر بعلبك بالزراعة وخصوصاً زراعة الخضار والفواكه والحبوب وأشجار المشمش التي تملأ أرجاءها كما أنها تشتهر بالتجارة، تعود بعلبك إلى زمن الفينيقيين. وعرفت في العهد السلوقي باسم هليوبوليس أو مدينة الشمس. احتلها الرومان في القرن الأول الميلادي وكانت عبارة عن مركز عبادة جوبيتير. وقد شيّد الرومان فيها هياكل شتى. وكانت تقام فيها المهرجانات الدولية التي غابت طيلة أعوام الحرب، وأشهر ما في بعلبك قلعتها الأثرية التاريخية، والتي تعتبر مجداً حضارياً لن تعطيه حقه حتى لو بلغت الذروة في الوصف. أشهر آثارها الهياكل الرومانية ومعبد باخوس خاصة. وهي مقصد سياحي مهم يفده الزائرون من كافة أنحاء العالم، حسبها أنها بنيت على أساطين الرخام التي لم يكن لها نظير.

(١٧٦) تعتبر حلب من اقدم مدن العالم المأهولة بالسكان، وقد عاصرت مدن نينوى وبابل وروما القديمة. تمثل محافظة حلب ١٠٪ من مساحة سورية أي مايقارب ١٨٥٠٠ كم مربع ويبلغ تعداد السكان حسب اخر الاحصائيات أربعة ملايين نسمة تقريبا. ويشكل سكان محافظة حلب المسجلين فيها رسميا / ٢٢.٩٪ / من مجموع سكان سورية و هي أكبر محافظة في سوريا من حيث عدد السكان وأصبحت الآن حتى أكبر من العاصمة دمشق. و من ألقابها الشهباء.

(١٧٧) جبريل أو جبرائيل : أشهر الملائكة المطهرين، وأحد الملائكة الأربعة الكبار المقربين الى الله، وهو موكل بابلاغ أوامر الله الى الأنبياء، وورد ذكره في القرآن ثلاث مرات، كما ورد رمزاً كالروح القدس والروح الأمين الخ، ويعني جبريل في العبرية " رجل الله " ورأي آخر يقول " جبار الله " (رءوف أبو سعدة : من إعجاز القرآن ج١، دار الهلال، ص ١٧٦).

السلام حتى أنزله بالتل الأبيض الذي عليه الآن قلعة حلب المحروسة، حماها الله من الغير والآفات، فاستوطنها وطابت له مدة، ثم أُمر بالمهاجرة إلى الأرض المقدسة فخرج منها، فلما بعد عنها ميلاً صلى هناك. والآن يعرف المكان بمقام الخليل قبلي حلب؛ فلما أراد الرحيل التفت إلى مكان استيطانه كالحزين الباكي لفراقها؛ ثم رفع يديه وقال: اللهم طيب ثراها وهواءها وماءها وحببها لأبنائها. فاستجاب الله دعاءه فيها وصار كل من أقام في بقعة حلب ولو مدة يسيرة أحبها، وإذا فارقها يعز ذلك عليه، وربما إذا فارقها التفت إليها وبكى. وهذا نقله الصاحب **كمال الدين بن العديم**(١٧٨) في تاريخه المسمى بتاريخ حلب(١٧٩).

---

(١٧٨) ابن العديم : كمال الدين أبو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي المعروف بابن العديم (ت ٦٦٠ هـ/ ١١٩٢ م) مؤرخ وفقيه سوري. نشأ في حلب من اصل بصري، وكان أفراد قبيلته قد تركوا البصرة إثر وباء في القرن التاسع الميلادي واستقروا في حلب واشتغلوا فيها بالتجارة. وقد درس كمال الدين في حلب ودمشق والقدس، وطاف ببعض مدن العراق وشبه الجزيرة العربية، ثم عاد إلى حلب وخدم فيها الأميرين العزيز والناصر الأيوبيين، وذهب في سفارة لهما إلى القاهرة. ولما استولى التتار على حلب، استقر ابن العديم في القاهرة وتوفي بها. ويشتهر ابن العديم بمؤلفه (بغية الطلب في تاريخ حلب) الذي يقع في ٤٠ جزءا و ١٠ مجلدات، والمرتب على حروف المعجم. وقد اختصر ابن العديم كتابه في (زبدة الطلب في تاريخ حلب)، الذي أكمل بعد وفاته.

(١٧٩) أهم أعمال ابن العديم : (بغية الطلب في تاريخ حلب) الذي يقع في ٤٠ جزءا و ١٠ مجلدات، والمرتب على حروف المعجم. وقد اختصر ابن العديم كتابه في (زبدة الطلب في تاريخ حلب) ومن يقرأ "بغية الطلب" يدرك عظمة ابن العديم، فيرى فيه أعظم مؤرخ أنجبته بلاد الشام بلا منازع، وبلا شك عَلَماً بارزاً للغاية بين أعلام فن التأريخ الإسلامي أما زبدة الحلب، من تاريخ حلب فمرتب على السنين والكتاب جزءان : يتناول الأول الحوادث من سنة ١ – ٤٥٧ هـ ويتناول الثاني الحوادث من ٤٥٧ – ٥٦٩ هـ. وقد بسط – في هذا الجزء – " حال حلب بل سوريا الشمالية، في عهد المرداسيين والعقيليين، وتحدث عن ملكشاه، ورضوان بن تتش، وألب أرسلان، وايلغازي ابن ارتق، وعماد الدين الزنكي، ونور الدين محمود.... والكتاب – على إيجازه – ثمين لأنه سجل كل ما وقع... فقد جعله لسورية الشمالية،

وهذه المدينة أعني حلب نهر يأتيها من الشمال يقال له قويق فيخترق أرضها؛ وبها قناة مباركة تخترق شوارعها ودورها وحماماتها وسبلانها، وماؤها عذب فرات. ولها قلعة حصينة راسخة يقال إن في أساسها ثمانية آلاف عمود، وهي ظاهرة الرؤوس بسفحها. ولها قرية تسمى براق يقال إن بها معبداً يقصده أرباب الأمراض وينامون به؛ فإما أن يبصر المريض في نومه من يمسح بيده عليه فيبرأ، وإما أن يقال له استعمل كذا وكذا، فإذا أصبح واستعمله فإنه يبرأ. **وأما حماة**(١٨٠): فهي مدينة قديمة على عهد سليمان بن داود عليهما السلام، واسمها باليونانية حاموثا؛ ولما فتحها أبو عبيدة رضي الله عنه جعل كنيستها جامعاً وهو جامع السوق الأعلى، وجدد في خلافة المهدي، وكان فيه لوح من الرخام مكتوب فيه أنه جدد من خارج حمص، وكانت حماة وشيزر من أعمال حلب، وكانت حمص في القديم كرسي هذه البلاد.

وخصه بذكر قراها وجبالها، وأنهارها، ومدنها،فأصبح مرجعاً هاماً لهذه المنطقة، لا نعرف له مثيلاً بين تواريخنا"

(١٨٠) مدينة حماة مدينة قديمة يرجع تاريخها إلى ما قبل الميلاد. فقد تغلب الحيثيون على سكان سوريا الأصليين من الآراميين ورسخت أقدامهم في البلاد، وفي عام ١٧٠٠ قبل الميلاد استطاع تحتمس الثالث ملك مصر أن يخضع سوريا للملكه فدانت له سوريا ومعها حماة وأخذ منهم جزية عظيمة وتكررت غزوات المصريين لسوريا ونشبت حرب عظيمة بين المصريين والحيثيين استمرت لمدة ١٥ سنة قتل في أثنائها ملك الحيثيين وخلفه أخوه كيتا مار فعقد مع المصريين صلحا وتزوج رعمسيس ملك المصريين بنت كيتا مار تأكيدا للمودة، وفي حوالي عام ٦٤م استولى الرومان على حماة فيما استولوا عليه من بلاد سورية وامتدت مدة ملكهم، وقد كان الفتح الإسلامي لحماة بعد أن استطاع الصحابي الجليل أبو عبيدة عامر بن الجراح – رضي الله عنه– فتح حمص فجعل عليها الصحابي الجليل عبادة بن الصامت –رضي الله عنه– ثم فتح الرستن ثم جاء إلى حماة فتلقاه أهلها مذعنين عام ١٨ هـ فصالحهم على الجزية في رؤوسهم والخراج على أرضهم وأقام في حماة مدة واتخذ كنيستها العظمى جامعا ثم رحل إلى شيراز فصالحه أهلها على ما صالحه عليه أهل حماة ومن ذلك الحين دخلت حماة في الدولة الإسلامية هي وتوابعها.

وأما بلاد الأرمن(١٨١): فإقليمها عظيم واسع ممتنع القلاع والحصون، كثير الخصب والخير والفواكه الحسنة اللون والطعم، يقال إن بإقليمها ثلثمائة وستين قلعة، منها ست وعشرون قلعة لا تكاد أن ترام لشدة امتناعها، لا يصل أحد إلى واحدة منها لا بقوة ولا بحيلة البتة. ومن مدنها المشهورة أرمينية[١٨٢] وهي أرمينيتان: الداخلة والخارجة، وهي مدينة عظيمة بها بحيرة تعرف ببحيرة كندوان، بها تراب تتخذ منه البوادق التي يسبك فيها.

وخلاط[١٨٣]: وهي مدينة حسنة. وكانت في القديم قاعدة بلاد الأرمن فلما تغلبت الأرمن على الثغور انتقلوا إلى سيس. وبها يعمل من التكك البديعة الحسنة

---

(١٨١) الأرمن : شعب ينتمي إلى العرق الآري (الهند أوروبي)، ويعود وجودهم في أرض أرمينيا التاريخية-الهضبة الأرمنية (أرض أرمينيا العظمى والصغرى) الممتدة في الأجزاء الوسطى والشرقية من آسيا الصغرى (تقع حالياً في تركيا) يعود إلى الألف الثالث ق.م، حسب الدراسات اللغوية والآثارية الحديثة والتقليد المتوارث القديم. وتمتد أرمينيا التاريخية إلى الشرق من المنابع العليا لنهر الفرات وحتى بحر قزوين و إيران، وتحدها من الجنوب سلسلة جبال طوروس الأرمنية على حدود العراق الشمالية، في حين تمتد أرمينيا الصغرى إلى الغرب من منابع نهر الفرات. وتبلغ مساحة أرمينيا العظمى وأرمينيا الصغرى معاً، حسب بعض المؤرخين، نحو ٣٥٨ ألف كيلومتر مربع، وهي تعادل نحو اثني عشر ضعف مساحة جمهورية أرمينيا الحالية.

(١٨٢) أرمينية : اقليم جبلي يقع جنوب القوقاز وكانت تكون دولة منذ القرن الأول قبل الميلاد تحت حكم الملك تجران الأول، وبلغت أوج عظمتها في عهد تجران الثاني ثم أردشاك الأول (القاموس الإسلامي، ج١، ص ٧٤).

(١٨٣) خلاط : يذكر القزويني عنها " مدينة كبيرة مشهورة قصبة بلاد أرمينية ذات خيرات واسعة وثمرات يانعة بها المياه الغزيرة والأشجار الكثيرة وأهلها مسلمون ونصارى، وكلام أهلها العجمية والأرمنية والتركية .

الغالية الثمن كل غريب. وبقرب خلاط حفائر يستخرج منها الزرنيخ(١٨٤) الأحمر والأصفر.

مليطية: مدينة عظيمة كثيرة الخير والأرزاق، ليس في بلاد تلك المملكة أحسن منها. وأهلها ذوو ثروة ورفاهية عيش. ذكر أنه كان بها اثنا عشر ألف نول تعمل الصوف، ولكن قد تلاشى أمرها.

ميافارقين(١٨٥): مدينة عظيمة، وهي من حدود الجزيرة وحدود أرمينية.

---

(١٨٤) الزرنيخ : عنصرا يوجد في الطبيعة في صور متعددة، وقد عرف كيميائيو العرب الزرنيخ ومواطنه ، كما ميزوا بين مركباته واستخداماته في الطب والصناعة (القاموس، ج٣، ص ٥٩) .

(١٨٥) ميافارقين : مدينة تقع الآن في شرق تركيا إلى الغرب من بحيرة "وان" بُنيت في عهد قسطنطين أول ملوك بيزنطا (القرن الرابع الميلادي)، وكانت محل صراع بين الفرس الساسانيين والروم البيزنطيين، وقد غزاها الملك الفارسي قُباذ بن فيروز، وسبى أهلها، ونقلهم إلى بلاده، وبنى لهم مدينة بين فارس والأهواز وقد فتح العرب المسلمون ميّافارقين سنة (١٨ هـ)، وذكر ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان، ٥/ ٢٧٥ – ٢٧٦) أن فارقين فتحت من قبل عِياض بن غَنْم. وذكر رواية أخرى تفيد أن " خالد بن الوليد والأَشْتَر النَّخَعي سارا إلى ميّافارقين في جيش كثيف، فنازلاها، فيقال إنها فتحت عَنوة، وقيل صلحاً على خمسين ألف دينار، على كل محتلم [بالغ] أربعة دنانير، وقيل دينارين، وقَفِيز حنطة، ومُدّ زيت، ومُدّ خلّ، ومُدّ عسل، وأن يضاف كل من اجتاز بها من المسلمين ثلاثة أيام، وجعل للمسلمين بها محلة، وقرر أخذ العُشر من أموالهم، وكان ذلك بعد أخذ آمِد ". والقفيز مكيال كان تكال به الحبوب قديماً. والمّد مكيال قديم أيضاً، كان يساوي ما وزنه ثمانية عشر كيلوغرام. وهذا دليل على أن ميّافارقين كانت أرض الحنطة والزيت والعنب والعسل؛ وأية خيرات أعظم من هذه! وكانت ميافارقين عاصمة لدولة كردية هي الدولة المروانية (الدُّوستكية) بين سنتي (٣٥٠ - ٤٧٨ هـ/ ٩٨٢ - ١٠٨٦ م)، وكانت قبل المروانيين تابعة للدولة الحمدانية، وصفها ياقوت في (معجم البلدان، ٥/ ٢٧٥) بقوله: " أشهر مدينة بديار بكر ". وكانت كثيرة الخيرات، حتى إن أحد الشعراء قارن بينها وبين منطقة اليمامة فقال:

فإن يكُ في كَيلِ اليَمامة عُسْرةٌ فما كَيْلُ مَيّافارِقِينَ بأعسرا.

نصيبين[١٨٦]: مدينة حسنة في مستوىٰ من الأرض، وماؤها يشق دورها وقصورها. وإليها ينسب الورد النصيبي، وبها عقارب قتالة. وبأرض الأرمن النهران الكبيران المشهوران، وهما نهر الرأس ونهر الكرج المعروف بالكر، ومسيرهما من المغرب إلىٰ المشرق، وعليهما مدن كثيرة وقرىٰ متصلة من الجانبين. وبأرض الأرمن بركة فيها سمك كثير وطير عظيم، وماؤها غزير عميق، ويقيم بها الماء سبع سنين متوالية، وينشف منها سبع سنين أيضاً ثم يعود الماء. وهذا دأبه أبداً، وبها جبل يسمىٰ غرغور، وفيه كهف وفي الكهف بئر بعيدة القعر إذا رمي فيها حجر يسمع لها دوي كدوي الرعد ثم يسكن ولا يعلم ما هو. وفي هذا الجبل معدن الحديد المسموم، متىٰ جرح به حيوان مات في الحال.

---

(١٨٦) نصيبين : كانت هذه المدينة تشكل مفصلا" بين الامبراطوريات، بل بين حضارات مختلفة، فتاريخ نصيبين حافل بالأحداث، يحمل غير دلالة وعبرة، ان من ناحية صراع الأمراء والدويلات للسيطرة علىٰ المنطقة او من ناحية أهمية الموقع الاقتصادي والعسكري الذي أغرىٰ به الأمراء والأمم. وقد كانت قبل الفتح الاسلامي وبعده منارة علم يهتدي بنورها رواد الثقافة، بها عرف عن مدرستها الشهيرة وما أخرجته من طلاب وعلماء وأساتذة أما بالنسبة للموقع الجغرافي بنصيبين، فقد ذكر للمرة الأولىٰ علىٰ لوحة مسمارية محفوظة في متحف لندن، في سياق الحديث عن حروب دارت سنة ٦١٢ ق.م. بين الأشوريين من جهة والماديين من جهة ثانية، كما يبدو أن هناك أكثر من موقع يسمىٰ نصيبين (قرية من قرىٰ حلب)، (تل نصيبين) أيضا" من نواحي حلب، نصيبين علىٰ شاطىء الفرات شمال حران تعرف بنصيبين الروم، وهي اليوم داخلة في الأراضي التركية وقريبة من مدينة القامشلي السورية وهذا يدل علىٰ أن نصيبين مدينة موغلة في القدم، وذلك بسبب الآثار الموجودة فيها (أنظر : القلقشندي: صبح الأعشىٰ في صناعة الانشاء، الجزء الرابع ص: ٣٢١، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، الجزء الول ص: ٨٥،الاصطخري. المسالك والمهالك. ص: ٥١ – ٥٢).

أرض الجزيرة[187]: وهي جزيرة ابن عمر، وتشتمل على ديار ربيعة ومضر، وتسمى ديار بكر، وهي ما بين دجلة والفرات وكلها تسمى بالجزيرة، وبها مدن وقرى عامرة. وأكثر أهلها نصارى وخوارج. ومن مدنها المشهورة الموصل وهي قاعدة بلاد الجزيرة، وهي مدينة كبيرة صحية الهواء طيبة الثرى، ولها نهر حسن عميق في عمق ستين ذراعاً. وبساتينها قليلة إلا أن لها ضياعاً ومزارع ورساتيق ممتدة، وكورها كثيرة وهي المدينة التي بعث إليها يونس عليه السلام وهي غربي دجلة.

الرُها(١٨٨): مدينة عظيمة قديمة واسعة الأقطار، وكانت عامرة الدير، وتتصل بأرض حران. والغالب على أهلها دين النصرانية، وبها من الكنائس ما يزيد على مائتي كنيسة ودير، ولم يكن للنصارى أعظم منها. وكان بكنيستها العظمى منديل المسيح الذي مسح به وجهه فأثرت فيه صورته فأرسل ملك الروم إلى الخليفة رسولاً وطلبه منه وبذل فيه أسارى كثيرة فأخذه وأطلق الأسارى.

(١٨٧) جزيرة ابن عمر بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام ولها رستاق مخصب واسع الخيرات، وأحسب أن أول من عمرها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي، وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال ثم عمل هناك خندق أجرى فيه الماء فأحاط بها الماء من جميع جوانبها، ويقال في النسبة إليها: جزري (معجم البلدان).

(١٨٨) الرُها : مدينة بين الموصل والشام : وكانت "الرها" أولى الإمارات الصليبية التي تأسست في الشرق إبان الحملة الصليبية الأولى وواحدة من أهم الإمارات الصليبية في المشرق، وذلك لقوة تحصينها، وقربها من "العراق" التي تمثل مركز الخلافة الإسلامية، ونظرًا لما تسببه من تهديدات وأخطار للمناطق الإسلامية المجاورة لها وكانت أول الامارات التي استولى عليها الصليبيون وأول الامارات التي استردها عماد الدين زنكي منهم ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م.

مدينة الحضر: وهي الآن خراب. وكانت مدينة عظيمة في قديم الزمان وكان اسم صاحبها الساطرون، فحاصرها سابور(١٨٩) بن أردشير بن بابك أربع سنين فلم يقدر عليها، وكانت مركبة على قناطر يدخل الماء من تحتها، وكان لساطرون ابنة جميلة في غاية الجمال بحيث إذا نظرها أحد حصل في عقله خبل وخلل، وكان اسمها نضيرة. وكانت عادة الروم إذا حاضت المرأة عندهم أنزلوها إلى ربض المدينة، فحاضت ابنة الساطرون فأنزلوها إلى الربض وسابور المذكور محاصر المدينة وهو راكب في جيشه دائر من خارج المدينة فرأت نضيرة بنة الساطرون سابور وهو في غاية الحسن فأحبته لأول نظرة، فأرسلت إليه تقول: إن أنا أخذت لك المدينة وأرحتك من العناء أتتزوج بي؟ فقال سابور: نعم، قالت: فخذ حمامة زرقاء فاخضب رجليها بحيض جارية زرقاء بكر وأطلقها، فإنها تطير وتحط على السور فيسقط في الحال وتأخذ المدينة. ففعل سابور ذلك الأمر كما قالت نضيرة. فدخل المدينة وأخذها وهدم ما بقي من سورها وقتل الساطرون وسبى وغنم وتزوج نضيرة، فنامت عنده ليلة وهي تميل طول الليل إلى الصباح، فنظر سابور فإذا في الفراش ورقة آس فقال لها: كل هذا التميل من هذه الورقة؟ قالت نعم. قال: فما كان أبوك يطعمك؟ قالت كان يطعمني مخ العظم وشهد أبكار النحل والزبد ويسقيني الخمر المصفى أربعين مرة فقال: أهذا كان جزاؤه منك، ثم أمر بها فربطت بين فرسين جموحين، فضرباها حتى تمزقت أعضاؤها.وأما جزيرة العرب: فهي ما بين نجران والعذيب.

---

(١٨٩) سابور : يذكر ابن الأثير " ولما هلك أردشير بن بابك قام بالملك بعده ابنه سابور قيل: إنه حاصر الروم بنصيبين وفيها جمع من الروم مدة ثم أتاه من ناحية خراسان من احتاج إلى مشاهدته فسار إليها وأحكم أمرها ثم عاد إلى نصيبين فزعموا أن سورها تصدع وانفرجت منه فرجة دخل منها وقتل وسبى وغنم وتجاوزها إلى بلاد الشام فافتتح من مدائنها مدنًا كثيرة وحاصر ملكًا للروم بإنطاكية فأسره وحمله وجماعةً كثيرة معه فأسكنهم مدينة جنديسابور.

أرض عراق العرب: وهي أرض طيبة ممتدة ذات أقاليم وقرئ، وطولها من تكريت إلى عبادان، وعرضها من القادسية إلى حلوان. ومن مدنها المشهورة بغداد(١٩٠) وهي مدينة عظيمة قاعدة أرض العراق، بناها المنصور في الجانب الغربي على الدجلة، وأنفق عليها أموالاً عظيمة، يقال إنه أنفق عليها أربعة آلاف دينار، ونقل أبواب واسط وركبها عليها وجعلها مدورة حتى لا يكون بعض الناس أقرب إلى السلطان من بعض، وبنى بها قصراً عظيماً بوسطها يقال إن دوره اثنا عشر ألف قصبة، والجامع في القصر، وقصر المهدي يقابل قصر المنصور في الضفة الأخرى وهما مدينتان يسقيهما نهر الدجلة وبينهما جسر من السفن، وبساتينها في الجانب الآخر الشرقي تسقى بماء النهروان(١٩١) وماء سامر، وهما نهران عظيمان. وأما نهر عيسى فتجري فيه السفن من بغداد إلى الفرات. وأما نهر السراة فلا تركبه سفينة أصلاً لكثرة الأرحية التي عليه.

---

(١٩٠) بغداد : عاصمة دولة العراق، تقع على خط طول °75 وخط عرض °٣٤. تقع في وسطها ويخترقها نهر دجلة بناها المنصور في القرن الثاني الهجري عاصمةً للدَولة العباسية. كانت من اهم مراكز العلم على تنوعه و ملتقى للعلماء و الدارسين. غزاها المغول تحت رئاسة هولاكو خان في منتصف القرن السادس الهجري ودمروا الثروة العلمية - من كتب ومخطوطات - التي كانت بغداد تحتضنها ورموا قسما كبيرا منها في نهر دجلة حتى تغير لون الماء بلون الحبر. مدينة «بغداد» التى بناها المنصور سنة ١٤٦ هـ فيها نشاهد روائع العمارة الإسلامية فى العصر العباسى الأول وخاصة «قصر الأخيضر» الذى يعد أجمل وأروع القصور العباسية بنى أبو جعفر المنصور على نهر دجلة عاصمته بغداد (١٤٥ - ١٤٩ هـ) ٧١٠ ميلادية على شكل دائري، وهو اتجاه جديد في بناء المدن الإسلامية، ومن اسماء بغداد المدينه المدورة و دار السلام و الزوراء في التاريخ المعاصر استمرت بغداد عاصمة للعراق، و يقع فيها احد اكبر وانشط المجامع اللغوية.

(١٩١) النهروان : اسم لبلد واسم لنهر والنهروان مدينة صغيرة عن بغداد على أربعة فراسخ (أبو الفداء : تقويم البلدان، ص ٣٥٤).

وكانت بغداد في أيام البرامكة(١٩٢) مدينة عظيمة يقال إن حماماتها حصرت في وقت من الأوقات فكانت ستين ألفاً. وكان بها من العلماء والوزراء والفضلاء والرؤساء والسادات ما لا يوصف. قال الطبري في تاريخه: أقل صفة بغداد أنه كان فيها ستون ألف حمام، كل حمام يحتاج على الأقل إلى ستة نفر، سواق ووقاد وزبال وقائم ومدولب وحارس، كل واحد من هؤلاء في مثل ليلة العيد يحتاج إلى رطل صابون لنفسه ولأهله وأولاده، فهذه ثلثمائة ألف رطل وستون ألف رطل صابوناً برسم فعلة الحمامات لا غير، فما ظنك بسائر الناس وما يحتاجون إليه من الأصناف في كل يوم؟

(١٩٢) ترجع أصول البرامكة إلى برمك المجوسي، وقد كان للبرامكة منزلة عاليه واستحوذوا على الكثير من المناصب في الدولة العباسية وكان لهم حضور كبير في بلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد، الذي أرضعته زوجة يحيى بن خالد البرمكي الذي حفظ لهارون الرشيد ولاية العهد بعد ان اراد الخليفة الهادي بخلع هارون الرشيد.أما نكبة البرامكة فمصطلح يشير إلى ما وقع للبرامكة على يد الخليفة العباسي هارون الرشيد من قتل وتشريد، ومصادرة أموال، وقد كانوا وزراء الدولة وأصحاب الأمر والسلطان.و النكبة من أهم الأحداث السياسية المؤثرة في حكم هارون الرشيد، وفي التاريخ السياسي الإسلامي بشكل عام، إذ أنها كانت حلقة في سلسلة نكبات طالت وزراء الدولة العباسية منذ قتل أبي مسلم الخراساني بتدبير الخليفة أبو جعفر المنصور، وقتل معظم المقربين من الخلفاء العباسيين، كآل سهل فيما بعد.

المدائن(١٩٣): وهي مدينة قديمة جاهلية وبها آبار هائلة وبها إيوان(١٩٤) كسرى المضروب به المثل في العظم والشماخة والارتفاع والإتقان، واقليمها يعرف بأرض بابل(١٩٥). وكان **المنصور** لما قصد أن يبني بغداد استشار **خالد بن برمك** في نقض الإيوان ونقله من المدائن إلى بغداد، فقال له خالد: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فقال له المنصور ملت إلى بقاء آثار أخوالك الفرس، لا بد من هدمه. وأمر المنصور بنقض القصر الأبيض، وهو شيء يسير من جانب الإيوان. فنقضت ناحية من القصر الأبيض فكان ما غرموا على نقضه أكثر من قيمة المنقوض فأزعج ذلك المنصور فقال لخالد: قد عزمت على ترك النقض، فقال له خالد: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فغضب المنصور وقال: أما والله إن أحد رأييك غش. فقال خالد بلى والله كلاهما نصح، فقال: صحح ما قلت، فقال: أما قولي في الأول: لا تنقض، حتى إن كل جيل يأتي في الدهر ويرى الإيوان ويستعظم أمره وأمر بانيه ثم يقول إن أمةً وملوكاً أزالت ملك الفرس وأخذت بلادها وأبادتها لأُمة عظيمة وملوك عظيمة، فذلك من تعظيم الملة الإسلامية، وأما قولي الآخر: لا تفعل، يعني لا تترك النقض حتى إن من يأتي من الأجيال والخلق ويرى بعض النقض، والنقض أسهل من البنيان، فيقول إن أمة بنت

---

(١٩٣) المدائن : مدينة عراقية تقع على بعد بضعة كيلومترات جنوب شرق بغداداً كانت عاصمة الساسانيين الفرس،حيث كانت تسمى بالفارسية الفهلوية تيسفون. تضم البلدة الحالية قبر الصحابي الجليل سلمان الفارسي و كذلك مبنى ايوان كسرى أو كما يسميه أهل بغداد و المنطقة طاق كسرى (طاگ كسرى). يسميها الأهالي حاليا سلمان باك و ذلك نسبة لقبر الصحابي سلمان الفارسي.

((١٩٤ الإيوان : Pavilion : مجلس كبير على هيئة صفة واسعة من ثلاث جدران وسقف لاستقبال الناس مثل إيوان كسرى وإيوان المسجد وإيوان القلعة وإيوان العدل

وكان الإيوان هو قاعة الاستقبال عند ملوك الساسان وهو معرب من إيوان الفارسية ومعناها بيت او قاعة للاستقبال عند ملوك الساسان.

(١٩٥) بابل : من البابلية باب + ايلو أي " باب الله " (من إعجاز القرآن، ج١، ص ١٩٦).

هذا البنيان فأعجز نقضه من أتى بعدهم لأمة عظيمة فذلك تعظيم للفرس واستهانة بالملة الإسلامية. فلم يلتفت إلى مقاله وترك النقض.

والنيل: وهي مدينة حسنة وهي على الفرات العظمى، بين بغداد والكوفة وأصل تسميتها بالنيل أن **الحجاج بن يوسف**(١٩٦) حفر نهراً من الفرات وسماه النيل باسم نيل مصر، وأجراه إليها وعليه مدن عظيمة وقرى ومزارع. **ونينوى**(١٩٧): وهي مدينة أزلية قبالة الموصل وبينهما دجلة. ويقال إنها المدينة التي بعث إليها **يونس بن متي**(١٩٨) عليه السلام.

---

(١٩٦) الحجاج بن يوسف الثقفي : سياسي أموي وقائد عسكري، وُلد أبو محمد الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن الحكم الثقفي في منازل ثقيف بمدينة الطائف، في عام الجماعة ٤١ هـ. و كان اسمه كليب ثم أبدله بالحجاج. و أمه الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي الصحابي الشهيد. عمل في مطلع شبابه معلم صبيان مع أبيه، يعلم الفتية القرآن و الحديث، يعد من أشهر الشخصيات في التاريخ الإسلامي والعربي، طاغية متجبر عُرف بـ (المبير). وخطيب بليغ. لعب دوراً كبيراً في تثبيت أركان الدولة الأموية، سير الفتوح، خطط المدن، و بنى مدينة واسط. واختلط في المخيلة الشعبية بروايات مبالغ فيها تدل على ميراث الرعب الهائل الذي خلفه،

(١٩٧) نينوى : يقول عنها القزويني " بلاد وقرى كانت بشرقي دجلة عند الموصل في قديم الزمان بعث الله تعالى إليهم يونس النبي عليه السلام فدعاهم إلى الله تعالى فكذبوه فخوفهم بعذاب الله في وقت معين وفارقهم فلما دنا ذلك الوقت وشاهدوا آثار عذاب الله خرجوا بالنساء والذراري إلى تل هناك في شرقي دجلة وكشفوا رؤوسهم وتابوا وآمنوا فكشف الله عنهم العذاب.

(١٩٨) كان يونس بن متى نبيا كريما أرسله الله إلى قومه فراح يعظهم، وينصحهم، ويرشدهم إلى الخير، ويذكرهم بيوم القيامة، ويخوفهم من النار، ويحببهم إلى الجنة، ويأمرهم بالمعروف، ويدعوهم إلى عبادة الله وحده. وظل ذو النون- يونس عليه السلام- ينصح قومه (قوم نينوى) فلم يؤمن منهم أحد وخرج غاضبا وقرر هجرهم ووعدهم بحلول العذاب بهم بعد ثلاثة فخشوا على أنفسهم فآمنوا فرفع الله عنهم العذاب، أما السفينة التي ركبها يونس، فقد هاج بها البحر، وارتفع من حولها الموج. وكان هذا علامة عند القوم بأن من بين الركاب راكباً مغضوباً عليه لأنه ارتكب خطيئة. وأنه لا بد أن يلقى في الماء لتنجو السفينة من الغرق. فاقترعوا على من يلقونه من السفينة. فخرج سهم يونس -وكان معروفاً عندهم

الكوفة(١٩٩): مدينة علوية بناها علي بن أبي طالب(٢٠٠) رضي الله عنه. وهي كبيرة حسنة على شاطئ الفرات، لها بناء حصين وحصن حصين، ولها نخل كثيرة وثمره طيب جداً. وهي كهيئة بناء البصرة وعلى ستة أميال منها. وفيها قبة عظيمة

بالصلاح- فأعادوا القرعة، فخرج سهمه ثانية، فأعادواها ثالثة، ولكن سهمه خرج بشكل أكيد فألقوه في البحر -أو ألقى هو نفسه. فالتقمه الحوت لأنه تخلى عن المهمة التي أرسله الله بها ولبث في بطنه ثلاثة أيام، فتضرع الى الله فسمع الله دعاءه فاستجاب له. فلفظه الحوت.

(١٩٩) الكوفة : أنشئت الكوفة لتكون دار هجرة وعاصمة للمسلمين بدل المدائن أسسها سعد بن أبي وقاص سنة ١٧ هـ ٦٣٨ م بأمر من عمر بن الخطاب، بعد ان ثبت له ان بيئة المدائن قد أثرت في صحة جند العرب، اذ كتب عمر الى سعد، ان العرب لا يوافقهم الا ما وافق ابلهم، وامر قواده ان يرتادوا موضعاً لا يفصله عن المدينة بحر ولا عارض، وولي المخطيط ابو الهياج عمرو بن مالك الاسدي، والذي دل سعد عليها هو (عبد المسيح بن بقيلة الغساني) وكان يقال لها (سورستان) و(خد العذراء)، وحينما مصرها العرب عرفت بالكوفة من التكوف (التجمع) وسميت كوفاني (المواضع المستديرة من الرمل)، وكل ارض فيها الحصباء مع الطين والرمل تسمى (كوفة)، وسميت (كوفان) بمعنى (البلاء والشر) أو (ما بين الدغل والقصب والخشب) وسميت كوفة الجند (لانها اسست لتكون قاعدة عسكرية تتجمع فيها الجند) ومهما يكن فأن اسمها اسم عربي، وقيل ان اسمها سرياني، تقع المدينة على الضفة اليمنى لنهر الفرات الاوسط (شط الهندية القديم) شرق مدينة النجف بنحو ١٠ كم وغرب العاصمة بغداد بنحو ١٥٦ كم، يترتفع المدينة عن سطح البحر بنحو ٢٢ م ويحدها من الشمال ناحية الكفل (محافظة بابل) ومن الشرق ناحية السنية وناحية الصلاحية (محافظة الديوانية) ومن الغرب كري سعد، ومن الجنوب قضاء ابي صخير، وناحية الحيرة.

(٢٠٠) علي رضي الله عنه (٢٣ ق هـ - ٤٠هـ) هو علي بن أبي طالب ﷺ، واسم أبي طالب : عبد مناف بن عبد المطلب. من بني هاشم، من قريش أمير المؤمنين. ورابع الخلاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. زوجة النبي صلى الله علية وسلم بنته فاطمة. ولي الخلافة بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان، فلم يستقم له الأمر حتى قتل بالكوفة. كفرة الخوارج، وغلا فيه الشيعة حتى قدموه على الخلفاء الثلاثة، وبعضهم غلا حتى فيه حتى رفعه إلى مقام الألوهية. ينسب إليه (نهج البلاغة) وهو مجموعة خطب وحكم، أظهر الشيعة في القرن الخامس الهجري ويشك في صحة نسبته إليه. [الأعلام للزركلي ٥/ ١٠٨؛ ومناهج السنة ٣/ ٢ وما بعدها؛ والرياض النضرة ٢/ ١٥٣ وما بعدها].

يقال إن بها قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وما استدار بتلك القبة مدفن آل علي، والقبة بناء أبي العباس عبد الله بن حمدان في دولة بني العباس

البصرة(٢٠١): وهي مدينة عمرية بناها المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي مدينة حسنة رحبة. حكى أحمد بن يعقوب أنه كان بالبصرة سبعة آلاف مسجد. وحكى بعض التجار أنه اشترى التمر فيها خمسمائة رطل بدينار، وهو عشرة دراهم. وغربي البصرة البادية وشرقيها مياه الأنهار وهي تزيد على عشرة آلاف نهر تجري فيها السامريات، ولكل منها اسم ينسب إلى صاحبه الذي حفره، وإلى الناحية التي يصل إليها، وبها نهر يعرف بنهر الأيكة وهو أحد نزهات الدنيا، طوله اثنا عشر ميلاً وهو مسافة ما بين البصرة والأيكة، وعلى جانب النهر قصور وبساتين وفرج ونزه كأنها كلها بستان واحد وكأن نخلها كلها قد غرس في يوم واحد، وجميع أنهارها يدخل عليها المد والجزر، والغالب على هذه الأنهار الملوحة. وبين عمارات البصرة وقراها آجام وبطائح ماء معمورة بزوارق وسامريات.

---

(٢٠١) البصرة : هي ثاني أكبر المدن العراقية بعد العاصمة بغداد، وتبعد عن بغداد ٤٥٠ كلم جنوباً، والبصرة ميناء العراق الرئيسي على الطرف الشمالي من شط العرب، ملتقى دجلة، والفرات، والمؤدي إلى مياه الخليج العربي وحولها بساتين النخيل التي تقدر أشجارها بالملايين. فتحت البصرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٦٣٨ م بعد أن كانت خاضعة لحكم الفرس. فأصبحت إحدى أهم المدن في العراق. ثم ازدهرت على عهد العباسيين وأضحت مع الكوفة مهداً للدروس اللغوية. أحرقها الزنج عام ٨٧١ م ثم القرامطة سنة ٩٢٣ م وبدأت بالانحطاط بعد عام ١٢٥٨ م احتلها الأتراك عام ١٦٦٨ م. ثم الانجليز عام ١٩١٤ م، والبصرة في كلام العرب تعني الأرض الغليظة التي فيها حجارة رخوة، وقيل هي الحجارة الصلبة، وسميت بصرة لغلظها وشدتها. وثمة من يقول إن البصرة اسم عجمي معرب، وأصله باس راه، وهو يعني بالفارسية ذات الطرق الكثيرة المتشعبة.وإنها شيّدت بالقرب من قرية "البصيرة" التي تعود إلى العصور القديمة في التاريخ

واسط(٢٠٢): وهي بين البصرة والكوفة، وهي مدينتان على جانبي دجلة، وبينهما قنطرة كبيرة مصنوعة على جسر من سفن يعبر عليها من جانب إلى جانب، فالغربية تسمى كسكران، والشرقية تسمى واسط العراق، وهما في الحسن والعمارة سواء، وهما أعمر بلاد العراق وعليهما معول ولاة بغداد.

وعبادان(٢٠٣): وهي مدينة عامرة على شاطئ البحر في الضفة الغربية من الدجلة، وإليها مصب ماء الدجلة ويقال في المثل: ما بعد عبادان قرية. ومن عبادان إلى الخشبات وهي خشبات منصوبات في قعر البحر بإحكام وهندسة وعليها ألواح مهندسة يجلس عليها حراس البحر ومعهم زوارق، وهو البحر الفارسي شاطئه الأيمن للعراق والأيسر لفارس. **أرض الفرس**: وهي بلاد فارس، ومسكنهم وسط المعمورة. وهي مدن عظيمة وبلاد قديمة وأقاليم كثيرة وهي ما دون جيحون ويقال لها إيذان، وأما ما وراء جيحون فهور أرض الترك ويقال لها قزوين. وأرض فارس كلها متصلة العمائر وهي خمس كور: الكورة الأولى: أرجان، وهي أصغرهن وتسمى كورة سابور، والكورة الثانية اصطخر(٢٠٤) وما يليها، وهي كورة عظيمة وبها أعظم

---

(٢٠٢) واسط : مدينة بين الكوفة والبصرة من الجانب الغربي كثيرة الخيرات وافرة الغلات بناها الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٧٨ هجرية وأتمها في سنة ٨٦ هجرية لتكون مقرا جديدا لجنوده منأهل الشام.

(٢٠٣) عبادان : يقول عنها القزويني " جزيرة تحت البصرة قرب البحر الملح فإن دجلة إذا قاربت البحر تفرقت فرقتين عند قرية تسمى المحرزي: فرقة تذهب إلى ناحية البحرين وهي اليمنى واليسرى تذهب إلى عبادان وسيراف والجنابة وعبادان في هذه الجزيرة وهي مثلثة الشكل وإنما قالوا: ليس وراء عبادان قرية لأن وراءها بحراً. ومن عجائبها أن لا زرع بها ولا ضرع وأهلها متوكلون على الله يأتيهم الرزق من أطراف الأرض.

(٢٠٤) إصطخر (Persepolis) : هي مدينة تاريخية أقامها الإمبراطور الفارسي دارا (داريوس) عام ٥١٨ ق.م بفارس لتكون عاصمة الإمبراطورية الإخمينية. دمرها الإسكندر الأكبر عام ٣٣١ق.م. وكان بها القصور وإيوان الأعمدةوكانت مدينة حصينة عند سفح صخرة بجنوب شرق إيران على بعد ٧٠ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة شيراز.

بلاد الفرس. والكورة الثالثة: كورة سابور الثاني(٢٠٥). الكورة الرابعة: الشاذروان(٢٠٦) وقاعدتها شيراز. الكورة الخامسة: كورة سوس.

أرض كرمان(٢٠٧): هي بين أرض فارس وأرض مكران، وهو إقليم واسع ومن مدنها المشهورة يم، وهرمز.

أرض الجبال: أرض واسعة وإقليم عظيم، ويسمى إقليم خراسان وعراق العجم وله نحو خمسمائة مدينة قواعد، خارجة عن القرى والرساتيق، ومن مدنها همذان (٢٠٨)والسوس وششتر، وزرنج(٢٠٩) ونيسابور وسرخس(٢١٠)

---

(٢٠٥) سابور الثاني (٣٧٩ - ٣١٠) (سابور بن هرمز) : هو سابور ذو الأكتاف وقد حكم فارس بعد وفاة سابور الأول. ومن أهم انجازاته العلمية أنه أراد أن تكون جنديسابور مركزا للنشاط العقلي فاعتنى بجمع كتب الفلسفة اليونانية وأمر بترجمتها إلى الفارسية، واستقدم للمدينة من ذاعت شهرته من العلماء والحكماء، واستدعى عدداً كبيراً ممن نبغوا في الطب وكانت لهم مؤلفات طبية، وكان منهم الطبيب الشهير تيودورس.

(٢٠٦) الشاذوران : هو الوزرة المحيطة بأسفل جدار الكعبة المشرفة من مستوى الطواف وهو مسنم الشكل ومبني من الرخام في الجهات الثلاث ما عدا جهة حجر إسماعيل عليه السلام وهو جزء من الكعبة المشرفة على الأرجح، ومثبت فيه حلقات يربط فيها ثوب الكعبة المشرفة.

(٢٠٧) تعد كرمان احد الأقاليم المشهورة في إيران قبل الاسلام وبعده ويقف شاهد عيان على هذه الحقيقة ليس في مدينة كرمان فحسب، وإنما في بم وأماكن عديدة أخرى في المنطقة العدد الكبير من القلاع ومعابد النار الزرادشتية التي ضمت ذات يوم عاصمة الإمبراطورية الساسانية المعروفة باسم هرمز الملك على اسم الملك هرمز الواقعة بين جيرفت ودارجين، وبعد ظهور الإسلام احتفظت المنطقة بأهميتها كملتقى طبيعي للطرق الممتدة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وحيث إن تلك الطرق كانت مفضلة أكثر من الطرق البحرية عبر المحيط الهندي، فقد أحرزت كرمان موقعاً استراتيجياً متميزاً (أنظر كرمان في العهد البويهي، إبراهيم بن عطا الله البلوشي، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٤).

(٢٠٨) همذان : مدينة مشهورة من مدن الجبال قيل: بناها همذان بن فلوج بن سام بن نوح عليه السلام ذكر علماء الفرس أنها كانت أكبر مدينة بأرض الجبال وكانت أربعة فراسخ في مثلها فالآن لم تبق على تلك

وغزنة[٢١١] ومرو[٢١٢]، والطالقان، وبلخ وفاراب وبدخشان[٢١٣] وقم[٢١٤] وقاشان[٢١٥] وأصبهان، وجرجان والبيلقان وراعة، وأردبيل[٢١٦] وطوس[٢١٧].

الهيئة لكنها مدينة عظيمة لها رقعة واسعة وهواء لطيف وماء عذب وتربة طيبة ولم تزل محل سرير الملوك ولا حد لرخصها وكثرة الأشجار والفواكه بها.

(٢٠٩) زرنج : مدينة فارسية مندثرة تقع في جنوب هراة (افغانستان)، كانت مدينة عامرة وعاصمة لإقليم سجستان ابان العصر الساساني وفتحها المسلمون ٣٠ هـ / ٦٥١ م (القاموس، ج٣، ص ٥٨).

(٢١٠) سرخس : يقول عنها القزويني " مدينة بين مرو ونيسابور بناها سرخس بن جودرز وهي كبيرة آهلة غناء كثيرة الخيرات لا ماء لها في الصيف إلا من الآبار ولأهلها يد باسطة في عمل العصائب والمقانع المنقوشة بالذهب منها تحمل إلى سائر الآفاق " .

(٢١١) غزنة : مدينة أفغانية تقع جنوب غربي العاصمة كابول. يناهز عدد سكانها الخمسين ألف نسمة، كانت عاصمة الغزنويين كما كانت من أهم مراكز الثقافة والآداب في العالم الإسلامي.

(٢١٢) مرو : حاضرة الدولة الخوارزمية.

(٢١٣) دخشان : حالياً هي ولاية من الولايات ال٣٤ ولاية في افغانستان تقع في الشمال الشرقي من أفغانستان .

(٢١٤) مدينة قم : يرجع تأسيس مدينة قم إلى عصر الفيشداديين (قدماء ملوك الفرس) وينسبها بعض المؤرخين إلى (طهمورث ابن هوشنغ)، والبعض الآخر ينسبها إلى (قمسواره بن لهراسب)،وقد فتحت في سنة ٢١ هـ في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وأقام فيها أبا موسى الاشعري، وقيل وجه اليها الأحنف بن قيس فافتتحها عنوة. وقد مصرت البلدة ايام الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٨٣ هـ، ولما انهزم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث (امير سجستان من جهة الحجاج والذي خرج عليه) فرَّ إلى كابل، وكان من جملة الفارين معه اخوة هم أبناء سعد بن مالك الاشعري، نزل هؤلاء في سبع قرى في منطقة قم كان اسم احداها (كمندان) ولما استوطنوها اجتمع اليهم بنو عمهم وصارت القرى السبع سبع محلات سميت احداها كمندان ثم اسقطوا بعض حروفها فسميت بتعريبهم قماً وهي مأخوذة من كلمة (كومة) التي كان الفرس يطلقونها على بيوت الرعيان الذين يردون قم للرعي (و هم أول من سكنوا المنطقة).وحالياً هي إحدى مدن الجمهورية الإسلامية في إيران و الحوزة العلمية في قم تعتبر ثاني أهم المراكز العلمية الدينية للشيعة

أرض طبرستان: وهي مشتملة على إقليم عظيم ومياه غزيرة وأشجار ملتفة، ومدينتها العظمى تسمى أيضاً طبرستان.

أرض الري: هي آخر الجبال من خراسان، وهو إقليم عظيم كثير القرى والأعمال والرساتيق.

جبال الديلم: وهي ثلاثة جبال منيعة يتحصن أهلوها بها. أحدها يسمى تردوسيان والثاني يسمى المرونج، والثالث يسمى واران. ولكل جبل منها رئيس. والجبل الذي فيه الملك يسمى الكروم وبه رياسة الديلم ومقام آل حسان، وبهذا الجبل والأولين أمم عظيمة من الديلم، وهي كثيرة الغياض والشجر والمطر وهي في غاية الخصب، ولها قرى وشعاب كثيرة وليس عندهم من الدواب ما ينقلون بها.أرض خوارزم: إقليم عظيم منقطع عن أرض خراسان وبعيد عما وراء النهر، ويحيط به مفاوز من كل جانب، وأول أعماله الظاهرية: خوارزم، وهي قاعدة هذه الأرض، وهي مدينة عظيمة، وفي الوضع مدينتان شرقية وغربية، فالأولى على ضفة نهرها الشرقية تسمى درغاشا،والثانية على ضفته الغربية وتسمى الجرجانية.

---

(٢١٥) قاشان : يقول عنها القزويني " مدينة بين قم وأصفهان.أهلها شيعة إمامية غالية جداً " .

(٢١٦) اردبيل : Ardabil : مدينة بأذربيجان القديمة، تقع بالقرب من بحر قزوين في منطقة جبلية تكسوها الثلوج وتوجد بظاهرها ينابيع ساخنة جعل منها مصحة لملوك الفرس القدماء وجعل منها بنو امية حاضرة للاقليم قبل ان تنتقل العاصمة الى تبريز (القاموس الإسلامي، ج١، ص ٦٤).

(٢١٧) طوس : يقول عنها القزويني " مدينة بخراسان بقرب نيسابور مشهورة ذات قرى ومياه وأشجار والمدينة تشتمل على محلتين يقال لإحداهما طابران والأخرى نوقان وفي جبالها معادن الفيروزج وينحت منها القدور البرام وغيرها من الآلات والظروف حتى قال بعضهم: قد ألان الله لأهل طوس الحجر كما ألان لداود عليه السلام الحديد منها جمع عقم الزمان بمثلهم ممن ينسب إليها الوزير نظام الملك الحسن ابن علي بن إسحق لم ير وزير أرفع منه قدراً ولا أكثر منه خيراً ولا أثقب منه رأياً " .

بُخارى (٢١٨): مدينة عظيمة ومملكة قديمة ذات قصور عالية وجنان متوالية وقرىٰ متصلة العمائر، ودورها سبعة وثلاثون ميلاً في مثلها ويحيط بها جميعاً سور واحد وداخل هذا السور المحيط سور آخر يدور علىٰ نفس المدينة ومدائنها من الرساتيق، ولها قلعة حصينة ونهر يشق ربضها وعلىٰ النهر أرحية كثيرة، وأهلها متمولون وذوو ثروة.

سَمَرقند (٢١٩): وهي مدينة تشبه بخارىٰ في العمارة والحسن، لها قصور عالية شاهقة ونهور دافقة تخترق أزقتها ودورها وتشق جهاتها وقصورها، وقل أن تخلو من بقاعها المياه الجارية ويقال إنها بناء تُبّع الكبير وأتمها ذو القرنين

وبحيرة خوارزم دورها ثلاثمائة ميل وماؤها ملح أجاج وليس لها مصب ولا مغيض، ويقع فيها جيحون علىٰ الدوام وسيحون وقتاً دون وقت، ويقع فيها أيضاً نهر الشاش ونهر الترك ونهر سرمازعا، وأنهار كثيرة صغيرة غيرها ولا يعذب ماؤها ولا يساغ ولا يزيد بما يقع فيها ولا ينقص. ويجمد نهر جيحون في الشتاء بالقرب من هذه البحيرة حتىٰ تجوز عليه الدواب وعلىٰ شطها جبل يعرف بحفرا نموية، يجمد فيه

---

(٢١٨) بخارىٰ : خامس أكبر مدن اوزبكستان. عاصمة ولاية بخارىٰ. فتحها المسلمون عام ٨٩ هـ علىٰ يد قتيبة بن مسلم الباهلي. غالب سكانها طاجيك يتحدثون الفارسية.دخلها المغول عام ٦١٧ هـ وقاموا بأعمال النهب والسلب والتخريب في المدينة

(٢١٩) سمرقند : هي مدينة في أوزبكستان. عدد سكانها ٤٠٠أ٠٠٠ نسمة معظمهم طاجيك (يتحدثون الفارسية لا الطاجيكية). تشتهر بتخريج علماء الدين، ويفصل بين سَمَرقند، و "بخُارىٰ" ١٥٠ ميلاً وأرض "سَمَرقند" خصبة، وافرة الخيرات، تمتد فيها حقول القمح حول الأنهار إلىٰ قرب مدينة "بنجيكت" المشهورة باشجار اللَّوز، والجوز، و"بنجيكت" المعروفة بهذا الاسم إلىٰ عصرنا الحاضر تقع شرق "سَمَرقند"، وبينهما "ورغسر"، وإلىٰ الجنوب منهما "ما يمرغ"، أغنىٰ الرساتيق، وأكثرها أشجاراً للمزيد انظر (الأصطخري: مسالك الممالك، ٣١٩ وكي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ٥٠٧).

الماء فيصير ملحاً لأهل تلك المملكة، وفي هذه البحيرة شخص يظهر في بعض الأوقات عياناً على صورة إنسان يطفو على وجه الماء ويتكلم ثلاث كلمات أو أربع كلمات مقفلات غير مفهومات ثم يغوص في الماء في الحال وظهوره يدل على موت ملك من الملوك الأعزاز.

أرض خورستان: وهي من بلاد الجبال، وهي أرض سهلة معتدلة الهواء كثيرة المياه واسعة الخير والخصب، وبها مدن كثيرة وقرى عامرة. ومن مدنها المشهورة الأهواز وهو القطر الكبير الواسع، المعمور النواحي، وهي قاعدة هذه المملكة وبها أرزاق وخيرات زائدة الوصف، وبها تعمل الثياب الأهوازية التي لا نظير لها في الدنيا وكذلك البسط والحلل والستور وملابس ومراكيب الملوك، وبها يصنع كل نوع غريب.

أرض طخارستان[٢٢٠]: وهي أرض الهياطلة؛ وإقليمه واسع؛ وهو بين أرض الجبال وبلاد الأتراك، وبها مدن كثيرة وقرى عامرة وخصب.

أرض الصغد[٢٢١]: وهي أرض واسعة ذات بساتين وأشجار وفواكه ومياه ومدن عامرة ولها نهر يسمى الصغد يخرج من جبال التيم ويمتد على ظهرها،

---

(٢٢٠) وتنقسم "طخارستان" إلى: طخارستان العليا؛ وهي في شرق "بَلْخ" في محاذاة نهر جيحون، وطخارستان السفلى، وهي في جنوبها الشرقي على حدود "بدخشان (ابن حوقل: صورة الأرض، ٣١٦).

(٢٢١) الصغد : يمكن تقسيم بلاد ما وراء النهر إلى خمسة أقاليم: الصغد وفيه بخارى وسمرقند، وخوارزم ويختلف عن إقليم خراسان الذي يقع جنوبه، والصغانيان وبذخشان والختّل وفيه مدينة ترمذ، وفرغانة، والشاش. وبلاد ماوراء النهر جزء من تركستان الغربية التي تضم في الوقت الحاضر: جمهورية أوزبكستان وطاجكستان، وقد سكنها الترك، وكان لهم فيها إمبراطورية عظيمة قبل الميلاد، وقد سكن المنطقة أيضاً الإيرانيون أيضاً ويبدو أنهم اغتصبوا تلك الأصقاع من الترك، وكانت عقائد أهل المنطقة الزرادشتية وهي ديانة الإيرانيين والبوذية القادمة من الشرق .وكان لملوكهم ألقاب منها: خاقان:

ومدينتها العظمى تسمى الصغد وهي ذات قصور عالية وأبنية شاهقة والمياه تخترق أزقتها وشوارعها، وقل أن يكون بها قصر أو دار أو بستان بغير ماء. أرض أشروسنة: وهي أرض قبل أرض فرغانة؛ وهي إقليم عظيم كالعراق، وبه مدن وقرى وخيرات وافرة وخصب إلى الغاية.

أرض التيم: وهي غربي بلاد فرغانة وهي أرض واسعة وبها جبال شاهقة بها معادن الذهب والفضة والنوشادر والزاج، وبها جبال شاهقة وطرق ممنعة، وفي الجبال خسوف تخرج منه النار في الليل فترى على مسافة خمسة أميال وفي النهار يخرج منه الدخان. وفي جبال التيم حصن شبيك الذي لم يطمع في الوصول إليه من يرومه من الأعداء؛ وهو كثير الخيرات وبه تعمل آلات الحديد والفولاذ وأنواع الأسلحة لتلك المملكة وغيرها.

أرض فرغانة(٢٢٢): وهي مجاورة أرض التبت، وهي أرض واسعة ذات كور وأقاليم ومدن وقرى وضياع. ومن مدنها المشهورة فرغانة وهي إقليم واسع وهي قاعدة ذلك الملك وبها أمم عظيمة وأسواق وخيرات.

أرض التبت: إقليم واسع ومدينته تسمى به، وهو آخر مدن خراسان وهو مجاور بلاد الصين وبعض بلاد الهند، وهو بلاد الأتراك التبتية وهو إقليم على نشز من الأرض عال؛ وفي أسفله واد يمر على بحيرة نزوان مشرقاً. ويعمل بها ثياب ثخان

وهو لقب من ألقاب السيادة التي تطلق على أباطرة المغول والترك العظام ومعناه ملك الملوك. فتحها قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٨٦هـ.

(٢٢٢) فرغانة: اسم مدينة واسم إقليم. وإقليم فرغانة من أقاليم نهر سيحون في بلاد ما وراء النهر، متاخمة لتركستان، وليس فيما وراء النهر أكثر قرى من فرغانة، وربما بلغ حد القرية مرحلة لكثرة أهلها وانتشار مواشيهم وزروعهم

الأجرام لها قيمة غالية. وأهلها يتجرون في الفضة والحديد والحجارة الملونة والمسك[٢٢٣] التبتي وجلود النمور، وليس على معمور الأرض أحسن ألواناً ولا أنعم أبداناً ولا أجمل أخلاقاً ولا أرق بشرة ولا أذكى رائحة من الترك الذين بتلك البلاد وهم يسرق بعضهم بعضاً ويبيعونه في البلاد.

ومن مدنه المشهورة يتنج وهي مدينة على رأس جبل، وعليها سور حصين ولها باب واحد لا غير، وبها صناعات كثيرة وأعمال بديعة. وبالجبل المتصل بالتبت ينبت السنبل، وفي غياضه دواب المسك ترعى منه وهي كغزلان الفلاة[٢٢٤] غير أن لها نابين معتقفين كأنياب الفيلة يخرج المسك من سرتها كالدمل فتحك سرتها في الحجر

---

(٢٢٣) المسك muse : يعتبر المسك ملك الأطياب والمسك كلمة عربية هي اسم لطيب من الأطياب القليلة التي مصادرها حيوانية،وقد ورد ذكر المسك في القرآن الكريم في وصف الأبرار اذ يقول عز وجل تعرف في وجوههم نظرة النعيم،يسقون من رحيق مختوم،ختامه مسك،وفي ذلك فليتنافس المتنافسون يعرف غزال المسك علميا باسم Moschus moschi ferus وهو غزال طوله حوالي متر وارتفاعه من عند الاكتاف نصف المتر وشعره بني رمادي وطويل وخشن وسهل الكسر،وغزال المسك خواف،يسعى لطلب طعامه ليلا وهو سريع الهرب،لهذا يتعب الصيادون في اصطياده وعادة ينصبون له المصائد في الأماكن التي يعتقدون تواجده بها. وغزال المسك يسكن غابات الهملايا ويفضل أعاليها وتمتد مساكنه الى التبت والى سيبيريا والشمال الغربي من الصين وأواسط آسيا عامة. تعتبر انثى الغزال البري كنز في عالم العطور فهي المصدر الوحيدة للمسك الاسود حيث يقوم الصيادون المتخصصون بمراقبة انثى الغزال لفترة طويلة حتى يتأكدوا من حالتها الصحية، وفي فصل مخصوص في السنه يقوم هؤلاء الصيادين بإصطياد انثى الغزال البري مستخرجين من صرتها المسك الاسود الذي يعتبر كتلة متجمدة من الدم يعتبر المسك مقويا للقلب نافعا للخفقان والأرياح الغليظة في الأمعاء وسمومها.يستعمل في الأدوية المقوية للعين ويجلو بياضها الرقيق وينشف رطوبتها ويزيل من الرياح. منشط للباءة وينفع من العلل الباردة في الرأس. ينفع اذا أستعط به الزكام.من أفضل الترياقات لنهش الأفاعي.

(٢٢٤) الفلاة : الأرض الواسعة المقفرة (الصحراء) وجمعها فلا وفلوات(حاشية رقم ١ من كتاب عجائب المخلوقات، ص ٨).

فينفجر وتجمد فتخرج التجار فتجمعه ويضعونه في النوافج. وبها فأرة المسك وهي فأرة يخرج المسك من سرتها أيضاً. وهذا المسك هو الغاية في قوة الرائحة وغاية الثمن. وبهذا الجبل من الراوند الصيني شيء كثير ويقرب منه جبل معطوف عليه كالدال وبه بئر بعيد القعر يسمع من أسفله خرير الماء ودوي جريانه ولا يدرك له قعر. ويتصل طرفا هذا الجبل بجبال الهند، وفي وسطه أرض وطيئة وفيها قصر عظيم مائل مربع البناء ولا باب له، وكل من قصد ومشى نحوه يجد في نفسه طرباً وسروراً كما يجد شارب الخمر من نشوة الخمر. ويقال إن من تعلق بهذا القصر وصعد إلى أعلاه ضحك ضحكاً شديداً ثم رمى بنفسه إلى داخله لا يدرى لأي شيء، ولا يمكن أحد أن يعلم ما سبب ذلك وما الذي في داخله؟

أرض اللان: وهي أرض واسعة عامرة. ومن مدنه المشهورة برذعة وهي مدينة عظيمة كثيرة الخصب، ويقرب منها موضع يقال له الاندروان مسيرة يوم في يوم، وهو من نزه الدنيا، كله عمارات وقصور وبساتين ومناظر وفواكه وثمار، وبه البندق والشاهبلوط الذي ليس له في الدنيا نظير في الطعم والكثرة حتى لو حمل ذلك إلى البلاد شرقها وغربها لكفاهم، وبها الريعان وهو نوع من العنبر[٢٢٥] الذي لا يوجد مثله في الدنيا. وهي على نهر الكر. وبها باب يعرف بباب الأكراد له سوق يعرف بسوق الكركي مقداره ثلاثة أميال.

أرض التغزغز: وهي بين أرض التبت والصين كما تقدم. ومن مدنها المشهورة أخوان وهي مدينة عظيمة آخذة من جهة المشرق على ضفة نهر وحولها مياه جارية

---

(٢٢٥) العنبر Ambre : نبات ينمو في قاع البحر وهو نوع من الإسفنج تنزعه الأمواج وتلقيه فوق الشاطىء .Relat.I.٤ ;Macoudi,I,٣٣٥ s; Serap;p.١٥١ ».

ومزارع كثيرة، وهي مرابع الأتراك، وبها يعمل من الآلات الحديد الصيني كل غريب، وبها من الآنية الصينية ما لا يوجد في غيرها.

وأما أرض الصين: فإنها طويلة عريضة، طولها من المشرق إلى المغرب نحو ثلاثة أشهر، وعرضها من بحر الصين إلى بحر الهند في الجنوب، وإلى سد يأجوج ومأجوج في الشمال. وقد قيل إن عرضها أكثر من طولها. وهي تشتمل على الأقاليم السبعة. ويقال إن بها ثلثمائة مدينة قواعد كبار عامرة، سوى الرساتيق والقرى والجزائر. وعندهم معدن الذهب. قال الهروي: أبواب الصين اثنا عشر باباً وهي جبال في البحر، بين كل جبلين منها فرجة تصير إلى موضع بعيد من بلاد الصين فإذا جاوزت السفينة تلك الأبواب جازت في بحر فسيح وماء عذب فلا تزال كذلك حتى تصير إلى الموضع الذي تريد من بلاد الصين.

وأهل الصين أحسن الناس سياسة وأكثرهم عدلاً وأحذق الناس في الصناعات والنقوش والتصوير. وإن الواحد منهم ليعمل بيده من النقش والتصوير ما يعجز عنه أهل الأرض وكان من عادات ملوكهم أن الملك منهم إذا سمع بنقاش أو مصور في أقطار بلاده أرسل إليه بقاصد ومال ورغبه في الإشخاص إليه، فإذا حضر عنده وعده بالمال والرزق والصلات، وأمره أن يصنع تمثالاً مما يعلمه من النقش والتصوير، ويبذل في ذلك غاية جهده ومقدرته ويحضر به إليه، فإذا فعل وأحضره علق ذلك الصنع والتمثال بباب قصر الملك وتركه سنة كاملة، والناس يهرعون إليه في تلك المدة، فإذا مضت السنة ولم يظهر أحد من الناس على عيب به وخلل في صنعه، أحضر ذلك الصانع وخلع عليه وجعله من خواص الصناع في دار الصناعة، وأجرى عليه ما وعده به من المال والصلة والإدرار.

فبلغه عن نقاش ماهر في النقش والتصوير في بلاد الروم فأرسل إليه وأشخصه وأمره بعمل شيء مما يقدر عليه من النقش والتصوير مثالاً يعلقه بباب القصر على العادة فنقش له في رقعة صورة سنبلة[٢٢٦] جنطة خضراء قائمة وعليها عصفور، وأتقن نقشه وهيئته حتى إذا نظره أحد لا يشك في أنه عصفور على سنبلة خضراء ولا ينكر شيئاً من ذلك غيرُ النطق والحركة. فأعجب الملك ذلك وأمر بتعليقة وبإدرار الرزق عليه إلى انقضاء مدة التعليق فمضت سنة إلا بعض أيام ولم يقدر أحد على إظهار عيب ولا خلل فيه، فحضر شيخ مسن ونظر إلى المثال وقال: هذا مختل وفيه عيب. فأحضر الملك وأحضر النقاش والمثال، وقال: ما الذي فيه من الخلل والعيب؟ فاخرج عما وقعت فيه بوجه ظاهر ودليل وإلا حل بك الندم وما لا خير فيه. فقال الشيخ: أسعد الله الملك وألهمه السداد، مثال أي شيء هذا الموضع؟ فقال الملك: مثال سنبلة من حنطة قائمة على ساقها وفوقها عصفور. فقال الشيخ: أصلح الله الملك: أما العصفور فليس به خلل، وإنما الخلل في وضع السنبلة. فقال الملك: وما الخلل؟ وقد امتزج غضباً على الشيخ. فقال: الخلل في استقامة السنبلة لأن من العرف أن العصفور إذا حط على سنبلة أمالها لثقل العضفور وضعف ساق السنبلة، ولو كانت السنبلة معوجة مائلة لكان ذلك نهاية في الوضع والحكمة. فوافق الملك على ذلك وسلم.

وأهل الصين قصار القدود[٢٢٧] عظام الرؤوس، ومذاهبهم مختلفة؛ فمنهم أهل أوثان، وأهل نيران، وعُباد حيات وغير ذلك. وأشرف ما يتحلون به قرون الكركند، لأنها إذا بشرت ظهرت منها صور مدهشة عجيبة كاملة النقش

---

(٢٢٦) السنبلة : جزء النبات الذي يتكون فيه الحب وأحد بروج السماء الاثنى عشر ويسمى العذراء والسنابل: رمز الخير والخصب (اللسان ٣ / ٢١١١).

(٢٢٧) القدود جمع قد أي الجسم .

والتخطيط، فيتخذون منها مناطق ويفتخرون بها فتبلغ قيمة المنطقة الواحدة أربعة آلاف دينار. وفي تلك القرون المنشورة خاصية عظيمة إذا شدت على الجسم تحت الثياب فإنها إذا دخل على الملك سم قدم إليه طعام فيه سم تحركت على جسمه واختلجت. وأما صين الصين فهي نهاية العمارة في المشرق، وليس وراءها إلا البحر المحيط. ومدينة الصين العظمى تسمى السيلى، وأخبارهم منقطعة عنا لبعدهم. ويحكى أن الملك عندهم إذا لم يكن له مائة زوجة بمهور، وألف فيل برجالها وأسلحتها، لا يسمى بملك. وإذا كان للملك منهم عدة أولاد ثم مات لا يرث ملكه منهم إلا أحذقهم بالنقش والتصوير.

ومن مدن الصين المشهورة خانقو وهي أعظم مدن الصين وهي على نهر عظيم أعظم من دجلة والفرات، وبها أمم لا تحصى كثرة، ولها ملك ذو هيبة على مربطه ما يزيد على ألف فيل، وجنوده كثيرة وهي على خور من البحر الأعظم تدخل فيه المراكب إلى مسيرة شهرين، وبها الأرز والموز الغزير وقصب السكر والنارجيل.

وخانكو: وهي مدينة عظيمة تشبه خانقو في السعة والعمارة وكثرة الخلق. وهي كثيرة الفواكه الفاخرة وهي على خور من البحر. وبهذه البلاد الحيوانات الغريبة الشكل مثل الفيل والكركند والزرافة وغير ذلك من الصندل والأبنوس والكافور والخيزران والعطر وجميع الأفاويه(٢٢٨) ما لا يوصف، والليل والنهار في هذه البلاد متكافئان.

وباجة: مدينة عظيمة وبها أمم عظيمة، وبها جميع الفواكه إلا العنب والتين فإنهما لا يوجدان بها ولا ببلاد الصين والتبت والهند، وإنما عندهم شجر يسمى الشكي

---

(٢٢٨) الأفاويه : وأفواه الطيب : نوافحه، واحدها فوه (اللسان ٥ / ٣٤٩٥).

والبركى، يطرح ثمراً طول الثمرة أربعة أشبار مدور كالمخروط وله قشر أحمر، وهو لذيذ الطعم وفي جوف تلك الثمرة حب مثل حب الشاهبلوط يشوى في النار ويؤكل فيوجد فيه طعم التفاح وطعم الكمثرى وطعم الموز، وفي بلاد الهند شجر يسمى العنباء كشجر الموز وثمرته كالمقل يعمل بالخل فيكون كطعم الزيتون. وهذه المدينة هي سكنى البغبوغ وهو ملك الصين ومعناه ملك الملوك وله في دسته وموكبه زي عظيم.

وجمدان: وهي مدينة عظيمة يشقها نهرها الأعظم المسمى جمدان وأهلها ذوو أموال غزيرة، وهي قاعدة من قواعد الصين.

كاشغر[٢٢٩]: وهي مدينة عظيمة على ضفة نهر صغير يأتي من شمالها، يقع من جبل، وبهذا الجبل معادن الفضة الطيبة الفائقة السهلة التخلص.

وخيعون: وهي مدينة حسنة ذات بساتين وفرج، وبها غزال المسك الفائق، ودابة الزباد الفاخر، وهي دابة كالهرة في الخلق وأنفس منها في الجسم، يحك الزباد من آباطها بمعلقة فضة وهو عرق يخرج من آباطها.

اسفيريا: مدينة عظيمة على بركة ماء عذب لا يعرف لها قعر، وبه سمك له وجوه مثل البوم على رؤوسها كقلانس الديوك. وطوخا: مدينة يعمل فيها ثياب

---

(٢٢٩) كاشغر: مدينة من أشهر مدن تركستان الشرقية وأهمها، وكانت عاصمتها في بعض فترات التاريخ، ولها بمركز عظيم في التجارة مع روسيا من جهة أوالصين من جهة ثانية أوبلاد ما وراء النهر من جهة ثالثة، وتشتهر بمنسوجاتها الصوفية الجميلة وكانت تعد قديماً من بلاد ما وراء النهر، وتضم قرى ومزارع كثيرة، يسافر إليها من سمرقند أوإقليم الصغد، وهي في وسط بلاد الترك، وأهلها مسلمون.

الحرير الطوخية التي لا نظير لها.وسوسة: وهي المدينة التي بها الفخار الصيني الفاخر الذي لا يعدله شيء من فخار الصين.

وقد ذكرنا من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق من المحيط إلى المحيط. ونرجع الآن إلى ذكر بلاد الجنوب وهي الواقعة بين المشرق والمغرب إن شاء الله تعالى، وهذه البلاد كلها بلاد السودان، وأولها من المغرب الأقصى إلى المشرق الأقصى، على حكم ربع الدائرة. فأول بلادهم من المغرب الأقصى: أرض مغرارة: ومن مدنها المشهورة المعظمة أوليلى وهي في البحر، وبها الملاحة المشهورة التي يحمل منها إلى سائر السودان.

وصلي: وهي مدينة كبيرة على نهر النيل، وهي مجتمع السودان، وأهلها ذوو بأس ونجدة، وملكها مؤمن.

وتكرور(٢٣٠): وهي في جنوب النيل وغربيه. وهي مدينة كبيرة وبها أمم عظيمة من السودان وهي مقر ملكهم وببلادهم معدن الذهب، ويسافر إليها أهل

---

(٢٣٠) تعرف كلمة تكرور بصورة كبيرة فقط في منطقة جغرافية تشمل مناطق مرور قوافل الحج مابين الجزيرة العربية وغرب دار فور في السودان. ويدخل ضمن هذه المنطقة أجزاء من ارض الحبشة واليمن من الجنوب، ومن الشمال يدخل فيها الشام ومصر حيث يوجد بولاء الدكرور (تلفظ بالدال كما عند المصرين). أداء الحج بصورة مكوكية أعطى التكروريين شهرة مميزة في الحجاز. ومعأودة الرحلة لبيت الله الحرام ربطهم بكلمة التكرار والتي اشتقت منها صفة تكروري كلمة تكرور هي مصطلح عربي استعمله أهل الحجاز لوصف شعوب مسلمة من سكان غرب إفريقيا، تلك المنطقة التي لم يَعرف العرب عنها الكثير قبل القرن العشرين عُرف الشعب أولا وسمي بالتكرور ثم أطلق الاسم على بلاد غرب إفريقيا ووصف المؤرخ القلقشندي مدينة تكرور بالمدينة الكبيرة ويقول عنها إنها اكبر من مدينة سلا التابعة لبلاد المغرب. لكن هل كانت كلمة تكرور تمثل الاسم المحلي لتلك المدينة أم أن القلقشندي أطلق الاسم على المدينة بعد إن لاحظ أن معظم سكانها من أُناس هو نفسه يسميهم بالتكرور والقلقشندي و البكري

الغرب بالصوف والنحاس والخرز والودع، ولا يجلب منها إلا الذهب العين. وللم: وهي مدينة متوسطة. وعندهم معدن الذهب.

وباقي أرض مغرارة صحارئ وبراري ومفاوز لا عمارة بها ولا مسالك، لقلة الماء والمراعي. وشمالها أرض غانة، وجنوبها الأرض من الربع الخراب

وأرض نقارة: وهي شرقي أرض مغرارة، ويه أرض واسعة. ومن مدنها المشهورة ونقرة وهي بلاد التبر والطيب، وهي جزيرة على ضفة المحيط، وطولها ثلاثمائة ميل وعرضها مائة وخمسون ميلاً. والبحر محيط بها من جهاتها الثلاث. والنيل في زيادته يغطي أكثر هذه الجزيرة، وإذا نقص الماء عنها خرج أهل تلك البلاد يبحثون في أرضها على التبر، فيحل لكل واحد منهم ما قسمه الله، ويخرجون وهم أغنياء. وللكهم أرض محمية مختصة لا يدخلها إلا أجناده فيجمعون له كنوزاً لا توصف، فيأتون به إلى مدينة سلجماسة في الغرب بها تبر فيضربونه دنانير ولذلك أهل سلجماسة جميعهم أغنياء بتلك الواسطة.

وغيرهم تارة يتحدثون عن مملكة التكرور وتارة عن مدينة تكرور. ويبدوا انه وبمجرد دخول الرحالة العرب لمناطق وقرئ تضم أناس لهم صفات التكروريون (بحسب تعريف العرب)، سمح لنفسه بتسمية كامل المنطقة بمملكة التكرور إما لصعوبة البحث في الموضوع أو بسبب إصرار كل قبيلة مهما كان صغرها على الاستقلال باسم مختلف مما أدئ لعدم وجود اسم شامل يضم مجمل شعوب المنطقة. كما يبدوا انه مع توغل الرحالة في المنطقة ووصوله لأكبر أو اقرب مدينة هناك سماها بمدينة التكرور نسبة لأكثرية سكانها الذين يصنفهم بالتكرور من وجهة نظره. هذا بالنسبة لتقدير الباحث للحقبة الأولى الغير مدونة تدوينا تاريخيا دقيقا عما يعرف بمملك أو مدينة تكرورومملكة التكرور هي مملكة واحدة لشعب واحد ثم تداول الحكم فيها بين عدة ملوك من قبائل مختلفة من سكان المنطقة الواقعة مابين دار فور والمحيط الأطلسي. فتارة ينتقل الملك من ملك لآخر بالتوارث بين أبناء نفس الملك وفي نفس القبيلة وتارة ينتزع بواسطة أفراد قبيلة أخرى من سكان المنطقة. لكن الثابت الوحيد في كل تلك المتغيرات كان منطقة نفوذ المملكة جغرافيا والقبائل الخاضعة لها.

وسمقارة: وهي مدينة متوسطة، وفي شمالها قوم يقال لهم تعامة برابر، رحالة لا يقيمون في موضع، ويرعون جمالهم وأبقارهم على ساحل نهر يأتي من جهة المشرق يصب فيه النيل، ومعاشهم من اللحم واللبن والسمك.

وغينارة: وهي مدينة على ضفة النيل، وعليها خندق محيط بها، وأهلها ذوو بأس ونجدة، وهم يغيرون على بلاد لملم ويأسرون منهم ويبيعون في البلاد. أرض الكرك: وهي مملكة عظيمة واسعة ولها ممالك كثيرة، ومدينتهم تسمى باسم إقليمهم كركرة وهي على نهر يخرج من ناحية الشمال، ويجوز عنها بأيام ويفيض في رمال في الصحراء كما يفيض الفرات، وبها من السودان أمم لا تحصى، وملكهم عظيم كثير الجنود، ولهم زي حسن، وحليهم الذهب الإبريز إلا العوام فإن لباسهم الجلود.

وهي متصلة ببلاد معادن الذهب، يقال إن الأرض عندهم كلها ذهب، ولهم خط لا يتجاوزه من وصل إليهم من التجار ومعه متاع، لكن إذا وصلوا إلى الخط وضعوا متاعهم عليه وانصرفوا، فإذا كان الغد أتوا إلى أمتعتهم فيجدون عند كل متاع شيئاً من الذهب، فإن رضي أحدهم أخذ الذهب وترك المتاع وإن لم يرض ترك المتاع والذهب إلى غد، فإن كان الغد وجد زيادة عند متاعه فإن رضي رفع الذهب وترك المتاع وإن لم يرض تركه إلى ثالث يوم، فمن وجد زيادة أخذ الذهب وإلا رفع متاعه وترك الذهب أو أخذ الذهب مع زيادة. وهكذا يفعل تجار القرنفل في بلادهم في القرنفل، وربما يتأخر بعض التجار بعد فراغه من البيع والمعاوضة ويضع النار في الأرض فيسيل منها الذهب فيسرقه ويهرب فإذا فطنوا لهم خرجوا في طلبهم فإن أدركوهم قتلوهم البتة.

وبأرض الكركر عود ينبت يسمى عود الحية، خاصيته أنه إذا وضع على حجر فيه حية خرجت مسرعة ويمسكها بيده فلا تضره أبداً.

أرض الدمام: يسار إليها من كركر على شاطئ البحر مغرباً، وهي مملكة عظيمة ولها ممالك كثيرة وجنود ذوو شدة ونجدة وتحت يد ملكهم ملوك وفي مملكته قلعة عليها سور، وفي أعلاه صورة امرأة يتألهون لها ويعبدونها ويحجون إليها، وهم أمة كالبهائم مهملون في أديانهم، وكلهم عرايا يأكل بعضهم بعضاً.

أرض غانة: وهي شمالي أرض مغرارة وهي مدينة سميت باسم إقليمها، وهي أكبر بلاد السودان وأوسعها شجراً وهم في سعة من المال وهي مدينتان في ضفة النيل ويقصدها التجار من سائر البلاد وأرضها ذهب ظاهر. ولهم في النيل زوارق عظيمة وأهلها يستخرجون الذهب يصنعونه كاللبن ويسافر إليها التين والملح والنحاس والودع، ولا يحملون منها إلا الذهب العين، ولها ملك ضخم في جنود وعدد، وله ممالك عديدة فيها ملوك من تحت يده، وله قصر عظيم النيل، وفي قصره تبرة واحدة من ذهب كالصخرة العظيمة، وهي خلقة الله وفيها ثقب كالمربع وهو مربط فرس الملك ويقال إن ملكها مسلم.

أرض قمندوية: وهي شمال أرض مغرارة متصلة بالمحيط وشرقها صحراء ينسر وبهذه الصحراء حيات طوال القدود غلاظ الأجسام في غلظ الخروف السمين وطول الرمح، وأطول وأقصر، ويصيدها ملوك السودان ويسلخونها ويطبخونها بالملح والشيح ويأكلونها. وبها جبل قابان وهو عال جداً يقال إن السحاب يمر دونه وليس به شيء من النبات وفيه أحجار لامعة إذا طلعت الشمس تكاد تخطف الأبصار وليس لأحد سبيل إلى الوصول إلى ذروته ولا سفحه لأنه مزحلق، وفي أسفله عيون عذبة كأن مياهها قد مزجت بالعسل.

أرض الكاتم: وهي أرض منبسطة واسعة على شاطئ النيل، وأهلها مسلمون إلا القليل منهم، وهم على مذهب مالك(٢٣١) رضي الله عنه

أرض النوبة(٢٣٢): أرض واسعة واقليم كبير ومسيرة مملكتهم ثلاثة أشهر، وهي في حدود مصر، وكثيراً ما يغزوهم عسكر مصر. ويقال: إن لقمان الحكيم الذي كان مع داود عليه الصلاة والسلام وهو المذكور في القرآن العظيم من النوبة، وأنه ولد بأيلة. ومنها ذو النون المصري رضي الله عنه، وبلال بن رباح(٢٣٣) خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤذنه.

---

(٢٣١) مالك (٩٣ – ١٧٩ هـ) : هو مالك بن أنس بن مالك الاصبحي الانصاري امام دار الهجرة واحد الائمة الاربعة عند أهل السنة. أ خذ العلم عن نافع مولى ابن نافع مولى ابن عمر، والزهري، وربيعة الرأي ونظرائهم. وكان مشهورا بالتثبيت والتحري : يتحري فيمن يأخذ عنه، ويتحري فيما يرونه من الأحاديث، ويتحري في الفيتا : لا يبالي أن يقول : «لا أدري». وروي عنه أنه قال : «ما افتيت حتي شهد سبعون شيخا أني موضوع لضلك» . اشتهر في فقه باتباع الكتاب والسنة وعمل أهل المدينة. كان رجلا مهيبا : وجه الية الرشيد فجلس بين يدي مالك. وقد امتحن قبل ذلك، فضربه أمير المدينة ما بين ثلاثين الي مائه سوط ومدت يداة حتي انحلت كتفاه وكان سبب ذلك أنه ابي الا أن يفتي بعدم وقوع طلاق الكره. ميلاده ووفاته بالمدينة. من تصانيفه : «الموطأ»؛و«تفسير غريب القرآن) وجمع فقه في «المدونة». وله «الرد علي القدرية»؛و«الرسالة» الي الليث بن سعد [الديباج المذهب ص ١١ – ٢٨؛ وتهذيب التهذيب ١٠ / ٥؛ ووفيات الاعيان ١ / ٤٣٩]..

(٢٣٢) النوبة : هي منطقة بجنوب مصر و شمال السودان. كان وادي الحوي، جنوب الشلال الثالث عبارة عن حوض قديم للنيل طوله حوالي ١٢٣ كم إلى الشرق من مجرى النيل الحالي. فمنذ الألفية الرابعة ق.م. كان حوضاً زراعياً غنياً ادي لظهور الجنمعات النيوليتية، يتحدث أهل النوبة اللغة النوبية بالاضافة الي اللغة العربية والإنجليزية وتنقسم اللغه النوبيه الى لهجه ماتوكيه«كنزيه» ولهجه فادكيه.

(٢٣٣) بلال بن رباح : ويكنى أبا عبد الكريم، وهو مولى أبي بكر، واعتقه لله، وكان مؤذنا لرسول الله، كان حبشياً من مولدي السراة، شهد بدراً وكان من السابقين الى الاسلام وممن عذبوا فصبر على العذاب «أسد الغابة (١ / ٢٤٣)، الجوهرة (٢ / ١٢٢) .

وعندهم معدن الذهب ودينهم النصرانية، وملكهم ملك جليل كثير الجنود، وهم فرقتان فرقة يقال لها علوة ومدينتهم العظمى ويلولة وهي مدينة عظيمة وبها من السودان أمم لا تحصى، والفرقة الأخرى يقال لها النوبة ومدينتهم العظمى دنقلة وهي مثل ويلولة على ضفة النيل من غربيه، وأهلها أحسن السودان وجوهاً وأعدلهم شكلاً وفي بلادهم الفيلة والزرافات والقرود والغزلان.

ومن مدن النوبة المشهورة نوابية ويقال لها نوبة. وهي مدينة وسط وبينها وبين النيل أربعة أيام، وشرب أهلها من الآبار. وفي نساء هذه المدينة الجمال الفائق والحسن الكامل. ولهم حسن النطق وحلاوة اللفظ وطيب النعمة وليس في سائر السودان من شعورهم مسبلة غيرهم وبعض الهنود وبعض الحبوش لا غير. وقيمة الجارية الحسناء منهن ثلثمائة دينار وما فوقها.

وحكي أنه كان عند الوزير أبي الحسن المروف بالمصحفي جارية منهن لم ير أكمل منها قدراً ولا أحسن خلقاً ولا أملح شكلاً ولا أنعم جسماً ولا أحلى منطقاً ولا أتم محاسن، وكانت إذا تكلمت سحرت الألباب بمنطقها وحلاوة ألفاظها فاشتراها الصاحب بن عباد(٢٣٤) منه بأربعمائة دينار وأحبها حباً عظيماً ومدحها في

---

(٢٣٤) ولد إسماعيل بن عباد في "اصطخر" في (١٦ من ذي القعدة ٣٢٦ هـ = ١٤ من أكتوبر ٩٣٨م)، وكان أبوه كاتبًا ماهرًا، ولي الوزارة لركن الدولة البويهي، وقبل أن يكون وزيرا كان من أهل العلم والفضل، سمع من علماء بغداد وأصفهان والري، وروى عنه جماعة من العلماء، وعني بتربية ابنه، وتعهده بالتعليم والتثقيف؛ حتى يكون كاتبا مثله، يتصل ببلاط الملوك، ويخلفه في الوزارة. ولم يكن الصاحب كاتبا موهوبا ووزيرا قديرا فحسب، وإنما جمع إلى ذلك مشاركة في علوم كثيرة؛ فله معرفة ورواية في الحديث النبوي؛ إذ سمع الحديث من أعلامه في العراق والري وأصبهان، وترجم له الحافظ الكبير أبو نعيم الأصبهاني في كتابه "ذكر أخبار أصبهان"، باعتباره محدثا لا رجل دولة، وذكر في أخباره أنه كان يناظر ويدرس ويملي الحديث، وتُوفي الصاحب بن عباد ليلة الجمعة في (٢٤ من صفر ٣٨٥هـ = ٣٠ من

بعض أشعاره. وقيل عنه إنه قبل مشتراها كانت همته قد ذهبت وشهوته انقطعت فلما اشتراها وضاجعها انبعثت شهوته ونهضت همته وتراجعت قوته، لطيب ما وجد عندها.

وطرمي: وهي مدينة كبيرة على البطيحة التي يجتمع بها ماء النيل. وعلى ضفة هذه البطيحة صنم كبير من حجر رافع يده إلى صدره يقال إنه كان رجلاً ظالماً فمسخ حجراً.

ويلاق: وهي مدينة كبيرة وهي مجتمع تجار النوبة وتجار الحبشة ومن ويلاق إلى جبل الجنادل ستة أيام، وإلى هذا الجبل تصل مراكب مصر والسودان.

الحبشة: وبلادهم تقابل بلاد الحجاز(٢٣٥) وبينهم البحر، وأكثرهم نصارى وهي أرض طويلة عريضة، مادة من شرقي النوبة إلى جنوبها، وهم الذين ملكوا اليمن قبل الإسلام في أيام الأكاسرة، وخصيان الحبشة أفضل خصيان، وفي نسائهم أيضاً جمال وحلاوة وحسن نغمة. ومن مدنها المشهورة كعبر وهي مدينتها العظمى وهي دار مملكة النجاشي[٢٣٦] رحمه الله تعالى، وبها من شجر الموز كثير، وأهل تلك البلاد لا يأكلون الموز ولا الدجاج أصلاً. **أرض الزيلع**[٢٣٧]: وهي تجاور الحبشة من

مارس ٩٥٥م) بالري، وأُغلقت المدينة لموته، وحضر الأمير "فخر الدولة البويهي" وكبار رجال دولته جنازته، ثم جلس لاستقبال المعزين فيه عدة أيام

(٢٣٥) الحجاز: حجز بين نجد وتهامة، فيها مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة، والطائف، وخيبر، وفدك، وتبوك (ياقوت، معجم ٢ / ٢١٩).

(٢٣٦) النجاشي: كلمة حبشية تُستخدم لقباً للملك، مثل كسرى وقيصر، تعني العطية (سيرة ابن هشام (١ / ٢٣١)، أنساب الأشراف (١٨٨)، لسان العرب (مادة نجش).

(٢٣٧) زيلع: عرفت زيلع كأحدى ممالك الطراز الاسلامي وذلك في القرن السادس عشر وهي مدينة قديمة فقد ذكرها اليعقوبي في كتابه البلدان وذلك في عام ٨٩١ م. وكذلك ذكرها المسعودي في كتابه

الشمال إلى الجنوب، وهم أمم عظيمة والغالب عليهم الإسلام والصلاح والانقياد إلى الخير.

أرض البجة(٢٣٨): وأهلها تجاور الحبشة من الشمال وهي بين الحبشة والنوبة وهم السواد، عراة الأجسام يعبدون الأوثان. ولهم عدة ممالك، وهم أهل أنس مع التجار، وفي بلادهم معدن الذهب، وليس بأرضهم قرى ولا خصب وإنما هي بادية جدبة تصعد التجار منها إلى وادي العلاقي، وهو واد فيه خلق كثير كالبلد الجامع، وفيه آبار عذبة يشربون منها. ومعدن الذهب عندهم متوسط في صحراء لا جبل حوله بل رماله لينة وسباسب سيالة، فإذا كان أولى ليالي الشهر العربي خاض الطلاب في تلك الرمال فينظرون التبر يضيء بين الرمال ويعلمون مواضعها ويصبحون فيجيء كل منهم إلى الكوم الرمل الذي علمه فيحمله على هجينة ويمضي إلى آبار فيغسله ويصوله ويستخرج منه التبر، ويلغمه بالزئبق ثم يسبكه في

مراجل الذهب ومدن الجواهر ٩٣٥م وكذلك ابن حوقل ذكرها على انها ميناء يربط أثيوبيا باليمن والحجاز في كتابه صورة الارض.وكانت منطقة تجارية كما ذكر الادريسي و ابن سعد وكانت تجارة الرقيقة من أهم الموارد عندهم. كما قام الرحالة ابن بطوطة بزيارتها ولكن لم تعجبه زيلع لكما قال كانت رائحة الدباح تغطي المدينة مما حداه إلى الاقامة في ريف زيلع وذلك في عام ١٣٢٩ م وحالياً ميناء صومالي في خليج عدن في أقليم أودل الصومالي وهي محاطة بالماء من ثلاث جهات كما تتميز هذه المدينة على أنها تملك مخزون جيد من الماء العذب وهو ما جعلها ميناء مفضل للجميع قبل تدميرها

(٢٣٨) البجة : الحديث عن تاريخ البجة هو عبارة عن التأصيل لحضارة أمة لعبت دورها في تاريخ السودان الشرقي عبر القرون والشرق هو مدخل السودان التاريخي، وذكر بعض المؤرخون أن البجة من الشعوب الحامية والتي استوطنت منذ اكثر منذ اكثر من أربعة الآف سنة المنطقة الممتدة من أسوان شمالا بمحاذاة النيل نحو سواحل البحر الأحمر وحتى مصوع جنوبا وقد جاء ذكرهم كثيرا في لوحات المصريين القدماء وجاء ذكرهم أيضا عند الرومان القدماء أيضا وقد كان للبجة اثر وتأثير واتصال بكل تلك الحضارات القديمة وقد حسبت بلادهم قديما إنها بلاد الذهب والزمرد والجواهر والبخور والعاج والتوابل وغيرها من الثروات.

البوادق، فمن ذلك بلاغهم ومعاشهم وقد انضاف إليهم جماعة من العرب من ربيعة بن نزار وتزوجوا منهم

عيذاب[٢٣٩]: وما يتصل بها من الصحراء المنسوبة إلى عيذاب وليس لها طريق معروفة إلا رمال سيالة، ولا يستدل عليها إلا بالجبال والكدي وربما أخطأها الدليل وهو ماهر. وعيذاب مدينة حسنة وهي مجمع التجار براً وبحراً، وأهلها يتعاملون بالدراهم عدداً ولا يعرفون الوزن، وبها وال من قبل البجة ووال من قبل سلطان مصر، يقسمان جباياتها نصفين، وعلى عامل مصر القيام بطلب الأوراق وعلى عامل البجة حمايتها من الحبشة. واللبن والعسل والسمن بها كثير، وبينها وبين الحجاز عرب البحر وبين النوبة قوم يقال لهم البليون أهل عزم وشجاعة يهابهم كل من حولهم من الأمم ويهادنونهم وهم نصارى خوارج على مذهب اليعقوبية.

---

(٢٣٩) عيذاب : تقع عيذاب علي الجزء الشمالي من ساحل البحر الأحمر السوداني علي بعد ٣٣ كيلو متر من ميناء بورتسودان وقد لعبت عيذاب دوراً رئيسياً بالنسبة للسودان حيث كانت نقطة انطلاق الدعوة الإسلامية منذ خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وتواتر ورود المسلمين عليها وترتبط عيذاب بطرق مواصلات مباشرة بوسط السودان وشرقه وكانت مخرجاً لمنتوجات منطقة مناجم الذهب وقد أشار إليها المقريزي بأنها أهم ميناء مزدهر تربط طريق عيذاب الدولي بموانى اليمن مع الهند والبحر المتوسط كما ظلت أهم ميناء الحجاج إلي مكة لمدة أربعة قرون تبدأ من القرن العاشر إلي القرن الرابع عشر الميلادي وخاصة بعد أن قفل الصليبيين الحج عن طريق الشام وتوجد بعيذاب مقابر كبيرة لا تتناسب وحجم المدينة وهذا يشير إلي زيادة قدوم الحجاج الموسميين إليها وقد اشتهرت عيذاب بالمباني الكبيرة فقد ذكر ابن بطوطة (جامع القسطلاني) كأحد المعالم المعروفة في العالم الإسلامي وقتها، كما توجد بها خزانات حفرت في الأرض وغطيت جدرانها بالجبص لحفظ المياه ومما يؤكد طبيعة ميناء عيذاب التجارية وجود كميات كبيرة من قطع الخزف والزجاج والفخار وكلها من الأنواع الرفيعة الغالية الثمن وفيها الخزف الفاطمي المملوكي الشهير والذي يشبه انتاج الفسطاط

أرض بربرة[٢٤٠] : وهي تتصل بأرض النوبة على البحر، وهي مقابلة اليمن، بها قرى عامرة متصلة وبها جبل يقال له قانوني وهو جبل له سبعة رؤوس خارجة وتمتد في البحر أربعة وأربعين ميلاً، وعلى رؤوس هذه الجبال بلاد صغيرة يقال لها الهاوية، وبعض أهل بربرة يأكلون الضفادع والحشرات والقاذورات ويتصيدون في البحر عوماً بشباك صغيرة.

ويلي هذه الأرض أرض الزنج وهي مقابل أرض السند وبينهما عرض بحر فارس، وهم أشد السودان سواداً وكلهم يعبدون الأوثان، وهل أهل بأس وقساوة، ويحاربون راكبين على بقر، وليس في بلادهم خيل ولا بغال ولا جمال.

قال المسعودي: ولقد رأيت هذه البقرة تبرك كما تبرك الجمال ويحملونها وتثور كالجمال، ومساكنهم من حد الخليج المنصب إلى سفالة الذهب.

وواق الواق[٢٤١]: وأرضهم واسعة وقراهم عامرة وكل قرية على خور وهي أرض كثيرة الذهب والخصب والعجائب، ولا يوجد البرد عندهم أصلاً ولا المطر، وكذلك غالب بلاد السودان، وليس لهم مراكب بل تدخل إليهم المراكب من عمان، والتجار يشترون أولادهم بالتمر ويبيعونهم في البلاد، وأهل بلاد الزنج كثيرون في العدد قليلون في العدد ويقال إن ملكهم يركب في ثلثمائة ألف راكب، كلهم على

---

(٢٤٠) بربر: هو الإقليم المعروف على ساحل الصومال، المطل على خليج عدن، وعده التجار العرب أول حدود بلاد الزنج، واشتهر عندهم لوفرة العنبر على سواحله (رحلة السيرافي، ص ١٠٣).

(٢٤١) واق الواق : إنها في بحر الصين وتتصل بجزائر زانج والمسير إليها بالنجوم قالوا: إنها ألف وستمائة جزيرة وإنما سميت بهذا الاسم لأن بها شجرة لها ثمرة على صور النساء معلقات من الشجرة بشعورها وإذا أدركت يسمعمنها صوت واق واق وأهل تلك البلاد يفهمون من هذا الصوت شيئاً يتطيرون به. قال محمد بن زكرياء الرازي: هي بلاد كثيرة الذهب حتى ان أهلها يتخذون سلاسل كلابهم وأطواق قرودهم من الذهب ويأتون بالقمصان المنسوجة من الذهب.

البقر. والنيل ينقسم فوق بلادهم عند جبل المقسم وأكثرهم يحددون أسنانهم ويبردونها حتى ترق، ويبيعون أنياب الفيلة وجلود النمور والحديد، ولهم خزائن يخرجون منها الودع ويتحلون به ويبيعونه فيما بينهم بثمن له قيمة، ولهم ممالك واسعة.

أرض الدمادم(٢٤٢): وبلادهم على النيل مجاورة للزنج، والدمادم هم تتر السودان، يخرجون عليهم كل وقت فيقتلون ويأسرون وينهبون وهم مهملون في أمر أديانهم وفي بلادهم الزرافات كثيرة، ومنهم يفترق النيل إلى أرض مصر إلى جهة الزنج.

أرض سفالة الذهب: وهي تجاور أرض الزنج من المشرق، وهي أرض واسعة وبها جبال فيها معادن الحديد يستخرجه أهل تلك البلاد. والهنود تأتي إليهم ويشترون منهم بأوفر ثمن مع أن في بلاد الهنود معادن الحديد، لكن معادن سفالة أطيب وأصح وأرطب، والهنود يصفونه فيصير فولاذاً قاطعاً. وبهذه البلاد معادن لضرب السيوف الهندية وغيرها ومع ذلك لا يتحلون إلا بالنحاس ويفضلونه على الذهب. وأرض سفالة متصلة بأرض واق الواق.أرض الحجاز: وهي تقابل أرض الحبشة وبينهما عرض البحر. ومن مدنها المشهورة مكة (٢٤٣)المشرفة وهي مدينة

---

(٢٤٢) الدمادم : قال عنهم (عماد الدين ابو الوفا) في كتابه (تقويم البلدان) من أمم السودان (الدمادم) بلادهم علي النيل فوق بلاد الزنج، وهم مهملون في أديانهم وفي بلادهم الزراف) إنتهي الإقتباس.بينما يري (المقريزي) أن بلاد الدمادم تقع في الواحات الغربية المتصلة ببلاد الزغاوة، ويعتقد أن اصلاهما واحد إستنادا لمخطوطات النسابة، حيث يقول أن (شفنا) ابو الزغاوة و(شنقا) ابو الدمادم إخوة ينتسبان الي (كوش (فانتيني – تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة، الخرطوم ١٩٧٨م ص ١٥٤).

(٢٤٣) بكة – مكة : Bakkah : البلد الحرام، موضع الكعبة، وزمزم، والمقام؛ سميت مكة لأنها تمُكُّ الجبارين، أي تُذهب نخوتهم؛ وقيل: سميت مكة لازدحام الناس بها؛ وقيل: سميت مكة لأن العرب في

قديمة. روى الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في كتاب البهجة قصة بناء البيت الحرام، قال: وهو حرم مكة وكعبة الإسلام وقبلة المؤمنين، والحج إليه أحد أركان الدين.

الجاهلية كانت تقول: لا يتم حجنا حتى نأتيَ مكان الكعبة، ومن أسمائها: أم زحم، وأم القرى، ومعاد، والحاطمة، والبيت العتيق، والرأس، والحرم، وصَلاح، والبلد الأمين، والنسّاسة، والناسّة، والباسّة، والقادس، والعرش، والمُذهَب، وبكة؛ وقال قوم: بكة، موضع البيت، ومكة: ما حول البيت؛ وفي التنزيل، قوله تعالى:] لتنذر أم القرى [(الشورى:٧) وقوله سبحانه:] وهذا البلد الأمين [(التين:٣).

واختلف العلماء في ابتداء بناء البيت الحرام على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الله تعالى وضعه، ليس ببناء أحد. ثم في زمان وضعه إياه قولان: أحدهما قبل خلق آدم عليه السلام. قال أبو هريرة(٢٤٤) رضي الله عنه: وكانت الكعبة(٢٤٥) خشفة على الماء وعليها ملكان يسبحان الله تعالى، الليل والنهار، قبل خلق الأرض بألفي عام. والخشفة الأكمة الحمراء

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما كان عرش الرحمن على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض بعث الله ريحاً فصفقت الماء فأبرزت عن خشفة في موضع البيت كأنها قبة، فدحا الأرض من تحتها. وقال مجاهد: لقد خلق الله عز وجل موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرض بألفي عام، وإن قواعده لفي الأرض السابعة السفلى. وقال كعب الأحبار رضي الله عنه: كانت الكعبة غثاء على الماء قبل أن يخلق الله الأرض والسموات بأربعين سنة. وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: كان قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة حمراء من

---

(٢٤٤) أبو هريرة (٢١ ق هـ ٥٩ هـ) هو عبد الرحمن بن صخر. من قبيلة دوس وقيل في اسمه غير ذلك. صحابي. رواية الأسلام. أكثر الصحابة رواية. أسلم ٧هـ وهاجر الى المدينة. ولزم النبي صلى الله علية وسلم. فروى عنه أكثر من خمسة آلاف حديث. ولاه أمير المؤمنين عمر البحرين، ث م عزله للين عريكته. وولي المدينة سنوات في خلافة بني أمية. [الأعلام للزركلي ٤/ ٨٠؛ و(أبو هريرة) لعبد المنعم صالح العلي].

(٢٤٥) لمزيد من المعلومات، أنظر: صحيح مسلم (٩ / ٨٨)، وتاريخ الطبري (١ / ١٢٣)، وسيرة ابن هشام (١ / ٢٠) والكعبة كل شيء علا وارتفع فهو كعب، ومنه سميت الكعبة للبيت الحرام؛ وقيل: سميت بذلك لتكعيبها، أي: تربيعها ومن أسمائها: الباسّة، والحمساء، والقادس، وسرة الأرض، ووَسَط الدنيا، والآل، والمُذْهَب، والدُّوار وبكة وفي التنزيل قوله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً) (آل عمران:٩٦).

يواقيت الجنة فلما هبط آدم إلى الأرض أنزل الله عليه الحجر الأسود(٢٤٦) فأخذه فضمه إليه استئناساً به. وحج آدم فقالت له الملائكة: لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام. فقال آدم: رب اجعل له عماراً من ذريتي. فأوحى الله تعالى إليه: إني معمره ببناء نبي من ذريتك اسمه إبراهيم.

القول الثاني: أن الملائكة بنته. قال أبو جعفر الباقر رضي الله عنه: لما قالت الملائكة: «**أتجعلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها**» (٢٤٧) غضب الرب عز وجل عليهم فلاذوا بالعرش مستجيرين يطوفون حوله، يسترضون رب العالمين فرضي سبحانه وتعالى عنهم فقال عز وجل ابنوا لي بيتاً في الأرض يعوذ به كل من سخطت عليه كما فعلتم أنتم بعرشي.

القول الثالث: أن آدم لما أُهبط من الجنة أوحى الله إليه أن ابن لي بيتاً واصنع حوله كما صنعت الملائكة حول عرشي، وافعل كما رأيتهم يفعلون، فبناه. أبو صالح عن ابن العباس، وروى عطية عنه أيضاً، قال: بنى آدم البيت في خمسة أجبل: لبنان وطورسينا وطوزيتا والجردي وحراء. قال وهب ابن منبه: لما مات آدم بناه بنوه بالطين والحجارة فنسفه الغرق. قال مجاهد: وكان موضعه بعد الغرق أكمة حمراء لا تعلوها السيول، وكان يأتيها المظلوم ويدعو عندها المكروب. وقال عز وجل: «وإذ

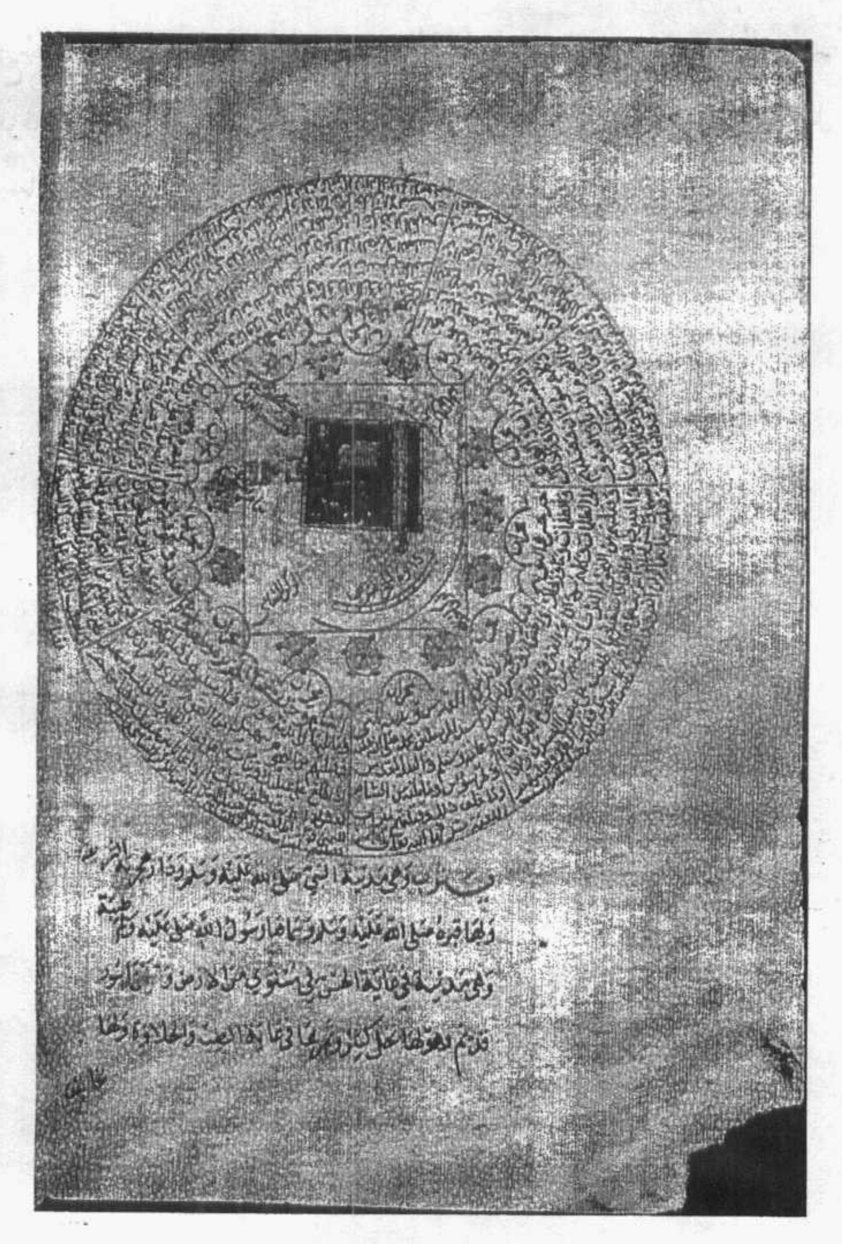
---

(٢٤٦) الحجر الأسود : الحجر الأسود حجر مبارك عند المسلمين لونه أسود مائل للحمرة. يعتقد بعضهم بأنه نزل من الجنة أبيضا ولكن سودته ذنوب العباد. وضعه أبراهيم عليه السلام بأمر من الله في أحد أركان الكعبة المشرفة يوجد في الركن الجنوب الشرقي من الكعبة. ويبدأ بالطواف حول الكعبة من عنده. الحجر الأسود قطره ٣٠ سم ويحيط به إطار من الفضة. يستحب تقبيل الحجر الأسود أو لمسه اقتداء بالرسول الإسلام ويقال عند استلامه بسم الله، والله أكبر. ويمكن أن يكتفي المعتمر أو الحاج بالإشارة إليه من بعيد.

(٢٤٧) سورة البقرة : آية ٣٠.

يرفع إبراهيمُ القواعدَ من البيت وإسماعيلُ»(٢٤٨) وهما أول من بنى البيت بعد الطوفان على القواعد الأزلية الأولية، فنسب بناء البيت إلى إبراهيم الخليل وإسماعيل عليهما السلام، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(٢٤٨) سورة البقرة: آية ١٢٧.



يثرب: وهي مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ودار هجرته الشريفة، وبها قبره صلى الله عليه وسلم وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وهي مدينة في غاية الحسن في مستوى من الأرض، وعليها سور قديم. وحولها نخل كثير وتمرها في غاية

الطيب والحلاوة. ولها مخاليف وحصون، منها وادي العقيق. وبها نخل مزارع أيضاً وقبائل من العرب، والبقيع كذلك. ووادي القرى وهو حصين بين الجبال وبه بيوت منقورة في الصخور، وتسمى تلك النواحي الأثالب وبها كانت ثمود، وبها الآن بئر ثمود ودومة الجندل، وهو حصن منيع. وتبوك(٢٤٩) وهي قرية حسنة ولها حصن من حجر. وفدك كانت خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم، ومدين مقر شعيب عليه السلام.

أرض نجد(٢٥٠): وهي أرض عظيمة واسعة كثيرة الخير، وهي بين الحجاز واليمن، وبها مياه جارية وثمار وأشجار في غاية الرخص.

وأما أرض اليمن(٢٥١): فهي تقابل أرض البربر وأرض الزنج وبينهما عرض البحر. واليمن على ساحل بحر القلزم من الغرب، وكان بين هذا البحر وأرض

---

(٢٤٩) تبوك : موضع بين وادي القرى من أرض الحجاز وبين الشام أنظر: (معجم البلدان : ج٢، ص ١٤، وفتح الباري شرح صحيح البخاري في كتاب المغازي ٨/ ١١٠) .

(٢٥٠) نجد : هي المنطقة الوسطى من الجزيرة العربية و من الأقاليم الرئيسية التي تألفت منها المملكة العربية السعودية، و تقع فيها العاصمة السعودية الرياض. و نجد هي الموطن القديم للكثير من القبائل العربية الكبيرة، كما كانت موطن الكثير من كبار شعراء العصر الجاهلي و فترة صدر الإسلام. و شهدت نجد أيضاً مولد الحركة الوهابية التي قامت على أساسها الدولة السعودية بمراحلها الثلاث. و معظم ما كان يعرف بنجد مقسم حالياً بين عدة مناطق إدارية في المملكة، أهمها منطقة الرياض و منطقة القصيم و منطقة حائل، كما كانت تسمية نجد قديماً تمتد شمالاً حتى الحدود الجنوبية للعراق.

(٢٥١) تعدد اسم اليمن في كتب التاريخ فهي عند قدماء الجغرافين " العربية السعيدة "وفي العهد القديم " التوراة " يذكر اليمن بمعناه الاشتقاقي اي الجنوب و ملكة الجنوب (ملكة تيمنا) وقيل سميت اليمن باسم (ايمن بن يعرب بن قحطان). وفي الموروث العربي و عند اهل اليمن انفسهم ان اليمن اشتق من " اليمن " اي الخير و البركة و تتفق هذه مع التسمية القديمة " العربية السعيدة " وقال آخرون سمي اليمن يمنا لانه على يمين الكعبة و العرب يتيامنون و الجهة اليمنى رمز الفأل الحسن و لايزال بعض اهل اليمن يستعملون لفظة الشام بمعنى الشمال و اليمن بمعنى الجنوب و تسمى اليمن اليوم " الجمهورية اليمنية "

اليمن جبل يحول بينهما وبين الماء، وكان بين اليمن والبحر مسافة بعيدة فقطع بعض الملوك ذلك الجبل بالمعاول ليدخل منه خليجاً فيهلك بعض أعدائه وأطلق البحر في أرض اليمن، فاستولى على ممالك عظيمة ومدن كثيرة وأهلك أمماً عظيمة لا تحصى، وصار بحراً هائلاً.

ومن مدنها المشهورة زبيد وهي مدينة كبيرة عامرة على نهر صغير، وهي مجتمع التجار من أرض الحجاز والحبشة وأرض العراق ومصر، ولها جبايات كثيرة على الصادر والوارد.

وصنعاء[٢٥٢]: وهي مدينة متصلة العمارات كثيرة الخيرات معتدلة الهواء والحر والبرد، وليس في بلاد اليمن أقدم منها عهداً ولا أوسع قطراً ولا أكثر خلفاً وبها قصر غمدان المشهور، وهو على نهر صغير يأتي إليها من جبال هناك. وشمالي صنعاء جبل يقال له جبل المدخير وعلوه ستون ميلاً، وبه مياه جارية وأشجار وثمار ومزارع كثيرة وبها من الورس والزعفران كثير جداً

تقع اليمن في جنوب غرب قارة آسيا في جنوب شبه الجزيرة العربية ويحدها من الشمال المملكة العربية السعودية ومن الجنوب البحر العربي وخليج عدن ومن الشرق سلطنة عمان ومن الغرب البحر الأحمر، وتوجد لدى اليمن عدد من الجزر اليمنية تنتشر قبالة سواحلها على امتداد البحر الأحمر والبحر العربي وأكبر هذه الجزر جزيرة سقطرى والتي تبعد عن الساحل اليمني على البحر العربي مسافة ١٥٠ كيلو متر تقريبياً.

(٢٥٢) صنعاء: منسوبة الى جودة الصنعة، والنسبة الى صنعاني، وكان اسمها الأول أزال، وحين دخلها الأحباش وجدوها مبنية بالحجارة أي حصينة، فقالوا: هذه صنعة (أي حصينة) فسميت صنعاء، وقيل سميت باسم بانيها.

عدن(٢٥٣): وهي مدينة لطيفة، وإنما اشتهر اسمها لأنها مرسى البحرين، ومنها تسافر مراكب السند والهند والصين وإليها تجلب بضائع هذه الأقاليم من الحرير والسيوف، والكيمخت والمسك والعود والسروج، والأمتعة والأهليجات(٢٥٤) والحرارات والعطريات، والطيب والعاج والأبنوس، والحلل والثياب المتخذة من الحشيش الذي يفخر على الحرير والديباج والقصدير، والرصاص واللؤلؤ والحجارة المثمنة والزباد والعنبر، إلى ما لا نهاية لذكره. ويحيط بها من شمالها جبل دائر من البحر إلى البحر، وفي طرفيه بابان يدخل منهما ويخرج، وبينها وبين اليابس مدينة الزنج مسيرة أربعة أيام.

تهامة(٢٥٥): وهي قطعة من اليمن بين الحجاز واليمن، وهي جبال مشتبكة، حدها من الغرب بحر القلزم، ومن الشرق جبال متصلة، وكذا من الجنوب الشمالي وبأرض تهامة قبائل العرب. ومن مدنها المشهورة هجر.

أرض حضرموت(٢٥٦): وهي شرقي اليمن وهي بلاد أصحاب الرس وكانت لهم مدينة اسمها الرس سميت بأسم نهرها. ومن أرض حضرموت المشهورة سبأ

---

(٢٥٣) عدن : وقيل : سُميت عدن بعدن بن عدنان وذكر ابن حوقل أن عدن مدينة صغيرة وشهرتها لأنها فرضة على البحر ينزلها السائرون في البحر، وباليمن مدن أكبر منها ليست كشهرتها (صورة الأرض ص ٤٤، وياقوت : معجم البلدان ٤ / ٨٩).

(٢٥٤) الإهليج Myrobalans : ثمرة ذات نواة، من جنس البرقوق ومنه فجاً ومنه حلواً .

(٢٥٥) تهامة : إلى البحر الأحمر من الشرق، من العقبة - في الأردن - إلى المخا في اليمن.

(٢٥٦) حضرموت : كما ورد في دائرة المعارف للبستاني إنها نسبت إلى عامر بن قحطان الذي لقب بحضر موت لأنه كان إذا حضر حربا أكثر من القتل، فأصبح يُقال عند حضوره حضر موت، ثم أطلق للأرض التي كانت بها قبيلته هذه أرض حضرموت، ثم أطلق الأسم على البلاد نفسها. ويشير الحسن الهمداني أن نسبة الاسم تعود إلى حضرموت بن حمير الأصغر الذي غلب على اسم ساكنها على إسمها أو الغالب كما

التي ذكرها الله تعالى في القرآن وكانت مدينة عظيمة؛ وكان بها طوائف من أهل اليمن. وعمان تسمى مدينة مأرب، وهو اسم ملك البلاد وبهذه المدينة كان السد الذي أرسل الله إليه سيل العرم. (٢٥٧)

وكان من حديثه أن أمرأة كاهنة رأت في منامها أن سحابة غشيت أرضهم فأرعدت وأبرقت ثم صعقت فأحرقت كل ما وقعت عليه؛ فأخبرت زوجها بذلك وكان يسمى عمراً، فذهب إلى سد مأرب فوجد الجرذ وهو الفأر يقلب برجليه حجراً لا يقلبه خمسون رجلاً؛ فراعه ما رأى وعلم أنه لا بد من كارثة تنزل بتلك الأرض، فرجع وباع جميع ما كان له بأرض مأرب وخرج هو وأهله وولده. فأرسل الله تعالى الجرذ على أهل السد الذي يحول بينهم وبين الماء فأغرقهم، وهو سيل العرم، فهدم السد وخرج أهل تلك الأرض فأغرقها كلها.

وهذا السد بناه لقمان الأكبر بن عاد، بناه بالصخر والرصاص، فرسخاً في فرسخ، ليحول بينهم وبين الماء وجعل فيه أبواباً ليأخذوا من مائه بقدر ما يحتاجون إليه. وكانت أرض مأرب من بلاد اليمن مسيرة ستة أشهر متصلة العمائر والبساتين، وكانوا يقتبسون النار بعضهم من بعض، وإذا أرادت المرأة الثمار وضعت على رأسها مكتلها وخرجت تمشي بين تلك الأشجار وهي تغزل، فما ترجع إلا والمكتل ملآن من الثمار التي بخاطرها، من غير أن تمس شيئاً بيدها البتة.

ذكر في العهد القديم نسبة لحضرموت بن قحطان بن عابر. ونتيجة للحالة الاقتصادية لأهل هذا الوادي فقد انتشر أهله في أرجاء العالم الإسلامي.

(٢٥٧) سيل العرم : أي السيل البالغ الشدة، وقيل ان العرم اسم الوادي الذي اقيم عليه السد وقيل ان العرم المطر الشديد (القاموس، ج٣، ص ٦١٠، واللسان ٤ / ٢٩١٤).

وكانت أرضهم خالية من الهوام والحشرات وغيرها فلا توجد فيها حية ولا عقرب ولا بعوض ولا ذباب ولا قمل ولا براغيث. وإذا دخل الغريب في أرضهم وفي ثيابه شيء من القمل أو البراغيث هلك من الوقت والحين وذهب ما كان في ثيابه من ذلك بقدرة القادر.

وأذهب الله تعالى جميع ما كانوا فيه من النعيم الذي ذكره في كتابه ولم يبق بأرضهم إلا الخمط والأثل(٢٥٨) وهو الطرفاء والأراك وشيء من سدر قليل وقد قال الله تعالى: «وبدّلناهم بجنّتَيْهِمْ جنتين ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ»(٢٥٩) وذلك بأنهم كفروا بنعمة الله تعالى وجحدوها فنزل بهم ما نزل من العذاب، قال الله جل ذكره «ذلك جزَيْناهم بما كفروا وهل نُجازي إلا الكفور»(٢٦٠). وسبأ الآن خراب وكان بها قصر سليمان بن داود عليهما السلام، وقصر بلقيس(٢٦١) زوجته، وهي ملكة تلك الأرض التي تزوجها سليمان، وقصتها مشهورة، وبأرضها جبل منيع صعب المرتقى لا يصعد إلى أعلاه إلا بالجهد العظيم، وفي أعلاه قرى كثيرة عامرة وبساتين وفواكه

---

(٢٥٨) الأثل : شجر طويل مستقيم، أغصانه كثيرة التعقد وورقه دقيق وثمره حب أحمر لا يُؤكل .

(٢٥٩) سورة سبأ : آية ١٦، الخمط كل نبت أخذ طعماً من المرارة أو الحموضة وتعافه النفس، وقيل أنه ثمر كل شجر ذي شوك (النباتات، ص ٢٩).

(٢٦٠) سورة سبأ : آية ١٧.

(٢٦١) بلقيس : هي ملكه سبأ،يقال أن أمها من الجن أرسل لها النبي سليمان الهدهد برسالة يدعوها للتوحيد. وكانت بلقيس وشعبها يعبدون الشمس. وفكرت في أن أفضل حل هو إرسال هديه لسليمان، فقررت إرسال رسلها بالهدايا العظيمة له و لكنه رفضها وتعجب رسل بلقيس من حجم مملكه سليمان وجنوده من الإنس و الحيوانات و الطيور المختلفة. وقررت بلقيس أن تذهب له إلى مملكته حتى تتوصل معه إلى حل سلمي، و بعد وصولها تفاجأت بأن عرش ملكها عنده. و أعد لها سليمان عليه السلام مفاجأة أخرى وكانت قصرا من البلور فوق الماء وظهر كأنه لجه فلما قال لها ادخلي الصرح حسبت أنها ستخوض اللجة، فكشفت عن ساقيها، فلما تمت المفاجأة كشف لها سليمان عن سرها، قال: (إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ)[النمل:٤٤]. أعلنت الملكة بلقيس إسلامها و ايمانها بالله وامن العديد من أبناء شعبها.

ونخل مثمر وخصب كثير، وبهذا الجبل أحجار العقيق وأحجار الحمشت وأحجار الجزع وهي مغشاة بأغشية ترابية لا يعرفها إلا طالبها والعارف بها، ولهم في معرفتها علامات فتصقل فيظهر حسنها.

الأحقاف(٢٦٢): هي التلال من الرمل التي بين حضرموت وعمان، وهي قرى متفرقة. وروي عن **عبد الله بن قلابة**(٢٦٣) رضي الله عنه أنه خرج في طلب ابل له شردت فبينما هو في صحارى بلاد اليمن وأرض سبأ إذ وقع على مدينة عظيمة بوسطها حصن عظيم، وحوله قصور شاهقة في الجو، فلما دنا منها ظن أن بها سكاناً أو أناساً يسألهم عن إبله، فإذا هي قفر ليس بها أنيس ولا جليس، قال: فنزلت عن ناقتي وعقلتها ثم استللت سيفي ودخلت المدينة ودنوت من الحصن، فإذا ببابين عظيمين لم ير في الدنيا مثلهما في العظم والارتفاع، وفيهما نجوم مرصعة من ياقوت أبيض وأصفر يضيء بها ما بين الحصن والمدينة، فلما رأيت ذلك تعجبت منه وتعاظمني الأمر فدخلت الحصن وأنا مرعوب ذاهب اللب، وإذا الحصن كمدينة في السعة، وبه قصور شاهقة وكل قصر منها معقود على عمد من زبرجد وياقوت، وفوق كل قصر منها غرف، وفوق الغرف غرف أيضاً وكلها مبنية بالذهب والفضة مرصعة باليواقيت الملونة والزبرجد واللؤلؤ، ومصاريع تلك القصور كمصاريع

---

(٢٦٢) الاحقاف : هي المنطقة الواقعة بين عمان من جهة الشمال و حضرموت من جهة الجنوب و بحر العرب من جهة الشرق و صحراء الربع الخالي من جهة الغرب، و هي حاليا تتضمن الاجزاء الشرقية من حضرموت و محافظة المهرة و محافظة ظفار. و بلاد الاحقاف هي موطن قبيلة عاد العربية المذكورة في القران، و تقع فيها مدينة ارم ذات العماد المذكورة في القران. و تسكن حاليا بلاد الاحقاف القبائل القحطانية العربية العاربة و من هذه القبائل قبائل المهرة و قبائل القرا (الحكلي) و قبائل الكثير و قبائل اليافع و قبائل الصيعر و قبائل الحموم وقبائل ال تميم وبني ظنه و القبائل المنتمية إلى حضرموت.

(٢٦٣) عبد الله بن قلابة : من عباد أهل البصرة وزهادهم يروى عن أنس بن مالك ومالك بن الحويرث روى عنه أيوب وخالد مات بالشام سنة أربع ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك.

الحصن في الحسن والترصيع. وقد فرشت أراضيها باللؤلؤ الكبار وبنادق المسك والعنبر والزعفران. فلما عاينت ما عاينت من ذلك ولم أر مخلوقاً كدت أن أصعق فنظرت من أعالي الغرف فإذا بأشجار على حافات أنهار تخرق أزقتها وشوارعها، منها ما أثمرت ومنها ما لم تثمر، وحافات الأنهار مبنية بلبن من فضة وذهب. فقلت: لا شك أن هذه الجنة الموعود بها في الآخرة، فحملت من تلك البنادق واللؤلؤ ما أمكن وعدت إلى بلادي وأعلمت الناس بذلك.

فبلغ الخبر معاوية بن أبي سفيان وهو الخليفة يومئذ بالشام فكتب إلى عامله بصنعاء أن يجهزني إليه فوفدت عليه فاستخبرني عما سمع من أمري فأخبرته فأنكر معاوية إخباري فدفعت له من ذلك اللؤلؤ وقد اصفر وتغير، وكذلك بنادق العنبر والزعفران والمسك، ففتحها فإذا فيها بعض رائحة، فبعث معاوية رضي الله عنه إلى كعب الأخبار فلما حضر قال له: يا كعب إني دعوتك لأمر أنا من تحقيقه على قلق ورجوت أن يكون علمه عندك. فقال: ماذا يا أمير المؤمنين؟ قال معاوية: هل بلغك أن في الدنيا مدينة مبنية من ذهب وفضة عمدها من زبرجد وياقوت وحصباؤها لؤلؤ وبنادق مسك وعنبر وزعفران؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، هي إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، بناها شداد بن عاد الأكبر(٢٦٤).

---

(٢٦٤) شداد بن ارم بن عاد: ملك جميع الدنيا في زمانه وكان قومه قوم عاد الأولى زادهم الله فخامة وقوة في الأجسام.. حتى قالوا: من اشد منا قوة فبعث إليهم النبي هود -عليه السلام- فدعاهم إلى عبادة الخالق وطاعته.

قال معاوية: حدثنا من حديثها، قال كعب: إن عاداً(٢٦٥) الأول كان له ولدان شديد وشداد، فلما هلك ملكا بعده البلاد، ولم يبق أحد من ملوك الأرض إلا دخل في طاعتهما. فمات شديد بن عاد، فملك شداد الملك بعده على الانفراد، وكان مولعاً بقراءة الكتب القديمة، وكلما مر به ذكر الجنة وما فيها من القصور والأشجار والثمار، وغيرها مما في الجنة، دعته نفسه أن يبني مثلها في الدنيا عتواً على الله عز وجل فأصر على ابتنائها، ووضع مائة ملك تحت يد كل ملك ألف قهرمان. ثم قال: انطلقوا إلى أطيب فلاة في الأرض وأوسعها فابنوا لي مدينة من ذهب وفضة وزبرجلكنهمد وياقوت ولؤلؤ، واجعلوا تحت عقود تلك المدينة أعمدة من زبرجد وأعاليها قصوراً وفوق القصور غرفاً مبنية من الذهب والفضة، واغرسوا تحت تلك القصور في أزقتها وشوارعها أصناف الأشجار المختلفة والثمار وأجروا تحتها الأنهار في قنوات من الذهب والفضة النضار، فإني أسمع في الكتب القديمة والأسفار صفة الجنة في الآخرة والعقبى وأنا أحب أن أجعل لي مثلها في الدنيا. فقالوا بأجمعهم: كيف نقدر على ما وصفت؟ وكيف لنا بالزبرجد والياقوت الذي ذكرت؟ فقال لهم، ألستم تعلمون أن ملك الدنيا كلها لي وبيدي وكل من فيها طوع أمري؟ قالوا: نعم، نعلم ذلك، قال: فانطلقوا إلى معادن الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والفضة والذهب فاستخرجوها واحتفروا ما بها ولا تبقوا مجهوداً في ذلك، ومع ذلك فخذوا ما في أيدي العالم من أصناف ذلك ولا تبقوا ولا تذروا واحذروا وأنذروا.

---

(٢٦٥) عاد : هو عاد بن عوص بن إرم بن سام، وعاد إرم هم عاد الأولى، وهم قبل ثمود، وكان قومه أول من عبدوا الأصنام بعد الطوفان، وكانوا يقطنون منطقة الشحر على ساحل اليمن، أعطاهم الله قوة ومالاً لكنهم جحدوا بآيات الله فحق عليهم العذاب بريح عاتية (تاريخ الطبري (١ / ٢١٦)، البداية والنهاية (١ / ١٢٠) أخبار الزمان (ص ١٠٤).

وكتب كتبه إلى كل ملك في الدنيا وجهاتها وأقطارها يأمرهم فيها أن يجمعوا ما في بلادهم من أصناف ما ذكر، وأن يحتفروا معادنها ويستخرجوها من التراب والصخور والمعادن والأحجار وقعور البحار، فجمعوا ذلك في عشر سنين وكان عدد الملوك المبتلين بجمع ذلك ثلثمائة وستين ملكاً وخرج المهندسون والفعلة والحكماء والصناع من سائر البلاد والبقاع والبراري، وتبددوا في البراري والقفار والجهات والأقطار حتى وقفوا على صحراء عظيمة فيحاء نقية خالية من الآكام والجبال والأودية والتلال، وإذا بها عيون مطردة وأنهار متجعدة، فقالوا: هذه صفة الأرض التي أمرنا بها ونبذنا إليها. فاختطوا بفنائها بقدر ما أمرهم به شداد ملك الأرض من الطول والعرض، وأجروا فيها قنوات الأنهار ووضعوا أساسات على المقدار، وأرسلت إليهم ملوك الأقطار بالجواهر والأحجار واللؤلؤ الكبار والعقيان النضار على الجمال في البراري والقفار وفي البحر أوسقوا بها السفن الكبار ووصل إليها من تلك الأصناف ما لا يوصف ولا يعد ولا يحصى ولا يكيف.

فأقاموا في عمل ذلك ثلثمائة سنة جداً من غير تعطيل أبداً، وكان شداد قد عمر في العمر تسعمائة سنة. فلما فرغوا من عمل ذلك أتوه وأخبروه بالإتمام، فقال لهم شداد انطلقوا فاجعلوا عليها حصناً منيعاً شاهقاً رفيعاً واجعلوا حول الحصن قصوراً، عند كل قصر ألف غلام ليكون في كل قصر منها وزير(٢٦٦) من وزرائي. فمضوا وفعلوا ذلك في عشر سنين ثم حضروا بين يدي شداد وأخبروه بحصول القصد والمراد فأمر وزراءه وهم ألف وزير، وأمر خاصته ومن يثق بهم من

(٢٦٦) الوزير: من الموازرة والمعاضدة والوقوف بجوار الحاكم ومعاونته في أمر من أمور الدولة الحيوية وهي فارسية الأصل ومهمة الوزير يحددها ابن خلدون " النظر الى أمور جباية الأموال وإنفاقه وضبط ذلك من جميع وجوهه "وأول من لُقي بالوزير في الاسلام هو " أبو سلمة الخلال أيام الخليفة العباسي أبا العباس السفاح.

الجنود وغيرهم، أن يستعدوا للرحلة ويتهيئوا للنقلة إلى إرم ذات العماد تحت ركاب ملك الدنيا شداد، وأمر من أراد من نسائه وحرمه وجواريه وخدمه أن يأخذوا في الجهاد. فأقاموا في أخذ الأهبة لذلك عشرين سنة. ثم سار شداد بمن معه من الأحشاد مسروراً ببلوغ المراد حتى إذا بقي بينه وبين إرم ذات العماد مرحلة واحدة أرسل الله عليه وعلى من معه من الأمة الكافرة الجاحدة صيحةً من سماء قدرته، فأهلكتهم جميعاً بسوط عظمته وسطوته. ولم يدخل شداد ومن معه إليها ولا رأوها ولا أشرفوا عليها. ومحا الله آثار طرقها ومحجتها، فهي مكانها حتى الساعة على هيئتها.

فتعجب معاوية من إخبار كعب بهذا الخبر، وقال: هل يصل إلى تلك المدينة أحد من البشر؟ فقال: نعم، رجل من أصحاب محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وهو بصفة هذا الرجل الجالس بلا شك ولا إبهام.

وروى الشعبي عن علماء حمير(٢٦٧) من اليمن أنه لما هلك شداد ومن معه من الصيحة، ملك بعده ابنه شداد الأصغر، وكان أبوه شداد الأكبر استخلفه على ملكه بأرض حضرموت وسبأ، فأمر بحمل أبيه من تلك المفازة إلى حضرموت، وأمر فحفرت له حفيرة في مفازة فاستودعه فيها على سرير من ذهب، وألقى سبعين حلة منسوجة بقضبان الذهب ووضع عند رأسه لوحاً عظيماً من ذهب، وكتب فيه هذا الشعر:

اعتـــــبر بي أيهـــــا المـــــغ ـرور بـــــالعمر المـــــديد

(٢٦٧) حمير: قبيلة يمنية معروفة منذ أيام السبئيين، اشتد نفوذها في أواخر السبئيين، ثم كونت لنفسها دولة عاصمتها ظُفار قبل الديانة المسيحية، واستمر نفوذها حتى ظهور الاسلام، وكان لها لغة خاصة هي الحميرية وانقرضت، مؤسس القبيلة هو حمير بن سبأ بن بن يشجب ابن يعرب، ويقال أنه سُمي حمير لأنه كان يلبس حلة حمراء (الأنساب للصحاري (١ / ٧٦)، الموسوعة الميسرة (مادة: حمير).

أنا شدّاد بن عاد　　　صاحب الحصن العميد
وأخو القوّة والقد　　　رة والملك الحشيد
دان أهل الأرض لي من　　　خوف قهري ووعيدي
وملّكت الشرق والغر　　　ب بسلطانٍ شديد
وبفضل الملك والعدّ　　　ة أيضاً والعديد
فأتى هودٌ وكنّا　　　في ضلال قبل هود
فدعانا لو قبلنا　　　منه للأمر السديد
فعصيناه وناديـنا　　　ألا هل من محيد
فأتتنا صيحة تهـ　　　وي من الأفق البعيد
فترامينا كزرعٍ　　　وسط بيداء حصيد

قال الثعلبي: ولقد وقع على هذه المفازة أيضاً رجل من حضرموت يقال له بسطام، ومعه رجل آخر ذكراً أنهما دخلا هذه المفازة فوجدا في صدرها درجاً فنزلا فيه فإذا هي مقدار مائة درجة، كل درجة قامة، وأسفلها أزج معقود في الجبل طوله مائة ذراع وعرضه أربعون ذراعاً وارتفاعه مائة ذراع، وفي صدر الأزج سرير من ذهب وعليه رجل عظيم الجسد قد أخذ طول السرير وعرضه، وعليه الحلي والحلل المنسوجة بقضبان الذهب والفضة، وعلى رأسه لوح من ذهب وعليه كتابة فأخذا ذلك اللوح وحملا ما أطاقا من قضبان الذهب ونظرا إلى طاقة في أسفل الأزج يدخل منها ضوء، فقصداها وخرجا منها فإذا هما على ساحل البحر، فقعدا هنالك إلى أن عبر بهما مركب فأشارا إليه ولوحا لأهله، فأتوا إليهما وسألوهما عن أمرهما فأخبرا بالحال، فحملوهما حتى قربوا من أرضهما، فوصلا وأخبرا بما اتفق لهما فتعجبوا منه.

عمان: وأرضها مجاورة لأرض الشمال، وهي أرض عامرة كثيرة الخلائق والبساتين والفواكه، إلا أنها بلاد حارة جداً. وببلاد عمان حية تسمى العربد، وتسمى الكرام، تنفخ ولا تؤذي، فإذا أُخذت وجعلت في إناء وثيق، وأُوثقت رأس ذلك الإناء وسد سداً محكماً، ووضعت في إناء آخر ثان، وأخرجت من بلاد عمان، عدمت من الإناء ولا توجد فيه ولا يعرف كيف ذهبت. وهذا من أعجب العجب. وبهذه الأرض دويبه صغيرة تسمى القراد، إذا عضت الإنسان انتفخ مكانها ودود، ولا يزال الدود يسعى في باطن الإنسان المعضوض حتى يموت. وبجبال أرض عمان قرود كثيرة تضر بأهلها ضرراً كثيراً وربما لا تندفع في بعض الأوقات إلا بالسلاح والعدد الكثيرة لكثرتها؛ وفي أرض عمان مغاص اللؤلؤ الجيد؛ وفي بحر عمان جزيرة قيس طولها اثنا عشر ميلاً في مثلها. وصاحب هذه الجزيرة تصل مراكبه إلى بلاد الهند ويغزوهم في غالب الأوقات ويغير على كفار الهند.

ويحكى أن عنده في الجزيرة المذكورة على مرسى البحر من المراكب التي تسمى السفينات مائتي مركب، وهذه المراكب من عجائب الدنيا وليس على وجه الأرض ومتن البحور مثلها أبداً؛ وهي أن المركب الواحد منها منحوت من خشبة واحدة؛ قطعة واحدة، والمركب الواحد منها يسع مائة رجل وخمسين، وبهذه الجزيرة دواب ومواشي وأشجار وفواكه.

اليمامة(٢٦٨): هي بلاد طسم وجديس(٢٦٩)، وهي بلاد الزرقاء المعروفة بزرقاء اليمامة وأخبارها مشهورة منها: أن طسما وجديسا كانا ابني عم وهم العرب العاربة. وكان الملك في طسم اسمه عمليق، وكان جباراً ظالماً طاغياً، بلغ من طغيانه وتجبره أنه ألزم جديسا أن لا تزف بكر من بناتها إلى بعلها حتى يأتوا بها ليلاً أو نهاراً ووقت زفافها إلى عمليق حتى يفترعها ويأخذ بكارتها ثم يمضوا بها إلى زوجها العريس، وفي صبيحة زفافها يعملون وليمة لعمليق ولأصحابه من طسم. فمكث زماناً على هذا الحال وكان من أكابر جديس رجل يقال له الأسود، وله أخت حسناء مبدعة تدعى سعاد وكانت بكراً، فزوجت برجل من أولاد عمها: فلما حضرت ليلة زفافها ذهبوا بها إلى عمليق فافترعها على العادة ثم خرجت من عنده ودمها ظاهر على أثوابها؛ فنظرت فإذا أكابر جديس وأعيان قومها وأخوها الأسود جلوس في ناحية

---

(٢٦٨) اليمامة : اسم قديم لإقليم من الجزيرة العربية يشمل تقريباً الثلث الجنوب الشرقي مما يعرف بنجد حالياً ("سافلة نجد")،فقد أدخل ياقوت الحموي في معجم البلدان أراضي القصيم في الشمال، ووادي العقيق (وادي الدواسر حالياً) في الجنوب ضمن إقليم اليمامة. ويقال إن الإقليم سمّي بهذا الاسم على قرية من قراها تسمى جو اليمامة، تقع آثارها حالياً ضمن محافظة الخرج، كانت أهم حواضرها في الجاهلية والقرون الأولى من الإسلام حجر (أو حجر اليمامة) وهي التي أقيمت عليها فيما بعد مدينة الرياض، إضافة إلى منفوحة والخضرمة (و هي نفسها جو اليمامة وتسمى أيضاً الخضارم) والعمارية وأثيثية وغيرها، ولكن يبدو أن العمران والزراعة تركزا في مناطق العارض والوشم والخرج والأفلاج الحالية، بينما غلب على معظم أرجائها الأخرى الطابع البدوي حتى القرن العاشر الهجري (الخامس عشر الميلادي)..

(٢٦٩) جديس : هم قوم من العرب البائدة، ولا تكاد تذكر إلا مع ذكر طسم. وتتلخص الروايات بأنهما قبيلتين تسكنان اليمامة وما حولها إلى البحرين، ويذكر أن جديس ذلت على يد طسم بحكم رجل يقال له عمليق. وجعل ان لا تزف بكر من جديس حتى تساق إليه فيفترعها قبل زوجها. فكان أن إنتقمت جديس غدرا بعد أن أصاب العار أخت سيد جديس ويقال له الأسود بن غفار وكان إسمها الشموس، ولكن رجل من طسم يقال له رياح بن مرة إستغاث بحسان بن تبع الحميري، فأجاب له طلبه وسار معه إلى اليمامة، فحاولت زرقاء اليمامة تنبيه قومها، فلم يصدقوها، فقتل من جديس على يد طسم والحميريين ودُكت منازلهم.

من الحي يتشاورون في أمر الوليمة للملك في صبيحة تلك الليلة؛ فما أحسوا بها إلا وهي في وسطهم ثم مزقت أثوابها من طوقها إلى أذيالها وكشفت عن بطنها وفرجها، وأظهرت دمها ونظرت يميناً وشمالاً وقالت:

لا أحـــدٌ أذلّ مـــن جـــديس أهكـــذا يفعـــل بـالعـــروس
يـــرضى بـــذا يـــا قـــوم بعـــلٌ حـــرّ مـــن بعـــد مـــا ســـاق وســـيق المهـــر
يقبـــضه المـــوت إذاً بنفـــسه حتفـــاً ولا يـــصنع ذا بعرســـه

فقام الأسود أخوها ورمى بثوبه عليها وسترها وبكى وأمر بردها إلى بيتها، فلم تفعل، وقالت وهي تحرض على قتل عمليق والقوم يسمعون:

أترضـــون مـــا يعـــزى إلى فتياتكـــم وأنـــتم رجـــال فـــيكم عـــدد النّـــمـــل
وتمـــشي ســـعاد في الـــدماء غـــريقة جهـــاراً وقـــد زفّـــت عروســـاً إلى بعـــل
فلـــو أننـــا كنـــا رجـــالاً وكنـــتم نـــساءً لكنـــا لا نقـــرّ بـــذا الـفـعـــل
وإن أنـــتم لم تغـــضبوا بعـــد هـــذه فكونـــوا نـــساءً لا تعـــدّمن الفـخـــل
ودونكـــم طيـــب العـــروس فـإنمـــا خلقـــتم لأثـــواب العـــروس ولـلـــذل
فبعـــداً وســـحقاً للـــذي لـــيس ينتخـــي ويختـــال يمـــشي بيننـــا مـــشية الرجـــل

قال فأخرجوها من بينهم ودبت في رؤوس القوم خمرة النخوة والمروءة فقاموا جميعاً إلى مكان آخر، فابتدأ الأسود أخو سعاد وقال: يا إخوتاه ويا بني عماه، قد رأيتم ماذا يصنع ببناتكم وقد اتفق لأختي ما اتفق لمن تقدمها فما الرأي؟ قالوا: ما ترى، فقال الأسود لو اجتمع رأيكم على واحد من بينكم وليتموه أمركم لا نكشف عنكم العار وانتصفتم من الأغيار، قالوا جميعاً: أنت ذلك الواحد فلا نخالف ولا معاند، وتحالفوا، فقال ائتوني بالغنم والبقر والإبل وانحروا وأكثروا من الذبح

وأوقدوا النيران وعلقوا القدور وأشغلوا النساء بالطبخ ثم ائتوني بسيوفكم تحت ثيابكم. ففعلوا فمضىٰ بهم إلىٰ المكان المعروف بالضيافة وكل أراضيهم رمال. وكان من عادة عمليق أن كل بكر يفترعها يقف وليها خلف ظهره وهو جالس علىٰ السماط(٢٧٠) في مكان الضيافة لتعلم طسم كلها من هو ولي العروس وتتحققه مبالغة في إهانته.

قال: فدفن الأسود سيفه في الرمل خلف مجلس عمليق وقال لقومه من جديس هكذا فافعلوا، فإذا جلس الملك وقفت خلفه وسيفي تحت قدمي، فإذا اشتغل بالأكل وأخذت سيفي وضربت عنق عمليق يفعل كل منكم بمن هو فوق رأسه كما فعلت، فلا يفلت أحد من القوم. فقالوا. سمعاً وطاعة.

فأصبح عمليق سكران، وكذا أعيان قومه وأتىٰ إلىٰ مكان الضيافة في أعظم زينة وهم مسرورون منشرحون. فلما أخذوا مجالسهم قدموا الضيافة فرأىٰ عمليق ما لم يره من كثرة الضيافة، فشكر الأسود وبش له. فقال واحد من قوم عمليق حين مد يده إلىٰ الأكل: رب أكلة تمنع أكلات. فما استتم كلامه حتىٰ قتل عمليق، وكل من كان معه جالساً علىٰ الأكل وحضر الضيافة، قتلةً واحدة وامتلأت الجفان والمناسف بدماء القتلىٰ. وقد قيل: إنه قتل في تلك الساعة من طسم ما يزيد عن ثمانين ألفاً، وما بقي من طسم رجل إلا من غاب عن الوليمة. ووضعت جديس سيوفها فيمن بقي من الرجال ونهبت وسبت وفتكت في طسم فتكاً ذريعاً وهربت شرذمة من طسم إلىٰ حسان بن تُبّع (٢٧١) ملك حمير باليمن فاستغاثت به فأغاثها. وتوجه حسان بعساكره

---

(٢٧٠) السماط : هو كل ما يمد ليوضع عليه الطعام في المآدب (القاموس، ج٣، ص ٤٨٧) ويطلق أحيانا علىٰ المائدة السلطانية، وكانت تمد طرفي النهار من كل يوم.

(٢٧١) حسان بن تُبع : يورد جواد علي عنه أنه "ذو معاهر"، "تبع بن تبع تبان أسعد أبي كرب بن ملكيكرب بن تبع بن أقرن" وقد زعموا انه أغار علىٰ طسم وجديس باليمامة وإنه حارب "جذيمة" ملك

قاصداً لجديس وإعانةً لطسم، وكانت امرأة اسمها الزرقاء التي تقدم ذكرها تنظر الراكب مسيرة ثلاثة أميال. فلما كان حسان في أثناء الطريق وهو سائر بعساكره قال رجل من طسم لحسان: أيها الملك أدام الله سعدك إن امرأة من جديس اسمها الزرقاء تنظر الراكب من مسيرة ثلاثة أميال فربما تنظر عساكر الملك وتخبر قومها بذلك فيكيدوا لك كيداً عظيماً. فقال حسان: وما الرأي عندك؟ فقال: الرأي أن تقطع الأشجار فيأخذ كل راكب أمامه شجرة، فإذا رأت الزرقاء تقول لقومها: إن أشجاراً تسير إليكم على الخيل والنجائب فيكذبونها ويهملون أمرها، فتصبحهم وتبلغ الغرض.

فاقتلعوا الأشجار وحمل كل واحد أمامه شجرة وساقوا سوقاً حثيثاً فرأتهم الزرقاء فقالت لقومها: إني لأرى الشجر يسير إليكم سيراً سريعاً، وإني لأرى رجلاً من وراء شجرة يخصف نعلاً وآخر يشرب ماء وآخر ينهش كتفاً. فكذبوها فصبحهم حسان بعساكره وجموعه فأبادهم قتلاً وسبياً. وهرب الأسود فنزل على طيئ فأجاروه، وجيء بزرقاء اليمامة إلى حسان فأمر ينزع عينيها فإذا فيهما عروق سود مملوءة من الأثمد(٢٧٢) الجيد الخالص.

الحيرة، وكان "جذيمة" قد خرج يريد طسماً وجديس في منازلهم من "جوّ" وما حولهم، فوجد "حسان" قد أغار على طسم وجديس باليمامة، فانكفأ راجعاً بمن معه، فأتت خيول "تبع" على سرية لجذيمة فاجتاحتها. فهو من معاصري "جذيمة" على رأي أهل الأخبار.

(٢٧٢) الأثمد: هو حجر الكحل الأسود يؤتى به من أصبهان وهو أفضله ويؤتى به من جهة المغرب أيضا وأجوده السريع التفتيت الذي لفتاته بصيص وداخله أملس ليس فيه شيء من الأوساخ، ومزاجه بارد يابس ينفع العين ويقويها ويشد أعصابها ويحفظ صحتها ويذهب اللحم الزائد في القروح ويدملها وينقي أوساخها ويجلوها ويذهب الصداع إذا اكتحل به مع العسل المائي الرقيق وإذا دق وخلط ببعض الشحوم الطرية ولطخ على حرق النار لم تعرض فيه خشكريشة ونفع من التنفط الحادث بسببه وهو أجود أكحال العين لا سيما للمشايخ والذين قد ضعفت أبصارهم إذا جعل معه شيء من المسك.

وأما السند(٢٧٣): فهو إقليم عظيم مجاور للبحرين غربي الهند، وهو قسمان، قسم على جانب البحر. ويقال لتلك البلاد بلاد اللان، والمسلمون غالبون على هذا القسم. ومن مدنه المشهورة المنصورة وهي مدينة طولها ميل في ميل، وبها خلق كثير وتجار كثيرون والأرزاق بها دارة ووزن درهمهم خمسة دراهم وليس بها إلا النخل والقصب وتفاح شديد الحموضة. وهي مدينة حارة جداً وسميت هذه المدينة بالمنصورة لأن أبا جعفر المنصور(٢٧٤) الخليفة من بني العباس بنى أربع مدن على

---

(٢٧٣) السند : كانت بلاد السند [باكستان الآن] هدفاً لحركة الفتح الإسلامى المباركة أيام الخليفة الراشد 'عمر بن الخطاب' رضى الله عنه، فلقد أرسل عامله على البحرين 'عثمان بن أبى العاص' جيشاً بقيادة أخيه 'الحكم' إلى ساحل الهند عند مدينة 'تانة' وذلك سنة ١٥ هجرية ثم إلى مدينة 'بروص' ثم إلى 'خور الدبيل' وحقق خلالهما عدة إنتصارات ولكن الخليفة خاف من مواصلة الغزو خوفاً على المسلمين من بعد الديار، وكان ذلك أيضا رأى أمير المؤمنين 'عثمان' رضى الله عنه، فلما تولى 'على بن أبى طالب' رضى الله عنه الخلافة أرسل الحارثة بن مرة العبدى إلى السند فأغار على أطرافها وظفر منها وظل بها حتى استشهد فى عهد 'معاوية' رضى الله عنه سنة ٤٢ هجرية، حدث تطور كبير فى غزو السند أيام 'معاوية بن أبى سفيان' حيث أمر القائد الشهير المهلب بن أبى صفرة بغزو السند ثم غزاها عبد الله بن سوار العبدى ثم سنان بن سلمة الهذلى ففتح 'مكران' ومصرها وأسكنها العرب وهذا أول جزء من غربى البنجاب يدخل فى دولة الإسلام، وبعد ذلك فصل المسلمون بين بلاد الهند وبلاد السند، فلما تولى الحجاج الثقفى جعل من أولوياته فتح هذا الثغر العظيم خاصة بعد قتل عامله 'محمد بن هارون النمرى' فى قتاله مع ملك السند 'داهر' وقد رأى أن هذا الفتح لن يتم إلا بجيش قوى على رأسه قائد شجاع لا يبالى بجيوش 'داهر' الضخمة ولا يستوحش من بعد المسافة وطول الطريق إلى السند، وبعد بحث وتقليب نظر فى قائمة القادة الأبطال، وقع الإختيار على بطلنا 'محمد بن القاسم' وكان وقتها فى السابعة عشر من العمر، وكان ذلك سنة ٨٩ هجرية حيث بدأت فصول المجد والبطولة فى حياة هذا القائد الصغير. وفي ٦ رمضان ٦٣هـ الموافق ١٤ مايو ٦٨٢م انتصر محمد بن القاسم على جيوش الهند عند نهر السند وتم فتح بلاد السند، وكان ذلك في آخر عهد الوليد بن عبد الملك

(٢٧٤) أبو جعفر المنصور مدة ولايته من (١٣٦ – ١٥٨ هـ) : وهو الخليفة العباسي الثاني، تولى بعد وفاة أخيه أبي العباس السفاح ويعتبر المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية بنى العاصمة الخالدة بغداد

أربع طوالع يقال إنهم لا يخربون أبداً إلا بخراب الدنيا إحداهن المنصورة هذه، وبغداد بالعراق، والمصيصة على بحر الشام، والرافقة بأرض الجزيرة.

والموليان: ويقال لها المليان وهي مجاورة لبلاد الهند وهي على قدر المنصورة وتسمى فرح بيت الذهب لأن محمد بن يوسف الحجاج وجد بها في بيت واحد أربعين بهاراً من الذهب، والبهار ثلثمائة وثلاثون مناً. وبها صنم كبير تعظمه أهل الهند والسند ومن في أراضيهم، ويحجون إليه ويتصدقون عليه بأموال جمة وحلي وجواهر وله خدم. ويزعمون أن لهذا الصنم مائتي ألف سنة يعبد، وعيناه جوهرتان لا قيمة لهما، وعلى بابه إكليل(٢٧٥) من ذهب مرصع بأنواع الجواهر الفاخرة.

أرض الهند(٢٧٦): أرض واسعة عظيمة في البر والبحر والجنوب والشمال، وملكهم يتصل بملك الزنج في البحر وهي مملكة المهراج، ومن عادة أهل الهند أنهم

وانفرد بالحكم وأسس خلافة قوية مرهوبة الجانب راجع (تاريخ الخلفاءص ٣٠٣، تاريخ القضاعي ص ٣٩٦، تاريخ اليعقوبي(٢ / ٣٦٤، خلاصة الذهب المسبوك ص ٥٩، نهاية الأرب (٢٢ / ٦٦).

(٢٧٥) إكليل : كلمة فارسية الأصل معناها ما يصوغ للملوك من الذهب والجواهر فيوضع فوق الرأس وهو أيضاً الاكليل والعمامة.

(٢٧٦) الهند : دولة في جنوب آسيا، تشمل معظم أراضي شبه القارة الهندية. للهند سواحل تمتد على أكثر من ٧٠٠٠ كلم، تجاورها كل من باكستان وأفغانستان من الشمال الغربي، الصين، نيبال، وبوتان من الشمال، بنغلاديش و ميانمار من الشرق. في المحيط الهندي، تحاذيها جزر المالديف من الجنوب الغربي، سريلانكا من الجنوب، و أندنوسيا من الجنوب الشرقي. الهند هي ثاني أكبر البلدان في العالم من حيث تعداد السكان، يزيد عدد سكانها اليوم على المليار نسمة، كما تحتل المرتبة السابعة عالميا من حيث المساحة، عرفت الهند قيام بعض من الحضارات الأولى التي شهدها العالم القديم، كما كانت مركزا لعديد الطرق التجارية المهمة عبر التاريخ، كما قامت على أرضها خمس من أهم الديانات في العالم: الهندوسية، البوذية، الجانية والسيخية. كانت في السابق جزءا من أراضي التاج البريطاني، قبل أن تستقل عنها عام ١٩٤٧ م، عرفت الهند نموا معتبرا في ميدان الاقتصاد خلال العشريتين الأخيرتين، كما صارت تلعب دورا أكبر في المنطقة والعالم.

لا يملكون عليهم ملكاً حتىٰ يبلغ أربعين سنة، ولا يكاد الملك عندهم يظهر للناس أبداً إلا نادراً في السنة.

وللهند ممالك كثيرة، فمنها مملكة المناكير واللادوت، ومملكة الفتوح، وهي مملكة عظيمة واسعة، ولأهلها أصنام يتوارثونها خلفاً عن سلف، ويزعمون أن لها مائتي ألف سنة تعبد، وملكها عظيم الملك كثير الجنود كثير الفيلة، وليس عند ملك من ملوك الأرض ما عنده من الفيلة، ويقال إن علىٰ مربطه ألف فيل، منها مائة فيل بيض كالقرطاس، ومنها ما ارتفاعه خمسة وعشرون شبراً. وقيل مات له فيل فوزن نابه الواحد فكان أربعين مناً.

ومن ممالك الهند مملكة قمار[٢٧٧]: وهي مملكة عظيمة واسعة، وإليها ينسب العود القماري. ومنها مملكة صيمور[٢٧٨]: ولها ممالك غير ما ذكر نحو اثنتي عشرة مملكة. تمت الجهة الجنوبية ولنشرع الآن إن شاء الله تعالىٰ في ذكر الجهة الشمالية وبلادها من المشرق إلىٰ المغرب.

فأول بلاد هذه الجهة من المغرب الأقصىٰ أرض الفرنج: وهي أمم عظيمة كثيرة لا تحصىٰ، وهم غالبون علىٰ معظم جزائر الأندلس، ولهم في بحر الروم جزائر عظيمة

---

(٢٧٧) قال ابن الفقيه : أهلها علىٰ خلاف سائر الهنود ولا يبيحون الزنا ويحرمون الخمر وملكها يعاقبهم علىٰ شرب الخمر فيحمي الحديدة بالنار وتوضع علىٰ بدن الشارب ولا تترك إلىٰ أن تبرد فربما يفضي إلىٰ التلف! وينسب إليها العود القماري وهو أحسن أنواع العود.

(٢٧٨) صيمور : يذكر القزويني " مدينة بأرض الهند قريبة بناحية السند لأهلها حظ وافر في الجمال والملاحة لكونهم متولدين من الترك والهند وهم مسلمون ونصارىٰ ويهود ومجوس ويخرج إليها تجارات الترك وينسب إليها العود الصيموري ".

مشهورة مثل جزيرة صقلية وقبرص وجزيرة أقريطش وجزيرة كشميلي وجزيرة الخضراء وعدة جزائر، وغيرها.

فأما صقلية(٢٧٩): فهي فريدة الزمان وأجمع المسافرون على تفضيلها وحسنها وعظم ملوكها وضخامة دولها. وفي هذه الجزيرة مائة وثلاثون مدينة أمهات قواعد خارجة عن القرى والضياع والرساتيق. فمن مدنها المشهورة يلزم وهي مدينتها العظمى وكرسي السلاطين وموطن الجيوش، وهي على ساحل البحر من الجانب الغربي وهي مدينة حسنة المباني بديعة الإتقان، وهي على قسمين قصور وربض، وهي على ثلاث قصبات: فالقصبة الوسطى تشتمل على قصور رفيعة ومنازل شامخة ومعابد وفنادق وحمامات، والقصبتان الأخريان قصور سامية وأبنية عالية وأسواق، وبها الجامع الأعظم الذي فيه من بدائع الصنعة المتقنة ومن أصناف التصاوير وأنواع التزاويق ما يعجز عن وصفه كل لسان، وليس بعد جامع قرطبة أحسن منه.

وأما الربض: فهو مدينة أخرى محدقة بالمدينة من جميع جهاتها. وبه المدينة القديمة المسماة بالخاصة التي كانت سكنى السلطان. والمياه بجميع جهات صقلية مخترقة والعيون بها متدفقة، وبها بساتين وجنات وفرج ومتنزهات وخارج الربض نهر عباس، وهو نهر عظيم وعليه أرحية كثيرة. ومن مدنها مدينة مسينا وهي مدينة عظيمة وبجبلها معدن عظيم للحديد يحمل منه إلى سائر البلاد.ومنها أرض

---

(٢٧٩) صقلية(بالإيطالية: Sicilia) : هي جزيرة ايطالية، و أكبر جزر البحر المتوسط وتقع جنوب شبه الجزيرة الإيطالية و هي أيضا أكبر الأقاليم العشرين المكونة للأراضي الإيطالية من حيث المساحة، فمساحتها ٢٥.٧١٠ كيلو متر مربع، سكانها يبلغ ٥أه مليون نسمة موزعين على عدد ٣٩٠ مدينة و بلدة و قرية آهلة بالسكان، أكبر مدنها باليرمو و هي العاصمة وتقع على الساحل الشمالي الغربي للجزيرة، و تعتبر صقلية من أهم المواقع السياحية في إيطاليا، تتمتع نوع من الحكم الذاتي.

طبرمين: وهي مدينة عظيمة ذات قصور منارة؛ وبساتين وفواكه، وبها جبل يسمى بطور الآيات. وبها معدن الذهب.

ومنها سرقوسة(٢٨٠): وهي مدينة عظيمة يقصدها التجار من سائر الأقطار، والبحر محدق بها من جميع جهاتها. والدخول إليها والخروج منها على طريق واحدة.ومنها نوطس: وهي من أرفع البلاد خصباً واسعة الديار عامرة الأقطار.ومنها أرض طرلنس: وهي مدينة أهلية والبحر محيط بها من جميع جهاتها، ويوصل إليها على قنطرة، وبها أسماك يعجز الواصف عنها. وببحرها يصاد المرجان، وهو نبت في أرض هذا البحر كالشجر، وبها قنطرة عجيبة طولها ثلاثمائة ذراع في عرض عشرين ذراعاً.

جزيرة قبرص(٢٨١): وهي جزيرة كبيرة مقدار ستة عشر يوماً، بها مدن كثيرة وقرى عامرة ومزارع وأنهار وأشجار وثمار؛ وبها معادن الزاج القبرصي الذي ليس في البلاد مثله شيء، وبها من المواشي ما يكفي بلاد الفرنج.ومن مدن الفرنج

((٢٨٠ سرقوسة Zaragoza : عاصمة اقليم ارغون وتقع مباشرة على نهر إيبرو أشهر انهار اسبانيا،، تتميز بطبيعة خلابة ومشاهد رائعة لقرى صغيرة تتوزع حولها والتي لا زال اهلها متمسكين بعاداتهم وتقاليدهم منذ القدم.سرقوسة مدينة من اهم المدن الاسبانية الزاخرة بالاثار والمعالم السياحية.. وجدت قبل حوالي ٢٠٠٠ سنة وترك بها شعوب كثيرة تعاقبوا عليها آثاراً عديدة بدءاً من الرومان، القرطاجيين، القوطيين، والعرب المسلمون.وسرقوسة تضم ايضاً ارثاً لا يستهان به من العصر الباروني. ليوم هذه المدينة نشيطة جداً اقتصادياً و يقام بها العديد من المعارض العالمية.

((٢٨١ قبرص : دولة قائمة على جزيرة في شرق حوض البحر الابيض المتوسط في جنوب شرق أوروبا و جنوب غرب آسيا. استقلت عام ١٩٦٠ عن بريطانيا. تم تقسيمها بعد التدخل العسكري التركي عام ١٩٧٤ إلى جزئين ذو أغلبية سكانية يونانية (في الوسط و الجنوب) و جزء ذو أغلبية سكانية تركية (في الشمال). أعلن في عام ١٩٨٣ قيام جمهورية شمال قبرص التركية في القسم التركي.

المشهورة افرنسة: وهي مدينة عظيمة مجاورة لجزيرة الأندلس، وهي للفرنج كرومية للروم، كرسي ملكهم ومجتمع أمرهم وبيت ديانتهم، وبها أمم عظيمة لا تحصىٰ كثرة.

أرض الجلالقة(٢٨٢): وهي شمالي الأندلس؛ وهي أرض واسعة؛ وبها أمم لا تحصىٰ كثرةً، ومدن عظيمة وقرىٰ عامرة. والغالب علىٰ أهلها الجهل والحمق. ومن زيهم أنهم لا يغسلون ثيابهم أبداً بل يلبسونها وسخة إلىٰ أن تبلىٰ؛ ويدخل أحدهم بيت الآخر بغير إذنه، وهم مهملون في أديانهم كالبهائم بل أضل. أرض الباشقرد: وهي بلاد الألمان وبلاد الإفرنجة؛ وهي أرض كبيرة واسعة وبها مدن.

أرض الكرج(٢٨٣): وهي مجاورة لأرض خلاط، آخذها إلىٰ الخليج القسطنطيني، ممتدة إلىٰ نحو الشمال وهي أرض واسعة، وبها مدن عظيمة وبلاد كثيرة

((٢٨٢يصف الطرطوشي بلد الجلالقة(=إقليم الباسك) بأنه سهل جميعه، والغالب علىٰ أرضهم الرمل، وأكثر قوتهم الدخن والذُرة ومعوّلهم في الأشربة علىٰ شراب التفاح والبشكة، وهو شراب يتّخذ من الدقيق. وأهله أهل غدر ودناءة أخلاق، لا يتنظّفون ولا يغتسلون في العام إلا مرة أو مرتين بالماء البارد، ولا يغسلون ثيابهم منذ يلبسونها إلىٰ أن تنقطع عليهم، ويزعمون أن الوسخ الذي يعلوها من عرقهم تنعم به أجسامهم وتصح أبدانهم .وثيابهم أضيق الثياب وهي منفرجة يبدو من تفاريجها أكثر أبدانهم. ولهم بأس شديد، لا يرون الفرار عند اللقاء في الحرب ويرون الموت دونه. أما البرتونيين«=أهل مقاطعة بريتاني الفرنسية) فلهم لغة تمجّها الأسماع ومناظر قبيحة وأخلاق سيئة. ولهم لصوص يقطعون علىٰ الافرنج ويسرقونهم. والإفرنج يصلبونهم إذا ظفروا منهم بأحد. ومن البرتونيين والجلّقيّين والبشاكسة كان حشد طيطش الىٰ الشام حين خرج يريد بيت المقدس (البكري، المسالكوالممالك،نقلاعن(عبد الرحمن الحجي،جغرافية الأندلس وأوربا،بيروت،دار الارشاد،١٩٦٨)ص٨٠-٨١ ١٣).

(٢٨٣) الكرج : جورجيا حالياً، تقع علىٰ السفوح الجنوبية لجبال القوقاز. يحدها من الشمال داغستان، الشيشان، إنجوشتيا، أوستيا الشمالية، قبردينو - بلقاريا، قرة تشاي - شركسيا، وكراسنودار كراي. ومن الجنوب الشرقي أرمينيا ومن الجنوب أذربيجان ومن الجنوب الغربي تركيا. ومن الغرب البحر الأسود..

وجبال شاهقة وقلاع منيعة وأرضهم في غاية الخصب والبركة[٢٨٤]؛ وبيت الملك عندهم محفوظ يرثه الرجال والنساء.

أرض الروم: وهو إقليم واسع الأقطار فسيح الديار، وبه مدن عامرة وضياع ورساتيق وأشجار وفواكه وثمار؛ وبه الخير الغامر والخصب الوافر؛ وكلها على جانبي البحر القسطنطيني ومن جهة بلاد الأرمن، له أحد عشر عملاً، منها عمل حربية وفيه خمسة حصون، وعمل العصاة وفيه ثلاثة حصون، وعمل الأرسيق وفيه خمسة عشر حصناً، وعمل الأفشين وفيه أربعة حصون وعمل حرسنون وفيه أربعون حصناً، وعمل البلقان وفيه ستة عشر حصناً. وهذه الأرض كانت في القديم بلاد اليونان فغلبت الروم عليها؛ ومن جملة أعمالها عمل كرميان وفيه عشرة حصون، وعمل الفنادق وفيه ثمانية عشر حصناً.

وببلاد الروم أيضاً مائة جزيرة كلها في البحر، وكلها عامرة آهلة. ومن مدن الروم المشهورة قسطنطينية وهي مثلثة الشكل، منها جانبان في البحر وجانب في البر وفيه باب الذهب. وطول هذه المدينة تسعة أميال وعليها سور حصين ارتفاعه واحد وعشرون ذراعاً، ويحيط به سور آخر يسمى الفصيل، ارتفاعه عشرة أذرع، لها مائة باب أكبرها الباب المصمت وهو مموه بالذهب، وبها القصر وهو من عجائب الدنيا وذلك أن فيه بديرون وهو كالدهليز[٢٨٥] إلى القصر، وهو زقاق يمشي فيه بين صفين من صور مفرغة من نحاس بديع الصنعة على صور الآدميين والخيل والفيلة والسباع وغير ذلك، وهي أكبر من الأشكال الموضوعة على أمثالها. وبالقصر وما دار به ضروب من العجائب.

---

(٢٨٤) البركة لغة : النماء والزيادة والسعادة.

(٢٨٥) الدهليز : مسلك طويل ضيق غالباً ما يكون سري.

وفي المدينة منارة موثقة بالحديد والرصاص إذا هبت الريح مالت يميناً وشمالاً وخلفاً وأماماً من أصلها، ويوضع الخزف تحتها فتطحنه كالهباء. وفيها أيضاً منارة من نحاس قد قلبت قطعة واحدة وليس لها باب، وبها أيضاً منارة قريبة من مارستانها(٢٨٦) قد ألبست جميعها من نحاس أصفر كالذهب محكم الصنعة والتخريم، وعليها قصر قسطنطين باني القسطنطينية، على قبره صورة فرس من نحاس، وعلى الفرس شخص على صورة قسطنطين وهو راكب وقوائم الفرس محكمة بالرصاص ما عدا يده اليمنى فهي موقوفة في الجو؛ وقد فتح كفه يشير نحو بلاد المسلمين، ويده اليسرى فيها كرة. وهذه المنارة ترى على مسيرة يوم في البحر، ونصف يوم في البر. ويقولون إن في يده طلسماً يمنع العدو. وقيل إن على الكرة مكتوباً بالرومي: ملكت الدنيا حتى بقيت في يدي مثل هذه الكرة، وخرجت منها هكذا لا أملك منها شيئاً؛ وبها منارة في سوق استبرين من الرخام الأبيض من رأسها إلى أسفلها صور مبنية ودار يزينها قطعة واحدة من النحاس، وبها طلسم إذا طلع الإنسان عليها نظر. إلى سائر المدينة، وبها قنطرة وهي من عجائب الدنيا سعتها يعجز الواصف عن ذكرها حتى يخرج الواصف إلى حد التكذيب، وبها من النقوش ما لا يحده وصف

---

(٢٨٦) البيمارستان : Bedlam : كلمة فارسية تعني (دار المرضى). وهي (المستشفيات) التي شيدها الخلفاء والملوك والسلاطين والأمراء والوزراء وأهل الخير أولم تكن قاصرة على مداواة المرضى فقط أبل كانت معاهد علمية أيضاً ومدارس لتعليم الطب وقد أنشئ أول بيمارستان في العالم الإسلامي في عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك وازدهرت البيمارستانات في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد وأول بيمارستان عرفته مصر كان على عهد أحمد بن طولون، أم ا أضخم بيمارستان في مصر والعالم الإسلامي فكان الذي أنشأه المنصور قلاوون (٨٦٣هـ / ١٢٨٤م) وقيل في وصفه غنه كان يسمح منه بالعلاج للرجال والنساء ولم يكن يطرد منه أحد ولا تحدد مدة العلاج كما عرف في مصر البيمارستان المنصوري " وكان من قبل قصراً اطميا " وكان مهيأ لثمانية آلف شخص.

رومية الكبرى: مدينة عظيمة، دورها أيضاً تسعة أميال كالقسطنطينية، ولها أسوار محكمة. لها سوران منيعان من حجر، عرض كل سور منهما وسمكه مقدار معين، فأحدهما وهو الداخلي المحيط بالمدينة عرضه أحد عشر ذراعاً وارتفاعه اثنان وسبعون ذراعاً. وهناك أسطوانات من نحاس أصفر وقواعدها ورؤوسها مفرغ منها. وبها نهر يشقها، وهذا النهر كله مفروش ببلاط من نحاس كهيئة اللبن الكبار. وداخل المدينة كنيسة عظيمة طولها ثلاثمائة ذراع وارتفاعها ثلاثمائة ذراع وأركانها من نحاس مفرغ مغطى كلها بالنحاس الأصفر؛ وبرومية ألف ومائة كنيسة وجميع شوارعها وأسواقها مفروشة بالرخام الأبيض والأزرق، وبها ألف حمام وألف فندق، وبها كنيسة هائلة بنيت على هيئة بيت المقدس وبها مذبح، ظهره كله مرصع بالزمرد الأخضر؛ وعلى هذا المذبح تمثال من الذهب الإبريز طوله ذراع بالرشاشي يكون سبعة أذرع ونصف ذراع بذراعنا المعهود، وعيناه من ياقوت أحمر. ولهذه الكنيسة مائة باب، منها أبواب عشرة مصفحة بالذهب وباقيها مصفحة بالنحاس المحكم. وبها قصر الملك المسمى البابا، وهو قصر عظيم أجمع المسافرون على أنه لم يبن مثله على وجه الأرض؛ ورومية أكبر من أن يحاط بوصفها ومحاسنها ولها مدن قواعد مشهورة منها قشمير: وهي مدينة كبيرة تشبه رومية في الحسن والبنيان، ويقال إنها مدينة أهل الكهف.

وأما أصحاب أهل الكهف: فهم في كهف في رستاق بين عمورية[(٢٨٧)] ونيقية[(٢٨٨)]، وهم في جبل عال علوه نحو ألف ذراع، وله سرب من وجه الأرض كالمدرج يتعدئ إلى الموضع الذي هم فيه. وفي أعلى الجبل كهف يشبه البئر ينزل منه إلى باب السرب ويمشي مقدار ثلاثمائة خطوة، ثم يفضي إلى ضوء هناك فيه رواق على أساطين منقورة فيها عدة بيوت، منها بيت مرتفع العتبة مقدار قامة، وعليه باب من حجر، وفيه أصحاب الكهف وهم سبعة نيام على جنوبهم، وأجسامهم مطلية بالصبر والكافور، وعند أرجلهم كلب راقد مستدير، رأسه عند ذنبه، ولم يبق منه إلا رأسه وعجزه. وفقار الظهور، ووهم أهل الأندلس في أصحاب الكهف حيث زعموا أنهم الشهداء الذين في مدينة لوشة، قال بعض الثقات: لقد رأيت القوم وكلبهم في هذا الكهف بين عمورية ونيقية سنة عشر وخمسمائة.

---

(٢٨٧) وكانت عمورية مدينة عظيمة للروم في هضبة الأناضول وسط تركية، فتحها الخليفة المعتصم سنة ٢٢٣ وفتح أنقرة، وكان فتحها من أعظم الفتوح الإسلامية، وكان سببه أن امرأة علوية أسرها الروم فأذلوها فنادت: " وامعتصماه ". فجاء من أخبر المعتصم بذلك، فقال: أنت سمعتها؟ قال: نعم. فأمر بالجيش فجهز فكان النصر. وكان المنجمون يقولون: إن عمورية لم يحن وقت فتحها، فلما فتحها المسلمون قال أبو تمام:

السيف أصدق إنباء من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعب

ولم يبق اليوم من عمورية سوى آثار، وذكر خالد في التاريخ.

(٢٨٨) نيقية Nicaea: مدينة قديمة في آسيا الصغرى، تقع على بعد ثلاثين ميلاً جنوب حصن الغبراء الواقعة على خليج بسفور القسطنطينية من أهم بلاد العثمانيين التي أخذها السلطان أورخان من الروم. هي اليوم إزنيق في تركيا على بحيرة إزنيق

القرم[٢٨٩]: مدينة عظيمة بها أسواق ومساجد وفنادق وحمامات، وهي فرضة مملكة الترك وما حولها، وبها اللحم والسمك والعسل واللبن كثير جداً، وبيوتها غالباً خشب.

وأما ما على البحر النيطشي من بلاد الروم فمدن عظيمة مثل أطرابدية وخزية، وقابية وقمانية السوداء، وسميت بذلك لأن لها نهراً يدخل في شعب جبل وماؤه أبيض كالزلال ويخرج منه أسود كالدخان، وقمانية البيضاء وتسمى مطلوقة وماطر خاروسية وأردبيس وفلبسين، وكلها مدن عظام قواعد بلاد الروم، وبين أردبيس وحصن زيادة شجرة عظيمة لا يعرف أحد ما هي وما اسمها؟ ولها حمل يشبه اللوز ويؤكل بقشره وهو أحلى من العسل.

أرض الصقالبة: وهي أرض كبيرة واسعة من ناحية الشمال وبها مدن وقرى ومزارع، ولهم بحر حلو يجري من ناحية المغرب إلى المشرق، ونهر آخر يجري من

---

(٢٨٩) القِرم : أرض إسلامية، وهي شبة جزيرة في البحر الأسود، تتصل بجزء من الشمال بالجمهورية الأكرانية. فُتح القرم في عهد السلطان محمد الفاتح، وسكانه الأصليون هم المسلمون التتار، ويسمون "تتار القرم" نسبة إلى موطنهم وهم غير التتار الذين هاجموا الخلافة العباسية ودمروها. كان القرم ولاية من ولايات الدولة الأسلامية، وكانت عاصمة مدينة} بخش السرايا}، وحتى يومنا هذا ما زال بيت الوالي وديوانه ومسجده موجوداً فيها .يعيش في القرم الآن مليونا نسمة منهم: ١٣٪ مسلمون، ٥٠٪ روس، ٣٥٪ أوكران، و ٢ %قوميات أخرى، ففي أواخر عهد الدولة الإسلامية (الخلافة العثمانية)، انفصل القرم عنها في عهد قيصرة روسيا إيكترينا الثانية (١٧٦٢-١٧٩٦) وعندها بدأ المسلمون يعانون الأمرين بعد تسلط الكافر المستعمر عليها، وزاد الأمر بِلة سقوط الخلافة العثمانية في عشرينات القرن العشرين، وفُتحت جروح الأمة في القرم وغيره من أمصار وبلاد المسلمين. ونتيجة للضعف في فهم الإسلام في القرم ظهر دعاة الفكر القومي بجانب دعاة الفكر الإسلامي وبدأ القوميون بنشر أفكارهم وأهدافهم المتمثلة في بناء وطن قومي لهم في شبة جزيرة القرم ولكن الظروف لم تمهلهم.

ناحية البلغار ليس لهم بحر ملح لأن بلادهم بعيدة عن الشمس، ولهم على البحر مدن وبلاد وقلاع منيعة.

أرض الجنوبة: وهي أرض واسعة، وبها مدن وبلادهم غربي قسطنطينية على بحر الروم. ومن مدنهم المشهورة جنوة وهي مدينة حصينة ذات أسوار.

أرض البنادقة(٢٩٠): وهي إقليم عظيم ومدينتهم العظمى تسمى بندقية وهي على خليج يخرج من بحر الروم ويمتد نحو سبعمائة ميل في جهة الشمال، وهي قريبة من جنوة بينها وبين جنوة في البر ثمانية أيام، وأما في البحر فبينهما أما بعيد أكثر من شهرين، والبندقية مقر خليفتهم واسمه البابا وهي شمال الأندلس. ومدنهم كلها على جانبي الخليج البندقي، وهي مدن وقرى عامرة ورساتيق.

أرض برجان: وهي أرض عظيمة واسعة، وبها من البرجان أمم لا تحصى، وهي أمة طاغية قاسية وبلادهم واغلة في الشمال.

---

(٢٩٠) البندقية Venice : عاصمة إقليم فينيتو الواقع في شمال شرق إيطاليا. يقدر عدد سكانها ٢٧١ الف نسمة، وهي عاصمة مقاطعة فينيسيا المدينة عبارة عن عدة جزر متصلة ببعضها عن طريق جسور و تطل المدينة على البحر الأدرياتيكي. تعتبر المدينة من اهم المدن الايطالية ومن أكثر المدن جمالا في إيطاليا لما تتمتع به من مباني تاريخية يعود أغلبها إلى عصر النهضة في إيطاليا و قنواتها المائية المتعددة ما يجعلها فريدة من نوعها على مستوى العالم. كانت تتمتع البندقية بحكم ذاتي اثناء العصور الوسطى وما بعد ذلك و كانت تسمى جمهورية البندقية او Republic Of Venice و تعتبر من اهم مرافئ أوروبا تجاريا واثناء الحملات الصليبية و تتمتع بقوة بحرية هائلة. البندقية هي عبارة عن أكثر من مئة جزيرة ملتصقة كانت وما زالت من أصعب أماكن التنقل عمليا وهندسيا. طرق التنقل في البندقية محصورة في القوارب الكلاسيكية المتوفرة بكثرة في المدينة والتي يطلق عليها ال Gondola.

الباب والأبواب: وهي شمالي أرض الفرس: أما الباب: فبناها أنوشروان على بحر الخزر، وبها بساتين وفواكه، وبها مرسى الخزر وغيره، وعليها سلسلة تمنع الداخل والخارج

وأما الأبواب: فهي شعاب في جبل القبق، واسم هذا الجبل في كتب التواريخ القديمة جبل الفتح، وفيها حصون كثيرة، منها باب صول وباب اللان، وباب السابران، وباب الأزقة وباب سجسجي، وباب صاحب السرير، وباب قيلان شاه، وباب كوريان، وباب إيران شاه، وباب ليان شاه، وجبل الفتح هذا المذكور هو جبل عظيم شامخ. وزعم أبو الحسن المسعودي أن فيه ثلاثمائة بلد، كل بلد له لسان لا يشبه الآخر.**قال الجواليقي**: وكنت أنكره حتى تحققته، وهذا الجبل فيه كثير من الممالك فمنها: مملكة شروان شاه، وهي ملكة واسعة لها إقليم ومدن وقرى وعمارات.ومنها مملكة الكر: وهي مملكة واسعة ذات أقاليم ومدن وقرى وعمارات وأمم عظيمة جبارة كفار لا ينقادون لأحد، ومملكة لايذان شاه، ومملكة الموقانية، ومملكة الدودانية وأهلها أخبث العالم، ومملكة طبرستان، ومملكة حيدان، ومملكة عتيق، ومملكة زنكوان، ومملكة الجندخ، ويقال إن لهذه المملكة اثني عشر ألف قرية، ومملكة اللان ومملكة الأنجاز، ومملكة الخزرجية، ومملكة السخطا، وهم قوم جبارون لا ينقادون لأحد، ومملكة الصعاليك(٢٩١) ومملكة كشك، ويقال إن أهل هذه المملكة ليس في الممالك أحسن من رجالهم ولا من نسائهم ولا أكمل محاسن ولا أجمل أوصافاً ولا أطيب خلوة ولا مضاجعة لنسائها، من الحسن والتيه والصلف واللذة الزائدة الوصف التي لم توجد في سائر نساء الدنيا، ويبلغ الرجل منهم المائة

---

(٢٩١) الصعلوك : الفقير الذي لا مال له ولا اعتماد وتصعلك الرجل إذا كان صعلوكاً وكان عروة بن الورد يُسمى " عروة الصعاليك " لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيعطيهم مما يغنمه (اللسان، ٤ / ٢٤٥١، و٢٤٥٢ و المعجم الوسيط ١ / ٥٣٥).

وقوته في نفسه وفي مجامعته باقية، وإذا جامع الواحد منهم امرأة فإنه ينسىٰ الدنيا وما فيها إلىٰ أن ينفصل عن المجامعة، ونساؤها إذا بلغت المرأة خمسين سنة أو ستين أو سبعين فلا تتغير محاسنها عما كانت عليه وهي ابنة عشرين سنة، فسبحان الخالق البارئ المصور الفتاح الرزاق.

ومملكة السبع بلدان، ومملكة إرم، وفي هذا الجبل صحراء كالكهف نحو من مائة ميل بين جبال أربعة ذاهبة في الهواء. وفي وسط هذه الصحراء دائرة منقورة كأنها قد خطت ببيكار منحوتة من حجر صلد استدارتها خمسون ميلاً قطعها قائم كأنه حائط مبنىٰ، بعد قعرها نحو من ستة أميال بالتقريب، لا سبيل إلىٰ الوصول إلىٰ مستوىٰ تلك الدائرة، ويرىٰ فيها بالليل نيران عظيمة في جهات مختلفة، ويرىٰ بها أنهار مادة ولكن كرقة الأصابع، ويرىٰ فيها بالنهار وقت الظهيرة أناس لطاف الأجسام جداً كالذباب، ويرىٰ فيها دواب كالنمل، ولا يعلم من البشر هم أم من غيرهم، ولا يزال الضباب عليها والأبخرة تتصاعد منها. وعند الله علمها. ومن وراء تلك الدائرة دائرة أخرىٰ صغيرة قريبة العقر فيها آجام وغياض، وفيها نوع من القرود منتصبات القامات والقدود مدورات الوجوه كالآدميين، إلا أنهم ذوو شعور، وهم في غاية الفهم والذكاء، وإذا وقع القرد الواحد منهم لأحد من تلك الأرض حمله إلىٰ من شاء من الملوك فيحصل له بواسطة ذلك الخير الكثير، لأن الملوك يرغبون في تلك القرود لخاصية فيها ويبذلون المال الكثير في القرد الواحد منها. فمن ذكائه وخاصيته أنه يقف علىٰ رأس الملك بالمذبة ليلاً ونهاراً ينش عليه ولا يضجر ولا يفتر، وإذا قدم إلىٰ الملك طعام وضع منه في إناء وقدم إليه فإن تناوله القرد وأكله أكل الملك من ذلك الطعام وإن تناوله ورده ولم يأكل منه شيئاً علم الملك أن الطعام مسموم.

ويقال إن بين الخزر وبين بلاد المغرب أربع أمم من الترك يرجعون إلى أب واحد وهم ذوو بأس شديد وقوة، ولكل أمة منها ملك وهي: قحلى، ويجعود، ويحناك، وأبو جردد، ويقال إن الفرس لما فتحت تلك البلاد بنى قباذ مدينة البيلقان وبردغة وسد البر، وبنى أنوشروان وابنه مدينة السابران وكسكر[٢٩٢] والباب، والأبواب، وعمل على أبواب جبل القيق الذي يقال إنه جبل الفتح من خارجه ثلاثمائة وستين قصراً مما يلي أرض الخزر. **أرض الروس**[٢٩٣]: وهي أرض واسعة الأقطار إلا أن العمارات بها منقطعة لا متصلة، وبين البلد والبلد مسافة بعيدة، وهم أمم عظيمة لا ينقادون لأحد من الملوك ولا لشريعة من الشرائع وعندهم معدن الذهب؛ ولا يدخل إليهم غريب إلا قتلوه في الوقت والحال: وأرضهم بين جبال محيطة بها وتخرج من هذه الجبال عيون كثيرة تقع كلها في بحيرة تعرف بطوهي وهي بحيرة كبيرة في وسطها جبل عال فيه وعول كثيرة وتبر كثير؛ ومن طرفها يخرج نهر ديانوس.

وغربي أرض الروس جزيرة دار موشة؛ وفي هذه الجزيرة أشجار أزلية كثيرة منها أشجار إذا دار حول ساقها عشرون رجلاً ومدوا باعاتهم على ساق الشجرة

---

(٢٩٢) كسكر : يقول عنها القزويني " ناحية بين واسط والبصرة على طرف البطيحة وهذه البطيحة كانت قرى ومزارع في زمن الأكاسرة.

(٢٩٣) أقدم وصف لروسيا كتبه بن فضلان عام ٩٢٢ م. فقد زار أحمد بن فضلان روسيا برسالة من الخليفة العباسي إلى ملك الصقالبة. وصل بن فضلان إلى بلغاريا (بشمال القوقاز) يوم ١٢ مايو ٩٢٢ م، وقد اتخذت تتارستان المعاصرة من تلك المناسبة يوم عطلة دينية و الإمبراطورية الروسية هو مصطلح يشار به إلى الفترة من تاريخ روسيا الواقع بين توسع روسيا تحت حكم بطرس الكبير إلى توسع الإمبراطورية الروسية من بحر البلطيق حتى المحيط الهادي إلى خلع نيقولاس الثاني آخر القياصرة الروس في بداية الثورة الروسية عام ١٩١٧م. وخلال الفترة من ١٧٢١م وحتى ١٩١٧ كان الاسم الرسمي للدولة الروسية هو الإمبراطورية الروسية.

الواحدة فلا يحرشوا بها. وأهلها يوقدون النار في بيوتهم نهاراً لبعد الشمس عنهم وقلة الضوء. وبهذه الجزيرة قوم مستوحشون يعرفون بالبراري رؤوسهم لاصقة بأكتافهم ولا أعناق لهم، ودأبهم ينحتون الأشجار الكبار، ويتخذون أجوافها بيوتاً يأوون إليها، وأكلهم البلوط. وبها من الحيوان المسمى بالببر شيء كثير، وهو حيوان غريب الوصف ولا يوجد ولا يعيش إلا في تلك الأمكنة.

والروس ثلاث طوائف طائفة تسمى كركيان ومدينتهم تسمى كركانية؛ وطائفة تسمى أطلاوة ومدينتهم تسمى طلو؛ وطائفة تسمى أرتى ومدينتهم تسمى أرتى. أرض التركش: وهي طويلة عريضة متاخمة لسد يأجوج ومأجوج، ويجلب من جهتها السنجاب الفاخر، والسمور(٢٩٤) والحرير والمسك وجلود النمر.

أرض الخزر: وهي أرض واسعة وبها أمم لا تحصى؛ ومن مدنها المشهورة سمندو وهي مدينة حسنة؛ وكانت في القديم مدينة عظيمة وكان بها من الكروم ما يخرج عن حد الوصف، فخربتها الروس. وآخر أعمالها أول أعمال صاحب السرير، وهي مدينة عظيمة وتسمى صاحب السرير؛ لأن صاحبها اتخذ سريراً من ذهب مرصعاً بالجواهر يقصر عنه الوصف صنع له في عشر سنين؛ فلما تغلبت الروم على بلده بقي السرير على حاله، وقيل إنه باق إلى الآن.

أثل: وهي مدينة كبيرة عامرة، وأكثر بيوتها خركاوات ولبود(٢٩٥)، وهي ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعالي البلاد التركية ويسمى نهر أثل يتشعب من هذا النهر ثم يمر نحو بلاد التغزغز، ويصب في بحر نيطش وهو بحر الروس،

---

(٢٩٤) السمور: دابة تُسوى من جلودها فراء غالية الأثمان وهو حيوان من بلاد الروس يشبه السنمس ومنه أسود لامع وأشقر (اللسان ٣ / ٢٠٩٢).

(٢٩٥) اللبود: كل شعر أو صوف ملتبد (اللسان ٥ / ٣٩٨٤).

ويتشعب من هذا النهر نيف وسبعون نهراً، وليس من الملوك التي في تلك النواحي من عنده جند مرتزقة(٢٩٦) غير ملك الخزر.

برطاس(٢٩٧): أرض طويلة مقدار خمسة عشر يوماً وهم متاخمون الخزر وبيوتهم خركاوات ولبود. ونهر برطاس يأتي من نحو بلاد التغزغز، وعليه مدن كثيرة وبلاد عامرة. ومن بلاد برطاس تحمل جلود الثعالب السود التي تسمى البرطاسي. قال المسعودي؛ تبلغ الفروة السوداء منها إلى مائة دينار. وفي أرض الخزر جبل يسمى باثرة وهو معترض من الجنوب إلى الشمال وفيه معادن الفضة السهلة المأخذ ومعادن الرصاص. وليس على بحر الخزر من الضفة الشرقية عمارة.

أرض البلغار: وهي واسعة ينتهي قصر النهار فيها عند البلغار والروس في الشتاء إلى ثلاث ساعات ونصف ساعة. قال الجواليقي: ولقد شهدت ذلك عندهم فكان طول النهار مقدار ما أصلي أربع صلوات، كل صلاة في عقيب الأخرى مع الأذان وركعات قلائل والإقامة والتسبيح. وعماراتها متصلة بعمارة الروم وهم أمم عظيمة ومدينتهم تسمى بلغار وهي مدينة عظيمة يخرج واصفها إلى حد التكذيب.

أرض الغزية: وهي غربي أرض الأدكش، وهي أرض واسعة متصلة العمائر من جهة الشمال والغرب والشرق ولهم جبال منيعة وعليها حصون حصينة، وينزل إليهم نهر من جبل مرغان، يوجد في هذا النهر إذا زاد التبر الكثير ويخرج من قعره

---

(٢٩٦) مرتزقة : ارتزقه وارتزقه : طلب منه الرزق، وارتزق الجند : أخذوا أرزاقهم (اللسان، ج٣ / مادة رزق، ص ١٦٣٧).

(٢٩٧) برطاس : ولاية واسعة بالخزر مفترشة على نهر اتل أهلها مسلمون لهم لغة مغايرة لجميع اللغات أبنيتهم من الخشب يأوون إليها في الشتاء وأما في الصيف فيفرشون في الخرقاهات بها نوع من الثعالب في غاية الحسن كثير الوبر أحمر اللون جلودها الفراء البرطاسية.

حجر اللازورد، وفي غياضه التبر الكثير. وبها ثعالب صفر لونها لون الذهب يتخذ منها فراء لملوك تلك الناحية، تبلغ الفروة منها جملة من المال، ولا يدعون أحداً يخرج بشيء منها إلى البلاد، ومن خرج بشيء من ذلك خفية استباحوا دمه وماله، كل ذلك بخلاً بها واستحساناً وافتخاراً بها.

أرض الأذكش: وأهلها صنف من الترك عراض الوجوه كبار الرؤوس صغار العيون كثيرو الشعور، وأرضهم عريضة طويلة واسعة كثيرة الخيرات والخصب، وهي شرقي الغزية، وبها من المواشي واللبن والعسل شيء لا يوصف، حتى إن الرجل يذبح الشاة ولا يجد من يأكلها، وأكثر أكلهم لحوم الخيل وشربهم ألبانها.

وجنوبها بحيرة تهامة وهي بحيرة عظيمة دورها مائتان وخمسون ميلاً وماؤها شديد الخضرة إلا أن ريحه ذكي وطعمه عذب جداً. وبها سمك عريض جداً إذا وقعت هذه السمكة في شبكة الصياد انتشر في الحال ذكره وقام على حيله وأنعظ إنعاظاً شديداً، ولا يزال كذلك حتى يخرج السمكة من شبكته، ولونها مرقش فيه من كل لون عجيب حسن. وتزعم الأتراك أن الشيخ الهرم إذا أكل من لحم هذه السمكة أمكنه أن يفتض الأبكار لقوة خاصية هذه السمكة.

وفي وسط هذه البحيرة أرض كالجزيرة وفي وسط الجزيرة بئر محفورة لا يحس لها قعر ولا منتهى، وليس بها شيء من الماء، وبهذه الجزيرة أنهار كثيرة كبار منها نهامة وهو نهر عميق وخروجه من ثلاث عيون دفاعة. وأهل تلك البلاد يقصدون هذا النهر بأولادهم يغمسونهم فيه قبل البلوغ والاحتلام فلا يصيبهم بعد ذلك من أمراض الدنيا شيء البتة، إلا ما جاء من قبل الموت. وإذا مرض عندهم أحد من هؤلاء المغموسين علموا أن موته في تلك المرضة، صح لهم ذلك في تجاربهم. وإذا سقي العليل من مائه برأ من علته، كائنةً ما كانت، بعد سبعة أيام من وقت شربه.

وإذا غسل الإنسان رأسه بالغاً كان أو غيره، لم يحصل لرأسه صداع في تلك السنة. وقد أكثروا الكلام في هذا النهر حتى إنهم قالوا أشياء يجب السكوت عنها، وقدرة الله عز وجل صالحة لكل شيء خارق.

وشرقي هذه البحيرة جبل مراد وهو جبل مرتفع لا يمكن الصعود إليه من حيث الظاهر بوجه من الوجوه لأنه كالحائط القائم الأملس، وفي أسفله باب كبير فيه بيت متسع يتوصل منه إلى جوف هذا الجبل فيه مدرج يصعد منه إلى أعلى الجبل حيث المدينة. وبوسط هذه المدينة عين نابعة يشربون منها ويفيض باقي مائها فيصب في حفيرة على سور المدينة، لا يعلم أين يذهب ولا أين يستقر.

وشمالي أرض الأدكش جبل مرغان وهو جبل طوله من المشرق إلى المغرب نحو من ثماني عشرة مرحلة، في وسطه موضع عال مستدير كالقبة، وفي وسطه بركة ماء لا يقدر أحد على العوم فيها، لا من انسان ولا من حيوان، لأن كل شيء نزل فيها ابتلعته، حتى إنهم رأوا فيها أخشاباً كباراً أو صغاراً تبتلعها في الحال. ويقال إن في تلك البركة أسفل الجبل مغارة يسمع فيها دوي عظيم هائل، يعلو دويه في وقت وينخفض في وقت، ومتى تقدم أحد إليها من انسان أو غيره لم ير بعد ذلك، يقال إنه يخرج منها ريح جاذبة للمعترض لها، فتأخذه إلى داخل المغارة. وقد حكى صاحب كتاب العجائب والغرائب عن هذه المغارة أشياء لا يمكن ذكرها ويجب السكوت عنها لعدم قبول العقل لها، ونشهد أن الله على كل شيء قدير. أرض سحرت: وهي أرض واسعة، وبها جبل إرجيفا، وبها معادن النحاس يعمل فيها أكثر من ألف صانع لصاحب سحرت، ويعمل في هذه الأرض من الفخار والبرام شيء عجيب، وبساحل بحرها ألوان من الحجارة الملونة المثمنة. أرض خزخيز: وهي متصلة بأرض التغزغز من المشرق شمالاً مما يلي البحر الصيني، وهي أرض واسعة كثيرة المياه وافرة

الخصب، بها نهر يجري إليهم من نحو الصين، وعليه أرحاء وبه أنواع السمك المسمى بالسطرون الذي يفعل في قوة الجماع ما لا يفعله السقنقور وليس له شوك.

وبقربها جزيرة الياقوت ويحيط بهذه الجزيرة جبل صعب المرتقى لا يوصل إلى ذروته إلا بجهد جهيد، ولا يوصل إلى أسفل الجزيرة أصلاً لأن بها حيات قتالة، وبأرضها حجارة الياقوت، وأهل تلك الأرض يتحيلون عليه بأن يذبحوا الدواب ويقطعوها وهي حارة ويلقوا بها في تلك الجزيرة، فتقع على الأحجار ويتعلق بها ما قسم، فيخطفها الطير ويخرج بها من الجزيرة فيتبعون محط الطير فيجدون ما يجدون. وهذه الأمة تحرق موتاها بالنار.

أرض الكيماكية: هي شمال أرض التغزغز، وهم أمم عظيمة وأرضهم عامرة كثيرة الخصب وبأرضهم مفاوز عظيمة ولهم قلعة حصينة وشربهم من الآبار المنقورة. وجميع ساحل الكيماكية يوجد فيه التبر عند هيجان البحر فيجمعونه ويصولونه من الزئبق ويسكبونه في أرواث البقر فيأخذ الملك حصة من ذلك والباقي لصاحبه. وأهل المدينة هذه المعروفة بكيماكية يلبسون الحرير الأصفر والأحمر ويعبدون الشمس، لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أرض الخلخية: أرض واسعة ولها قلعة حصينة في رأس جبل شاهق، والماء قد عم ذلك الحصن مستديراً به من جميع جهاته وأهلها ذوو عدد وعدد. **أرض الخزلجية:** شمالي بلاد التبت وغربي بلاد التغزغز وهي طويلة عريضة، وبها أمم عظيمة من الترك ومدينتهم العظمى تسمى خاقان الخزلجية وهي في غاية الحصانة ولها اثنا عشر باباً من الحديد الصيني.

الأرض المنتنة: وهي أرض ممتدة طولها عشرة أيام في عرض عشرة وهي خرساء الأطناب سوداء الإهاب، وأهلها جرد الثياب، وماؤها غائر ودليلها جائر وروائحتها منتنة وأهويتها وخمة، وهي غربي الأرض الخراب التي خربها يأجوج ومأجوج، وهي بلاد موحشة.

أرض الخراب: بلاد واسعة الأقطار خالية الديار لا يدخلها سالك، ومن دخلها وقع في المهالك لكثرة وبائها ووحشة أرضها وتغير هوائها وكثرة الأمطار وعدم الساكن والسالك ووجود الأخطار. وقيل إنها في هذا الوقت قد عمرت.

أرض يأجوج ومأجوج: والجبل الذي يحيط بهم يسمى فزنان وهو جبل قائم الجنبات لا يصعد عليه أحد وبه ثلوج منعقدة لا تنحل عنه أبداً، وبأعلاه ضباب لا يزول أبداً، وهو ماد من بحر الظلمات إلى آخر المعمورة لا يقدر أحد صعوده، وخلق هذا الجبل من بلاد يأجوج ومأجوج عدد لا يحصى. وفي هذا الجبل حيات وأفاع عظام جداً، وربما رقي هذا الجبل في النادر من يريد أن ينظر إلى ما وراءه فلا يصل إليه ولا يمكنه الرجوع فيهلك، وربما رجع من الألف واحد فيخبر أنه رأى خلف الجبل نيراناً عظيمة.

يقال إن يأجوج ومأجوج كانا أخوين شقيقين تناسلا وكانت لهم غارات على من جاورهم قبل وصول ذي القرنين إليهم، فأخلوا كثيراً من البلاد وأهلكوا غزيراً من العباد، وكانت منهم طائفة عفيفة ينكرون ذلك عليهم، فلما وصل ذو القرنين إليهم وأغار بجيوشه عليهم شكت الطائفة العفيفة إليه يأجوج ومأجوج وما فعلوه في البلاد والأمم المجاورة لهم من الفساد وأنهم على خلاف مذهبهم وبريئون من معتقدهم ومفتعلهم، وشهدت لهم قبائل كثيرة بذلك، فمال إليهم وتركهم خارج السد، وأقطعهم تلك الأراضي يعمرونها ويأكلونها، وهم الخزلجية والسنية

والخزخيزية والتغزغزية والكيماكية والجاجانية والأذكش والتركش والخفشاخ والجليخ والغز والبلغار، وأمم عظيمة يطول ذكرها، وسد على المفسدين. وكل المفسدين قصار القدود لا يتجاوز أحدهم ثلاثة أشبار، ووجوههم في غاية الاستدارة وعليهم شعور مثل الزغب وآذانهم مستديرة مسترخية، تلحق أذن الرجل منهم طرف منكبيه. وألوانهم بيض وحمر وكلامهم صفير وفيهم زنا فاحش، وبلادهم ذات أشجار ومياه وثمار وخصب كثير ومواش كثيرة إلا أنها بلاد ثلج ومطر وبرد على الدوام. حكي عن **سلام الترجمان**(٢٩٨)، وكان عارفاً بألسن كثيرة حتى قيل: إنه كان يعرف أربعين لغة ويجاري فيها، أنه رأى هذا السد عياناً وذلك أن أمير المؤمنين **الواثق بالله**(٢٩٩) من خلفاء بني العباس بعثه إليه ليراه ويتحقق كيفيته

---

(٢٩٨) رحلة سلام الترجمان : من أشهر السفارات التي خرجت بأمر الخليفة الواثق سفارة " سلام الترجمان " إلى الصين للتأكد من أن السد الذى بناه ذو القرنين لما يزل على حاله، ويبدو أن حديثها كان منتشرا ومشهورا فى العصور الوسطى. والمعلومات المتوفرة عن "سلام" قليلة، ولا تتعدى أن تكون نتفا نقلها لاحق عن سابق، فابن خرداذبه – وهو أوثق مصادرها- ينقل تفاصيل رحلته فى نص موثق، ويقدم له بقوله : " حدثنى سلام الترجمان أن الواثق بالله لما رأى فى منامه كأن السد الذى بناه ذو القرنين بيننا وبين يأجوج ومأجوج قد انفتح، فطلب رجلا يخرجه إلى الموضع فيستخبر خبره، فقال " أشناس" : " ماها هنا أحد يصلح إلا سلام الترجمان، وكان يتكلم بثلاثين لسانا". وهذه الثلاثون لسانا قابلة للزيادة عند غير ابن خرداذبه، فقد " حكى عن سلام الترجمان – وكان عارفا بألسن كثيرة، حتى قيل : إنه كان يعرف أربعين لغة ويجارى فيها – أنه رأى السد عيانا" وادعى " ابن رسته " فى الأعلاق النفيسة أن ابن خرداذبه قال : " حدثنى سلام الترجمان – وكان يترجم كتب الترك التى ترد على السلطان الواثق بالله قال ". والواضح أن علاقته بالواثق كانت قوية إلى درجة مكنته من الفوز بثقته، كما كان يتمتع بميزات عديدة أهمها الشباب والقوة الجسدية والذكاء والأمانة، وكان شبابه وقوته الجسدية من أسباب عودته موفور الصحة بعد الرحلة الشاقة (أنظر ملحق رقم (٦).

(٢٩٩) هو هارون الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد (٢٣٢هـ/ ٨٤٧) هو ثامن خلفاء العباسيين في العراق. ولد في بغداد سنة ٢٠٠ هـ وولي الخلافة بعد وفاة أبيه المعتصم سنة ٢٢٧ هـ. أحسن الواثق لأهل الحرمين حتى قيل إنه لم يوجد بالحرمين في أيامه سائل أي فقير. كان مشجعا للعلماء محبا

ويخبره بصفته عن حقيقته، فمشى إليه وعاد بعد سنتين وأربعة أشهر فأخبره أنه سار ومن معه حتى وصلوا إلى صاحب السرير بكتاب أمير المؤمنين فأكرمهم وأرسل معهم أدلاء فمضوا حتى دخلوا إلى تخوم سحرت وساروا إلى أرض طويلة ممتدة كريهة الرائحة فقطعوها في عشرة أيام وكان معهم شيء يشمونه لأجل تلك الرائحة التي في تلك الأرض فإنها تأخذ بالقلب، وانفصوا من تلك الأرض ووقعوا في أرض خراب لا حسيس بها ولا أنيس مسيرة شهر، وخرجوا منها إلى حصون بالقرب من جبل السد، وأهل تلك الحصون يتكلمون بالعربية والفارسية.

وهناك مدينة عظيمة اسم ملكها خاقان أتكش، فسألونا عن حالنا فأخبرناهم أن أمير المؤمنين الخليفة على المسلمين أرسلنا لنرى السد عياناً ونرجع إليه بصفته فتعجب هو ومن عنده منا ومن قولنا أمير المؤمنين الخليفة ولم يعرفوا ما هو؟ وبقي السد عنا فرسخين من هذه المدينة.

ثم سرنا ومعنا أناس منهم حتى سرنا إلى باب بين جبلين عظيمين عرضه مائة وخمسون ذراعاً وفيه باب من حديد طوله مائة وخمسون ذراعاً وقد اكتنفه عضادتان، عرض كل عضادة منهما خمسة وعشرون ذراعاً وارتفاعها مائة وخمسون ذراعاً، وعلى أعلاها دروند من حديد طوله مائة وخمسون ذراعاً وهي العتبة العليا، وفوقه شرافات من حديد، في طرف كل شرافة قرنان من حديد منثنيان إلى الشرافة الأخرى يتصل بعضها ببعض، وكل ذلك من لبن حديد مغيب في نحاس مذاب، وللباب مصراعان مغلقان عرض كل مصراع خمسون ذراعاً في ثخن أربعة أذرع، وقائمتان في

للموسيقى. قامت عدة ثورات في عهده في الشام وفلسطين بسبب الاحتكاكات بين السكان العرب والجيوش التركية التي شكلها والده المعتصم. تم إخماد هذه الثورات، إلا أن جذوة النقمة تضاعفت بين الأهالي، وكانت وفاته في سامراء بالحمى سنة (٢٣٢هـ/ ٨٤٧)..

ذروتي الجبلين على قدر الدروند. وعلى الباب قفل من حديد طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع ونصف وارتفاع القفل من الأرض أربعون ذراعاً وفوق القفل بخمسة أذرع حلقة أطول من القفل بخمسة أذرع، وعليها مفتاح معلق طوله ذراع ونصف، وله اثنتا عشرة سنة من الحديد، معلق في حلقة طولها وعرضها ذراع في ذراع بسلسلة من الحديد المصفى. وعتبة الباب السفلى سمك عشرة أذرع وطولها مائة ذراع من حديد مغموسة الطرفين تحت العضادتين، وكلها بالذراع الرشاشي.

ورئيس تلك الحصون يركب في كل جمعة في كبكبة(٣٠٠) عظيمة حتى يأتي الباب، وبأيديهم مرزبات من حديد فيضربون بها على ذلك الباب، فتدوي تلك الأرض ليسمع من خلف الباب من يأجوج ومأجوج، فيعلمون أن هناك حفظة وحراساً. وبعد ضرب الباب ينصتون بآذانهم مستمعين فيسمعون من وراء الباب دوياً كدوي الرعد.

وبقرب هذا السد حصن طوله عشرة أذرع في عشرة، ومع هذا الباب من الجانبين حصنان كل واحد منهما مائة ذراع في مائة ذراع. وبين هذين الحصنين عين ماء عذب. وفي أحد الحصنين بقية من آلات البناء، وهي قدور من حديد ومغارف من حديد، وهي فوق دكك مرتفعة، وعلى كل دكة أربع قدور وهي أكبر من قدور الصابون. وهناك أيضاً بقايا من اللبن الحديد وقد لصق بعضها ببعض من الصدأ، طول كل لبنة ذراع ونصف في عرض ذراع وارتفاع شبرين. وأما الباب المذكور والدروند الذي في أعلاه، والقفل، فكأنما فرغ الصانع من عمله الآن، وهي غير صدئة ولا بالية، قد دهنت بأدهان الحكمة المانعة من الصدأ.

---

(٣٠٠) أي موكب كبير.

قال سلام الترجمان: سألت من هناك هل رأيتم قط أحداً منهم؟ فأخبروا أنهم رأوا منهم عدداً كثيراً فوق شرفات السد، فهبت بهم ريح عاصف فرمت منهم ثلاثة، كل واحد منهم طوله دون ثلاثة أشبار، ولهم مخاليب موضع الأظفار، وأنياب وأضراس كالسباع، وإذا أكلوا بها يسمع لأكلهم حركة قوية، ولهم أذنان عظيمتان يفترشون الواحدة ويلتحفون الأخرى.

فكتب سلام هذه الصفات كلها في كتاب ورجع إلى الخليفة الواثق بالله. وقد ذكر بعض أهل العلم أن يأجوج ومأجوج يرزقون التنين، يقذفه عليهم السحاب فيأكلونه، وإنما يقذف عليهم ذلك في أيام الربيع في كل عام، فإذا تأخر ذلك عن وقته المعهود استمطروه كما يستمطر الناس الغيث(٣٠١). وحكى صاحب كتاب العجائب أن في داخل بلاد يأجوج ومأجوج نهراً يسمى المسهر لا يعرف له قعر، وإذا تقاتلوا وأُسر بعضهم طرحوا الأسرى في ذلك النهر فيرون عند ذلك طيوراً عظاماً تخرج إلى من يطرح في ذلك النهر من كهوف هناك في جانبي الوادي، فتخطفهم قبل أن يصلوا إلى الماء وترتفع بهم إلى تلك الكهوف فتأكلهم هناك. ويقال إن بهذا الوادي ناراً تتأجج طول الزمان بقدرة الله تعالى وليس وراء يأجوج ومأجوج إلا المحيط والله سبحانه وتعالى أعلم: «**وما يعلمُ جنودَ ربِّك إلا هو وما هيَ إلا ذِكرى للبشَر**»(٣٠٢). «**ويخلُق ما لا تعلمون، وعلى الله قَصْدُ السبيل**»(٣٠٣).

انتهى فصل البلدان والأقطار ولنسرع الآن في ذكر الجبال والبحار والجزائر والآبار وما بها من العجائب للاعتبار.

. . . .

---

(٣٠١) الغيث : المطر.

(٣٠٢) سورة المدثر: آية ٣١.

(٣٠٣) سورة النحل: آية ٩.

فصل في المحيط وعجائبه

اعلم أن المحيط هو البحر الأعظم الذي منه مادة سائر البحار المتصلة والمنقطعة وهو بحر لا يعرف له ساحل ولا يعلم عمقه إلا الله عز وجل، والبحار على وجه الأرض خلجان منه. وفي هذا البحر عرش إبليس لعنه الله وفيه مدائن تطفو على وجه الماء وفيها أهلها من الجن في مقابلة الربع الخراب من الأرض، وفيه حصون وفيه قصور على وجه الماء طافية ثم تغيب، وتظهر فيه الصور العجيبة والأشكال الغريبة، ثم تغيب في الماء وفيه الأصنام(٣٠٤) التي وضعها أبرهة ذو المنار الحميري، قائمة على وجه البحر وهي ثلاثة أصنام: أحدها أخضر، وهو يومئ بيده كأنه يخاطب من ركب البحر يأمره بالرجوع، والصنم الثاني أحمر كأنه يشير إلى نفسه ويخاطب من ركب هذا البحر أن يقف عنده ولا يجاوزه. والصنم الثالث أبيض يومئ بأصبعه إلى البحر: من جاء وجاوز هذا المكان هلك. وعلى صدر كل صنم مكتوب بالأسود: هذا وضعه أبرهة ذو المنار تُبّع الحميري لسيدته الشمس تقرباً غليها[1]. وفي البحر ينبت شجر المرجان كسائر الأشجار في الأرض، وفيه من الجزائر المسكونة والخالية ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

---

(٣٠٤) يقال أن كلمة صنم معرب " شَمَن " الفارسية وهي الوثن، والصنم يُنحت من خشب أو يُصاغ من معدن، وهو ما اتخذ إلهاًمن دون الله، وقيل ما كان له جسم أو صورة فهو وثن (لسان العرب، الأصنام).

قال أبو الريحان الخوارزمي(٣٠٥): إن المحيط الذي في المغرب على ساحل الأندلس يسمى بالمظلم أيضاً، لا يلج إليه أحد أبداً، وإنما يمر بالقرب من ساحله. يخرج منه خليج يعرف بنيطش وطربزندة، ماراً في جهة الشمال وهو بحر القرم يمر على سور قسطنطينية، ويتضايق حتى يقع في بحر الشام ثم يمتد نحو الشمال وعلى محاذاة أرض الصقالبة، ويخرج منه خليج في شمال الصقالبة، فإذا وصل إلى قرب أرض المسلمين وبلادهم انحرف إلى نحو الشرق. وبين ساحله وبين أرض الترك أرض وجبال مجهولة وخراب غير مسكونة ولا مسلوكة. ثم يتشعب منه أعظم الخلجان وهو الخليج الفارسي المسمى في كل اقليم ومكان من المحيط باسم ذلك الإقليم والمكان للمحاذاة له، فيكون أولاً بحر الصين ثم بحر التبت ثم بحر الهند ثم بحر السند ثم بحر فارس، ثم يخرج من أصل هذا البحر المذكور خليجان عظيمان أحدهما بحر مكران وكرمان وخوزستان وعبادان، وهو الخليج الشرقي الشمالي، والآخر بحر الزنج والحبشة وسفالة الذهب والبربر والقلزم واليمن وبلاد السودان، حتى ينتهي إلى بلاد مصر، وهو الخليج الجنوبي الغربي. وفي هذا البحر أعني الخليج الشرقي بجملته من الجزائر العامرة والغامرة والمسكونة والمعطلة ما لا يعلم ذلك إلا الله عز وجل.

---

(٣٠٥) الخوارزمي : أبو الريحان محمد بن احمد الخوارزمي الملقب ببرهان الحق. فيلسوف ومؤرخ وطبيب وكيميائي ورياضي وفلكي ومنجم خوارزمي. ولد في خوارزم في عام ٩٧٣ م، وتوفي في بغداد عام ١٠٥١ م. نشأ في خوارزم ودرس فيها علوم النبات على عالم اغريقي، ثم تركها في حوالي سن العشرين الى سواحل بحر قزوين فرارا مما الم بها من اضطرابات. وفي موطنه الجديد التقى باستاذه الثاني أبي سهل عيسى المسيحي. وبعد ذلك طوف البيروني، وعاش سنوات كثيرة في فارس والهند، ودرس فلسفتها بالاضافة الى الفلسفة الاغريقية. وقد أشاد بالأخيرة إذ قال : إن الفلسفات الأخرى لم تنجب مثل سقراط. وقد ألف البيروني في الرياضيات والفلك والتنجيم والتاريخ والجغرافيا والجيولوجيا والصيدلة والطبيعيات وغيرها من العلوم.

وسنذكر كل بحر على حدته، وما فيه من الجزائر والآثار والعجائب على الترتيب إن شاء الله تعالى.

أما البحر الأول: من هذا الخليج الشرقي فهو بحر الصين وبحر التبت وبحر الهند والسند، لأنه يمر أولاً بالصين ثم بالتبت ثم بالهند ثم بالسند ثم على جنوب اليمن، وهناك ينتهي إلى باب المندب طولاً فيكون مسافة طوله من مبدئه من المحيط في الشرق إلى باب المندب في الغرب أربعة آلاف فرسخ. يتشعب من هذا البحر الصيني الخليج الأخضر، وهو بحر فارس والأُبلة ومكران، إلى أن ينتهي إلى الأُبلة حيث عبادان، فهناك ينتهي آخره ثم يعطف راجعاً إلى جهة الجنوب فيمر ببلاد البحر واليمامة ويتصل بعمان وأرض الشجر واليمن، وهناك اتصاله بالبحر الهندي، وطول هذا البحر أربعمائة فرسخ وأربعون فرسخاً.

ويتشعب من هذا البحر الصيني أيضاً: خليج القلزم ومبدؤه من باب المندب المتقدم ذكره، حيث انتهى البحر الهندي آنفاً فيمر في جهة الشمال مغرباً قليلاً، فيتصل بغربي اليمن ويمر بتهامة والحجاز إلى مدين وأبلة وفاران. وينتهي إلى مدينة القلزم وإليها ينساب وينعطف راجعاً إلى جهة الجنوب فيمر في بلاد الصعيد إلى حوم الملك، إلى عيذاب، إلى جزيرة سواكن(٣٠٦)، إلى زيلع في البجعة إلى بلاد الحبشة ويصل بالبحر الهندي، وطول هذا البحر ألف وأربعمائة ميل والله أعلم.

البحر الثاني: الخليج الغربي الآخذ من المحيط الغربي المظلم وهو بحر الغرب والشام والروم ومبدؤه من الإقليم الرابع، ويسمى هناك البحر الزقاق لأن سعته هناك ثمانية عشر ميلاً كالزقاق، وكذلك طول الزقاق أيضاً من طريف إلى الجزيرة

---

(٣٠٦) سَوَاكنُ : بلد مشهور على ساحل بحر الجار قرب عَيذاب ترفأ إليها سفُن الذين يقدمون من جدة.

الخضراء ثمانية عشر ميلاً فيمر مشرقاً في جهة بلاد البربر وبشمال المغرب الأقصى، إلى أن يمر بالمغرب الأوسط ويصل أرض أفريقية إلى وادي الرمل إلى أرض برقة وأرض لوقيا ومراقيا والإسكندرية، إلى شمال أرض التيه، إلى فلسطين إلى سائر ساحل بلاد الشام، إلى أن ينتهي طرفه إلى السويدية، وهناك نهايته ثم ينحرف مغرباً راجعاً إلى جهة المغرب فيتصل بالخليج القسطنطيني، إلى جزيرة بليونس وكمشيلي، إلى أدرنة، وهناك يخرج إلى الخليج البندقي ويتصل إلى أرض مجاز صقلية إلى بلاد رومية إلى بلاد ستومة وأرمونة، ويجتاز بجبال اليونان فيمر شرقي الأندلس، من جهة جنوبها، من حيث ابتدأ، وطول هذا البحر ألف ومائة وستة وستون فرسخاً. ويخرج من هذا البحر الشمالي خليجان: أحدهما خليج البنادقة: ومبدؤه من شرقي بلاد تلودية من بلاد الروم عند مدينة أدرنة، فيمر في جهة الشمال عن تغريب يسير إلى ساحل شنت، ثم يأخذ في جهة المغرب إلى أن يمر بساحل البنادقة وينتهي إلى بلاد أزكالية، ومن هناك ينعطف راجعاً مع الشرقي على بلاد جرواسية والماسية إلى أن يتصل بالبحر الشامي من حيث ابتدأ نيطش، وطول هذا البحر ألف ومائة ميل.

والخليج الآخر: نيطش، ومبدؤه من البحر الشامي حيث فم أيدة، وعرض فوهته رمية سهم، ويمر بينه مجاز رمية سهم، فيتصل بالقسطنطينية فيكون هناك عرضه ستة أميال، ويمر نحو نيطش من جهة الشرق فيتصل في جهة الجنوب بأرض قلعية إلى سواحل أطرابدية إلى أرض أشكلة إلى أرض لايته، وينتهي طرف هذا الخليج هناك حيث الخزرية، ومن هناك ينعطف راجعاً إلى مطرحه ويتصل ببلاد الروسية وبلاد برحان، ولا يزال حتى ينتهي إلى مضيق فم خليج قسطنطينية ويتصل به ويمر شرقي مقدونية إلى أن يتصل بالموضع الذي منه ابتدأ، وبين ساحله وبين أرض الترك أرضون وجبال مجهولة. وطول بحر نيطش وهو بحر القلزم من فم المضيق إلى حيث انتهاؤه ألف وثلاثمائة ميل.

وأما بحر جرجان والديلم: فهو بحر الخزر، فإنه يخرج منقطعاً لا يتصل بشيء من البحار المذكورة وتقع فيه أنهار وعيون دائمة الجريان. وذكر الجواليقي أن هذا البحر مظلم القعر، وأنه يتصل ببحر نيطش من تحت الأرض، ويتصل بهذا البحر من جهة الغرب بلاد أذربيجان [٣٠٧] ومن جهة الجنوب بلاد طبرستان، ومن جهة الشرق أرض العرب، ومن جهة الشمال أرض الخزر وطوله ألف ميل وعرضه من ناحية جرجان إلى وضع نهر أيلة ستمائة ميل وخمسون ميلاً، وفي كل بحر من هذه البحور جزائر وأمم مختلفة ونباتات وحيوانات مختلفة وجبال وغير ذلك.

ونحن نفصل ما وصل إليه علم الناس إن شاء الله تعالى.

. . . .

---

(٣٠٧) أذربيجان : اقليم يقع في جنوب بحر قزوين بين أرمينية وفارس، ويقع الآن في الشمال الغربي من ايران، وهو كثير الجبال والمرتفعات، استولى عليه المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب بقيادة بكير بن عبد الله (القاموس الإسلامي، ج١، ص ٥٨).

فصل في بحر الظلمة
وهو بالبحر المحيط الغربي

ويسمى المظلم، لكثرة أهواله وصعوبة متنه فلا يمكن أحداً من خلق الله أن يلج فيه، إنما يمر بطول الساحل لأن أمواجه كالجبال الرواسي وظلامه كدر، وريحه ذفر، ودوابه متسلطة، ولا يعلم ما خلفه إلا الله تعالى ولا وقف منه بشر على تحقيق خبر، وفي ساحل هذا البحر يوجد العنب الأشهب الجيد، وحجر البهت وهو حجر من حمله أقبل الخلق عليه بالمحبة والتعظم وفضيت حوائجه وسمع كلامه وانعقدت عنه ألسنة الأضداد. ويوجد أيضاً بساحله حجارة مختلفة الألوان يتنافس أهل تلك البلاد في أثمانها ويتوارثونها ويذكرون لها خواص عظيمة. وفي البحر من الجزائر العامرة والخراب ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وقد وصل الناس منها إلى سبع عشرة جزيرة.

فمنها الخلدتان: وهما جزيرتان فيهما صنمان مبنيان بالحجر الصلد طول كل صنم مائة ذراع، وفوق كل صنم صورة من نحاس تشير بيدها إلى خلف، يعني: ارجع فما ورائي شيء. بناهما دو المنار الحميري من التبابعة، وهو ذو القرنين المذكور في القرآن.

ومنها جزيرة العوس: بها أيضاً صنم وثيق البناء لا يمكن الصعود إليه بناه أيضاً ذو القرنين المذكور. وبهذه الجزيرة مات الباني وقبره بها في هيكل مبني بالمرمر والزجاج الملون. وبهذه الجزيرة دواب هائلة تنكرها المسامع.

ومنها جزيرة السعالي[٣٠٨]: وهي جزيرة عظيمة بها خلق كالنساء إلا إن لهم أنياباً طوالاً بادية، وعيونهم كالبرق الخاطف ووجوههم كالأخشاب المحترقة،

---

(٣٠٨) السعالي : وواحدتها السعلاة، فذكر أنها سَحَرة الجن، وقيل: إن الغيلان جنس منها، وأن الغيلان هي إناث الشياطين، وأنها ـ أي السعالي ـ أخبث الغيلان، وأكثر وجودها في الغياض (الغابات)، وأنها إذا

يتكلمون بكلام لا يفهم ولا فرق بين الرجال والنساء عندهم إلا بالذكر والفرج، ولباسهم ورق الشجر ويحاربون الدواب البحرية ويأكلونها.

وجزيرة حسرات: وهي جزيرة واسعة فيها جبل عال، وفي سفحه أناس سمر قصار لهم لحى طوال تبلغ ركبهم، وجوههم عراض ولهم آذان كبار وعيشتهم من الحشيش، وعندهم نهر صغير عذب.

وجزيرة العرر: وهي جزيرة طويلة عريضة، كثيرة الأعشاب والنباتات والأشجار والثمار.

جزيرة المستشكين: وتعرف بجزيرة التنين. وهي عظيمة بها أشجار وأنهار وثمار، وبها مدينة عظيمة، وكان بها التنين العظيم الذي قتله الاسكندر. وكان من حديثه أنه ظهر بها تنين عظيم، فكاد أن يهلك الجزيرة وما بها من السكان والحيوان، فاستغاث الناس منه إلى الإسكندر وكان الإسكندر قد قارب تلك الأرض، وشكوا إليه أن التنين قد أكل مواشيهم وأتلف أموالهم وقطع الطريق على الناس وأن له عليهم في كل يوم ثورين عظيمين ينصبونهما فيأتي إليهما كالسحابة السوداء وعيناه تتوقدان كالبرق الخاطف، والنار والدخان يخرجان من فيه فيبتلع الثورين ويرجع إلى مكانه.

ظفرت بإنسان ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر، وأن الذئب يأكل السعلاة. وذكر أن (السعلاة) اسم الواحدة من نساء الجن إذا لم تتغول لتفتن السفّار. وهم إذا رأوا المرأة حديدة الطرف والذهن، سريعة الحركة ممشوقة ممحصة، قالوا: سعلاة.

فسار الإسكندر إلى المدينة وأمر بالثورين فسلخا وحشا جلودهما زفتاً وكبريتاً وزرنيخاً وكلساً ونفطاً(٣٠٩) وزئبقاً، وجعل مع ذلك كلاليب(٣١٠) من حديد وأقامهما في المكان المعهود، فجاء التنين من الغد إليهما على العادة فابتلعها، فأضرمت النار في جوفه وتعلقت الكلاليب بأحشائه، وسرى الزئبق في جسده ورجع مضطرباً إلى مقره. فانتظروه من الغد فلم يأت ولم يخرج، فذهبوا إليه فإذا هو ميت وقد فتح فاه كأوسع قنطرة وأعلاها. ففرحوا وشكروا سعي الإسكندر إليهم وحملوا إليه هدايا عجيبة منها دابة عجيبة يقال لها المعراج مثل الأرنب، أصفر اللون وعلى رأسه قرن واحد أسود لم يرها شيء من السباع الضواري والوحوش الكاسرة إلا هرب منها.

جزيرة قلهات: وهي جزيرة كبيرة وبها خلق مثل خلق الإنسان، إلا أن وجوههم وجوه الدواب يغوصون في البحر فيخرجون ما يقدرون عليه من الدواب البحرية فيأكلونها.

جزيرة الأخوين الساحرين: أحدهما شرهام والآخر شبرام، وكانا بهذه الجزيرة يقطعان الطريق على التجار، فمسخا حجرين قائمين في البحر، وعمرت الجزيرة بعدهما.

جزيرة الطيور: ويقال إن فيها جنساً من الطيور في هيئة العقبان، حمر ذوات مخاليب تصيد دواب البحر. وبهذه الجزيرة ثمر يشبه التين، أكله ينفع من جميع السموم. حكى الجواليقي أن ملكاً من ملوك فرنجة أخبر بذلك فوجه إليها مركباً ليجلب له من ذلك الثمر ويصاد له من تلك الطيور، لأنه كان عالماً بمنافع تلك

---

(٣٠٩) النفط : البترول حالياً.

(٣١٠) الكلاليب : الخطاطيف، جمع كلاب (مختار الصحاح مادة (كلب).

الطيور ودمها وأعضائها ومرائرها، فانكسرت المركب في البحر وهلكت السفينة ومن فيها ولم يعد إليه أحد.

جزيرة الصاصيل: طولها خمسة عشر يوماً في عرض عشرة. وكان بها ثلاث مدن مسكونه عامرة وكان التجار يسيرون إليها ويشترون منها الأغنام والأحجار الملونة المثمنة، فوقع الشر بين أهلها حتى فني غالبهم وبقي منهم قليل، فانتقلوا إلى بلاد الروم.

جزيرة لاقة: وهي جزيرة كبيرة وبها شجر العود كالحطب وليس له هناك قيمة ولا رائحة حتى يخرج من تلك الأرض فيكتسب الرائحة؛ وكانت عامرة مسكونة والآن قد خرجت فيها حيات كبار وتغلبت على أرضها فخربت بمثل ذلك. جزيرة ثورية: بها أشجار وأنهار ولكنها خالية الديار، وبهذا البحر دواب عظيمة مختلفة الأشكال هائلة المنظر، يقال إن السمكة يمر رأسها كالجبل العظيم الشامخ ثم يمر ذنبها بعد مدة، ويقال إن مسافة ما بين رأسها وذنبها أربعة أشهر.

بحر الصين وجزائره وما به من العجائب والغرائب: ويسمى هذا البحر بأسماء عديدة: بحر الصين وبحر الهند صنجي، وهو متصل بالمحيط من المشرق: وليس على وجه الأرض بحر أكبر منه إلا المحيط، وهو كثير الموج عظيم الاضطراب بعيد القعر، فيه المد والجزر، كما في بحر فارس؛ ويستدل على هيجان هذا البحر بأن يطفو السمك على وجهه قبل هيجانه بيوم واحد، ويستدل على سكونه ببيض طائر معروف يبيض على وجه الماء في مجتمع القذى، وهو طائر لا يأوي الأرض أبداً ولا يعرف إلا لجة البحر، في هذا البحر مغاص اللؤلؤ يطلع منه الحب الجيد الذي لا قيمة له، وفي هذا البحر من الجزائر ما لا يعلمه إلا الله عدداً إلا أن بعضها مشهور يصل

إليه الناس، قيل إن فيه اثني عشر ألف جزيرة عامرة مسكونة وبها عدة ملوك، وفي بعض جزائره ينبت الذهب ويكثر في بعض السنين ويقل في بعضها كالنبات.

فمن جزائره جزيرة زانج (٣١١) وتشمل جزائر كثيرة في آخر حدود الصين وأقصى بلاد الهند، عامرة خصبة ليس فيها خراب، يسافرون فيها بلا ماء ولا زاد لكثرة الخصب والعمارة، وهي نحو مائة فرسخ.

قال محمد بن زكريا: وملك هذه الجزيرة يسمى المهراج، وله جباية تقطع في كل يوم ثلاثمائة من من الذهب، في كل من ستمائة درهم فيتحصل له في كل يوم ما يزيد على مائة ألف مثقال وخمسة وعشرين ألف مثقال، يتخذ منها لبناً ويطرحه في البحر وهو خزانته.

وقال ابن الفقيه: بهذه الجزيرة سكان تشبه الآدميين إلا أن أخلاقهم بالوحوش أشبه، ولهم كلام لا يفهم، وعندهم أشجار وهم يطيرون من شجرة إلى شجرة وبها نوع من السنانير الوحشية حمر منقطة ببياض، أذنابها كأذناب الظباء؛ وبها أيضاً نوع من السنانير المذكورة ولها أجنحة كأجنحة الخفاش، وبها أبقار وحشية حمر منقطة ببياض أيضاً ولحومها حامضة وبها دابة الزباد وهي كالهرة، وفأرة المسك، وبها جبل يقال له النصان مشهور به، وبه حيات عظام تبتلع الفيلة، وبه قردة كأمثال الجواميس

(٣١١) زانج : يذكر عنها القزويني " إنها جزيرة عظيمة في حدود الصين مما يلي بلاد الهند بها أشياء عجيبة ومملكة بسيطة وملك مطاع يقال له المهراج قال محمد بن زكرياء: للمهراج جباية تبلغ كل يوم مائتي من ذهباً يتخذها لبنات ويرميها في الماء والماء بيت ماله وقال أيضاً: من عجائب هذه الجزيرة شجر الكافور وانه عظيم جداً يظل مائة إنسان وأكثر يثقب أعلى الشجر فيسيل منه ماء الكافور عدة جرار ثم يثقب أسفل من ذلك وسط الشجرة فينساب منها قطع الكافور وهو صمغ تلك الشجرة غير أنه في داخلها فإذا أخذت ذلك منه يبست الشجرة ".

والكباش الكبار؛ ومن القردة ما هو أبيض ومنها ما هو كالقرطاس، ومنها ما هو أبيض الظهر أسود البطن وبالعكس؛ ومنها ما هو أسود كالفأر. وبها من الببغاء وهي الدرة شيء كثير بيض وحمر وصفر وخضر، ويتكلمون مع الناس بأي لسان سمعوه منهم. وبها خلق على صورة الإنسان وهم بيض وسود وشقر وخضر يأكلون ويشربون ويتكلمون بكلام لا يفهم، ولهم أجنحة يطيرون بها.

حكى **ابن السيرافي قال:** كنت ببعض جزائر الزانج فرأيت ورداً كثيراً أحمر وأبيض وأزرق وأصفر وألواناً شتى، فأخذت ملاءة وجعلت فيها شيئاً من ذلك الورد الأزرق. فلما أردت حملها رأيت ناراً في الملاءة فأحرقت جميع ما كان فيها من الورد، ولم تحترق الملاءة، فسألت الناس عن ذلك فقالوا: إن في هذا الورد منافع كثيرة ولا يمكن اخراجه من هذه الغياض بوجه أبداً.

وفي هذه الجزيرة شجر الكافور(٣١٢) وهو شجر عظيم هائل تظل كل شجرة مائة انسان وأكثر. وفي هذه الجزيرة قوم يعرفون بالمخرمين، مخرمة أنوفهم. وفيها حلق بها سلاسل إذا جاءهم عدو لمحاربتهم قدموا أولئك المخرمين متسلحين، ويأخذ كل رجل بطرف سلسلة من تلك الرجال المخرمة، يمنعه بها من التقدم إلى العدو، فإن انتظم صلح بين العدو وأهل الجزيرة فلا يفلتون من السلاسل وإن لم ينتظم صلح لفت تلك السلاسل في أعناقهم وأطلقوهم على العدو فيحطمون العدو حطمة واحدة ويأكلون منهم كل من وقعت أعينهم عليه، ولا يثبت لحطيمهم أحد أبداً.

---

(٣١٢) الكافور Camphre : شجرة معمرة جميلة المنظر والكافور له خواص منبهه مضادة للتقلصات وينتج من تقطير خشب النبات مادة تستعمل في عمل الروائح العطرية وصناعة الأدوية.

جزيرة رامي: وهي جزيرة عظيمة طويلة عريضة طيبة التربة معتدلة الهواء أبداً، بها معاقل ومدن وقرى وطولها سبعمائة فرسخ. قال ابن الفقيه: بهذه الجزيرة عجائب كثيرة. منها أناس حفاة عراة، رجال ونساء، على أبدانهم شعور تغطي سوآتهم، ومآكلهم من الثمار، ويستوحشون من الناس وينفرون منهم إلى الغياض، وطول أحدهم أربعة أشبار، وبشعرهم زغب أحمر، وهم لا يلحقون لسرعة جريهم. وبساحل هذه الجزيرة قوم يلحقون المراكب في البحر سباحةً، وهي تجري في تيارها فيبيعونهم العنبر بالحديد، ويحملون الحديد في أفواههم ويرجعون إلى الجزيرة ولا يدرى ما يصنعون به.

وحكى الجهاني: أن بهذه الجزيرة الكركند، وهو حيوان على شكل الحمار إلا أن على رأسه قرناً واحداً وهو منعقف. وفيه منافع كثيرة منها أنه يصنع منه أنصبة لسكاكين الملوك وتحط على المائدة، فإن كان الطعام مسموماً عرق ذلك النصاب واختلج، ويصنع منه حلية للمناطق تبلغ قيمة المنطقة المحلاة بقرن الكركند أربعة آلاف مثقال من الذهب. وأكثر هذه المناطق تعمل ببلاد الصين، وفي رقبة هذا الحيوان اعوجاج كاعوجاج رقبة الجمل أو دونه؛ وبهذه الجزيرة جواميس بغير أذناب؛ وبها شجر الكافور والبقر والخيزران وعرقه دواء من سم الحيات والأفاعي (٣١٣)، وبها طيب عطر ومعادن كثيرة.

جزيرة الرُخ(٣١٤): وهذا الرُخ الذي تعرف به هذه الجزيرة طير عظيم غريب مهول الهيئة حتى قيل إن طول جناحه الواحد نحو عشرة آلاف باع؛ ذكر ذلك

(٣١٣) الأفاعي : ظهرت قبل نحو ١٣٥ مليون سنة وتصطاد الفريسة إما بالسم أو العصر وليس لها آذان خارجية وإنما تلتقط الاهتزازات الصوتية (موسوعة الحيوان، ص ١٤٦).

(٣١٤) الرُخ : طائر أسطوري هائل الحجم تذكر بعض الروايات أنه قادر على حمل فيلا بمخالبه وورد ذكره في رحلات السندباد البحري في كتاب ألف ليلة وليلة.

الحافظ ابن الجوزي رحمه الله في كتابه المسمى بكتاب الحيوان، وكان قد وصل إليه رجل من أهل الغرب ممن سافر إلى الصين وأقام به وبجزائره مدة طويلة وحضر بأموال عظيمة وأحضر معه قصبة ريشة من جناح فرخ الرخ وهو في البيضة لم يخرج منها للوجود، فكانت تلك القصبة من ريش ذلك الفرخ تسع قربة ماء، وكان الناس يتعجبون لذلك، وكان هذا الرجل يعرف بالصيني لكثرة اقامته هناك، واسمه عبد الرحمن المغربي وكان يحدث بالغرائب، منها ما ذكر أنه سافر في بحر الصين فألقتهم الريح في جزيرة عظيمة كبيرة واسعة فخرج إليها أهل السفينة ليأخذوا الماء والحطب ومعهم القوس والحبال والقرب وهو معهم، فرأوا في الجزيرة قبة عظيمة بيضاء لماعة براقة أعلى من مائة ذراع، فقصدوها ودنوا منها فإذا هي بيضة الرخ فجعلوا يضربونها بالقوس والصخور والخشب حتى انشقت عن فرخ الرخ كأنه جبل راسخ فتعلقوا بريشة من جناحه ولم تكمل خلقة الريشة فقتلوه.

قال: وحملوا ما أمكنهم من لحمه وقطعوا أصل الريش من حد القصبة ورحلوا. وكان بعض من دخل الجزيرة قد طبخ من اللحم وأكل، وكان فيهم مشايخ بيض اللحى فلما أصبح المشايخ وجدوا لحاهم قد اسودت ولم يشب بعد ذلك أحد من القوم الذين أكلوا فكانوا يقولون إن العود الذي حركوا به ما في القدر من لحم فرخ الرخ كان من شجرة الشباب والله أعلم.

قال: فلما طلعت الشمس والقوم في السفينة وهي سائرة بهم إذ أقبل الرخ يهوي كالسحابة العظيمة، وفي رجليه قطعة جبل كالبيت العظيم وأكبر من السفينة، فلما حاذى السفينة من الجو ألقى ذلك الحجر عليها وعلى من بها، وكانت السفينة مسرعة في الجري فسبقت الحجر فوقع الحجر في البحر، وكان لوقوعه هول عظيم في البحر، وكتب الله لنا السلامة ونجانا من الهلاك.

ومنها جزيرة القرود: وهي كبيرة وبها غياض، وقرود كثيرة، وللقرود ملك تنقاد إليه ويحملونه على أكتافهم وأعناقهم، وهو يحكم عليهم حكماً لا يظلم به أحداً، ومن وصل إليهم في المراكب عذبوه بالعض والخمش والرجم، ويتحيل عليهم أهل جزيرة خرتان ومرتان فيصيدونها ويبيعونها بالثمن الغالي. وأهل اليمن يرغبون فيها ويتخذونها في حوانيتهم حرساً كالعبيد، وهم في غاية الذكاء.

وجزيرة البيمان: وهي جزيرة عامرة وبها مدينة كبيرة، وأهلها ذوو بأس وشدة؛ ومن سننهم أنه إذا خطب الرجل عندهم امرأة لا يزوجونه حتى يذهب فيأتيهم برأس مقطوع فحينئذ يزوجونه امرأة بغير صداق ولا مهر، وإن أتاهم برأسين زوجوه بامرأتين، وإن أتى بثلاث زوجوه ثلاثة، وإن أتى بعشرة فعشر، فيصير عندهم معظماً مهيباً جليلاً. وبها من شجرة البقم(٣١٥) والخيزران(٣١٦) وقصب السكر ما لا يوصف، وبها مياه جارية وأنهار عذبة وثمار مختلفة.

وجزيرة الواق واق: وهي جزيرة كبيرة، وعندهم ذهب كثير بلا وصف حتى إنهم يتخذون سلاسل الكلاب والدواب من الذهب، وأما أكابرهم فيصنعون لبناً من الذهب ويبنون به قصوراً أو بيوتاً باتقان وإحكام.

---

(٣١٥) البقم Bois du Bresil : ينمو بوفرة شجر البقم بجبل الأمري الذي يحاذي الساحل الجنوبي للهند قبالة سيلان ويذكر ماركو بولو بأنه في سيلان هو الأول من نوعه في العالم ((M.Pauthier,P.٥٨٥.

(٣١٦) الخيزران (البامبو) اسم لأكثر من ألف نوع من أنوع الأعشاب العملاقة ذات جذوع شبه خشبية ينبت الخيزران في كل القارات. ماعدا في قارة أوروبا والقارة قطبية جنوبية، أغلب أنواع الخيزران هي ذات جذوع مجوفة ومقسمة إلى عقد أو مفاصل، استخدم الصينيون سيقان نبات الخيزران (البامبو) المجوفة في صناعة الورق منذ ألفي عام. كما يستخدم الخيزران في صناعة أجمل وأبسط قطع الأثاث المنزلي العملية

ومن جزائرها جزيرة البنات بها قوم عراة الأبدان بيض الألوان حسان الصور يأوون إلى رؤوس الأشجار ويتصيدون الناس فيأكلونهم، ووراء هذه الجزيرة جزيرتان عظيمتان فيهما أناس عظام الأجسام حسان الوجوه سود الألوان، شعورهم مسلسلة مختلفة وأقدامهم أطول من ذراع، لهم أخلاق صعبة عادية. وهذه الجزيرة متصلة بالزانج والمسير إليها بالنجوم، وهي ألف وسبعمائة جزيرة عامرة والذهب بها كثير.

وملكة هذه الجزائر امرأة تسمى دمهره، وتلبس حلة منسوجة بالذهب، ولها نعلان من ذهب، وليس يمشي في هذه الجزائر أحد بنعل غيرها. ومتى لبس غيرها نعلاً قطعت رجليه. وتركب في عبيدها وجيوشها بالفيلة والرايات والطبول والأبواق والجواري الحسان، ومسكنها جزيرة تسمى أنبونة، وأهل هذه الجزيرة حذاق بالصنائع حتى إنهم ينسجون القمصان قطعة واحدة بأكمامها وأبدانها، ويعملون السفن الكبار من العيدان الصغار ويعملون بيوتاً من الخشب تسير على وجه الماء. هذا ما نقله الجواليقي.

وأما ما ذكره **عيسى بن المبارك السيرافي** فإنه قال: دخلت على هذه الملكة فرأيتها عريانة على سرير من الذهب، وعلى رأسها تاج من الذهب، وبين يديها أربعة آلاف وصيفة أبكار حسان، وهن على مذهب المجوس(٣١٧) وهن مكشوفات، ومنهن من

---

(٣١٧) عرف العرب في الجاهلية الديانة المجوسية، والتي من تعاليمها عبادة الشمس والقمر وتقديس النار، وكانت منتشرة بين الأشوريين وتسربت الى أنحاء الجزيرة خاصة تميم واليمن، والديانة فارسية قديمة وهم المجوس أتباع ذرادشت و ترى العالم كصراع مستمر بين القوى الكونية المستقلة. وفي معتقدات هذه الديانة فإن أهورامزدا هو رب الخير أو الحكمة وخالق العالم المادي، وأنجرامينو هو كل الموت وروح الشرّ، وأن الإنسان هو كائن حرّ وعليه واجب مساعدة الانتصار لأهورامازدا. انتشرت هذه الديانة في إيران خصوصًا بعد ثمانية قرون من موت زرادشت، وبعد أن انحسرت إلى حد ما، ديانة الماجي

تتخذ الأمشاط، اثنين وثلاثة وأربعة إلى عشرين. ولهذه الملكة جبايات كثيرة تتصدق بها على صعاليك أرضها ويتحلون بالودع ويدخرونه عندهم وفي خزائنهم. وبهذه الجزيرة شجر تحمل ثمراً كالنساء بصور وأجسام وعيون وأيد وأرجل وشعور وأثداء وفروج كفروج النساء، وهن حسان الوجوه، وهن معلقات بشعورهن، يخرجن من غلف كالأجربة الكبار، فإذا أحسسن بالهواء والشمس يصحن: واق واق، حتى تتقطع شعورهن فإذا انقطعت ماتت. وأهل هذه الجزيرة يفهمون هذا الصوت ويتطيرون منه.

وفي كتاب الحوالة أنه من تجاوز هؤلاء وقع على نساء يخرجن من الأشجار أعظم منهن قدوداً(٣١٨) وأطول منهن شعوراً، وأكمل محاسن وأحسن أعجازاً(٣١٩) وفروجاً، ولهن رائحة عطرة طيبة، فإذا انقطعت شعورها ووقعت من الشجرة عاشت يوماً أو بعض يوم وربما جامعها من يقطعها أو يحضر قطعها فيجد لها لذة عظيمة لا توجد في النساء.

وأرضهن أطيب الأراضي وأكثرها عطراً وطيباً، وبها أنهار أحلى ماءً من العسل والسكر المذاب، وليس بها أنيس ولا عامر إلا الفيلة وربما بلغ ارتفاع الفيل في هذه الجزيرة أحد عشر ذراعاً.

المجوسية التي اقتصرت حينها على الملوك والكهنة. (تفسير الطبري (١٧ / ٩٧)، والمفصل (٦ / ٦٩١)، والمعجم الذهبي (مادة مجوس).

(٣١٨) القد: الجسم.

(٣١٩) أعجاز: مؤخرة كل شيء.

وبها من الطير شيء كثير. وليس يعلم ما وراء هذه الجزيرة إلا الله تعالىٰ. ويخرج من بعض هذه الجزائر سيل عظيم يسيل كالقطرة يصب في البحر فيحرق السمك في البحر فيطفو علىٰ الماء.

وجزيرة جالوس: وهي جزيرة بها قوم مستوحشون عراة يأكلون الناس وليس لهم ملك ولا دين، وأكلهم الموز والنارجيل وقصب السكر. وفي هذه الجزيرة جبل ترابه فضة كالبرادة الناعمة.

وجزيرة الموجة: وهي جزيرة عظيمة وبها عدة ملوك. وأهلها بيض شقر مخرومون الآذان كأهل الصين، وعندهم الخيول البحرية يركبونها. وعندهم دابة المسك ودابة الزباد؛ ونساؤهم أجمل النساء وأحسنهن خلقاً وخلقاً، وأرحامهن كالحلقة لاصقة، وإذا وقفت المرأة الطويلة علىٰ قدمها ومشت تسحب شعرها خلفها علىٰ الأرض. وهذه النساء من أعظم النساء أعجازاً وأدقهن خصوراً، باديات الوجوه ساحبات الشعور، لا يستترن من أحد أصلاً.

وجزيرة السحاب: وهي جزيرة كبيرة سميت بهذا الاسم لأنه يطلع عليها سحاب أبيض ويعلو عن المراكب في البحر، ويخرج منه لسان طويل دقيق مع ريح عاصف حتىٰ يلتصق ذلك اللسان بالبحر فيغلي البحر كالقدر الفائر ويضطرب كالزوبعة الهائلة، فإذا أدرك المراكب ابتلعها، وبهذه الجزيرة تلول إذا أضرمت فيها النار سالت منها الفضة الخالصة.

وجزيرة هلاثي: وهي جزيرة كبيرة من أعظم الجزائر وأوسعها قطراً وأعظمها عمارة، وهي معترضة من المشرق إلىٰ المغرب، ولأهلها قصور وبيوت يتخذونها من الخشب علىٰ وجه الماء وأرحاء تدور بالريح علىٰ الماء؛ وبها أنواع الطيب والعطر

الفاخر وعندهم الموز والأرز والنارجيل وقصب السكر؛ وبها معدن الذهب والفيلة البيض والكركند؛ ولها ملك عظيم مهيب كثير الجيوش والجنود؛ وله المراكب البهية من الخيل والفيلة العجيبة.

جزيرة القمر: وهي جزيرة طويلة عريضة، طولها من المشرق أربعة أشهر؛ وبها مدينة تسمى: لان؛ وهي سكن الملك، وهي مخصبة؛ بها أشجار وثمار وأنهار وغياض؛ وبها النارجيل وقصب السكر؛ وبهذه الجزيرة تصنع ثياب الحشيش الغريبة النوع التي لا نظر لها في الدنيا ولا بهجة للحرير والديباج عندها، ويصنع بها نوع من الحصر المرقومة المنقوشة التي تأخذ بالأبصار وتذهب بالعقول حسناً وبهجة، تلبسها الملوك فوق البسط الحرير ويعمل بها مراكب منحوتة من قطعة واحدة وخشبة واحدة؛ وطول كل مركب ستون ذراعاً بالرشاشي، تحمل مائتي مقاتل وتسمى السفينات.

وحكى بعض التجار أنه رأى هناك مائدة يأكل عليها مائة وخمسون رجلاً وهي قطعة واحدة مستديرة. وملك هذه المدينة لا يقوم بخدمته إلا المخنثون ويلبسون الثياب النفيسة، ويتحلون مثل النساء واسمهم النتيانة. ويتزوجون بالرجال كالنساء؛ يخدمون الملك بالنهار ويرجعون إلى أزواجهم بالليل من غير أن يعارضوا في ذلك.

جزيرة السعالي: وهي جزيرة عظيمة بها شخوص مشوهة الخلق منكرة الصور لا يدرى ما هم، وزعم قوم أنها شياطين تتولد من الجن والإنس تأكل من وقع لهم من الإنس.

جزيرة التمسح: وهي جزيرة بها قوم أذنابهم كالكلاب وأبدانهم كأبدان الإنسان، ولهم ملك منهم.

جزيرة أطوران: وهي كبيرة وبها أنواع من القردة كالحمر عظماً، وبها الكركند الكثير. ذكر أن مراكب الإسكندر وصلت إليهم وإلى جزيرة أخرى بها قوم على أشكال أبدان الإنسان، ووجوههم ورؤوسهم كالسباع، فلما قربوا منهم غابوا عن أبصارهم ولم يعلموا كيف ذهبوا؟.

جزيرة النساء: وهي جزيرة عظيمة وليس بها رجل أصلاً. ذكروا أنهن يلقحن ويحملن من الريح ويلدن نساء مثلهن. وقيل إن بأرض تلك الجزيرة نوعاً من الشجر فيأكلن منه فيحملن وإن الذهب في أرضها عروق كعروق الخيزران، وترابها كله ذهب ولا التفات للنساء إلى ذلك.

وذكر بعضهم أن رجلاً ساقه الله إلى تلك الجزيرة فأردن قتله فرحمته امرأة منهن وحملته على خشبة وسيبته في البحر فلعبت به الأمواج فرمته في بعض بلاد الصين فأخبر ملك تلك الجزيرة بما رأى من النساء وكثرة الذهب، فوجه مراكب ورجالاً معه فأقاموا زمناً طويلاً في البحر يطوفون على تلك الجزيرة فلم يقعوا لها على أثر.

جزيرة سرنديب(٣٢٠): وهي جزائرة كثيرة، وفي هذه الجزائر مدن كثيرة، وفيها الجبل الذي أهبط عليه آدم عليه السلام، ويسمى جبل الراهون وعليه أثر قدم آدم عليه السلام؛ وعلى القدم نور لماع يخطف البصر. وأسفل هذا الجبل توجد سائر الأحجار الثمينة النفيسة. ولهذه الجزائر بحر فيه مغاص اللؤلؤ الفاخر ويجلب منها الدر والياقوت والسنباذج والألماس والبلور وجميع أنواع العطر؛ وتسافر المراكب فيها الشهر والشهرين بين غياض ورياض. وللملك هذه الجزائر صنم من الذهب مكلل بالجواهر وليس عند أحد من الملوك ما عنده من الدر والجواهر النفيسة لأن أصنافها كلها في بلاده وجباله، ويحمل إليه الخمس من كل ما يوجد ويستخرج من عراق العجم وفارس، ويقال إن بهذه الجزائر مساكن وقباباً بيضاً تلوح للناس من بعد فإذا قربوا منها تباعدت حتى ييأسوا منها.

وأما عجائب هذا البحر: فمنها ما ذكروا أنه إذا كثرت أمواجه ظهرت أشخاص سود طول كل واحد منهم أربعة أشبار كأنهم أولاد الأحابيش، يصعدون إلى

---

(٣٢٠) سرنديب : هي سيلان أو يريلانكا الحالية، كان العرب على صلة تجارية بجزيرة سرنديب قبل ظهور الإسلام، وكان طبيعياً أن يصل التجار العرب المسلمون إليها خلال القرن الهجري الأول، غير أن الانتشار الفعلي للإسلام في جزيرة سيلان يدأ بنهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني، حبث انتشر الإسلام في سواحل الجزيرة، ثم وفد إلى الجزيرة مسلمون من التاميل الهنود، ومسلمون من الملايو وأندونسيا، ولقد اتخذ ملوك جزيرة سيلان مستشارين لهم من العرب والمسلمين في فترات سابقة على الاستعمار الأوروبي. وعندما خضعت جزيرة سيلان للاستعمار البرتغالي ثم الهولندي، وأخيراً البريطاني، واجه المسلمون تحدياً من البعثات التنصيرية طيلة أربعة قرون، فلقد دعم الاستعمار هذه البعثات التنصيرية وأمدها بنفوده، وأمام هذا التحدي لجأ المسلمون إلى المناطق المنعزلة، وعلى الرغم من مساندة الاستعمار للبعثات التنصيرية المسيحية، لم تتجاوز حصيلتها نصف مليون مسيحي، وظل الإسلام ينتشر بجهود فردية دون دعم مادي أو سياسي. ويقدر عدد المسلمون في شري لانكا بحوالي ٠٠٠٠أ٠٠٦١ نسمة

المراكب من غير ضرورة ولا أذىً، وظهورهم يدل على خروج ريح مهلك يسمى الخب.

وحكي أيضاً أنهم يرون في هذا البحر طائراً يطير وهو من نور لا يستطيع أحد النظر إليه، فإذا ارتفع على صاري المركب سكنت الريح وهدأت أمواج البحر وهو دليل السلامة، ويفقدونه ولا يعلمون أين يذهب؟.

ومن العجائب: أن طائراً في هذا البحر يسمى خرشنة أكبر من الحمام، ذكر في كتاب تحفة الغرائب أن هذا الطائر إذا طار يأتي طائر آخر يقال له كركر ويطير فاتحاً فاه يتوقع ذرق خرشنة ليقع في فيه فيأكله، وليس له قوت سواه ولا يذرق خرشنة هذا إلا وهو طائر.

ومنها دابة المسك البحري، وهي دابة تخرج من البحر كل سنة في وقت معلوم بكثرة عظيمة، فتصاد وتذبح فيوجد المسك في سرتها كالدم، وهذا المسك هو أفخر الأنواع غير أنه في مكانه وبلده لا ريح له أبداً، فإذا خرج من حد بلاده ظهر ريحه وكلما بعد زاد ريحه.

ومنها دابة تسمى ملكان تستوطن جزيرة هناك لها رؤوس كثيرة ووجوه مختلفة وأنياب معلقة ولها جناحات وهي تأكل دواب البحر، وقيل إنا تصادف برسم مراكب الملوك إذا ركب الملك قادوها أمام موكبه وألبسوها الجلال الحرير ويزينونها.

ومنها سمكة تزيد على خمسمائة ذراع توجد عند جزيرة واق واق المذكورة، إذا رفعت جناحها كانت كالجبل العظيم، يخاف على السفن منها، فإذا رأوها صاحوا وضربوا الطبول وأضرموا المكاحل النفطية حتى تهرب عنهم.

ومنها سلاحف(٣٢١) كبار استدارة كل سلحفاة أربعون ذراعاً بذراعهم، تبيض كل واحدة ألف بيضة وظهرها الدبل الفاخر، وأهل اليمن يتخذون من ظهورها قصعاً كباراً وجفاناً هائلة لغسلهم ومأكلهم.

ومنها سمكة تسمى سيلان تقعد على البر يومين حتى تموت، فإذا جعلت في القدر وكان رأس القدر مغطى نضجت واستوت، وإن كان رأس القدر مكشوفاً طارت منه وتختفي فلا يعلم أين تذهب.

ومنها سمكة تسمى الأطم ووجهها كوجه الخنزير، ولها فرج كفرج المرأة، ولها مكان الفلوس شعر، وهي طبقة لحم وطبقة شحم، ويرغبون في أكلها لطيب لحمها. ومنها سرطانات قدر كل واحد كالترس الصغير، يخرج من الماء بسرعة، فإذا سار في البر انعقد حجراً في الحال.

ومنها حيات عظام تخرج من البحر فتبتلع الفيل العالي الهائل، وتنطوي على شجرة عظيمة تجذبها أو على صخرة فتنكسر عظام الفيل في بطنها وتسمع قعقعة ذلك على بعد.

ومنها سمكة تسمى هبير، من رأسها إلى صدرها مثل الترس، ولها عيون كثيرة تنظر بها وباقي بدنها طويل مثل الحية في مقدار ثلاثين ذراعاً، ولها أرجل كثيرة، ومن صدرها إلى ذنبها مثل أسنان المنشار كل سنة منها في طول شبر كالحديد في الصلابة أو الفولاذ في القطع، ولا تتصل بشيء من المراكب إلا شقته ولا تضرب شيئاً إلا

---

(٣٢١) السلاحف Tortoises : وجدت على الأرض قبل حوالي ٢٥٠ مليون سنة ولم تتغير كثيراً منذ نشوئها الأول وتتكون من نحو ١٠٠ نوع وتعيش عادة في المناطق المدارية (موسوعة الحيوان، ص ١٣٦).

قطعته نصفين ولا تنطوي على شيء إلا أهلكته وتسمى أيضاً القرش(٣٢٢)، وفي هذا البحر الدردور، وهو إذا وقعت فيه سفينة لا تنجو منه.

حكى بعض التجار قال: ركبنا في هذا البحر ومعنا جمع من التجار فهبت علينا ريح عاصفة صرفت المركب عن القصد، وكان رئيس المركب شيخاً أعمى إلا أنه حاذق بالرياسة، وكان معه في السفينة حبال كثيرة فكان رجاله يقولون له: لو كان موضع هذه الحبال ركاب لانتفعنا بأجرتهم، وكان يسأل التجار في كل وقت ماذا ترون فيقولون: ما نرى شيئاً. ولم يزل كذلك حتى قالوا له: نرى طيوراً سوداً على وجه الماء، فصاح الشيخ ولطم وجهه وقال: هلكنا والله لا محالة؛ فلما سألناه عن السبب قال: سترون ذلك عياناً. فما كان مقدار ساعتين حتى وقعنا في الدردور، وإذا بالذي كنا نراه كالطيور السود مراكب وبها أناس موتى؛ قال: فتحيرنا وانقطع رجاؤنا من الخلاص والحياة؛ فقال الشيخ: هل لكم أن تجعلوا لي نصف أموالكم وأنا أتحيل في خلاصكم إن شاء الله تعالى؟ فقلنا: نعم قد رضينا ! قال: فأعطانا قنينتين قد ملئتا بالدهن فأدليناهما في البحر فاجتمع عليهما من السمك ما لا يعد ولا يحصى ثم أمرنا أن نطرح تلك الموتى الذين في المراكب إلى البحر بعد شدهم بالحبال التي كانت عنده في المراكب ففعلنا ورمينا بهم وأطراف الحبال مشدودة بمركبنا؛ فابتلع السمك

---

(٣٢٢) القرش : معظم أسماك القرش ذات أجسام طويلة نوعاً ولها عينان وفتحات خيشومية على جانب الرأس وهي مفترسة تتغذى بالأسماك العظمية الأصغر أما الأنواع الخطرة على الإنسان فيبلغ عددها نحو ١٢ نوعاً وهي ذات زعانف زوجية وزعنفة ظهرية واحدة أو اثنتان على الظهر وزعنفة شرجية أمام الذيلية تماماً وتغطي الجسم حراشف حادة مدببة تسمى انتوءات ويوجد في معظم بحار العالم ويعتبر قرش الحوت أكبر سمكة حية اليوم يصل طوله الى ١٥ م ورغم ذلك فهو مسالم للغاية (موسوعة الحيوان، ص ١٠٢).

الموتى ثم أمرنا بالصياح وضرب الطبول والصنوج[٣٢٣] والأخشاب ففعلنا ذلك فتفرقت الأسماك وأطراف الحبال في بطونها مشدود بها الموتى، وإذا بالمركب قد تحرك من مكانه وأقلع وجرى ولم يزل يجري حتى خرجنا من الدردور، فصاح الرئيس: اقطعوا الحبال عاجلاً فقطعناها ونجونا بقدرة الله من الهلاك، فقال الرئيس للجماعة: تلومونني على حمل هذه الحبال فانظروا كيف كانت سبباً لحياتكم وسلامتكم، فحمدنا الله تعالى وشكرنا الرئيس لنظره في العواقب.

ومنها بحر الهند: وهو أعظم البحار وأوسعها وأكثرها خيراً ومالاً، ولا علم لأحد بكيفية اتصاله بالبحر المحيط لعظمته وسعته وخروجه عن تحصيل الأفكار، وليس هو كالبحر الغربي، فإن اتصال البحر الغربي بالمحيط ظاهر. ويتشعب من هذا البحر الهندي خليجان أعظمهما بحر فارس ثم بحر القلزم، فالآخذ نحو الشمال بحر فارس والآخذ نحو الجنوب بحر الزنج. قال ابن الفقيه: بحر الهند مخالف لبحر فارس، وفي هذا جزائر كثيرة وقيل إنها تزيد على عشرين ألف جزيرة وفيها من الأمم ما لا يعلمه إلا الله تعالى فأما ما وصل إليه الناس فأقل قليل.

فمن جزائره جزيرة كله: وهي جزيرة عظيمة بها أشجار وأنهار وثمار، ويسكنها ملك بني جابة الهندي، وبها معادن القصدير وشجر الكافور وهو شبيه بالصفصاف[٣٢٤] وهي تظل مائة رجل وأكثر، وبها الخيزران، وفي عجائب هذه الجزيرة ما يقع واصفها في حد التكذيب.

---

(٣٢٣) الصنوج : هو الذي يكون في الدفوف ونحوه واللاعب به يُقال لـه الـصناج وكـان أعـشى بكـر يُسمى صناجة العرب لجودة شعره (اللسان ٤ / ٢٥٠٦).

(٣٢٤) الصفصاف Willoe: لشجر اصفصاف تـاريخ عريـق في مـصر، وقـد عثـر عـلى بعـض الأشـياء المصنوعة من خـشب الصفـصاف وأوراقـه في مقـبرة تـوت عـنخ أمـون ويعـالج الصفـصاف الحـروق والالتهابات (عادل عبد العال : الطب القديم، دار أجيال، ص ٣٦).

جزيرة جابة: وهي كبيرة وبها الموز والنارجيل والأرز والقصب السكري الفائق، وبها العود، ويسكنها قوم شقر وجوههم، على صدورهم شعورهم، وأبدانهم كالناس. وبها جبل عظيم يرى عليه في الليل نار عظيمة ترى من خمسة عشر فرسخاً وبالنهار دخان، ولا يدنو أحد من ذلك الجبل على خمسة فراسخ إلا هلك.

وملك هذه المدينة اسمه جابة، وهو يلبس من الحلل حلة الذهب وتاجاً من ذهب مكللاً بالدر والياقوت والجواهر النفيسة، ودراهمه ودنانيره مطبوعة على صورته وهيئته، وهو يعبد صنماً، وصلاتهم غناء وتلحين وتصفيق بالأكف واجتماع الجواري الحسان ولعبهن بأنواع من التكسر والتخلع بين يدي المصلي، والكنيسة التي فيها الصنم فيها جوار حسان راقصات متخلعات معدودة لذلك، وذلك إن المرأة إذا ولدت عندهم بنتاً حسنة أخذتها أمها إذا كبرت وألبستها أفخر الملابس والحلي وذهبت إلى الكنيسة وتصدقت بها على الصنم وحولها أهلها وأقاربها من النساء والرجال، ويسلمها الخدمة إلى أناس عارفين بالرقص، والتخلع والتكسر فيعلمونها. ولهذا الملك جزائر كثيرة منها جزيرة هريج وجزيرة سلاهط وجزيرة مايط.

فأما جزيرة هريج: فإن بها خسفة متسعة نحو عشرة أميال مستديرة لا يعرف أحد قعرها ولا وقف أحد على قرارها وهي من عجائب الدنيا.

وجزيرة سلاهط: يجلب منها الصندل والسنبل والكافور. وذكر المسافرون أن بجزائر الكافور قوماً يأكلون الناس ويأخذون قحوفهم فيجعلون فيها الكافور والطيب ويعلقونها في بيوتهم ويعبدونها، فإذا عزموا على أمر وقصد سجدوا لتلك القحوف وسألوها عما يريدون ويقصدون، فتخبرهم عن كل ما يسألونها عنه من خير أو شر.

وبهذه الجزيرة عين يفور منها الماء وينزل في ثقب في الأرض فيطلع له رشاش فأي شيء وقع من ذلك الرشاش على وجه الأرض صار حجراً، فإن كان ليلاً صار حجراً أسود، أو بالنهار صار حجراً أبيض، وبآخر هذه الجزيرة خسفة أخرى كالبيكارة، دورها نحو الميل تتقد ناراً وتعلو نارها نحو مائة ذراع بالليل، ولها بالنهار دخان.

وجزيرة برطابيل: وهي قرية من جزائر الزنج وبها أقوام وجوههم كالأترسة، وشعورهم كأذناب الخيل، وبها القرنفل الكثير وبها الكركند، وإن التجار إذا نزلوا بها وضعوا بضائعهم كوماً كوماً على الساحل ويعودون إلى المراكب فإذا أصبحوا جاؤوا إلى بضائعهم فيجدون إلى جانب كل بضاعة شيئاً من القرنفل، فإن رضيه صاحب البضاعة أخذه وانصرف وإن لم يرض ترك القرنفل والبضاعة وعاد في اليوم الثاني فيجده قد زيد فيه، فإن رضيه أخذه وإلا تركه وعاد من الغد أيضاً، ولا يزال كذلك حتى يرضى.

وذكر بعض التجار أنه صعد إلى هذه الجزيرة سراً فرأى بها قوماً صفر الوجوه وهي كوجوه الترك وآذانهم مخرمة، ولهم شعور كشعور النساء. فلما رآهم غابوا عنه وعن بصره. ثم إن التجار بعد أن ترددوا إلى تلك الجزيرة بالبضائع مدة طويلة فلم يأتهم شيء من القرنفل فعلموا أن ذلك بسبب الرجل الذي نظر إليهم ورآهم ثم عادوا بعد سنين إلى ما كانوا عليه من المعارضة بالقرنفل. وخاصية هذا القرنفل أن الإنسان إذا أكله رطباً لا يشيب ولا يهرم ولو بلغ مائة سنة.ولباس هذه الأمة ورق شجر يقال له اللوف، وأكلهم من ثمره، ويأكلون السمك أيضاً والنارجيل. وبهذه الجزيرة جبال يسمع فيها طول الليل أصوات الطبول والصنوج والدفوف والمزامير

المطربة والصياح المزعج وغير ذلك من الأصوات العجيبة. وقيل إن الدجال(٣٢٥) بها، وقيل إنه بغيرها. وسنذكره إن شاء الله تعالى.

جزيرة القصر: وهو قصر عظيم مرتفع أبيض من بلور(٣٢٦) شفاف يظهر لمن في المراكب من مسافة بعيدة. فإذا شاهدوه تباشروا بالسلامة. ذكر قوم من الزنج أنه قصر مرتفع شاهق لا يدري ما داخله.

وحكي أن بعض الملوك وصل إلى هذه الجزيرة وشاهد القصر هو ومن معه من جنوده، فلما صاروا في الجزيرة أخذهم الخدران في مفاصلهم وغلب عليهم النوم، فبادر بعضهم إلى المراكب فنجوا وتأخر البعض فهلكوا.

وذكر أن أصحاب ذي القرنين رأوا في بعض هذه الجزائرة أمة رؤوسهم رؤوس الكلاب، ولهم أنياب خارجة من أفواههم حمر مثل الجمر(٣٢٧)، يخرجون إلى المراكب ويحاربونهم. ورأوا بجزيرة تلك الأمة نوراً ساطعاً فإذا هو القصر الأبيض البلوري، فأراد ذو القرنين التوجه إليها ورؤية القصر فمنعه بهرام الفيلسوف الهندي من ذلك وقال: يا ملك الزمان لا تفعل فإن من وصل إلى هذا القصر غلب عليه الخدران والنوم والثقل وقلة الحركة فلا يقدر على الخروج ويهلك. وذكر بهرام المذكور أن بهذه الجزيرة شجرة إذا أكلوا من ثمرها زال عنهم النوم والخدران، وإذا كان الليل ظهر لذلك القصر شرفات تسرج مثل المصابيح، الليل كله فإذا كان النهار خمدت.

---

(٣٢٥) سُمي الدجال دجالاً لضربه في الأرض، وقطعه أكثر نواحيها، وسمي دجالاً لتمويهه الناس وتلبيسه وتزيينه الباطل، ويقال دجل إذا موه ولبس (لسان العرب، دجل) سمي بالمسيح لأنه ممسوح العين وهذه التسمية بهذه الصيغة مشتقة من أسم المفعول أي الممسوح بخلاف المسيح ابن مريم الذي اشتق اسمه من اسم الفاعل الماسح لأنه كان يمسح على المريض فيبرأ.

(٣٢٦) البلور :، وهو نوع من الزجاج النقي، أبيض شفاف (المعجم الكبير ٢ / ٥٧٦).

(٣٢٧) الجمر : النار المتقدة، ومفردها جمرة، فإذا برد فهو فحم، والجمرة، الظلمة الشديدة.

وجزيرة الورد: ذكر القاضي عياض رحمه الله تعالى في كتاب الشفا في شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم أن بهذه الجزيرة ورداً أحمر مكتوباً عليه بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله، والكتابة بالقدرة الإلهية.

الجزائر الثلاث: قال صاحب تحفة الغرائب: هي ثلاث جزائر متجاورات، في احداهن برق الليل كله، وفي الأخرى تهب رياح شديدة، الليل كله، وفي الأخرى يمطر السحاب الليل كله صيفاً وشتاء على ممر الليالي والأيام أبداً. ومنها جزيرة في هذا البحر بها أقوام أبدانهم أبدان الآدميين ورؤوسهم رؤوس الدواب يخوضون في البحر فيخرجون ما يقدرون عليه من البحر فيأكلونها. وجزيرة صيدون الساحر: وكان صيدون ملكاً ساحراً، وطول هذه الجزيرة شهر في شهر، وبها عجائب كثيرة: ومنها: أن في وسطها قصراً عظيماً في عمد عظيمة من مرمر ملون، ومجلسه من ذهب مرصع بأنواع الجواهر العظيمة، يشرف على جميع تلك الجزيرة. قيل إن هذا الملك صيدون كان ساحراً ماهراً وكانت الجن تطيعه وتعمل الأعمال المعجزة العجيبة. فدل عليه بعض الجن نبي الله سليمان عليه السلام فغزاه وقتله وخرب بلده وقتل أهلها وأسر جماعة منهم. وأما عجائب هذا البحر فكثيرة جداً: منها: سمكة تخرج من البحر وتصعد إلى جزيرة سلاهط وتصعد إلى أشجارها فتمتص فواكهها وثمارها ثم تقع كالسكران فيأخذها الناس.

ومنها: سمكة خضراء رأسها كرأس الحية من أكل لحمها اعتصم من الطعام والشراب أياماً لا يشتهيه.

ومنها: سمكة مدورة يقال لها كرماهي، على ظهرها شبه عمود محدد الراس قائم لا تقوم لها سمكة في البحر إلا ضربتها بذلك العمود وقتلتها.

ومنها: سمكة يقال لها الباقة، طولها مائة ذراع وعرضها عشرون ذراعاً وعلى ظهرها حجارة صدفية كالقرابيص، إذا تعرضت للسفينة كسرتها، وإذا طبخوا من لحمها في القدر يذوب حتى يصير كله دهناً. وأهل تلك النواحي يطلون بدهنها المراكب عوضاً عن الدهن.

ومنها: سمكة يقال لها العمدة، لها جناحان تفتحهما في الجو وتنشرهما وتحمل على السفينة فتقلبها في البحر في الحال، فإذا رأوها ضربوا الطبول والصنوج والزمور وصاحوا فتهرب.

. . . .

فصل في بحر فارس
وما فيه من الجزائر والعجائب

ويسمى البحر الأخضر، وهو شعبة من بحر الهند الأعظم وهو بحر مبارك كثير الخير دائم السلام وطيء الظهر قليل الهيجان بالنسبة إلى غيره.

قال **أبو عبد الله الصيني**: خص الله بحر فارس بالخيرات الكثيرة والبركات الغزيرة والفوائد والعجائب والطرف والغرائب، منها مغاص الدر الذي يخرج منه الحب الكبير البالغ، وربما وجدت الدرة اليتيمة التي لا قيمة لها. وفي جزائره معادن أنواع اليواقيت والأحجار الملونة النفيسة ومعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والسنباذج والعقيق وأنواع الطيب والأفاويه.

فمن جزائره كيكاووس وفنجاليوس: وهي جزيرة كبيرة بها خلق كثير بيض الألوان عراة الأجسام، الرجال والنساء، وربما استترت النساء بورق الشجر، وطعامهم السمك الطري والنارجيل والموز، وأموالهم الحديد؛ يتعاملون به كتعامل الناس بالذهب والفضة، يتحلون بالذهب ويأتيهم التجار فيأخذون منهم العنبر بالحديد. وذكر أن بهذا البحر جزيرة تسمى: القامس وأنها تغيب بأهلها وجبالها وجهاتها ومساكنها ستة أشهر وتظهر ستة أشهر.

وذكر بعض المسافرين أن البحر هاج عليهم مرة فانتظروا، فإذا شيخ أبيض الرأس واللحية وعليه ثياب خضر ينتقل على متن البحر وهو يقول: سبحان من دبر الأمور، وقدر المقدور، وعلم ما في الصدور، وألجم البحر بقدرته أن يفور، سيروا بين الشمال والشرق حتى تنتهوا إلى جبل الطرق، واسلكوا وسط ذلك فتنجوا إن شاء الله من المهالك. ففعلوا ذلك فسلموا ونجوا وتحققوا أنه الخضر عليه السلام، ووصلوا إلى جزيرة بها خلق طوال الوجوه بأيديهم قضبان الذهب يعتمدون عليها

ويتقاتلون بها وطعامهم اللوز والقسطل، فأقاموا عندهم شهراً وأخذوا من قضبان الذهب شيئاً كثيراً ولم يمنعهم أهل الجزيرة من أخذ ذلك؛ وأقاموا حتى هبت رياحهم فسافروا على السمت الذي قال لهم الخضر عليه السلام، فتخلصوا ونجوا بمشيئة ذي الجلال والإكرام.

جزيرة الطويران: وهي جزيرة خصبة ذات أشجار وثمار وأعين وأنهار، وبها قوم أبدانهم أبدان الآدميين ورؤوسهم كرؤوس السباع والكلاب. وبهذه الجزيرة نهر شديد البياض وعلى شاطئه شجرة عظيمة تظل خمسمائة رجل، فيها من كل ثمرة طيبة مشرقة بأنواع الألوان، وكل ثمرها أحلى من الشهد والعسل، وطعم كل ثمرة لا يشبه طعم الأخرى، وتلك الثمار ألين من الزبد وأذكى رائحة من المسك، ورقها كحلل الحرير والديباج. وهذه الشجرة تسير بسير الشمس ترتفع من الغد إلى الزوال، وتنحط من الزوال إلى الغروب حتى تغيب بغيبة الشمس.

وذكر أن أصحاب ذي القرنين وصلوا إلى هذه الجزيرة ورأوا تلك الشجرة فجمعوا من ثمرها شيئاً كثيراً ومن أوراقها ليحملوا ذلك إلى ذي القرنين فضربوا على ظهورهم بسياط مؤلمة، يحسون بوقع السياط ولا يرونها ولا يدرون من الضارب، ويصيحون بهم ردوا ما أخذتم من هذه الشجرة ولا تتعرضوا لها فردوا ما أخذوا منها وركبوا مراكبهم وسافروا عنها.

وجزيرة العباد: وهي جزيرة عظيمة دخلها ذو القرنين فوجد بها قوماً قد أنحلتهم العبادة حتى صاروا كالحمم السود. فسلم عليهم فردوا عليه السلام. فسألهم: ما عيشكم يا قوم في هذا المكان؟ فقالوا: ما رزقنا الله تعالى من الأسماك وأنواع النباتات، ونشرب من هذه المياه العذبة. فقال لهم: ألا أنقلك إلى عيشة أطيب مما أنت فيه وأخصب؟ فقالوا له: وما نصنع به؟ إن عندنا في جزيرتنا هذه ما يغني

جميع العالم ويكفيهم لو صاروا إليه وأقبلوا عليه. قال: وما هو؟ فانطلقوا به إلى واد لا نهاية لطوله وعرضه، يتقد من ألوان الدر والياقوت والكهرمان والأصفر والأزرق والزبرجد والبلخش والأحجار التي لم تر في الدنيا، والجواهر التي لا تقوم. ورأى شيئاً لا تحمله العقول ولا يوصف بعض بعضه، ولو اجتمع العالم على نقل بعضه لعجزوا. فقال: لا إله إلا الله، سبحان من له الملك العظيم ويخلق الله ما لا تعلمه الخلائق.

ثم انطلقوا به من شفير ذلك الوادي حتى أتوا به إلى مستوى واسع من الأرض لا تنهيه الأبصار، به أصناف الأشجار وأنواع الثمار وألوان الأزهار وأجناس الأطيار، وخرير الأنهار وأفياء وظلال ونسيم ذو اعتلال، ونزه ورياض وجنات وغياض. فلما رأى ذو القرنين ذلك سبح الله العظيم واستصغر أمر الوادي وما به من الجواهر عند ذلك المنظر البهيج الزاهر. فلما تعجب من ذلك قالوا له: أي ملك ملك في الدنيا بعض بعض ما ترى؟ قال: لا وحق عالم السر والنجوى، فقالوا: كل هذا بين أيدينا ولا تميل أنفسنا إلى شيء من ذلك. وقنعنا بما نقوى به على عبادة الرب الخالق. ومن ترك لله شيئاً عوضه الله خيراً منه، فاتركنا ودعنا بحالنا أرشدنا الله وإياك. ثم ودعوه وفارقوه وقالوا له: دونك والوادي فاحمل منه ما تريد. فأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً.

وجزيرة الحكماء: وهي جزيرة عظيمة وصل إليها الإسكندر فرأى بها قوماً لباسهم ورق الشجر وبيوتهم كهوف في الصخر والحجر، فسألهم مسائل في الحكمة فأجابوه بأحسن جواب وألطف خطاب. فقال لهم: سلوا حوائجكم لتقضى. فقالوا له: نسألك الخلد في الدنيا، فقال: وأنى ذلك لنفسي؟ ومن لا يقدر على زيادة نفس من أنفاسه كيف يبلغكم الخلد؟ فقالوا له: نسألك صحة في أبداننا ما بقينا؛ قال:

وهذا أيضاً لا أقدر عليه. قالوا: فعرفنا بقية أعمارنا. فقال الاسكندر: لا أعرف ذلك لنفسي فكيف بكم؟ فقالوا له: فدعنا نطلب ذلك ممن يقدر على ذلك وأعظم من ذلك، وهو ربنا وربك ورب العالمين.

وجعل الناس ينظرون إلى كثرة جنود الاسكندر وعظمة موكبه وبينهم شيخ صعلوك لا يرفع رأسه فقال له الإسكندر: مالك لا تنظر إلى ما ينظر إليه الناس؟ قال الشيخ: ما أعجبني الملك الذي رأيته قبلك حتى أنظر إليك وإلى ملكك. فقال الإسكندر: وما ذاك؟ قال الشيخ: كان عندنا ملك وآخر صعلوك فماتا في يوم واحد، فغبت عنهما مدة ثم جئت إليها واجتهدت أن أعرف الملك من المسكين فلم أعرفه. قال: فتركهم الاسكندر وانصرف عنهم.

وأما عجائب هذا البحر: فمنها ما ذكره صاحب عجائب الأخبار أن في هذا البحر طائراً مكرماً لأبويه، فإنهما إذا كبرا وعجزا عن القيام بأمر أنفسهما يجتمع عليهما فرخان من أفراخهما فيحملانهما على ظهورهما إلى مكان حصين ويبنيان لهما عشاً وطيناً ويتعهدانهما بالزاد والماء إلى أن يموتا؛ فإن ماتا الفرخان قبلهما يأتي إليهما آخران من أفراخهما ويفعلان بهما كما فعل الأوان وهلم جرا؛ هذا دأبهما إلى أن يموت والدهما.

وفيه سمكة: يقال لها الدفين ولها رأس مربع وفم كالقمع لا تفتحه يقولون إذا أكل المجذوم من لحمها مطبوخاً برئ من الجذام. وفيه سمكة: وجهها كوجه الإنسان وبدنها كبدن السمك تظهر على وجه الماء شهراً وتغيب شهراً.

وسمكة: تطفو على وجه الماء فإذا رأت سمكة أو حيواناً من دواب البحر قد فتح فاه تدخل في فيه وتصير غذاء له.

وفيه حيوان: يخرج من الماء إلى البر ويرتفع والنار خارجة من فيه ومنخريه فيحرق ما حوله من النبات فإذا رأى الناس تلك الأرض محترقة علموا أن ذلك الحيوان وقع هناك.

وسمكة طيارة تطير ليلاً من البحر إلى البر ولا تزال تأكل في الحشيش إلى طلوع الشمس فتعود طائرة إلى البحر.

وفي هذا البحر المذكور المعطب الذي يسمى الدردور إذا وقعت فيه المراكب تدور ولا تخرج منه على طول الأزمان والدهور. والدردور هذا في ثلاثة أبحر: في هذا البحر وفي بحر الصين وفي بحر الهند. والله سبحانه وتعالى أعلم.

• • • •

فصل في بحر عمان
وجزائره وعجائبه

وهو شعبة من بحر فارس عن يمين الخارج من عمان، وهو بحر كثير العجائب غزير الغرائب، وفيه مغاص اللؤلؤ ويخرج منه الحب الجيد، وفيه جزائر كثيرة معمورة مسكونة: منها جزيرة خارك[٣٢٨]: وهي كبيرة عامرة آهلة وبها مغاص اللؤلؤ.وجزيرة خاسك: وهي بقرب جزيرة قيس وأهلها لهم خبرة بالحرب[٣٢٩] وصبر عليه في البحر، فإن الرجل منهم يسبح أياماً في الماء وهو يجالد بالسيف كما يجالد غيره على وجه الأرض.

حكاية عجيبة: حكي أن بعض الملوك بالهند أهدى لبعض الملوك جواري هنديات حساناً فلما عبرت المراكب والجواري بهذه الجزيرة خرجن يتفسحن في مصالحهن في أرضها فاختطفتهن الجن، ونكحهن فولدن هؤلاء القوم.

وجزيرة سلطى: وهي كبيرة وفيها قوم يسمع كلامهم وضجيجهم من مسافة بعيدة، ومن وصل إليهم يخاطبهم ويخاطبونه غير أنهم لا يرون بأشخاصهم، ويقال إنهم من الجن وهم مؤمنون، فإذا وصل إليهم الغريب جعلوا له من الزاد ما يكفيه ثلاثة أيام فإذا أراد الرجوع إلى أهله حملوه في مركب وأوصلوه إلى قصده.

---

(٣٢٨) من الجزر المهمة في الخليج العربي، وتبعد عن مصب نهر شط العرب بنحو ١٠٠ ميل بحري، وتقع مقابل ميناء الأحمدي الكويتي.

(٣٢٩) الحرب War : في علم السياسة تعني : إعتداء منظم يقصد منه إجبار دولة أو جماعة على الخضوع لإرادة دولة أخرى (راجع الموسوعة السياسية، ترجمة، تحقيق: الكيالي-زهيري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر).

وجزيرة الشجر: وبها شجر يحمل ثمراً كاللوز في صفته وقدره، يؤكل بقشره وهو أحلى من الشهد ويقوم مقام كل دواء، ومن أكل منه من الرجال والنساء يزداد قوة وشباباً ولا يهرم أبداً ولا يشيب، وإن كان آكله طاعناً في السن وقد ذهبت قوته وابيض شعره عاد في الحال إلى قوة الشباب واسود شعره. وذكر أن بعض الملوك بالهند زرعه في أرضه فأورق ولم يثمر.

وجزيرة الدهلان: وهو شيطان في صورة إنسان راكب على طير يشبه النعامة(٣٣٠)، يأكل لحوم الناس، إذا طلع أحد من المراكب إلى تلك الجزيرة أخذهم ودفعهم إلى مكان لا خلاص لهم منه وأكلهم واحداً بعد واحد.

وحكي أن مركباً ألجأته الريح إلى تلك الجزيرة، وكانوا قد سمعوا بذلك الشيطان، فلما أتاهم قاتلوه وصبروا على قتاله صبر الكرام، فلما رأى ذلك منهم صاح بهم صيحة سقطوا منها مغشياً عليهم، فجعل يجرهم على وجوههم إلى موضعه المعهود، وكان فيهم رجل صالح فدعا عليه فهلك وعاد إلى موضعه طالباً لما فيه من الأموال والذخائر وأمتعة الناس.

جزيرة الصريف: وهي جزيرة تلوح لأصحاب المراكب فيطلبونها وكلما قربوا منها تباعدت عنهم، وربما أقاموا لذلك أياماً كثيرة فلا يصلون إليها وقيل إن أحداً منهم لم يدخلها قط، إلا أنهم رأوا فيها دواب وأشخاصاً.

---

(٣٣٠) النعامة : تشتهر النعامة بأنها أكبر طائر يعيش اليوم يصل طول الذكر البالغ ٢٫٥ م ويزن حتى ١٥٠ كيلو جرام وله رقبة طويلة ورأس صغير مكسو بهلب قصير بدلاً عن الريش أما الفخذان فعاريان من الريش مما يسهل ركضها وللنعامة اصبعان فقط وتنتشر في معظم أنحاء افريقيا واسيا الجنوبية الغربية (موسوعة الحيوان، ص ١٥٥).

جزيرة القندج: فيها صنم من رخام أخضر ودموعه تسيل على ممر الأيام والليالي فإذا دخل الريح في جوفه صفر صفيراً عجيباً. ذكر المسافرون أنه يبكي على قوم كانوا يعبدونه من دون الله، وقيل إن بعض الملوك غزا عباد ذلك الصنم فأفناهم وأبادهم عن آخرهم واجتهد في كسر ذلك الصنم فلم يقدر ولم تعمل فيه الآلة، وكلما ضربوه بمعول عاد الضرب إلى الضارب فقتله. فتركوه وانصرفوا

جزيرة سرندوسة: وهي كبيرة عامرة، بها أشجار وأنهار وثمار، وعند أهلها من الذهب ما لا يكيف: فماعونهم ذهب، وآنيتهم ذهب، وقدورهم ذهب، وخوابيهم ذهب، وسلاحهم ذهب، ولهم ملك يدفع لهم كل من يقصدهم أو يقصد الخروج من عندهم بشيء من ذلك. وعجائب هذا البحر كثيرة: وذكر أن العنبر الخالص ينبت في قعر هذا البحر كما ينبت القطن في الأرض، فإذا اضطرب البحر قذف به، وربما أكل منه الحوت العظيم الجرم فيموت فيطفو على وجه الماء في اليوم الثالث فيجذبه أهل المراكب بالكلاليب إلى الساحل فيأخذون العنبر من جوفه.

وملكان: نوع من السمك يطفو على وجه البحر في ثالث عشر كانون الثاني، يدل ذلك على خروج ريح يضطرب لها البحر حتى يصل الاضطراب إلى بحر فارس، ويشتد هيجانه ويتكدر لونه وتنعقد ظلمته بعد طفو هذا السمك بيوم واحد.

ومنها الأمشور: وهو سمك يأتي بالبصرة في وقت معين، فيبقى مدة شهرين وينقطع فلا يعود إلا في ذلك الوقت بعينه من العام القابل.والجراف: أيضاً سمك وأوانه مثل أوانه وانقطاعه.ومنها: حيوان يعرف بالتنين شر من الكوسج، طوله كالنخلة السحوق، أحمر العينين كريه المنظر، له أنياب كأسنة الرماح، يقهر الحيوانات كلها حتى الكوسج.

ومنها: سمكة خضراء أطول من ذراع؛ لها خرطوم طويل عظيم كالمنشار تضرب به من عارضها فتقده؛ وفي هذا البحر دردور صغير.

حكى القزويني: أن رجلاً من أصفهان ركبته ديون كثيرة ففارق أصفهان وركب هذا البحر صدفة مع تجار فتلاطمت بهم الأمواج حتى حلوا في الدردور ببحر فارس، فقال التجار للرئيس: هل تعرف لنا سبيلاً إلى الخلاص فنسعى فيه؟ فقال: إن سمح أحدكم بنفسه تخلصنا. فقال الرجل الأصفهاني المديون في نفسه: كلنا في موقف الهلاك وأنا قد كرهت الحياة وسئمت البقاء. وكان في السفينة جمع من التجار الأصفهانيين، فقال الرجل لهم: هل تحلفون لي بوفاء ديوني وخلاص روحي وأقديكم بروحي وأوثركم بحياتي وتحسنون إلى عيالي ما استطعتم؟ فحلفوا له على ذلك وفوق ما شرط، فقال الأصفهاني للرئيس: ما تأمرني أن أفعل فقد سلمت نفسي لله طلباً لخلاصكم إن شاء الله تعالى، فقال له الرئيس: آمرك أن تقف ثلاثة أيام على ساحل هذا البحر وتضرب على هذا الدهل ليلاً ونهاراً ولا تفتر عن الضرب أبداً، قلت: أفعل إن شاء الله تعالى. فأعطوني من الماء والزاد ما أمكن.

قال الأصفهاني فأخذت الدهل والماء والزاد وتوجهوا بي نحو الجزيرة وأنزلوني بساحلها فأخذت وشرعت في ضرب الدهل فتحركت المياه وجرى المركب وأنا أنظر إليهم حتى غاب المركب عن بصري، فجعلت أطوف في تلك الجزيرة وإذا أنا بشجرة عظيمة وعليها شبه سطح فلما كان الليل وإذا بهدة عظيمة فنظرت فإذا طائر عظيم في الخلقة قد سقط على ذلك السطح الذي في الشجرة فاختفيت خوفاً منه، فلما كان الفجر انتفض بجناحيه وطار، فلما كان الليل جاء أيضاً وحط مكانه الذي حط فيه البارحة فدنوت منه فلم يتعرض لي بسوء ولا التفت إلي أصلاً وطار عند الصباح.

فلما كان ثالث ليلة وجاء الطائر على عادته وقعد مكانه جئت حتى قعدت عنده من غير خوف ولا دهشة إلى أن نفض جناحيه فتعلقت بإحدى رجليه بكلتا يدي فطار بي إلى أن ارتفع النهار، فنظرت إلى تحتي فلم أر إلا لجة ماء البحر فكدت أن أترك رجله وأرمي بنفسي من شدة ما لقيت من التعب، فتصبرت زماناً، وإذا بالقرى والعمارة تحتي ففرحت وذهبْ ما كان بي من الشدة، فلما دنا الطائر من الأرض رميت نفسي على صبرة تبن(٣٣١) في بيدر(٣٣٢)، وطار الطائر فاجتمع الناس حولي وتعجبوا مني وحملوني إلى رئيسهم وأحضروا لي من يفهم كلامي، فأخبرتهم قصتي فتبركوا بي وأكرموني وأمروا لي بمال وأقمت عندهم أياماً.

فخرجت يوماً لأتفرج وإذا أنا بالمركب الذي كنت فيه قد أرسى؛ فلما رأوني أسرعوا إلي وسألوني عن أمري فأخبرتهم فحملوني إلى أهلي وأقاموا لي بالمال وفوق الشرط، فعدت بخير وغنى وسلامة.

• • • •

---

(٣٣١) التبن : عصفة الزرع من البُر (القمح) ونحوه واحدته تبنة (اللسان ١ / ٤١٩).

(٣٣٢) البيدر : المكان الذي تُدرس فيه الغلال ويُداس فيه الطعام (اللسان ١ / ٢٢٩).

فصل في بحر القُلْزُم
وجزائره وما به من العجائب

وهذا البحر شعبة من بحر الهند، جنوبيه بلاد بربر والحبشة؛ وعلى ساحله الشرقي بلاد العرب وعلى ساحله الغربي بلاد اليمن. والقلزم اسم لمدينة على ساحله؛ وهو البحر الذي غرق فيه فرعون؛ وهو بحر مظلم موحش لا خير فيه باطناً ولا ظاهراً؛ وفي هذا البحر جزائر كثيرة وغالبها غير مسكونة ولا مسلوكة

فمن جزائره جزيرة قريبة من أيلة يسكنها قوم يقال لهم بنو حداب؛ ليس لهم زرع ولا ضرع ولا ماء عذب؛ معاشهم من السمك؛ وبيوتهم السفن المكسرة، ويشحذون الماء والخبز ممن يمر بهم من المسافرين؛ وعندهم دوارة في سفح جبل إذا وقع الريح عليها انقسمت قسمين ويلقي المراكب بين شعبين متقابلين فيثور الريح بينهما ويخرج من كليهما متخالفين، فتنقلب المركب بمن فيها؛ وقيل إن هذا الموضع غرق فيه فرعون.

وجزيرة الجساسة[٣٣٣]: وبها دابة تجس الأخبار وتأتي بها إلى الدجال؛ قال تميم الداري[٣٣٤] رضي الله عنه؛ وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقد اختطفته الجن من صحن داره؛ ومكث في بلاد الجن وغيرها مدة طويلة ورأى العجائب وقصته طويلة مشهورة؛ قال: وركبنا هذا البحر فأصابتنا ريح عاصف ألجأتنا إلى هذه الجزيرة فإذا نحن بدابة استوحشنا منها وقلنا لها: ما أنت؟ قالت: أنا

---

(٣٣٣) الجساسة : دابة في جزائر البحر، تجس الأخبار وتأتي بها الدجال، وخبرها مفصل في معجم البلدان الجساسة).

(٣٣٤) تميم الداري : هو تميم بن أوس بن خارجة بن عدي بن عبد الدار، أهدى النبي فرساً يقال له الورد، فأعطاه عمر وروى حديث الجساسة الشهير (أنساب الأشراف (١ / ٥١٠)، وأسد الغابة (١ / ٢٥٦).

الجساسة؛ قلنا لها: أخبرينا الخبر؛ قالت: إن أردتم الخبر فعليكم بهذا الدير فإن به رجلاً هو بالشوق إليكم؛ فأتيناه فقال لنا: كيف وصلتم؟ فأخبرناه الخبر؛ فقال: ما فعلت طبرية؛ قلنا: تدفق الماء بين أجوافها؛ قال: فما فعلت نخلات عمان؟ قلنا: يجنيها أهلها: قال: فما فعلت عين زغر؟ قلنا: يشرب منها أهلها، فقال: لو نفدت لتخلصت من وثاقي فوطئت بقدمي هذا كل سهل وجبل إلا مكة والمدينة.

وبعضهم يزعم أنه ابن صياد، الذي كان بمكة، وكان يقال ذلك بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينكره. قال ابن سعيد: صحبت ابن صياد من مكة، قال: ماذا لقيت من الناس؟ يزعمون أني الدجال، ألم يقل نبي الله إنه يهودي، وقد أسلمت، وقال إنه لا يولد له، وقد ولد لي، وقال: إن الله حرم عيه المدينة ومكة، وقد ولدت بالمدينة وحججت إلى حرم مكة، ثم قال في آخر قوله: والله إني أعرف أين هو الآن وأعرف أباه وأمه. وقيل له يوماً: أيسرك لو كنت ذاك؟ فقال: لو عرض لي لما كرهته.

وقال نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما: لقيت ابن صياد في بعض طرق المدينة، فقلت له قولاً أغضبته، فانتفخ حتى ملأ الطريق، ثم دخلت بعد ذلك على حفصة(٣٣٥) زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وقد بلغها الخبر فقالت: يرحمك الله ما أردت من ابن صياد؟ أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنما يخرج من غضبة يغضبها.

---

(٣٣٥) حفصة : هي بنت عمر، أم المؤمنين، والزوجة الرابعة للنبي صلى الله عليه وسلم، أمها زينب بنت مظعون، توفيت سنة ٤١ هـ وهي التي حافظت على نسخة القرآن التي جمعت في عهد أبي بكر (أنساب الأشراف (١ / ٢١٤)، الجوهرة (٢ / ٦٤)، معجم أعلام القرآن (ص ٢١٧).

وأما عجائب هذا البحر: فمنها سمكة تزيد على مائتي ذراع تضرب السفينة بذنبها فتغرقها.

ومنها: سمكة مقدار ذراع، بدنها كبدن السمك ووجهها كوجه البوم. ومنها: سمكة طولها نحو عشرين ذراعاً ومن ظهرها الدبل الجيد، وهي تلد كالآدمية وترضع مثلها.

ومنها: سمكة تصاد وتجفف فيبقى لحمها مثل القطن يتخذ منه غزل وينسج منه ثياب فاخرة، تسمى تلك الثياب سمكين.

ومنها: سمكة على خلقة البقر تلد وترضع كالبقرة، وسمكة عريضة عرضها أميز من طولها يقال لها البهار ويقارب وزنها قنطاراً؛ طيبة اللحم والطعم. وسمكة: طولها شبران ولها رأسان؛ رأس في موضعه العادي، ورأس في موضع ذنبها، وتسمى الخنجر.

وسمك: يقال له الفرس، وهو نوع من كلاب الماء في البحر، في فمه سبع صفوف أضراس وطوله عشرة أشبار، وهو كثير الضرر والأذى.

. . . .

فصل في بحر الزنج(٣٣٦)
وهو بحر الهند بعينه

وبلاد الزنج منه في جانب الجنوب تحت سهيل وراكب هذا البحر يرئ القطب الجنوبي ولا يرئ القطب الشمالي ولا بنات نعش، وهو متصل بالبحر المحيط، موجه كالجبال الشواهق وينخفض كأخفض ما يكون من الأودية وليس له زبد مثل سائر البحار، وفيه جزائر كثيرة ذوات أشجار وغياض لكنها ليست بذوات ثمار، مثل شجر الآبنوس(٣٣٧) والصندل(٣٣٨) والساج(٣٣٩)، والعنبر يصاد ويلقط من ساحلها، وبها يوجد منه كل قطعة كالتل العظيم.

---

(٣٣٦) الزنج : اسم اطلقه جغرافيو العرب على ما يعرف اليوم بالمحيط الهندي الجنوبي المجاور لشاطئ افريقيا الشرقي (القاموس، ج٣، ص ٨٩).

(٣٣٧) الأبنوس: Ebony خشب اسود صلب يمكن صقله لدرجة اللمعان المعدني. وتنمو اشجار الابنوس في اليابان والفلبين وجزر الهند الشرقية والهند وسريلانكا، ومدغشقر وفريقيا وامريكا الجنوبية وامريكا الشمالية ولب خشب الابنوس الخشب الجوفي غامق اللون اما خشب النسغ فانه ضارب إلى الرمادي او ابيض ضار إلى الوردي و لب خشب الأبنوس اعلاه صلب ناعم الصقل وسهل النحت يتحمل الابنوس كذلك التلميع المكثف ويكون لب الخشب مو بعض انواع الابنوس بنيا قاتما بدلا من الاسود وقد يكون بخطوط ذات الوان مختلفة كالبني الخفيف او الاصفر او الاحمر. وقد يكون الصمغ الصلب الموجود في انسجة لب الخشب سببا في هشاشة الابنوس وقابليته للكسر وهذا يجعله سهر التشكيل والتصنيع والنحت وهناك انواع من الابنوس هي اشجار البرسيمون ولكن لهذه الاشجار لب اسود بمقدار قليل جدا لذلك فليس لها قيمة تجارية وتستخدم الطبقة الخارجية الصلبة من خشب البرسيمون الامريكي لصنع مشابك ورؤوس خشبية لاندية الجولف ويستخدم الابنوس بصورة اساسية في صنع مفاتيح البيانو السوداء والناي و مقابض السكاكين والفرش والتلبيسات الخشبية على الاثاث ومجسامات اغراض جمالية اخرى.

(٣٣٨) الصندل (Sandal Wood) : هو نوع خشب له رائحة طيبة وقد أولى الطب الأوروبي عناية خاصة للصندل. حيث يستخم مسحوقه لعلاج العدوي بالمثانة ويساعد علي إنزال حصوات الكلى

فمن جزائره المشهورة الجزيرة المحترقة: وهي جزيرة واغلة في هذا البحر قل أن يصل إليها أحد. قال بعض التجار: ركبت في هذا البحر فدارت بي الأوقات حتى نزلت في هذه الجزيرة فرأيت فيها خلقاً كثيراً وأقمت بها زماناً وتأنست بأهلها وتعلمت لغتهم، فلما كان في بعض الأيام رأيت الناس مجتمعين ينظرون إلى كوكب طلع من أفقهم وهم يبكون ويلطمون ويتودعون، فسألت عن السبب فقالوا: إن هذا الكوكب يطلع بعد كل ثلاثين سنة مرة حتى إذا وصل إلى سمت رؤوسهم يركبون البحر ومعهم جميع ما يخافون عليه من المال والقماش والأمتعة فسامت الكوكب رؤوسهم فركبوا البحر وركبت معهم وصحبوا في المراكب جميع ما كان في الجزيرة مما يحمل وينقل، وسرنا وغبنا عن الجزيرة مدة ثم عدت معهم فوجدنا جميع ما كان بها من الأماكن والبنيان والأشجار وغيرها قد احترق وصار رماداً، فشرعوا في العمارة ثانياً ولا يزالون كذلك على الدوام، في كل ثلاثين سنة تحترق الجزيرة ويجددون بناءها.

ومن جزائره جزيرة الضوضاء: وهي مما يلي الزنج. حكى بعض التجار أن بها مدينة من حجر أبيض ولا ساكن بها، غير أنهم يسمعون بها جلبة وضوضاء يدخلها البحريون ويشربون من مائها ويحملون منه إلى المراكب، وهو ماء طيب عذب وفيه رائحة الكافور، وبقربها جبال عظيمة تتوقد منها نار عظيمة في الليل وحواليها حية

ويعالج إلتهابها. وزيته يستعمل كمرطب للجلد وفي الحمي والعدوي به وللمساج. ورائحته مهدئة. ويعالج السيلان.

(٣٣٩) خشب (الساج) : هو خشب شديد الإحتمال لا يؤذيه اتصاله بالحديد أيتميز بالمرونة التي تسهل عملية استعماله أإضافة إلى قدرته إلى البقاء طويلا في الماء حيث أنه يكاد يمتنع عن البلل أويمكنه البقاء في المياه أكثر مائتي عام أوهذا في أوصافه في كتاب (العرب والملاحة في المحيط الهندي) ويستورد خشب الساج من الهند حيث يوجد هناك بوفرة.

تظهر في كل سنة مرة واحدة فيحتال عليها ملوك الزنج ويصيدونها ويتخذون من جلدها فراشاً يجلس عليه صاحب السل فيبرأ.

جزيرة العور: وهي جزيرة كبيرة حكى يعقوب بن إسحق السراج قال: قال لي رجل من أهل رومية: ركبت في هذا البحر فألقتني الريح في هذه الجزيرة فوصلت إلى مدينة أهلها قاماتهم طولها ذراع وأكثرهم عور، فاجتمع علي منهم جمع وساقوني إلى ملكهم فأمر بحبسي في قفص، فكسرته فأمنوني وتركوا الاحتجاز علي. فلما كان في بعض الأيام رأيتهم قد استعدوا للقتال فسألتهم عن ذلك فقالوا لنا عدو يأتينا في كل سنة مرة ويحاربنا وهذا أوانه فلم ألبث إلا قليلاً حتى طلعت علينا عصابة من الطيور والغرانيق وكان ما بهم من العور من نقر الغرانيق فحملت الطيور عليهم وصاحت بهم، فلما رأيت ذلك شددت وسطي وأخذت عصاً وشددت عليهم وحملت فيهم وصحت فيهم صيحة منكرة ورميت منهم جماعة، فصاحوا وطاروا هاربين مني. فلما رأى أهل الجزيرة ذلك أكرموني وعظموني وأفادوني مالاً وسألوني الإقامة عندهم فلم أفعل، فحملوني في مركب وجهزوني.وذكر أرسطاطاليس أن الغرانيق تنتقل من بلاد خراسان إلى بلاد مصر حيث مسيل النيل، فتقاتل أولئك العور في طريقهم، وهم قوم في طول ذراع.

جزيرة سكسار(٣٤٠): وهي جزيرة عظيمة، وهم قوم لا عظام لأرجلهم وسوقهم. حكى المؤرخ ابن إسحق قال: لقيت رجلاً في وجهه خموش كثيرة فسألته عنها فقال: كنت في بحر الزنج مع جماعة فألقتنا الريح إلى جزيرة سكسار فلم نستطع أن نخرج منها لشدة الريح، فأتانا قوم وجوههم وجوه الكلاب وأبدانهم أبدان الناس، فسبق إلينا واحد منهم بعصاً كانت معه ووقف جماعة من ورائنا فساقونا إلى

---

(٣٤٠) سكسار : يذكر عنها القزويني " جزيرة بعيدة عن العمران في بحر الجنوب.

منازلهم فرأينا فيها جماجم وقحوفاً وسوقاً وأذرعاً وأضلاعاً كثيرة فأدخلونا بيتاً فيه إنسان ضعيف وجعلوا يأتوننا بأكل كثير وطعام غزير وفواكه طيبة، فقال لنا ذلك الرجل الضعيف: إنما يطعمونكم لتسمنوا وكل من سمن أكلوه.

قال: فجعلت أقلل أكلي دون أصحابي وصار كلما سمن واحد ذهبوا به وأكلوه، حتى بقيت وحدي وذلك الرجل الضعيف، فقال لي الرجل يوماً: إن هؤلاء قد حضرهم عيد يخرجون إليه ويغيبون مدة ثلاثة أيام فإن استطعت أن تنجو بنفسك فانج منهم، وأما أنا فكما تراني لا أستطيع الحركة ولا اقدر على الهرب فانظر في تدبير نفسك. فقلت: جزاك الله الجنة. وخرجت فجعلت أسير ليلاً وأختفي نهاراً. فلما رجعوا من عيدهم فقدوني فتتبعوني حتى يئسوا فرجعوا.

فلما أيست منهم سرت في تلك الجزيرة ليلاً ونهاراً فانتهيت إلى أشجار بها ثمار وفواكه وتحتها رجال حسان الصورة إلا أنه ليس لسوقهم عظم، فقعدت لا أفهم كلامهم ولا يفهمون كلامي، فلم أشعر إلا وواحد منهم ركب على رقبتي وأكتافي وطوق برجليه علي وأنهضني، فذهبت به وجعلت أعالجه لأتخلص منه وأطرحه عني فلم أقدر، وجعل يخمش وجهي بأظفاره المحددة، فجعلت أدور به على الأشجار وهو يأكل من فواكهها وثمارها ويطعم أصحابه وهم يضحكون علي. فبينما أنا أطوف به بين الأشجار إذ دخلت في عينه شوكة من شجرة فانحلت رجلاه عني فرميته عن رقبتي وسرت فنجاني الله بكرمه. وهذه الخموش منه فلا رحم الله عظامه.

وأما عجائب هذا البحر فكثيرة:

منها المنشار: وهي سمكة عظيمة كالجبل العظيم، ومن رأسها إلى ذنبها كالمنشار من عظام سود مثل الأبنوس، كل سن منها أطول من ذراعين، وعند رأسها عظمان

طويلان طول كل واحد عشرة أذرع، تضرب بالعظمين يميناً وشمالاً في الماء فيسمع لها صوت عظيم، ويخرج الماء من فيها ومناخرها ويصعد نحو السماء رمية سهم، وينعكس على المركب كالسيل وهي بعيدة عن المركب. وإذا عبرت تحت المركب قطعتها نصفين، فإذا رآها أصحاب المركب يبكون ويضجون إلى الله تعالى بالدعاء ويتألّلون ويتودعون ويصلون صلاة الموت خوفاً منها.

وسمكة البال: وهي سمكة طولها أربعمائة ذراع إلى خمسمائة ذراع، وستمائة. تظهر في بعض الأوقات طرف جناحها كالشراع العظيم، وتخرج رأسها من الماء وتنفخ فيصعد الماء كرمية سهم في العلو، فإذا أحس بها أهل المراكب ضربوا الطبول والصنوج وصاحوا حتى تذهب، وهي تحوش بذنبها وأجنحتها السمك إلى فمها فإذا زاد بغيها في البحر على دوابه أرسل الله عليها سمكة طول ذراع تسمى اللشك فتلتصق بأذنها فلا تجد البال منها خلاصاً فتطلب قعر البحر وتضرب برأسها الأرض حتى تموت، فتطفو على وجه الماء كالجبل العظيم فيجرونها بالكلاليب والحبال ويشقون بطنها فيخرج منها العنبر كالتل العظيم لأنها تأكله ويعرفه التجار بشوكته.

• • • •

فصل في بحر المغرب
وعجائبه وغرائبه

وهو بحر الشام وبحر القسطنطينية. مخرجه من المحيط، يأخذ مشرقاً فيمر بشمال الأندلس ثم ببلاد الفرنج إلى القسطنطينية ويمتد ببلاد الجنوب إلى سبتة، إلى طرابلس الغرب، إلى الإسكندرية، ثم إلى سواحل الشام، إلى أنطاكية.

وذكر في كتاب أخبار مصر أنه بعد هلاك الفراعنة كانت ملوك بني دلوكة في شق البحر المحيط من الغرب، وهو البحر المظلم، فتغلب الماء على بلاد كثيرة وممالك عظيمة فأخربها وركبها وامتد إلى الشام وبلاد الروم، وصار حاجزاً بين بلاد مصر وبلاد الروم، على أحد ساحليه المسلمون وعلى الآخر النصارى. وهناك مجمع البحرين(٣٤١) وهما بحر الروم والمغرب، وعرضه ثلاثة فراسخ وطوله خمسة وعشرون فرسخاً. والمد والجزر هناك في كل يوم وليلة أربع مرات، وذلك أن البحر الأسود وهو بحر المغرب عند طلوع الشمس يعلو فيصب في مجمع البحرين حتى يدخل في بحر الروم، وهو البحر الأخضر إلى وقت الزوال فإذا زالت الشمس غاض البحر الأسود وانصب فيه الماء من البحر الأخضر إلى مغيب الشمس ويعلو البحر الأخضر على الدوام.

وفي هذا البحر من الجزائر شيء كثير:

فمن جزائره جزيرة الأندلس: وقد تقدم ذكرها.

(٣٤١) مجمع البحرين : هو المكان الذي التقى فيه موسى الخضر، وهي حكمة ربانية؛ ويرى البعض أن مجمع البحرين هو منطقة راس محمد الشهيرة في مصر (المنتقى (ورقة ١٠٥)، وتفسير الطبري (١٥ / ١٧٦).

وجزيرة مجمع البحرين: وهي جزيرة كبيرة وفيها منارة مبنية بالصخر المانع الصلد، لها أساس راسخ ولا باب لها ولا يعمل فيها الحديد، وعلوها أكثر من مائة ذراع، وعلى رأسها صورة إنسان ملتف بثوب كأنه من ذهب ويده اليمنى ممدودة إلى البحر الأسود كأنه يشير بأصبعه لذلك الموضع من العدو.

وجزيرة صقلية: وهي جزيرة عظيمة بها أنهار وأشجار وثمار ومزارع وبها جبل يقال له جبل البركات، يظهر منه دخان في النهار وبالليل نار، يطير منه شرر إلى البحر فيصير حجارة سوداء مثقبة تحرق كل شيء صادفته وتطفو على وجه الماء ويأخذها الناس فيستعملونها في الحمامات لحدة الأرجل.

جزيرة إقريطش(٣٤٢): وهي في بحر الروم وبها معادن من الذهب.جزيرة طاوزاق: وهو ملك له أربعة آلاف امرأة وليس له ولد، وعندهم شجر إذا أكلوا منه أفادهم القوة في الجماع، وأطاق الواحد منهم أن يجامع في اليوم مائة مرة وأكثر.

---

(٣٤٢) إقريطش أو كريت : هي أكبر الجزر اليونانية وخامس أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط. وموقعها تقريباً ٣٥° ش، ٢٤° ق. وهي تطل جنوباً على بحر إيجه وعلى رغم أن مساحتها لا تزيد عن ٨٣٣٦ كيلومتراً مربعاً وعدد سكانها أقل من نصف مليون نسمة فهي من أهم جزر اليونان من حيث أهميتها الحضارية. تنتصب فيها سلسلة جبلية ممتدة من الشرق إلى الغرب وتحدها شواطئ صخرية. وأعلى قمة فيها هي قمة بسيلوريتيس التي يصل ارتفاعها إلى ٢٤٥٦ متراً فوق سطح البحر. وعلى هذه السلسلة تنتشر بساتين الزيتون والكرمة وتزرع فيها الذرة والتبغ أطلق عليها العرب اسم "إقريطش" وعرفت عند الأتراك باسم "جزيت". وهي عبارة عن جزيرة مستطيلة الشكل طولها بين الغرب والشرق ٢٥٥ كيلومتراً، وأكبر عرض لها يبلغ ٥٠ كيلومتراً، وتبلغ مساحتها ٨٣٣١ كيلومتراً، وترتفع أرض إقريطش في الوسط حيث تنتشر الجبال في خط يمتد من الشرق إلى الغرب، وأعلى قممها تصل إلى ٢٤٥٦ متراً، حيث جبال أيدهي أوروس. وتحاط سواحل الجزيرة بسهول ساحلية، وتنحدر إليها أنهار قصيرة سريعة الجريان، وتمتع سواحل الجزيرة الشمالية بعدد من الخلجان تصلح كموانئ طبيعية، ومعظم مدنها موانئ على الساحل الشمالي.

الجزيرة السيارة: أخبر البحريون أنهم رأوها مراراً كثيرة فيها أشجار وعمارات وجبال كلما هبت الريح عليها من المغرب سارت لنحو المشرق، وكلما هبت من المشرق سارت لنحو المغرب، وحجارتها خفاف فترئ الحجر تظن أنه قنطار فيكون رطلاً واحداً.

وذكر بعض اليهود أن مركبهم انكسرت على هذه الجزيرة فأقاموا أياماً لم يكن غذاؤهم إلا السمك، ووقعوا في جزيرة حجارتها وجبالها ووهادها وترابها كلها ذهب، وكان قد سلم معهم زورق المركب فأوسقوه من ذلك الذهب فوق طاقته وسافروا فلم يسيروا إلا قليلاً حتى عطب الزورق ولم ينج إلا من قدر على السباحة.

جزيرة تنيس: وهي في بحر الروم، وفيها مدن كثيرة ويخرج إليها من البحر نوع من السمك فيقيم بها يوماً وينقطع، ويظهر نوع آخر يقيم يوماً وينقطع ولا يزال كذلك إلى آخر السنة تتمة ثلاثمائة وستين نوعاً، ثم يعود النوع الأول كالعادة. وجزيرة النوم: بها أشجار وثمار وأزهار، من شم شيئاً منها نام من ساعته. وجزيرة خالطة: قال أبو حامد الأندلسي: رأيت هذه الجزيرة وبها من الغنم شيء لا يحصى، كالجراد المنتشر لا ينفر من الناس، يأخذ أهل المراكب منها ما شاؤوا. وبها أشجار وثمار وأعشاب، وليس بها إنس ولا جان.

جزيرة الدير: ذكر البحريون أنها بقرب قسطنطينية، وفيها دير غائب في البحر فينكشف عنه الماء يوماً في السنة وتحج أهل تلك النواحي إليه ويبقى ظاهراً إلى وقت العصر، ثم يزيد الماء فيغطيه إلى العام القابل.

جزيرة الكنيسة: ذكر أبو حامد الأندلسي أن بهذه الجزيرة جبلاً على شاطئ البحر الأسود عليه كنيسة منقورة في الصخر، في الجبل، وعليها قبة عظيمة وعلى

تلك القبة طائر غراب(٣٤٣)، يطير ويحط ولا يزال عليها. ومقابل القبة مسجد يزوره المسلمون ويقولون إن الدعاء فيه مستجاب. وقد شرط على أهل تلك الكنيسة ضيافة من يزور ذلك المسجد من المسلمين. فإذا قدم زائر للمسجد أدخل الغراب رأسه إلى داخل الكنيسة وصاح صيحات بعدد الزوار، إن كان واحداً فواحدة، أو اثنين فاثنتين، أو عشرة فعشرة، لا يخطئ أبداً. فينزل أهل تلك الكنيسة بالضيافة إليهم على عدتهم لا يزيدون ولا ينقصون. وذكر القسيسون أنهم ما زالوا يرون ذلك الغراب ولا يدرون من أين مأكله ومشربه؟ وتعرف تلك الكنيسة بكنيسة الغراب.

ومن عجائب هذا البحر ما ذكره أبو حامد من أنه قال: لما غاض بحر الروم انكشف عن مدن وعمارات لا توصف، وبه الشيخ اليهودي وهو حيوان كالإنسان وله لحية بيضاء وبدن كبدن الضفدع، وشعره كشعر البقر وهو في قدر البغل، يخرج من البحر في كل ليلة سبت فلا يزال في البر حتى تغيب الشمس فيثب وثبة فلا يلحقه أحد، وهو يثب كما يثب الضفدع.

وحدث **عبد الرحمن بن هرون** المغربي قال: ركبت هذا البحر فوصلنا إلى موضع يقال له الرطون وكان معنا غلام صقلبي، معه صنارة فدلاها في البحر فصاد سمكة قدر الشبر فنظرنا فإذا مكتوب خلق أذنها الواحدة: لا إله إلا الله، وفي قفاها وخلف أذنها الأخرى: محمد رسول الله.

البغل: وهي سمكة كبيرة قال أبو حامد الأندلسي: رأيت هذه السمكة بمجمع البحرين مثل الجبل العظيم، وقد لازمتها سمكة أكبر منها في الظلمات، فهربت المسماة بالبغل منها، وجدت الأخرى في طلبها، ولما عاين البغل منها لاجد صاحت

(٣٤٣) الغراب: من الطيور الصاخبة والجريئة والنشيطة في بنيتها ومنتشر في العالم كله تقريباً خاصة في الجزء الشمالي منه (موسوعة الحيوان، ص ٢٠٤).

صيحة عظيمة ما سمع أهول منها، فكادت قلوبنا أن تنشق من الخوف واضطرب البحر وكثرت أمواجه وخفنا الغرق، وأتت السمكة الطالبة لتعبر خلف البغل من الظلمات إلى مجمع البحرين فلم تقدر لعظمها.

حوت موسى عليه السلام: قال أبو حامد: رأيت سمكة تعرف بنسل الحوت في مدينة سبتة، وهو الحوت المشوي الذي صحبه **موسى ويوشع** حين سافرا في طلب الخضر عليهم السلام، وهي سمكة طولها ذراع وعرضها شبر، وأحد جانبيها شوك وعظام وجلد رقيق على أحشائها، ورأسها نصف رأس بعين واحدة، فمن رآها من هذا الجانب استقذرها. ونصفها الآخر صحيح بهيج. والناس يتبركون بها ويهدونها إلى الرؤساء، سيما اليهود.

وسمكة كأنها قلنسوة(٣٤٤) سوداء: قال أبو حامد: رأيت هذه السمكة وفي جوفها شبه المصارين، ولا رأس لها ولا عين، ولها مرارة كمرارة البقر سوداء. فإذا صادها أحد تحركت فيسود ما حولها من الماء حتى يبقى كالحبر الدخاني، وأظنه من مرارتها، فيؤخذ ذلك الماء ويكتب به في الورق وهو أحسن من الحبر وأعظم سواداً وأثبت وأجود وأبص منه.

وسمكة: يقال لها الخطاف: على ظهرها جناحان تخرج من الماء وتطير حيث شاءت ثم تعود إلى الماء. **وسمكة تعرف بالمنارة :** وهذه السمكة تخرج ببدنها من الماء وتقف على عجزها كالمنارة ثم ترمي بنفسها على المركب العظيم فتغرقه وتهلك أهله، فإذا أحسوا بها ضربوا الطبول والبوقات وأضرموا مكاحل النفط فتهرب عنهم. وسمكة كبيرة إذا نقص عنها الماء بقيت على الطين ملقاة ولا تزال تضرب إلى

---

(٣٤٤) القلنسوة : من ملابس الرؤوس والجمع قلانس (اللسان ٥ / ٣٧٢٠).

مقدار ست ساعات، ثم تنسلخ من جلدها ويظهر لها جناحان من تحت إبطها فتطير مع عظمتها إلى بحر آخر. وهذا من أعظم عجائب القدرة.

ومنها التنانين: وهي كثيرة في هذا البحر، ولا سيما عند طرابلس واللاذقية.

فصل في بحر الخزر

وهو بحر الأتراك، وهو في جهة الشمال، شرقيه جرجان وطبرستان وعلى شماله بلاد الخزر، وغربيه اللان وجبال القبق، وعلى جنوبه الجبل والديلم. وهو بحر واسع ولا اتصال له بشيء من البحار، وهو بحر صعب خطر المسلك سريع الهلاك شديد الاضطراب والأمواج، لا جزر فيه ولا مد، وليس فيه شيء من اللآلىء والجواهر.

ذكر السمرقندي في كتابه: أن ذا القرنين أراد أن يعرف ساحل هذا البحر، فبعث قوماً في مركب وأمرهم بالمسير فيه سنة كاملة لعل أن يأتوه بخبر ساحل؛ فساروا بالمركب سنة كاملة فلم يروا شيئاً سوى سطح الماء وزرقة(٣٤٥) السماء، فأرادوا الرجوع فقال بعضهم: نسير شهراً آخر لعلنا أن نرجع بخبر. فساروا شهراً آخر فإذا هم بمركب فيه أناس فالتقى المركبان ولم يفهم أحدهم كلام الآخر، فدفع قوم ذي القرنين إليهم امرأة وأخذوا منهم رجلاً ورجعوا إلى الإسكندر وأخبروه بالأمر. قال: فزوج الإسكندر الرجل بامرأة من عسكره فأتت بولد يفهم كلام الوالدين، فقال له: سل أباك من أين جئت؟ فسأله فقال: جئت من ذلك الجانب. فقيل له فهل هناك ملك؟ قال: نعم أعظم من هذا الملك. قيل: فكم لكم في البحر؟ قال: سنتين وشهرين.

وقيل: إن دور هذا البحر ألفان وخمسمائة فرسخ، وطوله ثمانمائة فرسخ وعرضه ستمائة فرسخ، وهو مدور الشكل، إلى الطول أميز.

وبهذا البحر عجائب كثيرة:

منها: ما ذكره أبو حامد عن سلام الترجمان رسول الخليفة إلى ملك الخزر، قال: لما توجهت من عند الخليفة إليهم أقمت عندهم مدة فرأيتهم يوماً قد اصطادوا

---

(٣٤٥) الزُرقة: شدة الصفاء.

سمكة عظيمة فجذبوها بالكلاليب والحبال، فانتفخت أذن السمكة فخرج منها جارية بيضاء حمراء طويلة الشعر، سوداؤه، حسنة الصورة طويلة القامة كأنها القمر البدر، وهي تضرب وجهها وتنتف شعرها وتصيح، وفي وسطها غشاء لحمي كالثوب الضيف من سرتها إلى ركبتها كأنه إزار(٣٤٦) مشدود عليها. فما زالت كذلك حتى ماتت.

ومنها التنين(٣٤٧): ذكروا أنه يرتفع من هذا البحر تنين عظيم يشبه السحاب الأسود وينظر إليه الناس. وزعموا أنها دابة عظيمة في البحر تؤذي دوابه فيبعث الله عليها سحاباً من سحب قدرته فيحملها ويخرجها من البحر. وهي صفة حية سوداء لا يمر ذنبها على شيء من الأبنية العظام إلا سحقته وهدمته، ولا من الأشجار إلا هدتها. وربما تنفست فاحترقت الأشجار والنبات.

قال: فيلقيها السحاب في الجزائر التي بها يأجوج ومأجوج فتكون لهم غذاء. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما هذا القول.

وحكي أن الإسكندر لما أن فرغ من السد وأحكمه سر بذلك سروراً عظيماً، وأمر بسرير فنصب له على السد فرقي عليه وحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: يا رب الأرباب ومسهل الصعاب، أنت ألهمتني بسد هذا المكان صوناً للبلاد وراحة للعباد وقمعاً لهذا العدو المطبوع على الفساد، فأحسن لي المثوبة في يوم المعاد، ورد غربتي

---

(٣٤٦) الإزار : أَزَرَ به الشيءُ: أَحاطَ، والإِزار: المِلْحَفَة، يُذكَّر ويؤنَّث؛ والإِزارَةُ: الإِزار، والإِزْرُ والمِئْـزَرُ والمِئْزَرَةُ: الإِزارُ.

(٣٤٧) التنين : حيوان بحري عظيم ويقال انه اسطوري يجمع بين الزواحف والطير ويزعمون أن له مخالب أسد وأجنحة نسر وذنب أفعى (حاشية رقم ١، عجائب المخلوقات، ص ١٣٠).

وأحسن أوبتي. ثم سجد سجدة أطال فيها ثم استوىٰ علىٰ فراشه واستلقىٰ علىٰ ظهره لانتعاشه، وقال: الآن قد استرحت من سطوة الخزر ومقاساة الأتراك

ثم أغفىٰ إغفاءه فطلع طالع من البحر حتىٰ سد الأفق بطوله وارتفع كالغمامة العظيمة السوداء فسد الضوء عن الأرض، فبادرت الجيوش والمقاتلة إلىٰ قسيهم واشتد الصياح، فانتبه الاسكندر ونادىٰ: ما الذي نابكم وما شأنكم؟ فقالوا: الذي ترىٰ. قال: أمسكوا عن سلاحكم وكفوا عن انزعاجكم، لم يكن الله عز وجل ليلهمني لما أراد ويغربني عن أهلي ومسقط رأسي ي البلاد لمصالح الخلق والعباد مدة عشرين سنة وستة شهور، ثم يسلط علي بهيمة من بهائم البحر المسجور. فكف الناس عن السلاح وأقبل الطالع نحو السد حتىٰ علاه وارتفع عليه رمية سهم، ثم قال: أيها الملك، أنا ساكن هذا البحر، وقد رأيت هذا المكان مسدوداً سبع مرات، وفي وحي الله عز وجل أن ملكاً، عصره عصرك وصورته صورتك وصوته صوتك واسمه اسمك، يسد هذا الثغر سداً مؤبداً، فأحسن الله معونتك وأجزل مثوبتك ورد غربتك وأحسن أوبتك فأنت ذلك الملك الهمام وعليك من الله السلام. ثم غاب عن بصره فلم يعلم كيف ذهب وليكن هذا آخر الكلام على البحار والجزائر والعجائب.

• • • •

فصل في
ذكر المشاهير من الأنهار وعجائبها

قيل: إن الأمطار والثلوج إذا وقعت على الجبال تنصب إلى مغارات بها وتبقى مخزونة فيها في الشتاء، فإن كان في أسافل الجبال منافذ ينزل الماء من تلك المنافذ فيحصل منها الجداول وينضم بعضها إلى بعض فتحدث منها الأنهار والغدران والأودية، فإن كانت المغارات التي هي الخزانات لهذه المياه في أعالي الجبل استمر جريانه أبداً من غير انقطاع لأن المياه تنصب إلى سفح الجبل ولا تنقطع لاتصال الامتداد من الأمطار والثلوج، وإن انقطعت لانقطاع المدد بقيت المياه واقفة، كما ترى في الأودية من الغدران التي تجري في وقت وتنقطع في وقت.

قال بطليموس في كتاب جغرافيا: إن بهذا الربع المسكون مائة نهر، طول كل نهر منها من خمسين فرسخاً إلى ألف فرسخ، فمنها ما يجري من المشرق إلى المغرب، ومنها ما يجري بالعكس، ومنها ما يجري من الشمال إلى الجنوب، ومنها ما يجري بالعكس. وكلها تبتدئ من الجبال وتصب في البحار بعد انتفاع العالم بها. وفي ضمن ممرها تتصور بطائح وبحيرات(٣٤٨)، فإذا صبت في البحر المالح وأشرقت الشمس على البحار فتصعد إلى الجو بخاراً ثم ينعقد غيوماً وأندية كالدولاب الدائر، فلا يزال الأمر كذلك إلى أن يبلغ الكتاب أجله. فسبحان المدبر لمملكته ببدائع حكمته، لا إله إلا هو.

فأول ما نبدأ بذكره نهر أثل: وهو نهر عظيم في بلاد الخزر، ويقارب دجلة، ومجيئه من أرض الروس وبلغار ومصبه في بحر الخزر. وقد ذكر الحكماء أنه يتشعب

---

(٣٤٨) البحيرات : تُعرف البحيرات، بأنها كتل مائية داخل منخفض أرضي ولا تتصل بالبحر (القاموس الجغرافي، محمد صبري محسوب، ص ٨٦).

من هذا النهر خمس وسبعون شعبة، كل شعبة منها نهر عظيم، وعموده لا يتغير ولا ينقص ذرة لغزارة مائه وقوة امتداده، فإذا انتهى إلى البحر يجري فيه يومين ولونه بائن من لون البحر، ثم يختلط ويجمد في الشتاء لعذوبته. وفي هذا البحر حيوانات عجيبة.

حكى **أحمد بن فضلان**(٣٤٩) رسول المقتدر من خلفاء بني العباس إلى بلغار، قال: لما دخلت بلغار سمعت أن عندهم رجلاً عظيم الخلقة، فسألت الملك عنه فقال: نعم، ما كان من بلادنا ولكن قوماً خرجوا إلى نهر أتل وكان قد مد وطغى، ثم أتوا وقالوا أيها الملك إنه قد طفى على وجه الماء رجل كأنه من أمة بالقرب منا، فإن كان ذلك فلا مقام لنا. فركبت معهم حتى سرت إلى النهر فإذا برجل طوله اثنا عشر ذراعاً ورأسه كأكبر ما يكون من القدور، وأنفه نصف ذراع وعيناه عظيمتان، وكل أصبع أطول من شبر. فأخذنا نكلمه وهو لا يزيد على النظر إلينا. فحملته إلى مكاني وكتبت إلى وارسو كتاباً وبيننا وبينهم ثلاثة أشهر أستخبرهم عن أمره، فعرفوني أن هذا الرجل من يأجوج ومأجوج وقالوا: إن البحر يحول بيننا وبينهم. فأقام بين أظهرنا مدة، ثم اعتل فمات.

نهر أذربيجان: قال صاحب المسالك والممالك الشرقية: إن هذا البحر يجري ماؤه ويستحجر فيصير صفائح صخر فيستعملونه في البناء.

نهر أشعار: قال صاحب تحفة الغرائب: إن هذا النهر يخرج من موضع يقال له: فج عروس ويفيض تحت الأرض، ثم يخرج من مكان بعيد، ثم يفيض ثانياً بين أرض منادرة وبطليوس ويخرج وينصب في البحر

---

(٣٤٩) ابن فضلان : هو أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان ثم مولى لأمير المؤمنين، فهو من العجم الموالي لهذا الزمان المعلومات المتوفرة عن ابن فضلان شديدة الندرة، فمن غير المعروف : أين ولد؟ ولا متى ولد؟ ولا كيف نشأ، ولا أين عاش مراحل حياته الأولى؟.

نهر جيحون(٣٥٠): قال الاصطخري(٣٥١): نهر جيحون يخرج من حدود بذخشان ثم تنضم إليه أنهار كثيرة من حدود الجبل ووخش فيصير نهراً عظيماً ويمر على مدن كثيرة حتى يصل إلى خوارزم. ولا ينتفع به شيء من البلاد في ممره إلا خوارزم، ثم ينصب في بحيرة خوارزم التي بينها وبين خوارزم ستة أيام. وهذا النهر يجمد في الشتاء عند قوة البرد فيصير قطعاً، ثم تصير القطع قطعاً على وجه الماء حتى يلصق بعضها ببعض إلى أن تصير سطحاً واحداً على وجه الماء، ويثخن حتى يصير سمك ذراعين أو ثلاثة أذرع، ويستحكم حتى تعبر عليه العجلات والقوافل المحملة ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق، والماء يجري تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم بالمعاول آباراً يستقون منها ويبقى كذلك شهرين فإذا انكسر البرد تقطع قطعاً كما بدأ أول مرة ويعود إلى حالته الأولى. وهو نهر قتال قل أن ينجو منه غريق.

نهر حصن المهدي: قال صاحب تحفة الغرائب: هو بين البصرة والأهواز، وهو نهر كبير ويرتفع منه في بعض الأوقات منارة يسمع منها أصوات كالطبل والبوق ثم

---

(٣٥٠) نهر جيحون: هو آمودريا حالياً، وكان يسمى أيضاً نهر بلخ، ينبع من جبال بامير ويصب في بحيرة آرال، يروي طاجيكستان وتركمانستان وأوزبكستان، وما كان غربه فهو من خراسان وما كان شرقه فهو الذي يدعى ما وراء النهر.

(٣٥١) الاصطخري: هو أبو القاسم إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطرخي المعروف بالكرخي نشأ في اصطخر ونسب إليها وفي (كشف الظنون) هو أبو زيد محمد بن سهل البلخي وفي دائرة المعارف الإسلامية هو أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري

طلب العلم ونبغ في حدود عام ٣٤٩ هـ وعني بأخبار البلاد فخرج يطوف المناطق حتى وصل إلى الهند ثم إلى سواحل المحيط الأطلسي وفي رحلاته لقي نفراً من العلماء في الحقول المختلفة

لم تكن مصادر علم البلاد (علم الجغرافيا) موفورة في عصره فكان بذلك أول جغرافي عربي صنّف في هذا الباب إمّا عن مشاهدة فعلية وإمّا نقلاً عن كتاب بطليموس وقد نقلت مؤلفاته إلى عدة لغات وتمّ طبعها عدة مرات.

تغيب ولا يعرف شأن ذلك. نهر خزلج: وهو بأرض الترك، وفيه حيات إذا وقعت عين ابن آدم عليها يغشى عليه.

دجلة: هو نهر ببغداد، مخرجه من أصل جبل بقرب آمد عند حصن ذي القرنين، وكلما امتد انضم إليه مياه جبال ديار بكر. وبآمد[٣٥٢] يخاض فيه بالدواب ويمتد إلى ميافارقين، وإلى حصن كيفا وإلى جزيرة ابن عمر وإلى الموصل، وتنصب فيه الزيادات ومنها يعظم أمره ويستمر ممتداً إلى بغداد إلى واسط إلى البصرة، وينضب في بحر فارس. وماء دجلة أعذب المياه وأكثرها نفعاً لأن ماءه من مخرجه إلى مصبه جار في العمارات.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوحى الله عز وجل إلى دانيال(٣٥٣) عليه السلام أن أجر لمصالح عبادي نهراً واجعل مصبه في البحر، فقد أمرت الأرض أن تطيعك. قال: فأخذ خشبة فجرها في الأرض والماء يتبعه، وكلما مر بأرض يتيم أو أرملة أو شيخ ناشده الله فيحيد عنهم. وهو الدجلة، وهو نهر مبارك كثيراً ما ينجو غريقه.

وحكي أنهم وجدوا فيه غريقاً فأخذوه فإذا فيه رمق، فلما رجعت روحه إليه سألوه عن مكانه الذي وقع منه فأخبرهم فكان من موضع وقوعه إلى موضع نجاته خمسة أيام.

---

(٣٥٢) آمد Amid : بلدة ذات مركز حصين تقع على نهر دجلة في اقليم ديار بكر (كردستان) افتتحها عياض بن غنم في خلافة عمر بن الخطاب ١٧ هـ (القاموس الإسلامي، ج١، ص ٦٤).

(٣٥٣) نبي الله دانيال - من أنبياء بني إسرائيل - كان ممن تم اسرهم و نقلهم إلى العراق ابان الغزو الفارسي لبيت المقدس و تدميرها على زمن نبوخذ نصر (السبي البابلي)..

نهر الذهب: وهو بأرض الشام وبلاد حلب. زعم أهل حلب أنه وادي بطنان. ومعنى قولهم نهر الذهب أن جميعه يباع أوله بالميزان وآخره بالكيل. فإن أوله تزرع عليه الحبوب والبذور وآخره ينصب إلى بطيحة، فرسخين في فرسخين، فينعقد ملحاً.

نهر المرس: بأذربيجان. وهو شديد الجري، وبأرضه حجارة بعضها ظاهرة وبعضها مغطاة بالماء؛ ولهذا السبب لا تجري فيه السفن. وهو نهر مبارك كثيراً ما ينجو غريقه. حكى ديسم بن إبراهيم صاحب أذربيجان قال: كنت مجتازاً على قنطرة الرس بعسكري، فلما صرت بوسط القنطرة رأيت امرأة ومعها طفل في قماطه، إذ صدمتها دابة فانقلب الطفل من يدها إلى الماء فما وصل إلى الماء إلا بع زمان لبعد ما بين ظهر القنطرة ووجه الماء، ثم غاص الطفل وطفا على وجه الماء وسلم من تلك الأحجار والقرابيص وجرى مع الماء والأم تصيح، وللعقبان أوكار على حروف النهر، فأرسل الله عز وجل عقاباً منها فانقض على الطفل ورفعه بقماطه وخرج به إلى الصحراء، فصحت بأصحابي إليه، فركضوا في أثر العقاب فإذا العقاب قد اشتغل بحل القماط، فلما أدركوه وصاحوا عليه طار العقاب وترك الطفل فوجدوه سالماً موقى، فردوه إلى أمه وهو ساكت.

نهر الزاب[٣٥٤]: وهو نهر بين الموصل وإربل[٣٥٥]، يبتدئ من أذربيجان وينصب في دجلة. يقال له الزاب المجنون لشدة جريه. قال القزويني: شربت من

---

(٣٥٤) نهر الزاب : يقع شمال العراق وهناك الزاب الأعلى (الكبير) وطوله نحو ٦٥٠ كم، وهو يرفد دجلة في جنوب مدينة الموصل عند بلدة الحديثة، وهناك الزاب الأسفل وينبع من مرتفعات جنوبي بحيرة أورمية ويرفد دجلة في شمال بلدة الفتحة ويبلغ طوله ٥٢٠ كم (القاموس، ج٣، ص ١).

(٣٥٥) إربل : مدينة قديمة تقع في الطريق بين بغداد والموصل (القاموس الإسلامي، ج١، ص ٦١) .

مائه في شدة القيظ فإذا هو أبرد من الثلج والبرد، وذلك لشدة جريه وعدم تأثير الشمس فيه.نهر زمرود: وهو بأصبهان، موصوف باللطافة والعذوبة، يغسل فيه الثوب الخشن فيعود أنعم من الخز والحرير، وهو يخرج من قرية يقال لها ما كان ويعظم بانضمام الماء إليه عند أصبهان ويسقي بساتينها ورساتيقها، ثم يغور في رمل هناك ويظهر بكرمان ويجري وينصب في بحر الهند. ذكروا أنهم أخذوا قصبة وعلموها وأرسلوها في موضع غوران الماء فرجعت بكرمان.

نهر سبحة: وهو نهر بين حصن منصور وبكسوم، لا يتهأ خوضه لأن قراره رمل سيال. وعلى هذا النهر قنطرة وهي إحدى عجائب الدنيا لأنها عقد واحد من الشط إلى الشط مقدار مائتي خطوة من حجر صلد مهندم، طول كل حجر عشرة أذرع. حكي أن عند أهل تلك البلدة بالأرض لوحاً عليه طلسم فإذا انعاب من تلك القنطرة مكان أدلوا ذلك اللوح إلى موضع العيب فينعزل الماء عنه ويحيد فينصلح ذلك الموضع بلا مشقة، ويرفع اللوح فيعود الماء إلى مكانه.

نهر سلق: بإفريقية الغرب، وهو نهر كبير يجري فيه الماء بعد كل ستة أيام يوماً واحداً. وهذا دأبه دائماً. وقيل هو نهر صقلاب.

نهر طبرية: هو نهر عظيم، والماء الذي يجري فيه نصفه بارد ونصفه حار فلا يختلط أحدهما بالآخر، فإذا أخذ من الماء الحار في إناء وضربه الهواء صار بارداً.

نهر العاصي(٣٥٦): هو نهر حماه وحمص، مخرجه من قدس ومصبه في البحر بأرض السويدية من أنطاكية. وسمي العاصي لأن أكثر الأنهار هناك تتوجه نحو

---

(٣٥٦) يعتبر نهر العاصي من الأنهار الهامة في سورية والمصدر الرئيسي لمياه الري في حوض العاصي. ويتوضع عليه عدة صناعات ومدناً ويخترق سهولاً في حمص وحماه والعشارنة والغاب والروج التي

الجنوب وهذا يتوجه نحو الشمال.نهر الفرات الأعظم(٣٥٧): هو نهر عظيم عذب طيب ذو هيبة. مخرجه من أرمينية ثم يمتد إلى قالي قلا بالقرب من خلاط، وإلى ملطية(٣٥٨) وإلى شميصات وإلى الرقة، ثم إلى غانة، إلى هيت، فيسقي هناك المزارع والبساتين والرساتيق، ثم ينصب بعضه في دجلة وبعضه يسير إلى بحر فارس.

وللفرات فضائل كثيرة: روي أن أربعة أنهار من أنهار الجنة: سيحون، وجيحون، والنيل، والفرات.وعن علي رضي الله عنه قال: يا أهل الكوفة إن نهركم هذا ينصب إليه ميزابان من الجنة.

تتميز بوفرة إنتاجها الزراعي وزراعاتها الكثيفة حيث يستعمل فيها كميات كبيرة من الاسمدة المختلفة ومبيدات الأعشاب إضافة الى مصادر المياه التقليدية والعادمة المنزلية والصناعية والزراعية الناتجة عن نشاط السكان في هذا الحوض.

(٣٥٧) الفرات : هو أحد الأنهار الكبيرة في جنوب غرب آسيا، ينبع من تركيا ويتألف من جدولين في آسيا الصغرى هما مراد صو (أي ماء المراد) شرقاً ومنبعه بين بحيرة وان وجبل أرارات في أرمينيا وقره صو (أي الماء الأسود) غرباً ومنبعه في شمال شرقي الأناضول. والجدولان يجريان في اتجاه الغرب ثم يجتمعان فتجري مياههما جنوبا مخترقة سلسلة جبال طوروس الجنوبية. ثم يجري النهر إلى الجنوب الشرقي وينضم إليه فروع عديدة قبل مروره في الأراضي السورية. في الأراضي السورية ينضم إليه نهر البليخ ثم نهر الخابور ويدخل في سوريا عند مدينة جرابلس، ثم يمر في محافظة الرقة ويتجه بعدها إلى محافظة دير الزور، ويخرج منها عند مدينة البوكمال. ومن ثم يدخل العراق عند مدينة القائم ويتوسع ليشكل الأهوار وسط جنوب العراق ويتحد معه في العراق نهر دجلة فيشكلان شط العرب الذي تجري مياهه مسافة ٩٠ ميلا ثم تصب في الخليج العربي، يبلغ طول الفرات حوالي ٢٧٠٠ كم (١٨٠٠ ميلاً)، ويتراوح عرضه بين ٢٠٠ إلى أكثر من ٢٠٠٠ متر عند المصب. ويطلق على العراق بلاد الرافدين لوجود نهري دجلة والفرات بها

(٣٥٨) ملطية : مدينة بأرض الروم مشهورة.بها جبل فيه عين حدثني بعض التجار أن هذه العين يخرج منها ماء عذب ضارب إلى البياض يشربه الإنسان لا يضره شيئاً فإذا جرى مسافة يسيرة يصير حجراً صلداً

وروي عن جعفر الصادق(٣٥٩) رضي الله عنه أنه شرب من ماء الفرات، ثم استزاد وحمد الله تعالى وقال: ما أعظم بركته، لو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا على حافته القباب، ما انغمس فيه ذو عاهة إلا برئ.

وعن السدي أن الفرات مد في زمن عمر رضي الله عنه فألقى رمانة عظيمة فيها كر من الحب فأمر المسلمين أن يقسموها بينهم وكانوا يرون أنها من الجنة.نهر القورج: هو نهر بين القاطول وبغداد، وكان سبب حفره أن كسرى أنوشروان ملك الفرس لما حفر القاطول أضر بأهل الأسافل فخرج أهل تلك النواحي للتظلم فرآهم فثنى رجله على دابته ووقف، وكان قد خرج متنزهاً فقال بالفارسية: ما شأنكم أيها المساكين؟ قالوا: لقد جئناك متظلمين. قال: ممن؟ قالوا: من ملك الزمان كسرى أنوشروان. فنزل عن دابته وجلس على التراب وقال بالفارسية: زنهاراي مسكينان. فأتي بشيء ليجلس عليه فأبى وأدناهم منه ونظر إليهم وبكى وقال: قبيح وعار على ملك يظلم المساكين، ما ظلامتكم؟ قالوا: يا ملك الزمان حفرت القاطول فانقطع الماء عنا وقد بارت أراضينا وخربت. فدعا كسرى بموبذانه وقال له: ما

---

(٣٥٩) الإمام جعفر الصادق (ولد يوم ١٧ ربيع الأول ٨٣ هـ في المدينة المنورة وتوفي فيها عام ١٤٨ هـ) هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن فاطمة الزهراء بنت النبي محمد (ص). لقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب. أمه هي أم فروة فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر و قيل غير ذلك. يعتبر الإمام و الوصي السادس للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لدى الشيعة و إليه ينسبون انتشار مدرستهم الفقهية. و لذلك يطلق على الشيعة بالجعفرية نسبة للإمام جعفر الصادق. بينما ينكر أهل السنة ذلك، ويعتبرون نسبة المذهب الجعفري إليه افتراء.استطاع أن يؤسس في عصره مدرسة فقهية وتتلمذ على يده العديد من العلماء. ويعتبر من أوائل الرواد في علم الكيمياء حيث تتلمذ عليه جابر بن حيان. وقد كني الإمام الصادق بعدة كنى منها أبو عبدالله (وهي أشهرها) وأبو إسماعيل وأبو موسى. ولقب بالصادق، والفاضل، والطاهر، والقائم، والكامل، والمنجي. وكان يوصف بأنه ربعة، ليس بالطويل ولا بالقصير، أبيض الوجه، أزهر له لمعان كأنه السراج، أسود الشعر، جعده، أشم الأنف قد انحسر الشعر عن جبينه فبدا مزهراً، وعلى خده خال أسود.

جزاء ملك أضر برعيته من غير قصد؟ قال الموبذان: جزاؤه أن يجلس على التراب كما فعل ملك الزمان، ويرجع عن الخطأ إلى الصواب وإلا سخطت عليه النيران.

فقال: قد رجعت عما وقعت فيه، فهل ترضون بسد ما حفرت؟ قالوا: لا نكلف الملك ذلك: قال: فما تريدون؟ قالوا: مرنا أن نجري من القاطول نهراً لنحيي أرضنا. فقال: لا أكلفكم ذلك. ثم أمر أصحابه وجنده بالإقامة في مجلسه وقال: لا أبرح من مكاني حتى أرى نهراً يجري دون القاطول يسقي أراضي هؤلاء المساكين، والجاني أولى بالخسارة. فما برح من مكانه ذلك حتى أجرى لهم نهراً دون القاطول بناحية القورج، وساقوا الماء إلى أراضيهم وعمرت، وسقوا منها أنفسهم ومواشيهم. فهذا كان عدله في رعيته وهو كافر(٣٦٠) يعبد النيران.

نهر الكر: هو بين أرمينية وأذال. وهو نهر مبارك وكثيراً ما ينجو غريقه. قال بعض الفقهاء نقجوان: وجدنا غريقاً في الكر يجري به الماء فبادر القوم إليه فأدركوه على آخر رمق، فلما رجعت إليه روحه قال: في أي موضع أنا؟ قالوا: في نقجوان. قال: إني وقعت في الموضع الفلاني. فإذا مسيرة ذلك المكان ستة أيام. فطلب منهم طعاماً فذهبوا ليأتوه به؛ فانقض عليه جدار فمات.

نهر مهران: وهو بالسند، عرضه عرض جيحون يجري من المشرق إلى المغرب، ويقع في بحر فارس. قيل إنه يخرج من جبل يخرج منه بعض أنهار جيحون، وهو نهر عظيم فيه تماسيح كنيل مصر، إلا أنها أضعف وأصغر. وهو يمتد على الأرض ويزرع عليه كما يزرع على النيل، وينقص ويزيد كالنيل، حذو النعل بالنعل، ولا يوجد تمساح قط إلا بنهر مهران والنيل.

---

(٣٦٠) الكافر: في اللغة العربية هو المنكر و الجاحد، و هو أيضاً المنكر للنعمة المتناسي لها، و هو ضد الشاكر.

نهر مكران: هو نهر عظيم عليه قنطرة، قطعة واحدة، من عبر عليها يتقايأ جميع ما في بطنه ولو كانوا ألوفاً. وإن وقفوا عليه زماناً هلكوا من القيء.**نهر اليمن**: قال صاحب تحفة الغرائب: نهر بأرض اليمن. من طلوع الشمس يجري من المشرق إلى المغرب، ومن غروب الشمس يجري من المغرب إلى المشرق.

نهر هند مند: وهو بسجستان. ينصب فيه ألف نهر ولا يتبين فيه زيادة، ويتشعب منه ألف نهر ولا يظهر فيه نقصان، بل هو في الحالتين سواء.**نهر العمود**: وهو بالهند، عليه شجرة باسقة من حديد وقيل من نحاس، وتحتها عمود من جنسها ارتفاعه عشرة أذرع، وفي رأس العمود ثلاث شعب غلاظ مستوية محددة كالسيوف. وعنده رجل يقرأ كتاباً ويقول للنهر: يا عظيم البركة وسيل الجنة، أنت الذي خرجت من عين الجنة فطوبى لمن صعد على هذه الشجرة وألقى نفسه على هذا العمود. فيصعد ممن حوله رجل أو رجال فيلقون أنفسهم على ذلك العمود ويقعون في الماء فيدعو لهم أهلوهم بالمصير إلى الجنة.

وفي الهند نهر آخر: ومن أمره أن يحضره رجال بسيوف قاطعة، فإذا أراد الرجل من عبادهم أن يتقرب إلى الله تعالى بزعمهم أخذوا له الحلي والحلل وأطواق الذهب والأسورة بالكثرة ويخرجون به إلى هذا النهر فيطرحونه على الشط، فيأخذ أصحاب السيوف ما عليه من الزينة والأطواق والأسورة ويضربونه بالسيوف حتى يصير قطعتين، فيلقون نصفه في مكان ونصفه في مكان آخر بالبعد عنه، ويزعمون أن هذا النهر وما قبله خرجا من الجنة.

نهر النيل[٣٦١] المبارك: ليس في الدنيا نهر أطول منه، لأنه مسيرة شهرين في الإسلام وشهرين في الكفر وشهرين في البرية وأربعة أشهر في الخراب. ومخرجه من بلاد جبل القمر خلف الاستواء، ويسمى جبل القمر، لأن القمر لا يطلع عليه أصلاً لخروجه عن خط الاستواء وميله عن نوره وضوئه؛ ويخرج من بحر الظلمة ويدخل تحت جبال القمر. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن النيل يخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يخرج لوجدتم من ورقها.

وكان عبقام وهو هرمس الأول قد حملته الشياطين إلى هذا الجبل المعروف بالقمر ورأى النيل كيف يخرج من البحر الأسود ويدخل تحت جبل القمر، وبنى في سفح ذلك الجبل قصراً فيه خمسة وثمانون تمثالاً من نحاس، جعلها جامعة لما يخرج من الماء من هذا الجبل معاقد ومضاب مدبرة في إحكام، يجري منه الماء إلى تلك الصور والتماثيل فيخرج من حلوقها على قياس معلوم وأذرع معدودة، فتصب إلى أنهار كثيرة فيتصل بالبطيحتين ويخرج منهما حتى يصل إلى البطيحة الجامعة. وعلى هذه البطيحة بلاد السودان ومدينتها العظمى طرمى. وبالبطيحة جبل معترض يشقها ويخرج نحو الشمال مغرباً ويخرج النيل منه نهراً واحداً ويفترق في أرض النوبة، ففرقته إلى أقصى المغرب وعلى هذه الفرقة غالب بلاد السودان، والفرقة التي تنصب إلى مصر منحدرة من أرض أسوان تنقسم في مجرى البلاد على أربع فرق، كل فرقة إلى ناحية، ثم تصب في بحر الإسكندرية. ويقال إن ثلاثة منها تصب في البحر

---

(٣٦١) النيل : أطول أنهار الكرة الأرضية ويأتي نهر الأمازون في أمريكا الجنوبية في المرتبة الثانية. يقع نهر النيل في الجزء الشمال الشرقي من قارة أفريقيا، ويبدأ مساره من المنبع عند بحيرة فيكتوريا - الواقعة بوسط شرق القارة - ثم يتجه شمالا حتى المصب في البحر المتوسط، بإجمالي طول ٦٦٩٥ كم (٤١٦٠ ميل). يغطي حوض النيل مساحة ٣.٤ مليون كم^2، ويمر مساره بعشر دول إفريقية يطلق عليها دول حوض النيل

الشامي. وفرقة تصب في البحيرة الملحة التي تنتهي إلى الإسكندرية. والأذرع التي صنعها عبقام هي ثمانية عشر ذراعاً، كل ذراع اثنتان وثلاثون أصبعاً، وما زاد على ذلك فهو سائر إلى رمال وغياض لا منفعة فيها. ولولا ذلك لغرقت البلاد

وذكروا أن سيحون وجيحون والنيل والفرات كلها تخرج من قبة من زبرجدة خضراء من جبل عال هناك وتسلك على البحر المظلم، وهي أحلى من العسل وأذكى رائحة من المسك ولكنها تتغير بتغير المجاري، وليس في الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال ويمد في شدة الحر حتى تنقص له الأنهار كلها، ويزيد بترتيب وينقص بترتيب، غير النيل. وسبب مده أن الله تعالى يبعث إليه الريح الشمالي فيقلب عليه البحر المالح فيصير كالسكر له فيزيد حتى يعم البلاد فإذا بلغ حد الري بعث الله عليه ريح الجنوب فأخرجته إلى البحر. ولما كان زمن يوسف عليه السلام اتخذ بمصر مقياساً يعرف به مقدار الزيادة والنقصان فإذا زاد على قدر الكفاية يستبشرون بخصب البلاد، وهو عمود قائم في وسط بركة على شاطئ النيل ولها طريق يدخل إليها منها الماء وعلى ذلك العمود خطوط معروفة بالأصابع والأذرع. وكانت كفايتهم في ذلك الوقت أربعة عشر ذراعاً، فإذا استوى الماء كما ذكرنا في الخلجان والوهاد يملأ جميع أرض مصر، فإذا استوفت الأرض ريها انكشفت تربتها وزرع عليها أصناف الزرع وتكتفي بتلك الشربة الواحدة. وليس في الدنيا نهر يشبهه إلا نهر الملتان وهو نهر السند. شعر في المعنى:

إن مـــصراً لأطيـــب الأرض طـــرّاً ‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍ لـــيس في حـــسنها البـــديع التبـــاس

وإذا قـــستها بـــأرضٍ سواهـــا ‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍ كـــان بينـــي وبينـــك المـقـــياس

وحكي أن رجلاً من ولد العيص[٣٦٢] بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام يسمىٰ جياداً لما دخل مصر ورأىٰ عجائبها آلىٰ علىٰ نفسه أن لا يفارق ساحل النيل إلىٰ منتهاه أو يموت. فسار ثلاثين سنة في العامر وثلاثين سنة في الخراب حتىٰ انتهىٰ إلىٰ بحر أخضر فرأىٰ النيل يشق ذلك البحر؛ وأنه ركب دابة هناك سخرها الله له فعدت به زماناً طويلاً وأنه وُقع في أرض من حديد، جبالها وأشجارها من حديد. ثم وقع في أرض من نحاس، جبالها وأشجارها نحاس. ثم وقع في أرض من فضة جبالها وأشجارها فضة. ثم وقع في أرض من ذهب جبالها وأشجارها ذهب. وأنه انتهىٰ في مسيره إلىٰ سور مرتفع من ذهب، وفيه قبة عالية من ذهب ولها أربعة أبواب، والماء ينحدر من ذلك السور ويستقر في تلك القبة ثم يخرج من الأبواب الأربعة، فمنها ثلاثة تغيض في الأرض، والرابع يجري علىٰ وجه الأرض وهو النيل، والثلاثة سيحون وجيحون والفرات، وأنه أتاه ملك حسن الهيئة، فقال له: السلام عليك يا جايد، هذه الجنة. ثم قال له: إنه سيأتيك رزق من الجنة فلا تؤثر عليه شيئاً من الدنيا.فبينما هو كذلك إذ أتاه عنقود من العنب فيه ثلاثة ألوان: لون كاللؤلؤ ولون كالزبرجد الأخضر ولون كالياقوت الأحمر. فقال له الملك: يا جايد هذا من حصرم الجنة، فأخذه جايد ورجع، فرأىٰ شيخاً تحت شجرة من تفاح فحدثه وآنسه وقال له: يا جايد ألا تأكل من هذا التفاح؟ فقال: إن معي طعاماً من الجنة وإني لمستغن عن تفاحك. فقال له: صدقت يا جايد، إني لأعلم أنه من الجنة، وأعلم من أتاك به وهو أخي، وهذا التفاح أيضاً من الجنة. ولم يزل به ذلك الشيخ حتىٰ أكل من التفاح وحين عض علىٰ التفاحة رأىٰ ذلك الملك وهو يعض علىٰ أصبعه؛ ثم قال له: أتعرف هذا الشيخ؟ قال: لا، قال: هو والله الذي أخرج أباك آدم من الجنة، ولو قنعت بالعنقود الذي معك لأكل منه أهل الدنيا ما بقيت الدنيا ولم ينفد، وهو الآن

---

(٣٦٢) العيص : أخو نبي الله يعقوب عليه السلام وفي التوراة " عيسو "

مجهودك إلى مكانك. قال: فبكى جايد وندم وسار حتى دخل مصر وجعل يحدث الناس بما رأى في مسيره من العجائب.

بحيرة تنيس[٣٦٣]: قيل إنها كانت جنات عظيمة وبساتين، وكانت مقسومة بين ملكين أخوين من ولد إتريب بن مصر. وكان أحدهما مؤمناً والآخر كافراً، فأنفق المؤمن ماله في وجوه البر والخير حتى إنه باع حصته في الجنات والبساتين إلى أخيه الكافر، فزاد فيها ألفاً من الجنات والبساتين وأجرى خلالها أنهاراً عذبة، فاحتاج

---

(٣٦٣) تنيس : مدينة قديمة من مدن مصر كانت من الناحية الشرقية تتاخم ضاحية بيلوز (الفرما) وهي الآن جزيرة صغيرة وسط بحيرة المنزلة التي كانت تدعى بحيرة تنيس و أول من دعاها باسم بحيرة المنزلة خليل الظاهري كما جاء في كتاب على ضفاف بحيرات مصر جزء أول ويقول المسعودي في كتاب (مروج الذهب) انه قبل القرن الثالث الميلادي لم تكن توجد بهذه المنطقة بحيرات و لكنها كانت أرضا زراعية لم يكن بمصر مثلها استواء و طيب تربة وكان بها الجنات و النخيل والكروم والشجر والزرع، وكان الماء منحدراً إليها لا ينقطع عنها صيفاً أو شتاء وسائره يصب في البحر من جميع خلجانه أو من الموقع المعروف بالأشتوم ولم يرى الناس أحسن من جناتها وكرومها. وفي القرن السادس الميلادي على أثر زلزال طغى البحر على هذه الأراضي وبقيت تنيس و بعض الجزر العالية قد جاء في كتاب فتح العرب لمصر عن اسم تنيس بأن (كاتريد) يقول بأن اسم هذه المدينة مشتق من اللفظ اليوناني (نيسوس) وقد أضيف في أوله علامة التعريف القبطية للمؤنث فإذا صح ذلك كان لابد من أن تلك البلاد غمرت بالمياه منذ زمن بعيد قبل القرن السادس و ذلك لأن اللفظ اليوناني (نيسوس) معناه جزيرة و بعلامة التعريف القبطية للمؤنث (تي) يصبح الاسم الجزيرة و يرجح المؤلف هذه بقوله "بأن (كاسيان) وكان في مصر سنة (٣٩٠ - ٣٩٧م) يقول على وجه اليقين أن تنيس يحيط بها من جميع جهاتها بحر أو بحيرات ملحة حتى أن أهلها كانوا يعتمدون كل الاعتماد على البحر في الانتقال من مكان إلى مكان، وكانوا يأتون بالطين في السفن إذا أرادوا أن يوسعوا أرضاً ليبنوا عليها بناء لقد كانت تنيس موضع إعجاب المؤرخين ومحل حديثهم فرووا عنها المعجب و المترف وقد قال المسعودي أيضاً في كتاب (أخبار الزمان) أن تنيس "كانت مدينة عظيمة لها مائة باب وفيها آثار كثيرة للأوائل كان أهلها مياسير أصحاب ثراء و أكثرهم حاكة و بها تحاك الثياب التي لا يصنع مثلها في الدنيا.. وكان مما يصنع في هذه المدينة نوع من النسيج اسمه (بوقلتون) من الحرير المتغير اللون الزاهي اللحمة حتى قيل انه كان يبدو في ألوان مختلفة في كل ساعة من ساعات النهار".

أخوه المؤمن إلى ما في يده؛ فمنعه وسبه وجعل يفتخر عليه بماله ويقول له: أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً. فقال له أخوه المؤمن: إني ما أراك شاكراً الله تعالى ويوشك أن ينتزعها منك. فقال: هذا كلام لا أسمعه، ومن ينتزع مني ذلك؟ فدعا المؤمن عليه فجاء البحر وأغرق ذلك كله في ليلة واحدة حتى صارت كأن لم تكن

وقد ورد في الكتاب العزيز ذكر قصتهما في سورة الكهف في قوله تعالى: **«واضرِبْ لهم مثلاً رجلين جَعلنا لأحدهما جنّتين من أعناب وحفَفْناهما بنخلٍ وجعلنا بينهما زَرْعاً»** إلى قوله: **«خيرٌ ثواباً وخير عُقْباً»**.

وكان لتنيس مائة باب. ويقال إن هذه البحيرة تصير عذبة ستة أشهر. ثم تصير ملحاً أُجاجاً ستة أشهر: وهذا دأبها أبداً بإذن الملك القادر.

وبمدينة قليوب بحيرة: ظهر بها في سنة من السنين نوع من السمك كانت عظامها ودهنها تضيء في الليل المظلم كالسراج من أخذ من عظامها عظمة في يده أضاء معه كالشمعة(٣٦٤) الرائقة إلى منزلة وحيث شاء. وأغنت الناس عن إيقاد السرج في بيوتهم، وإذا دهن بدهنها أصبعاً من أصابعه فكذلك تضيء أصبعه كالسراج الوهاج، حتى حكي أن بعض الناس تلوثت أصابعه من ذلك الدهن فمسح بها في حائط بيته، فبقي أثر الدهن في الحائط فكان ذلك الأثر يضيء في الحائط كأربع شمعات ثم انقطع مجيء ذلك النوع من السمك فلم يوجد بها شيء منها إلى يومنا هذا.

(٣٦٤) الشمع: مخلوط دهني رخو في درجة الحرارة العادية ويشتعل بسهولة وهو اخف من الماء ولكن لا يذوب فيه ولا يحتوي على مادة الجلسرين ويستخلص من اصل حيواني او نباتي او معدني والشمع يستخدمه الناس في الإضاءة منذ العصور القديمة وحتى الآن (القاموس، ج٤، ص ١٤٦).

نهر الرمل: هو نهر في أقصى بلاد المغرب، جار كالأنهار لا ينقطع جريانه ومن نزل فيه هلك. ويقال إن ذا القرنين وصل إليه ورآه ونظر إلى الرمل وجريانه. فبينما هو ناظر إليه إذ انكشف الرمل وانقطع الجريان، فأمر أناساً من أصحابه أن يعبروا فيه فعبروا ولم يعودوا إليه وهلكوا. فنصب ذو القرنين هناك شخصاً قائماً كالمنارة من النحاس الأصفر وأحكمه وكتب عليه: ليس وراء هذا شيء فلا يتجاوزه أحد.

وليكن هذا آخر الكلام على ذكر الأنهار وعجائبها.

• • • •

فصل في
عجائب العيون والآبار

منها عين أذربيجان: قال في كتاب تحفة الغرائب: قيل: يأخذون قالب لبن فيمكن في الأرض ويصب فيه ماء هذه العين، ويصبرون عليه مقدار ساعة فيصير الماء لبناً من حجر صلد ويبنون به ما شاؤوا وأرادوا.

وعين بقرية من قرى قزوين: تسمى أدرند بهسند، إذا شرب الإنسان منها حصل له إسهال مفرط. ويكن الإنسان أن يشرب من ذلك الماء عشرة أرطال لخفته وعذوبته، وإذا حمل ذلك الماء إلى خارج حد تلك القرية بطلت الخاصية.عين باذخاني: قال صاحب تحفة الغرائب: بدامغان قرية تسمى كهر؛ بها عين تسمى باذخاني، إذا أراد أهل هذه القرية هبوب الريح أخذوا خرقة حيض ووضعوها في العين فتتحرك الرياح؛ ومن شرب من مائها ولو جرعة انتفخ بطنه كالطبل؛ ومن حمل ذلك إلى مكان آخر انعقد حجراً.

عين ابلانستان: قال صاحب تحفة الغرائب: ابلانستان قرية بين جرجان وأسفراين، فيها عين تسمى بها، ينبع منها ماء كثير فينتفع بمائها خلق كثير وتنقطع في بعض الأوقات شهراً فيخرج أهل تلك الأرض رجالها ونساؤها في أحسن زينة وأجمل هيئة بالدفوف والصنوج والشبابات وأنواع الملاهي ويرقصون عند تلك العين ويلعبون ويضحكون فلا يرجعون إلا وقد مدت العين بالماء الكثير مقدار ما يدير رحيين.

عين باميان[٣٦٥]: قال في كتاب تحفة الغرائب: بأرض باميان عين ينبع منها ماء كثير بصوت عظيم وجلبة، ويشم منها رائحة الكبريت، من اغتسل من مائها زال عنه الحكة والجرب والدمامل، وإذا جعل في إناء من مائها وسد الإناء سداً محكماً وترك صار كالطين، وإن قرب من النار اشتعل والتهب.

عين جاج: قال صاحب تحفة الغرائب: بقرب جاج عقبة على رأسها عين ماء إذا كانت السماء صاحية لا يرى فيها قطرة ماء، وإذا كانت السماء مغيمة تراها مملوءة طافحة. وبناحية باميان جبال فيها عيون لا تقبل أبداً شيئاً من النجاسات وإذا ألقى فيها أحد شيئاً من النجاسات هاج الماء وعلا وفار، فإن لحق الذي ألقاها أغرقه.

عين زغر[٣٦٦]: وهي طرف البحيرة المنتنة بالشام، بينها وبين بيت المقدس ثلاثة أيام. وزغر اسم ابنة لوط عليه السلام، وهي العين التي أوردنا ذكرها في حديث الجساسة والدجال، وغورانها من علامات الساعة.

عين سياه سنك: قال في تحفة الغرائب: بجرجان موضع يسمى سياه سنك به عين على تل يأخذ الناس منها الماء للشرب وهو عذب طيب، وفي الطريق إلى العين

---

(٣٦٥) باميان : ناحية بين خراسان وأرض الغور ذات مدن وقرى وجبال وأنهار كثيرة من بلاد غزنة. بها بيت ذاهب في الهواء وأساطين نقش عليها صور الطير وفيه صنمان عظيمان من الحجر: يسمى أحدهما سرج بت والآخر خنك بت وما عرف خاصية البيت ولا خاصية الصنم. قال صاحب تحفة الغرائب: بأرض باميان ضيعة غير مسكونة من نام فيها يزبنه أخذ برجله فإذا انتبه لا يرى أحداً فإن نام يفعل به ذلك مرة أخرى حتى يخرج منها.

(٣٦٦) عين زُغر : في طرف بحيرة طبرية بينها وبين بيت المقدس ثلاثة أيام وهي من ناحية الحجاز. وزغر اسم بنت لوط عليه السلام نزلت بهذه القرية فسميت باسمها وهي في واد وخم ردي في أشأم بقعة يسكنها أهلها بحب الوطن ويهيج بهم الوباء في بعض الأعوام فيفني جلهم. وزغر وهي العين التي ذكر أنها تغور في آخر الزمان وغورها من اشراط الساعة

دودة معروفة بين أهلها فمن أخذ من ذلك الماء وأصابت رجله تلك الدودة وهو ذاهب بالماء صار الماء مراً علقماً فيريقه ويمضي إلى الماء ثانياً.عين الأوقات: وهي في المغرب، لا تجري إلا في أوقات الصلوات الخمس في أولها ثم تنقطع، ولبثها بقدر ما يتوضأ الناس

عين شيرم: وهي بين أصفهان وشيراز، بها مياه مشهورة وهي من عجائب الدنيا، وذلك أن الجرادة إذا نزلت ووقعت بأرض، يحمل إليها من تلك العين ماء في ظرف أو غيره فيتبع ذلك الماء طيور سود تسمى السمر مر، ويقال لها السودانية، بحيث إن حامل الماء لا يضعه إلى الأرض ولا يلتفت وراءه، فتبقى تلك الطيور على رأس حامل الماء في الجو كالسحابة السوداء إلى أن يصل إلى الأرض التي بها الجراد، فتصيح الطيور عليها وتقتلها، فلا ترى من الجراد متحركاً بل يموتون من أصوات تلك الطيور إذا سمعوها.

عين شيركيزان: وهي من قرى مراغة، فيها عينان تفوران ماء، أحدهما بارد عذب والآخر حار مالح وبينها مقدار ذراع.

عين العقاب: قال صاحب تحفة الغرائب: بأرض الهند عين برأس جبل إذا هرم العقاب وضعف تأتي به أفراخه وتحمله إلى تلك العين وتغسله فيها ثم تضعه في شعاع الشمس فيسقط ريشه وينبت له ريش جديد، ويذهب هرمه وضعفه وترجع إليه قوته وشبابه.

عين غرناطة: قال الأندلسي: بقرب غرناطة كنيسة عندها عين ماء وشجر زيتون، يقصدها الناس في يوم معلوم من السنة فإذا طلعت الشمس في ذلك اليوم فاضت تلك العين ثم يظهر على تلك الشجرة زهر الزيتون ثم ينعقد زيتوناً في الحال

والوقت، ويكبر ويسود في يومه ذلك ويأخذه الناس، ويأخذون من ماء تلك العين، كل أحد بمقدرته ثم يدخرون ذلك الزيتون والماء للتداوي، ولذلك فيما بينهم منافع عظيمة.

عين غزنة: وبقرب مدينة غزنة عين إذا ألقي فيها شيء من القاذورات والنجاسات يتغير الهواء في الحال ويظهر البرد والريح العاصف والمطر والثلج، فيبقى ذلك الحال حتى تزول عنها تلك القاذورات. وزعموا أن السلطان محمود بن سبكتكين السلجوقي تغمده الله برحمته لما أراد فتح غزنة كان كلما قصدها ألقى أهلها في العين شيئاً من القاذورات، فتقوم القيامة لشدة الريح والبرد والمطر فيرجع بعسكره بغير قصد كالمكسور. فصلى ليلة من الليالي ودعا فقال: إلهي إن كان قصدي في فتح هذه البلاد حصول الدنيا فاثن عزمي عن ذلك، وخذ بناصيتي إلى الخير، وإن كان قصدي الثواب والآخرة وتقوية شوكة الإسلام فاجعل لي إلى فتح هذه المدينة سبيلاً، وأرح عبادك المسلمين المجاهدين في سبيلك. ثم سجد سجدة ونام في سجوده ووجهه على الثرى، فأتاه آت وخاطبه بكلام مبين قائلاً: يا بن سبكتكين، إن رمت الخلاص من هذه المحنة فأرسل جنوداً لحفظ العين وقد افتتحت غزنة فسعيك مشكور وفعلك مبرور. فانتبه وأرسل مقدماً لحراسة تلك العين ثم زحف على غزنة فافتتحها كطرفة عين.

عين الفرات: بقرب أردن الروم، من اغتسل من مائها أيام الربيع أمن من مرض تلك السنة.

عين نهاوند(٣٦٧): قال صاحب تحفة الغرائب: بالقرب من نهاوند عين في شعب جبل وتحت الشعب وطأة، فكل من احتاج إلى الماء ليسقي أرضه؛ مشى إلى العين ودخل الشعب وهو يقول بصوت عال: أنا محتاج إلى الماء، ثم يغمس رجله في العين ويمشي نحو زرعه، والماء يمشي خلفه، حتى يسقي أرضه. فإذا انقضت حاجته يرجع إلى الشعب وهو يقول: قد اكتفت أرضي وربحتم أجري، ثم يضرب برجله الأرض فينقطع الماء عنه. وهذا دأب الماء ودأب أهل تلك الأرض، وهذه من أعجب العجائب. وليكن هذا آخر الكلام على عجائب العيون.

. . . .

(٣٦٧) نهاوند : مدينة إيرانية تقع في منطقة جبلية إلى الجنوب من جبال زاغروس تم الفتح الإسلامي لنهاوند سنه ٢٩هـ و يقال ٢٠هـ في زمن عمر بن الخطاب و كان أمير الجيش النعمان بن مقرن المزني

فصل في
الآبار وعجائبها

بئر أبي كود: بقرب طرابلس، من شرب من مائها تحمق، وهو مثل يقال بينهم للأحمق: شرب من بئر أبي كود.

بئر بابل: قال الأعمش: كان مجاهد يحب أن يسمع الأعاجيب ويقصدها، وكان لا يسمع بشيء من ذلك إلا توجه إليه وعاينه. فأتى بابل فلقيه الحجاج فقال له: ما تصنع ههنا؟ قال؛ أريد أن تسيرني إلى رأس الجالوت، وأن تريني موضع هاروت وماروت(٣٦٨)، فأمر به فأرسل إلى رجل من أعيان اليهود وقال: اذهب بهذا فأدخله على هاروت وماروت ولينظر إليهما، فانطلق به حتى أتى موضعاً فرفع صخرة فإذا هو شبه سرداب(٣٦٩)، فقال له اليهودي: انزل معي وانظر إليهما ولا تذكر اسم الله تعالى، قال مجاهد: فنزل اليهودي ونزلت معه ولم نزل نمشي حتى نظرت إليهما وهما كالجبلين العظيمين منكوسين على رؤوسهما والحديد في أعناقهما إلى ركبتيهما. فلما رآهما مجاهد لم يملك نفسه أن ذكر اسم الله تعالى. قال: فاضطربا اضطراباً شديداً حتى كادا يقطعان ما عليهما من الحديد، فهرب مجاهد واليهودي حتى خرجا، فقال اليهودي لمجاهد: أما قلت لك لا تفعل، كدنا والله نهلك.

قال المفسرون: إن رجلاً أراد أن يتعلم السحر فأتى أرض بابل ودخل عليهما فقال: لا إله إلا الله، فاضطربا اضطراباً شديداً وقالا له: ممن أنت؟ قال: من بني آدم، قالا: من أي الأمم؟ قال: أمة محمد. قالا: أو بعث محمد؟ قال: نعم. فاستبشرا بذلك

---

(٣٦٨) هاروت وماروت : كانا يُعلمان الناس السحر وكيفية التفريق بين المرء وزوجه، وربما تأتي من الهراء والمرية أي " القطع والإفساد " (من إعجاز القرآن، ج١، ١٩٦).

(٣٦٩) السرداب : بناء تحت الأرض يلجأ اليه من حر الصيف والجمع سراديب.

وفرحا؛ فقال الرجل: لِمَ تفرحان؟ قالا: قد قرب فرجنا فإن محمداً نبي الساعة وقد قربت. قال لهما: أريد أن أتعلم السحر، قالا له: اتق الله ولا تكفر. قال: لا بد من ذلك. فعاوداه ثلاثاً فلم يرجع فقالا له: امض إلى ذلك النور فبل فيه. قال ففعل، فخرج منه نور حتى صعد إلى السماء ونزل دخان أسود فدخل في فيه فقالا له: فعلت؟ قال: نعم، قالا: فما رأيت؟ فأخبرهما فقال أحدهما: النور الذي خرج منك هو نور الإيمان، وقال الآخر: الدخان الذي دخل فيك هو ظلمة الكفر، اذهب فقد علمت.

وحكي أن امرأة جاءت إلى عائشة(٣٧٠) رضي الله عنها باكية تطلب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجده، فقالت لها عائشة: مم تبكين، وما الذي تريدين منه؟ فقالت: أريد أن أسأله عن شيء في السحر. فقالت: وما هو؟ قالت: إن زوجي سافر وغاب عني مدة طويلة فجاءت امرأة إلي وقالت: أتريدين مجيئه؟ قلت: نعم، قالت: فاعملي بما أقول لك، قالت: نعم. فغابت وأتتني بكبشين(٣٧١) عند العشاء أسودين، فركبت واحداً وأركبتني الآخر. فلم نلبث إلا قليلاً حتى دخلنا على هاروت وماروت فقالت لهما: إن هذه المرأة تريد أن تتعلم السحر. فقالا لها: اتقي الله ولا تكفري وارجعي. فأبيت وقلت. لا بد من ذلك، فأعادا علي ثلاثاً، فأبيت وقلت: لا بد من ذلك. فقالا: اذهبي فبولي في ذلك التنور قالت: فذهبت ووقفت على التنور

---

(٣٧٠) عائشة رضي الله عنها (٩ ق هـ ـ٥٨ هـ) هي عائشة الصديقة بنت أبي بكر الصديق عبد الله ابن عثمان. أم المؤمنين، وأفقه نساء المسلمين. كانت أديبة عالمة. كنيت بأم عبد الله. لها خطب ومواقف. وكان أكابر الصحابة يراجعونها في أمور الدين. وكان مسروق إذا روى عنها يقول: حدثتني الصديقة بنت الصديق. نقمت على عثمان ﷺ في خلافته أشياء، ثم لما قتل غضبت لمقتله. وخرجت على علي ﷺ، وكان موقفها المعروف يوم الجمل ثم رجعت عن ذلك، وردها علي إلى بيتها معززة مكرمة. [الإصابة ٤/ ٣٥٩؛ وأعلام النساء ٢/ ٧٦٠؛ ومنهاج السنة٢/ ١٨٢ ـ١٩٨].

(٣٧١) الكبش: هو فحل الضأن، الجمع أكبش وأكباش (المعجم الوسيط، ج٢، مادة كبش، ص ٨٠٥)

فأدركني خوف الله تعالى فلم أفعل ورجعت إليهما، فقالا: فعلت؟ قلت نعم. قالا: فما الذي رأيت؟ قلت: لم أر شيئاً. قالا: لم تفعلي شيئاً، اذهبي فبولي في التنور. فذهبت. فقالا: ما رأيت؟ قلت: لم أر شيئاً. قالا: اذهبي فافعلي. قالت: فذهبت وأنا أرتعد ففعلت فخرج مني فارس مقنع بحديد فصعد إلى السماء. فرجعت إليهما وأخبرتهما. قالا: فذلك الإيمان خرج من قلبك، اذهبي فقد تعلمت. فخرجت أنا والمرأة وقلت لها: والله ما قالا لي شيئاً. قالت: بلى تعلمت، خذي هذه الحنطة فابذريها فبذرتها فنبتت. قالت: افركي، ففركت. قالت: اطحني، فطحنت. قالت: اخبزي، فخبزت. ووالله لم أفعل بعد ذلك شيئاً أبداً.

بئر بدر: وهي بين مكة والمدينة في الموضع الذي كانت فيه وقعة بدر بين النبي صلى الله عليه وسلم وكفار قريش[٣٧٢] ورمى منهم جماعة في القليب[٣٧٣] وهو هذا البئر. حكي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه رأى في اجتيازه هناك شخصاً مشوهاً خرج من البئر هارباً، وخرج في أثره آخر ومعه سوط يلتهب ناراً، فصاح به وضربه ورده إلى البئر، وأنا أنظر إليهما.

---

(٣٧٢) قريش: تصغير القَرش، وهو الجمع من ها هنا وها هنا، ثم يضم بعضه الى بعض، وسُميت قريش لأنهم كانوا أصحاب تجارة وتُنسب الى قريش بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة (ياقوت، معجم ٤ / ٣٣٦).

(٣٧٣) القليب: هو البئر قبل أن يبنى بالحجارة، يذكر ويؤنس، وقال أبو عبيدة: هي البئر القديمة، والجمع: قُلب.

بئر برهوت[٣٧٤]: وهي بقرب حضرموت. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن فيها أرواح الكفار والمنافقين[٣٧٥]. وهي بئر عادية في فلاة[٣٧٦] مقفرة وواد مظلم. وعن علي رضي الله عنه قال: أبغض البقاع إلى الله برهوت، فيه بئر ماؤها أسود منتن تأوي إليه أرواح الكفار.

حكى الأصمعي[٣٧٧] عن رجل من أهل الخير: أن رجلاً من عظماء الكفار هلك، فلما كان في تلك الليلة مررت بوادي برهوت فشممنا ريحاً لا يوصف نتنه على خلاف العادة، فعلمنا أن روح ذلك الكافر الهالك قد نقلت إلى البئر.

---

(٣٧٤) وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال: ابغض البقاع إلى الله تعالى وادي برهوت بحضرموت فيه بئر ماؤها أسود منتن يأوي إليه أرواح الكفار. وذكر الأصمعي عن رجل حضرمي انه قال: إنا نجد من ناحية برهوت رائحة منتنة فظيعة جداً فيأتينا الخبر أن عظيماً من عظماء الكفار مات.
وحكى رجل أنه بات ليلة بوادي برهوت قال: فكنت أسمع طول الليل يا دومه يا دومه فذكرت ذلك لبعض أهل العلم فقال: إن الملك الموكل بأرواح الكفار اسمه دومه.

(٣٧٥) النفاق : إظهار الخير وإبطان الشر.

(٣٧٦) الفلاة : الصحراء.

(٣٧٧) الأصمعي : هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصمع. ومولده ووفاته في البصرة. كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جداً. وكان الرشيد يسميه (شيطان الشعر). قال الأخفش: ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعي. وقال أبو الطيب اللغوي: كان أتقن القوم للغة، وأعلمهم بالشعر، وأحضرهم حفظاً. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة. وللمستشرق الألماني وليم أهلورد Vilhelm Ahiwardt كتاب سماه (الأصمعيات-ط) جمع فيه بعض القصائد التي تفرد الأصمعي بروايتها. تصانيفه كثيرة، منها (الإبل-ط)، و (الأضداد-ط)، و(خلق الإنسان-ط)، و(المترادف-خ)، و(الفرق-ط) أي الفرق بين أسماء الأعضاء من الإنسان والحيوان.

وروى بعضهم قال: بت بوادي برهوت فكنت أسمع طول الليل قائلاً ينادي: يا دومة يا دومة، إلى الصباح. فذكرت ذلك لرجل من أهل العلم فقال: دومة هو اسم الملك الموكل بتلك البئر لتعذيب أرواح الكفار.

بئر قضاعة(٣٧٨): وهي بالمدينة الشريفة. روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بئر قضاعة فتوضأ من الدلو ورد ما بقي إلى البئر وبصق فيها وشرب من مائها، وكان ملحاً فعاد عذباً طيباً. وكان إذا أصاب الإنسان مرض في أيامه صلى الله عليه وسلم يقول اغسلوه من بئر قضاعة فإذا غسل فكأنما نشط من عقال. وقالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: كنا نغسل المريض من بئر قضاعة ثلاثة أيام فيعافى. **بئر ذروان**(٣٧٩): بالمدينة المشرفة. روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض، فبينما هو بين النائم واليقظان إذ نزل ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رأسه: ما وجعه؟ قال الذي عند رجليه: طب. قال: ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم اليهودي. قال فأين طبه؟ قال: كرية تحت صخرة في بئر دروان. فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حفظ كلامهما فوجه علياً وعماراً مع جماعة من الصحابة فأتوا البئر فنزحوا ما بها من الماء وانتهوا إلى الصخرة فقلبوها فوجدوا الكرية تحتها، وفيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة، فأخرجوها وحلوا العقد فزال وجع النبي صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله عليه المعوذتين إحدى عشرة آية، فحل بقراءتها العقد المعقودة في الوتر.

---

(٣٧٨) بئر قضاعة : نسبة الى قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ، فهم يمانية وجدهم قحطان، وقيل إن قضاعة امرأة من جُرهم، تزوجها مالك بن حمير، وقضاعة اسم كلب الماء أو كلبته (لسان العرب، مادة قضع).

(٣٧٩) بئر ذوران : بئر أثرية قديمة، تقع في الجهة الجنوبية للمسجد النبوي الشريف في محلة ذروان، تحت أحد أبراج سور المدينة الأول، وهي في منازل بني زريق، وهي التي وضع فيها المنافق اليهودي لبيد بن الأعصم السحر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بردمها.

بئر زمزم[٣٨٠]: لما ترك إبراهيم الخليل عليه السلام إسماعيل وهاجر بموضع الكعبة وانصرف، والقصة مشهورة، قالت له هاجر: يا إبراهيم الله أمرك أن تتركنا في هذه البرية الحارة وتنصرف عنا؟ قال: نعم. قالت: حسبنا الله إذاً فلا نضيع. فأقامت عند ولدها حتى نفد ماء الركوة. فبقي إسماعيل يتلظى من العطش. فتركته وارتقت الصفا تلتمس غوثاً أو ماء فلم تر شيئاً، فبكت ودعت هنالك واستسقت ثم نزلت حتى أتت المروة وتشوفت ودعت مثل ما دعت بالصفا، ثم سمعت أصوات السباع فخافت على ولدها فسعت إليه بسرعة فوجدته يفحص برجليه الأرض وقد انفجر من تحت عقبه الماء، فلما رأت هاجر الماء حوطت عليه بالتراب من خوفها أن يسيل. فلو لم تفعل ذلك لكان الماء جارياً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم لكانت عيناً جارية. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ماء زمزم لما شرب له. ولكم أبرأ الله به من مرض عجزت عنه حذاق الأطباء.

قال محمد بن أحمد الهمداني: كان ذرع زمزم من أعلاه إلى أسفله أربعين ذراعاً، وفي قعرها عيون غير واحدة، عين حذاء الركن الأسود، وعين حذاء أبي قبيس والصفا، وعين حذاء المروة. ثم قل ماؤها في سنة أربع وعشرين ومائتين فحفر فيها محمد بن الضحاك تسعة أذرع فزاد ماؤها، وأول من فرش أرضها بالرخام المنصور ثاني الخلفاء العباسيين.

(٣٨٠) بئر زمزم: يقع بالصحن المكشوف للمسجد الحرام وإلى الجنوب الشرقي من الكعبة المشرفة، قبال الحجر الأسود وزمزم في اللغة تعني الماء الغزير ويقال زمزم الرجل الماء أي شربه جرعة جرعة (القاموس ج٣، ص ٨١).

حكى المسعودي: أن ملوك الفرس يزعمون أن جدهم خليل عليه السلام، وأنهم كانوا يحجون البيت ويطوفون به تعظيماً لجدهم، وأخر من حج منهم أردشير(٣٨١) بن بابك، طاف بالبيت فرموه بالزمزمة على زمزم، وهي قراءتهم عند صلاتهم.

بئر أريس(٣٨٢): وهي بالمدينة الشريفة. وروي أن فيها عيناً من الجنة، وكان صلى الله عليه وسلم يستطيب ماءها ويبارك فيها. وروي أنه بصق فيها.

بئر المطرية(٣٨٣): هي بئر قرية من قرى مصر، وبها شجر البلسان(٣٨٤)، وسقيها من البئر. والخاصية في البئر لا في الأرض.

ذكر أن عيسى عليه السلام اغتسل فيها. والأرض التي ينبت فيها هذا الشجر نحو ميل في ميل محوط عليها، وليس في الدنيا موضع ينبت فيه البلسان إلا هذه القرية.

---

(٣٨١) أردشير: أردشير بن بابك، تولى عرش فارس حوالي عام ٢٢٦ م وكانت بينه وبين أخيه سابور حروب [illegible] دجلة وساحل الخليج، ومد سلطانه الى خراسان شرقا وميديا غربا وارتبطت سيرته بكثير من القصص في المراجع العربية (القاموس الإسلامي، ج١، ص ٦٤).

(٣٨٢) بئر اريس او بئر الخاتم او بئر النبي (ص) وروي انه وقع خاتم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من يد عثمان في بئر أريس وهي على ميلين من المدينة (رواها ابن الأثير في الكامل في التاريخ، ج٢).

(٣٨٣) حي المطرية هو أحد أحياء محافظة القاهرة وضمن أحياء المنطقة الشرقية قيل أنها نسبة الى كلمة "لقمة طرية" وتحولت الى المطرية.

(٣٨٤) البلسان Baume: أو [illegible] (موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب، جيرار جهامي، ج١، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٩، ص ٣٣٧).

بئر المعظمة[٣٨٥]: وتسمى بئر العظائم؛ وهي بالقاهرة عند الركن المخلق، يقال إنها من آبار موسى عليه السلام.

وحكي أن طاسة لفقير وقعت في بئر زمزم وعليها منقوش اسم ذلك الفقير، فرجع الفقير مع الركب المصري إلى القاهرة فجاء إلى البئر المعظمة ليتوضأ منها للتبرك فطلعت الطاسة بعينها في المستقى؛ وشهد له جماعة من الحجاج أنهم شاهدوا وقوعها في بئر زمزم. وليكن هذا آخر الكلام على عجائب الآبار.

. . . .

(٣٨٥) بئر المعظمة : وهي بئر كبيرة في غاية السعة وأوّل ما أعرف من إضافتها إلى الجامع الأقمر أنّ العماد الدمياطيّ ركب على فوهتها هذه المحال التي بها الآن وهي من جيد المحال وكان تركيبها بعد السبعمائة في أيام قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة الشافعيّ وبهذا الجامع درس من قديم الزمان ولم تزل مئذنته التي جدّدها السالميّ والبركة إلى سنة خمس عشرة وثمانمائة فولي نظر الجامع بعض الفقهاء فرأى هدم المئذنة من أجل ميل حدث بها فهدمها وأبطل الماء من البركة لإفساد الماء بمروره جدار الجامع القبليّ والخطبة قائمة به إلى الآن.

فصل في
عجائب الجبال وما بها من الآثار

قال الله تعالى: «**أفلا ينظرون إلى الإبلِ كيف خُلقتْ وإلى السماءِ كيف رُفعتْ وإلى الجبال كيف نُصبت، وإلى الأرضِ كيفَ سُطحتْ**»(٣٨٦). فلو قال قائل: ما وجه النسبة بين الإبل والسماء والجبال والأرض والنسبة بينهن غير ظاهرة؟ فالجواب أن القرآن نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين ظهراني العرب ونزل بلغاتهم، ومن المعلوم أن أجل أموال العرب وأعظمها الإبل؛ فبدأ بذكر الإبل لاستمالة قلوبهم إذ مدحت عظائم أموالهم، ثم ذكر السماء إذ الإبل لا بلاغ لها إلا بالنبات، ولا يكون النبات في الغالب إلا بالمطر، والمطر لا ينزل إلى الأرض إلا من السماء؛ ثم ذكر الجبال لأن العرب وأهل البادية ليس لهم حصون ولا قلاع يتحصنون فيها من أعدائهم إذا راموهم، فكانت الجبال حصوناً لهم وقلاعاً، وبها لهم الماء والمرعى؛ ثم ذكر الأرض وتسطيحها لأن العرب في أكثر الدهر يرحلون وينزلون في الأراضي السهلة الوطيئة لإراحة الإبل التي هي سفن البر ومنها معاشهم وبلاغهم، وهذه حكمة إلهية، ومن بعض معاني هذه الآية الشريفة هذا الوجه وهو وجه حسن.

فأعظم جبال الدنيا قاف: وهو محيط بها كإحاطة بياض العين بسوادها، وما وراء جبل قاف فهو من حكم الآخرة لا من حكم الدنيا. وقال بعض المفسرين: إن الله سبحانه وتعالى خلق من وراء جبل قاف أرضاً بيضاء كالفضة الجلية، طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس، وبها ملائكة شاخصون إلى العرش لا يعرف الملك منهم من إلى جانبه، من هيبة الله جل جلاله، ولا يعرفون ما آدم وما إبليس، وهكذا إلى يوم القيامة. وقيل: إن يوم القيامة تبدل أرضنا هذه بتلك الأرض. والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(٣٨٦) سورة الغاشية: آية ١٧ - ٢٠.

جبل سرنديب: هو جبل بأعلى الصين في بحر الهند، وهو الجبل الذي أهبط عليه آدم عليه السلام، وعليه أثر قدمه غائصاً في الصخرة، طوله سبعون شبراً، وعلى هذا الجبل ضوء كالبرق ولا يتمكن أحد أن ينظر إليه، ولا بد كل يوم فيه من المطر فيغسل قدم آدم، وحوله من أنواع اليواقيت والأحجار النفيسة وأصناف العطر والأفاويه ما لا يوصف، وإن آدم خطا من هذا الجبل إلى ساحل البحر خطوة واحدة وهي مسيرة يومين.

جبل أوليان: هو بأرض الروم وفي وسط هذا الجبل درب، من دخله وهو يأكل الخبز من أول الدرب إلى آخره لا تضره عضة الكلب، ومن عضه الكلب وعبر بين رجلي هذا الرجل برئ وأمن من الغائلة. جبل أبي قبيس: هو جبل مطل على مكة. زعموا أن من أكل عليه رأساً مشوياً أمن من وجع الرأس.

جبل راوند: بالقرب من همذان، وفيه ماء إذا شربه المريض عوفي. حكي أنه دخل على جعفر الصادق رضي الله عنه رجل من همذان فقال له جعفر: من أين أنت؟ قال: من همذان؛ فقال: أتعرف جبلها؟ فقال له الرجل: جعلت فداك أراوند؟ قال: نعم. قال: إن فيه عيناً من عيون الجنة.

جبل سبستان: فيه ماء ينبت فيه قصب كثير، فما كان في الماء من القصب فهو من حجر، وما كان خارجاً عن الماء فهو قصب على حقيقته، وما رمي في الماء من ورق القصب الخارجي صار حجراً في الحال.

جبل أسبرة: وهو بناحية الشاش مما وراء النهر. قال الأصطخري: هناك جبل فيها منافع كثيرة من الذهب والفضة والفيروزج والحديد والنحاس والصفر والآنك والنفط والزئبق، وفيه حجر أسود يحرق ويبيض به الثياب ولا يقوم شيء مقامه.

جبل التر: على ثلاث مراحل من قزوين، وهو جبل شامخ لا تخلو قلته من الثلج لا صيفاً ولا شتاء، وعليه مسجد تأويه الأبدال، ويتولد من ثلجه دود أبيض إذا غرز فيه أدنى شيء يخرج منه ماء أبيض صاف يرى دابة وليس هو حيواناً.

وبالأندلس جبل فيه عينان بينهما مقدار شبر واحد، إحداهما في غاية البرودة والعذوبة والأخرى في غاية الحرارة والملوحة، ولهما رائحة عطرة طيبة. وبه جبل البرنس وفيه معدن الكبريت الأحمر والكبريت الأصفر والزئبق، ومنه يحمل إلى سائر البلاد، وفيه معدن الزنجفر وليس في جميع الأرض معدن للزنجفر إلا هناك.

جبل القدس: قال صاحب تحفة الغرائب: بأرض القدس جبل فيه غار كالبيت تزوره الناس، فإذا أظلم الليل أضاء البيت وليس فيه ضوء ولا سراج ولا كوة ولا طاقة.

جبل ثبير: وهو بمكة بقرب منىً، وهو جبل مبارك يقصده الزوار، وعليه اهبط الكبش الذي فدي به إسماعيل عليه السلام.

جبل ثور(٣٨٧): وهو بقرب مكة. وفيه الغار الذي كان فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق(٣٨٨) رضي الله تعالى عنه لما خرجا مهاجرين.

---

(٣٨٧) جبل ثور : ثور جبل عال أغبر يرى من جميع نواحيها المرتفعة، يشبه ثورا مستقبل الجنوب وهو جبل يقع جنوب مكة يبلغ إرتفاع قمته ٧٢٨ متراً. ويمتد من الشمال إلى الجنوب على مسافة ٤١٢٣ متراً ومن الشرق إلى الغرب على مسافة ٤٠٠٠ متر تقريباً. ومنه إشتُق اسم الغار، غار ثور الذي مكث فيه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث ليلِ أثناء هجرته إلى المدينة.

(٣٨٨) أبو بكر الصديق (٥١ ق هـ - ١٣ هـ) : هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر.من تيم قريش.وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم.من أعاظم الرجال،وخير هذه الامة بعد نبيها.ولد بمكة،ونشأ في قريش سيداً،موسراً،عالماً بأنساب القبائل حرم على نفسه الخمر في الجاهلية، وكان مألفا

جبل الجودي(٣٨٩): بقرب جزيرة ابن عمر من الجانب الشرقي الذي استوت عليه سفينة نوح عليه السلام، وبنى به نوح مسجداً وهو باق إلى الآن تزوره الناس. جبل جوشن(٣٩٠): غربي حلب، وفيه معدن النحاس. قيل: إنه بطل منذ عبر عليه سبي الحسين بن علي رضي الله عنهما، وكانت زوجة الحسين مثقلة بالحمل فطرحت هناك. وبه مشهد مبارك يعرف بمشهد الطرح، وطلبت من صناع النحاس ماء للشرب فمنعوها وسبوها، فدعت عليهم فامتنع الريح من ذلك الحين.

جبل حارث وحويرث: هما بأرض أرمينية، لا يقدر أحد على ارتقائهما أصلاً. قال ابن الفقيه السيرافي، كان على نهر الرس بأرمينية ألف مدينة عامرة آهلة، فبعث

لقريش، أسلم بدعوته كثيرين السابقين. صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجرته، وكان له معه المواقف المشهورة. ورسخ قواعد الإسلام. وجه الجيوش الى الشام والعراق ففتح قسم منها في أيامه. [الإصابة، ومنهاج السنة ٣/ ١١٨، و(أبو بكر الصديق) للشيخ علي الطنطاوي].

(٣٨٩) جبل الجودي : في منتصف شهر (أيار) من سنة ١٩٤٨ م اكتشف أحد رعاة الأغنام من الأكراد واسمه رشيد سرحان سفينة سيدنا نوح عليه السلام وبقايا من أخشابها مطمورة في رسوبيات مياه عذبة في قمة جبل (الجودي). واسم القرية مطابق تماما للاسم البابلي للقرية العاصية التي كان يسكنها سيدنا نوح. وفي الأعوام التي تلت عام ١٩٥٣ قامت عدة بعثات أثرية بزيارة موقع جبل الجوديّ) في تركيا وعاينت الأخشاب المتحجرة للسفينة وفحصتها بنظير الكاربون المشع للتعرف على عمرها الحقيقي ووجدت أنها صنعت قبل حوالي ٤٥٠٠ سنة وان هذا التقدير العمري المبني على قراءات أجهزة الفحص الفيزيائية يتطابق تماما مع ما ورد في المدونات السومرية. بيد أن الفضل الكبير في اكتشاف أسرار وخبايا الموقع الذي رست فيه سفينة نوح (ع) والتوسع في شرح التفاصيل الدقيقة المتعلقة بتلك السفينة ورحلتها الأسطورية يعزى إلى الباحثين ديفيد فاسولد و رون وايت ويعزى أيضا إلى جهود البروفسور التركي احمد ارسلان الذي تسلق جبل الجودي أكثر من ٥٠ مرة على مدى ٤٠ عام لاستطلاع موقع السفينة حيث جاءت إحداثيات الموقع المكتشف تحت جبل الجوديّ مطابقة تماما للموقع الذي ورد ذكره في القرآن الكريم.

(٣٩٠) الجوشن : اسم الحديد الذي يُلبس من السلاح، ويقول الجوهري : الجوشن : الدرع (اللسان ج١، مادة جشن، ص ٦٢٩).

الله عز وجل إليهم نبياً دعاهم إلى الله فكذبوه وآذوه فدعا عليهم فحول الله الحارث والحويرث من الطائف(٣٩١) وأرسلهما على المدن وأهلها. فهم تحت هذين الجبلين حتى الساعة.

جبل حراء(٣٩٢): هو على ثلاثة أميال من مكة المشرفة. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه للخلوة ويعبد الله فيه قبل نزول الوحي، وأتاه جبريل هناك. جبل جودقور: وهو بين حضرموت وعمان.

حكى **أحمد بن يحيى اليمني** أن في ناحية قورشق جبلاً يقال له جود قور، غوره مقدار خمسة أرماح وعرضه قليل فمن أراد أن يتعلق السحر فليأخذ ماعزاً أسود ليس فيه شعرة بيضاء ويذبحه ويسلخه ويقسمه سبعة أجزاء يعطي منها جزءاً واحداً للمقيم بذلك الجبل، وستة أجزاء ينزل بها إلى الغار، ثم يأخذ الكرش يشقها وينطلي بها فيها، ويلبس الجلد مقلوباً ويدخل الغار ليلاً. وشرطه أن لا يكون له أب ولا أم، فينام في الغار تلك الليلة فإن أصبح جسمه نقياً من حشو الكرش مغسولاً فقد قبل وحصل له السحر. وإن وجده بحاله لم يقبل ولا يحصل له القصد، فإذا خرج من الغار بعد القبول لا يحدث أحداً ثلاثة أيام يصير ساحراً ماهراً. جبل الحيات: بأرض

---

(٣٩١) الطائف : جنوب شرقي مكة المكرمة، وهي ذات مزارع ونخيل وأعناب (الحميري، الروض ٣٧٦، ياقوت، معجم ٤ / ٩).

(٣٩٢) جبل حراء : وبه غار حراء هو الغار الذي كان يختلي فيه رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم قبل نزول القرآن عليه بواسطة جبريل عليه السلام. فغار حراء هو المكان الذي نزل الوحي فيه لأول مرة على النبي صلى الله عليه وسلم وغار حراء يقع في أعلى جبل حراء أو كما يسمى "جبل النور" أو "جبل الإسلام" وقد سمي ذلك لنزول نور الدعوة الإسلامية فيه لأول مرة. وجبل حراء يقع شرق مكة المكرمة على يسار الذاهب إلى عرفات، وارتفاعه ٦٣٤متر. يبعد جبل حراء تقريباً مسافة أربعة كيلومترات عن الحرم الشريف.

تركستان. فيه حيات من نظر إليها مات الناظر لوقته إلا أنها لا تتجاوز هذا الجبل أبداً.

جبل نهاوند: بقرب الري يناطح النجوم ارتفاعاً، قال مسعود بن مهلهل: هذا الجبل لا يفارق أعلاه الثلج لا ليلاً ولا نهاراً، ولا صيفاً ولا شتاء البتة، ولا يقدر أحد أن يعلوه.

زعموا أن سليمان بن داود عليهما السلام حبس فيه صخر المارد، وزعموا أن أفريدون الملك حبس فيه بيوراسف الذي يقال له الضحاك. ومن صعد إلى هذا الجبل لا يصل إليه إلا بمشقة شديدة ومخاطرة بالنفس. قال مسعود بن مهلهل: صعدت إلى نصفه بمشقة شديدة وما أظن أحداً وصل إلى ما وصلت إليه، فرأيت هناك عين كبريت وحولها كبريت مستحجر، إذا طلعت الشمس اشتعل ناراً. وسمعت من أهل تلك الناحية أن النمل إذا أكثر من جميع الحب على هذا الجبل استشعر الناس بعده بجدب وقحط؛ وأنه متى دامت عليهم الأمطار والأنداء وتضرروا بذلك صبوا لبن الماعز على النار فتنقطع الأمطار والأنداء في الحال والحين، وجربته مراراً فوجدته صحيحاً كما قيل، وأما ذروة هذا الجبل فمتى انكشف من الثلج وقعت في تلك الأرض فتنة عظيمة على ممر الأيام لا تنخرم أبداً بل تكون الفتنة في الجهة المنكشفة دون غيرها.

قال محمد بن إبراهيم الضراب: عرف والدي معدن الكبريت الأحمر فاتخذ مغارف طوالاً من حديد فأدخلها فيه فذابت ولم يحصل على قصده. وقال له أهل تلك الناحية: هذا المكان لا يدخل فيه حديد إلا ذاب في وقته.وذكروا أن رجلاً جاءهم من خراسان ومعه مغارف طوال من حديد ولها سواعد قد طلاها بأدوية حكمية، فأخرج بها من الكبريت الأحمر شيئاً كثيراً لبعض ملوك خراسان.

وذكر محمد بن إبراهيم أن الأمير موسىٰ بن خضر كان والياً علىٰ الري إذ ورد عليه كتاب من **المأمون بن الرشيد** يأمره بالشخوص إلىٰ هذا الجبل وتعرف حال المحبوس به. قال: فوافينا حضيض الجبل وأقمنا به أياماً لا نرىٰ الاهتداء لصعوده، حتىٰ أتانا شيخ مسن طاعن وهو ذو همة عالية، فسألنا، فعرفناه أمر الخليفة فقال: أما هذا فلا سبيل إليه أصلاً، وإن أردتم صحة ذلك أريتكم عياناً ! فاستحسن الأمير موسىٰ كلامه وقال: هو القصد

فعند ذلك صعد الشيخ بين أيدينا ونحن في الأثر فأوقفنا علىٰ موضع فبالغنا في حفره حتىٰ انكشف لنا عن بيت منقور من الحجارة وفيه تمثال شخص علىٰ صورة عجيبة، يضرب بمطرقة علىٰ أعلاه ساعة بعد ساعة من غير فتور، فاستخبرنا الشيخ عن شأنه، فقال: هذا طلسم موضوع علىٰ بيوراسف الضحاك المحبوس ههنا لئلا ينحل من وثاقه؛ ثم أمرنا أن لا نتعرض للطلسم وأن نرده إلىٰ ما كان عليه ففعلنا؛ ثم دعا بسلاسل وسلالم طوال فربط بعضها إلىٰ بعض بالحبال وكلبها من أسافلها وأوساطها وأوقفها فارتفعت مقدار مائة ذراع ونقب موضعاً علىٰ رأس السلالم فظهر باب من حديد عليه مسامير كبار جداً مذهبة الرؤوس، فوصلنا إلىٰ عتبة فوجدنا علىٰ الأسكفة كتابة بالفارسية كأنها كتبت الآن بالذهب مدهونة بأدهان التأبيد تنطق الكتابة عن كلام معناه أن علىٰ هذه القلة سبعة أبواب من حديد، علىٰ كل مصراع منها أربعة أقفال من حديد؛ وعلىٰ العضادة مكتوب: هذا سجن لهذا الحيوان المفسد وله أمد ينتهي إلىٰ غاية فلا يتعرض أحد إلىٰ هذه الأقفال بمكروه، فإنه متىٰ فتح أقفالها ولو قفلاً واحداً هجم علىٰ هذه البلاد آفة لا تندفع أبداً.

فقال الأمير موسى: لا أتعرض لشيء حتىٰ أستأذن أمير المؤمنين فجاء الجواب برد البيت إلىٰ ما كان وترك ذلك علىٰ حاله.

جبل الربوة: وهو على فرسخ من دمشق. ذكر بعض المفسرين أنها المراد بقوله تعالى: «وآويناهما إلى رَبْوةٍ ذاتِ قرارٍ ومَعين» وهو جبل عال على قلته مسجد حسن بين بساتين وأشجار ورياض ورياحين من جميع جوانبه؛ وله شبابيك تطل على ذلك كله. ولما أرادوا إجراء نهر ثور وقع هذا الجبل في طريقه معترضاً فنقبوه من تحته وأجروا الماء من النقب. وعلى رأسه نهر يزيد وهو ينزل من أعلاه إلى أسفله؛ وفي هذا الجبل كهف صغير زعموا أن عيسى بن مريم عليهما السلام ولد فيه. قال القزويني: رأيت في هذا المسجد في بيت صغير حجراً كبيراً حجمه كحجم الصندوق ذا ألوان مختلفة عجيبة وقد انشق نصفين كالرمانة المنشقة وبين الشقين من أعلاه فتح ذراع، وأسفله ملتئم لم ينفصل شق عن الآخر. ولأهل دمشق في هذا الجبل أقاويل كثيرة أضربنا عنها.

جبل رضوى(٣٩٣): قال عرامة بن الأصبع: هو من المدينة على نحو سبع مراحل، وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية، وهو أخضر يرى من البعد، وبه أشجار وثمار ومياه كثيرة؛ وتزعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية رضي الله عنه حي وأنه مقيم به بين أسد ونمر يحفظانه، وعنده عينان نضاختان ماء وعسلاً، وأنه سيعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً؛ وكان السيد الحميري على هذا المذهب وهو القائل:

ألا قـل للـرّضيّ فـدتك نفسـي ... أطلـت بـذلك الجبـل المقامـا

---

(٣٩٣) جبل رضوى: بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة. وهو جبل ضخم شامخ يضرب إلى الحمرة، يقع على الضفة اليمنى لوادي ينبع، ثم يشرف على الساحل ليس بينه وبين البحر شيء من الأعلام، وإذا كنت في مدينة ينبع البحر رأيت رضوى رأي العين شمالا شرقيا، سكانه جهينة، وله أودية كثيرة، يصب معظمها في وادي ينبع.

ومن رضوى يقطع حجر المسن ويحمل إلى جميع البلاد.جبل الرقيم: وهو المذكور في القرآن. قيل هو اسم القرية التي كان فيها أصحاب الكهف؛ وقيل: اسم الجبل، وهو بالروم بين أرقية ونبقية.

حكى عبادة بن الصامت(٣٩٤) رضي الله عنه قال: أرسلني أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى ملك الروم رسولاً لأدعوه إلى الإسلام؛ فسرت حتى دخلت بلاد الروم فلاح لنا جبل يعرف بأهل الكهف، فوصلنا إلى دير فيه وسألنا أهل الدير عنهم فأوقفونا على سرب في الجبل. فوهبنا لهم شيئاً وقلنا: نريد أن ننظر إليهم. فدخلوا ودخلنا معهم، وكان عليه باب من حديد فانتهينا إلى بيت عظيم محفور في الجبل، فيه ثلاثة عشر رجلاً مضطجعين على ظهورهم كأنهم رقود، وعلى كل واحد منهم جبة غبراء وكساء أغبر قد غطوا بهما من رؤوسهم إلى أقدامهم، فلم ندر ما ثيابهم أمن صوف أم من وبر، إلا أنها كانت أصلب من الديباج، فلمسناها فإذا هي تتقعقع من الصفاقة، وعلى أرجلهم الخفاف إلى أنصاف سوقهم منتعلين بنعال مخصوفة، وفي خفافهم ونعالهم من جودة الخرز ولين الجلود ما لم ير مثله.

قال: فكشفنا عن وجوههم رجلاً رجلاً فإذا هم في وضاءة الوجوه وصفاء الألوان وحسن التخطيط، وهم كالأحياء، وبعضهم في نضارة الشباب، وبعضهم أشيب، وبعضهم قد وخطه الشيب، وبعضهم شعورهم مضفورة، وبعضهم شعورهم مضمومة، وهم على زي المسلمين. فانتهينا إلى آخرهم فإذا فيهم واحد

---

(٣٩٤) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرجي الأنصاري. شهد بيعة العقبة الأولى وهو أحد الخمسة الأول من الأنصار الذين شاركوا في جمع القرآن في عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، اشتهر بأنه لا يخاف في الحق لومة لائم، فقد خالف معاوية في عهد الخليفة عثمان بن عفان عندما ذهب إلى الشام يثقف أهلها. توفى سنة أربع وثلاثين للهجرة وهو ابن اثنان و سبعين عاما ودفن بالرملة.

مضروب على وجهه بسيف كأنما ضرب في يومه، فسألنا عن حالهم وما يعلمون من أمرهم، فذكروا أنهم يدخلون عليهم في كل عام يوماً، وتجتمع أهل تلك الناحية على الباب فيدخل عليهم من ينفض التراب عن وجوههم وأكسيتهم ويقلم أظفارهم ويقص شواربهم ويتركهم على هيئتهم هذه.

قلنا لهم: هل تعرفون من هم؟ وكم مدة لهم ههنا؟ فذكروا أنهم يجدون في كتبهم وتواريخهم أنهم كانوا أنبياء بعثوا إلى هذه البلاد في زمان واحد قبل المسيح بأربعمائة سنة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أصحاب الكهف سبعة وهم مكسلمينا، كمليخا، مرطونس، يمبنونس، نارينونس، ذو أنوانس، كسيططيونس، وكلبهم قطمير.

جبل تانك: قال صاحب تحفة الغرائب: جبل بأرض تانك، وهم طائفة من الترك ببلاد تركستان ليس لهم زرع ولا ضرع، وفي جبالهم ذهب كثير وفضة كثيرة؛ وربما يقع لهم كل قطعة كرأس الشاة من الذهب والفضة فمن أخذ القطع الكبار مات في الحال واليوم، ومن أخذ من القطع الصغار انتفع بها من غير ضرر يمسه، ومن ذهب بقطعة كبيرة إلى بيته مات هو وأهل بيته إلا أن يرجع بها من أثناء الطريق، وإذا أخذ الغريب من انقطع الكبار فلا بأس عليه ولا سوء.

جبل ساوة: وهو على مرحلة منها وهو شامخ جداً، فيه غار شبه إيوان يسع سبعة آلاف نفس، وفي آخر الغار قد برز في صدر حائطه أربعة أحجار متشرقة شبه ثدي المرأة يتقاطر الماء من ثلاثة منها والرابع يابس لا يقطر منه شيء، يزعم أهل تلك الأرض أن كافراً مصه فيبس، وتحته حوض يجتمع الماء فيه وهو ماء طيب لا يتغير بطول مكثه. وعلى باب الغار نقب ذو بابين يدخل الناس من أحدهما ويخرجون من الآخر، يزعمون أنه من لم يكن ولد حلال لا يقدر على الخروج منه. قال القزويني:

رأيت رجلاً دخله وما خرج حتى عاين الهلاك. جبل سيلان: بقرب مدينة أردبيل من أذربيجان، وهو من أعلى جبال الدنيا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ «**فسبحان الله حين تُمسون وحين تُصبحون**»(٣٩٥) إلى «**وكذلك تُخرَجون**»(٣٩٦) كتب الله له من الحسنات بعدد كل ورقة ثلج تقع على جبل سيلان. قيل: وما سيلان يا رسول الله؟ قال: جبل بأرمينية وأذربيجان، عليه عين من عيون الجنة وفيه قبر من قبور الأنبياء.

قال أبو حامد الأندلسي: على رأس هذا الجبل عين عظيمة مع غاية ارتفاعه، ماؤها أبرد من الثلج وكأنها شيب بالعسل لشدة عذوبته. وبجوف الجبل ماء يخرج من عين، يصلق البيض لحرارته، يقصدها الناس لمصالحهم. وبحضيض هذا الجبل شجر كثير ومراع وشيء من حشيش لا يتناوله إنسان ولا حيوان إلا مات لساعته.

قال القزويني: ولقد رأيت الجبل والدواب ترعى في هذا المكان فإذا قربت من هذا الحشيش نفرت وولت منهزمة كالمطرودة. قال: وفي سفح هذا الجبل بلدة اجتمعت بقاضيها، واسمه أبو الفرج عبد الرحمن الأردبيلي، وسألته عن حال تلك الحشيشة، فقال: الجن تحميها. وذكر أيضاً أنه بنى في قرية مسجداً فاحتاج إلى قواعد كبار حجرية لأجل العمد، فأصبح فوجد على باب المسجد قواعد منحوتة من الصخر محكمة الصنعة كأحسن ما يكون.

جبل السماق: وهو بأعمال حلب، يشتمل على مدن وقرى وقلاع وحصون، وأكثرها للاسماعيلية والدرزية وهو منبت السماق، وهو مكان طيب كثير الخيرات.

---

(٣٩٥) سورة الروم: آية ١٧.

(٣٩٦) سورة الروم: آية ١٩.

جبل السم: قال الجهاني: إن أهل الصين نصبوا قنطرة من رأس جبل إلى جبل آخر في طريق آخذة إلى تبت، من جاز على القنطرة يؤخذ بأنفاسه ويلهب قلبه ويثقل لسانه، ويموت في الغالب من المارين جماعة مستكثرة. وأهل التبت يسمونه جبل السم.

جبل الشب: بأرض اليمن، على قلته ماء يجري من جانب إلى جانب وينعقد شباً، والشب اليماني من ذلك.

جبل الصور: قال صاحب تحفة الغرائب: بأرض كرمان جبل، من أخذ منه حجراً وكسره يرى في وسطه صورة إنسان قائم أو قاعد أو مضطجع؛ وإن صحقت الحجر ناعماً وحللته في الماء وتركته حتى يرسب ترى في الراسب منه ما رأيته في الحجر من الصورة وهيئتها. وهذا من أعجب العجب.

جبل الصفا: هو ببطحاء(٣٩٧) مكة، والواقف على الصفا يرى الحجر الأسود قبالته والمروة تقابله: يقال: عن الصفا اسم رجل والمروة اسم امرأة، زنيا في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين، فوضع كل واحد على الجبل المسمى باسمه لاعتبار الناس. وجاء في الحديث: إن الدابة التي من أشراط الساعة. تخرج من الصفا. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يضرب بعصاه حجر الصفا ويقول: إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه.

جبل صقلية: هو في وسط بحر الروم، وهو بحر المغرب، أعلاه مسيرة ثلاثة أيام، فيه أشجار كثيرة من البندق والصنوبر والأرز. وفي أعلاه منافس كثيرة يخرج منها الدخان والنار؛ وربما سالت النار فأحرقت جميع ما مرت عليه وتجعله مثل

---

(٣٩٧) والبطحاء: اسم يطلق على كل واد شقه السيل فجعل أرضه كالرمل.

خبث الحديد. وعلى قمة هذا الجبل السحاب والثلوج صيفاً وشتاء لا تفارقه؛ وزعم أهل الروم أن الحكماء كانوا يدخلون إلى هذه الجزيرة ليروا عجائبها وكيف اجتماع الضدين الثلج والنار؛ وفيها معدن الذهب وتسميه أهل الروم جزيرة الذهب.

جبل الطاهرة: هو بأرض مصر، قال صاحب تحفة الغرائب: بهذا الجبل كنيسة فيها حوض يجري فيه من الجبل ماء عذب يجتمع في ذلك الحوض، فإذا امتلأ من جميع جانبه ترده الناس؛ فإذا ورد الحوض جنب أو امرأة حائض وقف الماء وانقطع جريانه ولا يجري حتى ينزح ما فيه من الماء ويغسل الحوض غسلاً بالغاً فيجري بعد ذلك.

جبل طبرستان: قال صاحب تحفة الغرائب: بهذا الجبل ضرب من الحشيش يسمى جوز مائل، من قطعه وهو ضاحك غلب عليه الضحك في عمره، ومن قطعه باكياً غلب عليه البكاء؛ ومن قطعه راقصاً غلب عليه الرقص؛ وكذلك على أي صفة كان، فمن قطعه استمر على تلك الصفة.

جبل طور سيناء: هو بين الشام ومدين. قيل: إنه بالقرب من أيلة، وهو المكلم عليه موسى عليه السلام. كان إذا جاء موسى عليه السلام للمناجاة ينزل غمام فيدخل في الغمام ويكلم ذا الجلال والإكرام؛ وهو الجبل الذي دك عند التجلي. وهناك خر موسى صعقاً؛ وهذا الجبل إذا كسرت حجارته يخرج من وسطها صورة شجرة العوسج على الدوام، وتعظم اليهود شجرة العوسج لهذا المعنى، ويقال لشجرة العوسج شجرة اليهود.

جبل طور هرون: وهو جبل مشرف على بيت المقدس وإنما سمي جبل طور هرون لأن موسى عليه السلام بعد أن عبدت بنو إسرائيل العجل أراد المضي إلى

مناجاة الرب العلي: فقال له هارون: احملني معك فإني لست بآمن أن تحدث بنو إسرائيل أمراً بعدك. فغضب موسىٰ وحمله. فلما كان ببعض الطريق إذ هما برجلين يحفران قبراً فوقفا عليهما وقالا: لمن القبر؟ قالا: لرجل في طول هذا وهيئته، وأشارا إلىٰ هارون وقالا له: بحق إلهك إلا ما نزلت لتعرف القياس. فنزع هارون أثوابه ونزل القبر واضطجع فيه فقبضه الله في الحال، وانطبق القبر علىٰ هارون. فانصرف موسىٰ بثيابه حزيناً باكياً. فلما صار إلىٰ بني إسرائيل اتهموه بقتل أخيه، فدعا موسىٰ ربه حتىٰ أراهم هارون في تابوت في الجو علىٰ رأس ذلك الجبل.

جبل فرغانة: قال صاحب تحفة الغرائب: ينبت بهذا الجبل ضرب من النبات علىٰ صور الآدميين، منها ما هو علىٰ صورة الرجل، ومنها ما هو علىٰ صورة المرأة. وتوجد هذه الصور مع بعض الطرقيين يتكلمون عليها ويقولون إنها تزيد في المحبة والقبول، وأكلها يزيد في الباه ولا تقلع حتىٰ يربط فيها حبل طويل ويربط طرفه في رقبة كلب، ثم ينفر الكلب فيقطع الصورة من أصلها وتقع صيحة علىٰ الكلب فيموت في الحال.

جبل قاسيون: هو جبل مشرف علىٰ دمشق، فيه آثار الأنبياء، وهو معظم من الجبال. وفيه مغارات وكهوف ومعابد للصالحين. وفيه مغار يعرف بمغارة الدم يقال إن قابيل قتل هابيل هناك، وهناك حجر يزعمون أنه الحجر الذي فلق به هامته. وفيه مغارة أخرىٰ يسمونها مغارة الجوع، يقال إن أربعين نبياً ماتوا بها من الجوع.

جبل الهند: قال صاحب تحفة الغرائب: بأرض الهند جبل عليه صورة أسدين والماء يجري من أفواههما فيروي قريتين. فوقع بين أهل القريتين خصومة علىٰ الماء، فقال أهل إحدىٰ القريتين: نوسع فم الأسد الذي يصب إلىٰ أرضنا حتىٰ يكثر الماء

علىٰ أراضينا؛ فكسروا فم الأسد فانقطع الماء أصلاً من ذلك الأسد وخربت تلك القرية وارتحل أهلها، والأسد الآخر علىٰ حاله، والقرية الأخرىٰ عامرة

جبل تلاسيم: قرية من قرىٰ قزوين.

قال القزويني: حدثني من صعد علىٰ هذا الجبل قال: عليه صور كل حيوان من الحيوانات علىٰ اختلاف أجناسها، وصور الآدميين علىٰ أنواع أشكالها عدد لا يحصىٰ وقد مسخوا حجارة، وفيها الراعي متكئ علىٰ عصاه والماشية حوله كلها حجارة، والمرأة تحلب بقرة وقد تحجرتا والرجل يجامع امرأته وقد تحجرا، والمرأة ترضع ولدها وهلم جراً، هكذا. وهذا آخر الكلام علىٰ الجبال وعجائبها

* * *

فصل في
ذكر الأحجار وخواصها ومعرفة منافعها

الحجر الأبيض: إذا حككته على حجر صلب وخرج محكه أبيض فلا يعبأ به، وإذا كان محكه أصفر فمن حمله وتكلم بها شاء وأخبر بما شاء وقع الأمر كما تكلم وأخبر، وإن خرج محكه أحمر فحمله فكل شيء يقوم فيه يصعد معه، وإن خرج المحك أغبر فكل من استعان بحامله أعين به، وإن خرج أخضر وعلق في بستان أو زرع أو كرم أو نخل أمن من الآفات، وإن خرج مسوداً ينفع من السموم القاتلة حكاً وشرباً.

الحجر الأحمر: إذا حك وخرج محكه مبيضاً نجحت أمور حامله، وإن خرج مسوداً فأي شيء حدث حامله به نفسه قدر عليه، وإن خرج محكه مغبراً أو مصفراً، فمن حمله أحبه الناس، وإن خرج المحك مخضراً فكل من حمله لم يؤثر فيه السلاح.

الحجر البنفسجي: إذا حك فخرج محكه مبيضاً فكل من حمله زال عنه الهم، والغم والحزن، وإن خرج مسوداً فكل من حمله لم تنجح مقاصده، وإن خرج مصفراً فكل من حمله أتاه كل شيء وصعد معه، وإن رمي في بئر أو عين قل ماؤها فإن خرج محمراً يرئ حامله كل خير، وإن خرج مخضراً يزكو زرع حامله وتنمو غنمه، وإن خرج مغبراً فكل من اكتحل به على اسم أحد أحبه، رجلاً كان أو امرأة.

الحجر الأخضر: إذا حك وخرج محكه مبيضاً، فمن حمله درت عليه الخيرات والبركات، وإن خرج مسوداً فكذلك، وإن خرج مصفراً فكل دواء يصفه لعليل أو مريض ينفعه ويشفى، وإن خرج محمراً فحامله لا يزال ترد عليه الصلات والعطايا من الأكابر، وإن خرج مغبراً فحامله متى وضع يده على رأس مريض وذكر شيئاً من أسماء الله تعالى شفاه الله وقام من مرضه بإذن الله تعالى.

الحجر الأسود: إذا حك وخرج محكه مبيضاً نفع من جميع السموم القاتلة حكاً وشرباً، وإن خرج المحك مسوداً فكل من حمله زاد عقله وحسن رأيه وقضيت حوائجه عند الملوك والسلاطين، وإن خرج مخضراً لم يؤثر في حامله سم أصلاً. الحجر الأغبر: إذا حك وخرج محكه مبيضاً فسحق كالكحل واكتحل به انسان على اسم رجل أو امرأة وقعت محبة المكتحل في قلب من سماه وأحبه حباً زائداً، وإن خرج مخضراً أو مسوداً واكتحل به أكرمه كل من رآه. وإن اكتحلت به النساء أحبهن أزواجهن. وإن خرج مصفراً أو محمراً وحمله انسان أفلح حيث توجه.

الحجر الأصفر: إذا خرج محكه مبيضاً حصل لحامله من الخلق كل ما يروم. وإن خرج مخضراً فإن حامله لا يغلب في الكلام والخصومة. وإن خرج مسوداً فمن حمله وذكر اسم شخص يراه لا يزال يتبعه حيث شاء حتى لا يكاد ينقطع عنه. حجر السامور: هو الذي يقطع به جميع الأحجار بالسهولة، قيل إن سليمان بن داود عليهما السلام لما شرع في بناء بيت المقدس استعمل الجن في قطع الصخر، فشكا الناس إليه من صداع سماع قطع الصخور وشدة جلبتها، فقال سليمان للجن: أتعرفون شيئاً يقطع الصخر من غير صوت ولا جلبة. فقال بعضهم: نعم يا نبي الله، أنا أعرفه، وهو حجر يسمى السامور ولكن لا أعرف مكانه. فقال: احتالوا في تعرفه.

فاستدعى آصف بن برخيا(٣٩٨) وزيره وأمره بإحضار عش عقاب وبيضه على حاله من غير أن يخربوا منه شيئاً. فجيء به فجعله في جام كبير غليظ من زجاج وأمر برده إلى مكانه من غير تغيير. فأعيد. فجاء العقاب ورأى ذلك فضرب الجام برجله ليرفعه فلم يقدر، فاجتهد فما أفاد، فعاد وجاء في اليوم الثاني بحجر في رجله وألقاه عليه فقسم الجام الزجاج نصفين. فأمر سليمان بإحضاره فحضر. فقال له: من أين لك هذا الحجر الذي ألقيته في عشك؟ فقال: يا نبي الله من جبل بالمغرب يقال له السامور. فبعث بالجن مع العقاب إلى ذلك الجبل فأحضروا له من حجر السامور كالجبال. فكانوا يقطعون به الحجارة من غير صوت ولا صداع. وأسكت الناس.

حجر حامي: هو حجر شديد الحمرة منقط بنقط سود صغار يوجد ببلاد الهند من أزال عنه تلك النقط وسحقه وألقاه على الفضة صارت ذهباً خالصاً.

حجر الخطاف: يوجد في عش الخطاف حجران، أحدهما أحمر والآخر أبيض، فالأبيض يبرئ حامله من الصرع، والأحمر يقوي القلب ويذهب الجزع والخوف والفزع من حامله.

حجر الرحى: يؤخذ من حجر الرحى السفلاني قطعة وتعلق على المرأة التي تسقط الأولاد فلا تسقط بعد ذلك.

---

(٣٩٨) قصة آصف بن برخيا لم يرد فيها حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيما نعلم، وإنما ورد فيها كلاماً لابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه النسائي في السنن الكبرى أنه قال: كان آصف كاتب سليمان بن داود عليه السلام، وكان يعلم الاسم الأعظم، وكان يكتب كل شيء يأمر به سليمان عليه السلام ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطر من سحر، وكذب، وكفر، فقالوا: هذا الذي كان يعمل سليمان بها، فأكفره جهال الناس وسفهاؤهم وسبوه، ووقف علماؤهم فلم يزل جهالهم يسبونه حتى أنزل الله عز وجل :وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا.

حجر الصنونو: هو حجر يوجد في عش الصنونو تنفع حكاكته من اليرقان. والحيلة في تحصيله أن يعمد الإنسان إلى فراخ الصنونو فيلطخها بالزعفران المذاب بالماء ويدعها؛ فإذا رأتهم الأم تظن أن بهم يرقاناً فتغيب وتأتي بهذا الحجر وتضعه عندهم فيأخذه الطالب له.

حجر القيء: وهو حجر بأرض مصر، إذا أمسكه الإنسان غلب غليه الغثيان حتى يلقي ما ببطنه، فإن لم يرمه هلك من القيء.

حجر المطر: هو حجر يوجد ببلاد الترك، إذا وضع في الماء غيمت الدنيا ووقع المطر والثلج والبرد إلى أن يرفع من الماء، قال القزويني: رأيت من شاهد هذا وأخبرني به.

حجر الحية: وهو حجر يوجد في رأسها في حجم بندقة صغيرة؛ وحجرها ينفع الملدوغ تعليقاً ويقطع نزف الدم وعسر البول ويقوي الفكر. وإن علق في رقبة المصروع زال عنه الصرع.

حجر السبج: وهو حجر أسود شديد الرخاوة يجلب من الهند شديد البريق ينكسر سريعاً. إذا ضعف بصر الإنسان يديم النظر إليه فينفعه؛ وإن حمله منع عنه العين السوء، ويجلو البصر اكتحالاً؛ وإذا جعل على الرأس أزال الصداع.

حجر السنباذج[٣٩٩]: يجلو الأسنان ويدمل القروح.

---

(٣٩٩) السنباذج: كلمة عن الفارسية سنباده، وهو حجر صلب صلب يوجد على هيئة حب أو رمل خشن، ويستعمل في صناعة الأحجار الكريمة، لحك أغلب الأحجار وجليها (الجماهر ص ١٠٣).

حجر الماس[٤٠٠]: هو حجر في لون النوشادر الصافي لا يلصق بشيء من الأحجار، وإذا وضع على السندان وضرب عليه بالمطرقة غاص فيهما أو في أحدهما ولم ينكسر. وإذا ضرب بالأسرب[٤٠١] تكسر، ولو تكسر ألف قطعة لا تكون مقطعاته إلا مثلثة، يضعون منها قطعة في طرف المثقب ويثقبون به الأحجار الصلبة والجواهر، وإن ألقي في دم تيس وقرب من النار ذاب لوقته، وهو سم قاتل.

حجر الجزع[٤٠٢]: هو حجر صلب له ألوان كثيرة. فمن حمله أورثه الهم والغم والحزن وأراه أحلاماً رديئة ويعسر عليه قضاء الحوائج. وإن علق على صبي كثر بكاؤه وفزعه وسال لعابه وعظم نكده، ومن سقي منه مسحوقاً قل نومه وثقل لسانه، وإن وضع بين جماعة حصلت بينهم فتنة وخصومة وعداوة، وليس فيه منفعة إلا أنه يسهل الولادة على الحامل.

حجر البحر: وهو حجر أسود خفيف خشن، من استصحبه في ركوب البحر أمن من الغرق، وإن وضع في قدر لم تغل أبداً.

حجر الدجاجة: وهو يوجد في قوانص الدجاج، إذا وضع على مصروع أبرأه. وإن حمله انسان فإنه يزيد في قوة باهه، ويدفع عن حامله عين السوء، ويوضع تحت

---

(٤٠٠) الألماس : كلمة غير عربية، وإنما عربت عن اليونانية (أدا ماس ADAMAS) أي المنيع الذي لا ينكسر (كوركيس عواد : رسالة في الأحجار الكريمة لأبيفانيوس، مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٧، ص ١١٤).

(٤٠١) الأسرب : معرب من الفارسية أسرفا، وهو الرصاص الأسود، أو هو الرصاص مطلقاً أنظر : (القانون في الطب لابن سينا (١ / ٤٣٢).

(٤٠٢) الجزع : بفتح أوله، كلمة عربية مشتقة من الفعل جزع، بمعنى قطع، ووصفه الجوهريون بأنه حجر مشطب، فيه كالعيون بين بياض وصفرة وحمرة وسواد، وغالب ما يستطيل وأنه ليس في الحجارة أصلب منه جسماً (التيفاشي، الورقة ٦٦، وتذكرة الأنطاكي ١ / ١٠٦).

رأس الصبي فلا يفزع في نومه. **حجر البهت:** وهو أبيض شفاف يتلألأ حسناً، وهو مغناطيس الإنسان، إذا رآه الإنسان غلب عليه الضحك والسرور، وتقضىٰ حوائج حامله عند كل أحد.

حجر المغناطيس: أجوده ما كان أسود مشرباً بحمرة، ويوجد بساحل بحر الهند والترك، وأي مركب دخل هذين البحرين فمهما كان فيه من الحديد طار منه مثل الطير حتىٰ يلصق بالجبل، ولهذا لا يستعمل في مراكب هذين البحرين شيء من الحديد أصلاً. وإذا أصاب هذا الحجر رائحة الثوم بطل فعله، فإذا غُسل بالخل عاد إلىٰ فعله، فإذا علق هذا الحجر علىٰ أحد به وجع نفعه، خصوصاً من به وجع المفاصل ووجع النقرس ويزيد في الذهن. ويعلق علىٰ الحامل فتضع في الحال. وقد قيل فيه:

قلبي العليل وأنت جالينوسه	فعسى بوصلٍ أن يزول رسيسه
يشتاق القلب العليل كأنه	إبر الحديد وأنت مغناطيسه

وقد قيل في المعنىٰ دوبيت:

من آدم في الكون ومن إبليس؟	ما عرش سليمان وما بلقيس؟
الكل إشارة وأنت المعنىٰ	يا من هو للقلوب مغناطيس

الياقوت[٤٠٣]: هو حجر صلب شديد اليبس رزين صاف، منه أحمر[٤٠٤] وأبيض[٤٠٥] وأصفر[٤٠٦] وأخضر. وهو حجر لا تعمل فيه النار لقلة دهنيته، ولا يثقب لغلظ رطوبته، ولا تعمل فيه المبارد لصلابته، بل يزداد حسناً على مر الليالي والأيام، وهو عزيز قليل الوجود سيما الأحمر وبعده الأصفر. على أن الأصفر أصبر على النار من سائر أصنافه، وأما الأخضر منه فلا صبر له أصلاً. ومن تختم بهذه الأصناف أمن من الطاعون وإن عم الناس، ومن حمل شيئاً منها أو تختم به كان معظماً عند الناس، وجيهاً عند الملوك.

---

(٤٠٣) الياقوت : كلمة غير عربية، اختلف في أصلها، فذهب حمزة بن الحسن الأصفهاني الى أنها معرب " ياكند " الفارسية (الجماهر ٣٣ "، بينما رأى آخرون أنها معربة عن الهندية (.Enc.Br.Vol.٦,P.٤٧٨.

(٤٠٤) الياقوت الأحمر : نوع من أوكسيد الألومونيوم المتبلور Al٢O٣، وهو أنفس الأحجار المعروفة بالياقوت وأغلاها (الجماهر، ٣٣، ونخب الذخائر، ٢).

(٤٠٥) ذكر التيفاشي أن الياقوت الأبيض نوعان : المهوي نسبة الى المها أي البللور، والذكر وهو أثقل من المهوي وأقل لاشعاعاً وأصلب حجراً، وهو أرخص أنواع اليواقيت (أزهار الأفكار، الورقة ١٩).

(٤٠٦) يذكر ابن الأكفاني أن الياقوت الأصفر يتألف من أنواع عدة، فأعلاه ما قارب الجلناري (زهر الرمان) وبعده المشمشي، وبعده الأترجي (نوع من الليمون) (أنظر : نخب الذخائر ص ١٠، وقطف الأزهار، ورقة ٩٢ — ٩٤).

الدر واللؤلؤ[٤٠٧]: يتكون في بحر الهند وفارس. وزعم البحريون أن الصدف[٤٠٨] الدري[٤٠٩] لا يكون إلا في بحر تصب فيه الأنهار العذبة، فإذا أتى الربيع كثر هبوب الريح في البحر وارتفعت الأمواج واضطرب البحر. فإذا كان الثامن عشر من نيسان[٤١٠] خرجت الأصداف من قعور هذه البحار ولها أصوات وقعقعة، وبوسط كل صدفة دويبة صغيرة، وصفحتا الصدفة لها كالجناحين وكالسور تتحصن به من عدو مسلط عليها وهو سرطان البحر، فربما تفتح أجنحتها لشم الهواء فيدخل السرطان مقصه بينهما ويأكلها، وربما يتحيل السرطان في أكلها بحيلة دقيقة وهو أن يحمل في مقصه حجراً مدوراً كبندقة الطين، ويراقب دابة الصدف حتى تشق عن جناحيها فيلقي السرطان الحجر بين صفحتي الصدفة فلا تنطبق فيأكلها، ففي اليوم الثامن عشر من نيسان لا تبقى صدفة في قعور البحر المعروفة بالدر واللؤلؤ إلا صارت على وجه الماء وتفتحت، حتى يصير وجه البحر أبيض كاللؤلؤ، وتأتي سحابة بمطر عظيم ثم تنقشع السحابة وقد وقع في جوف كل صدفة ما قدر الله من القطر، إما قطرة واحدة وإما اثنتان وإما ثلاثة، وهلم جراً إلى

---

(٤٠٧) اللؤلؤ Perles : اللؤلؤ عبارة عن افراز صلب كروي يتشكل داخل صدفة بعض أنواع الرخويات والمحار وتستخدم كحجر كريم. تفرز تلك المادة من خلايا الظهارية (في الطية أو في فص أو فصان في الجدار المبطن للمحارة في الرخويات) وهو نسيج ستائري بين الصدفة والجسم، ويفرز في طبقات متتابعة حول جسم مزعج عادة ما تكون طفيليات في حالة اللآلئ الطبيعية يعلق في النسيج الناعم للمحار. اللؤلؤة تبنى من طبقات من الأرجونيت أو الكالسيت (كربونات الكاليسوم المتبلورة) وتمسك الطبقات ببعضها البعض بمادة كونكيولين (مادة عضوية قرنية قشرية صلبة) وتركيبها مشابه لتركيب عرق اللؤلؤ الذي يشكل الطبقة الداخلية لصدفة المحار

(٤٠٨) الصدف : غِشاءُ الدُّرّ

(٤٠٩) الدري : المضيء

(٤١٠) نيسان من الشهور السريانية ويقابلها بالميلادية شهر (ابريل).

المائة والمائتين وفوق ذلك. ثم تنطبق الأصداف وتلتحم وتموت الدابة التي كانت في جوف الصدفة في الحال وترسب الأصداف إلى قرار البحر وتلصق به وينبت لها عروق كالشجرة في قرار البحر حتى لا يحركها الماء فيفسد ما في بطنها، وتلتحم صفحتا الصدفة التحاماً بالغاً حتى لا يدخل إلى الدر ماء البحر فيصفره.

وأفضل الدر المتكون في هذه الأصداف القطرة الواحدة ثم الاثنتان ثم الثلاثة، وكلما كثر العدد كان أصغر جسماً وأخس قيمة، وكلما قل العدد كان أكبر جسماً وأعظم قيمة. والمتكون من قطرة واحدة هي الدرة اليتيمة التي لا قيمة لها والأخريان بعدها، فالصدفة تنقلب إلى ثلاثة أطوار، في الأول طور الحيوانية فإذا وقع القطر فيها وماتت الدويبة صار في طور الحجرية. ولذلك غاصت إلى القرار وهذا طبع الحجر وهو الطور الثاني. وفي الطور الثالث وهو الطور النباتي تشرش في قرار البحر وتمتد عروقاً كالشجرة، ذلك تقدير العزيز العليم. ولمدة حمله وانعقاده وقت معلوم وموسم يجتمع فيه الغواصون لاستخراج ذلك. هذا في البحر.

وأما في البر ففي الثامن عشر من نيسان في كل عام تخرج فراخ الحيات التي ولدت في تلك السنة وتسير من بطن الأرض إلى وجهها وتفتح أفواهها كالأصداف في البحر نحو السماء كما فتحت الأصداف جوفها فما نزل من قطر السماء في فمها أطبقت فمها عليها ودخلت في جوف الأرض، فإذا تم حمل الصدف في البحر لؤلؤاً ودراً صار ما دخل في فم فراخ الحيات داء وسماً. فالماء واحد والأوعية مختلفة، والقدرة صالحة لكل شيء. وقيل في هذا المعنى:

أرى الإحسان عند الحر ديناً ... وعند النذل منقصة وذما
كقطر الماء: في الأصداف درّ ... وفي جوف الأفاعي صار سمّا

البلخش: هو حجر صلب شفاف كالياقوت في جميع أحواله ومنافعه.

الدهنج [٤١١]: هو أخضر كالزبرجد، لين المجس، يتكون في معدن النحاس وهو أنواع كثيرة؛ ومن عجيب أمره أنه يصفو بصفاء الجو ويتكدر بكدورته. ومن عجيب أمره أيضاً أنه إذا سقي الإنسان من محكه فعل فعل السم، وإذا سقي منه شارب السم نفعه، وإذا مسح به موضع اللدغة برأ. ويطلى بحكاكته البرص فيزيله؛ وينفع من خفقان القلب، ويهيج على حامله شهوة الجماع.

الزبرجد [٤١٢]: هو حجر أخضر شفاف يشبه الياقوت الأخضر وليس كقوته ولا فعله ولا قيمته.

الزمرد [٤١٣]: وهو حجر أخضر شفاف يدخل في معالجة أدوية من سقي السم، وفي إكحال بياض العين. وحمله يقطع نزف الدم، ووضعه في الفم يقطع عطش الماء ويبرد حرارة القلب ومنه جنس يقال له الذبابي، خاصيته أن حامله لا يقع عليه

---

(٤١١) الدهنج : هو نوع من الفيروزج (الجماهر، ص ١٩٦)، الدهنج متكون من كاربونات النحاس Cu .Co٣. cu (OH)٢

(٤١٢) الزبرجد: topaz : نوع من أنواع الأحجار الكريمة تركيبته الكيميائية من سيليكات المغنيزيوم و الحديد المزدوجة (Mg, Fe)٢SiO٤ ووجود الحديد بتركيبته يضفي عليه اللون الأخضر. تكونه المعدني قريب من تركيب حجر الزمرد أيعثر عليه في الصخور النارية القاعدية وفي الصخور الجيرية أوقد سميت جميع الأحجار الكريمة سابقا ذات اللون المائل للأخضر بالزبرجد أوقد أخطأ علماء اللغة القدماء إذ أطلقوا تسمية واحدة على حجري الزمرد والزبرجد أووحدهم أهل الفن القدماء الذين فرقوا بين هذين الحجرين. ومن أجمل أرقى أنواع الزبرجد ذي البلورات الكبيرة هو المصري والبرازيلي. الزبرجد النقي عادة شفاف اللون ولكنها عادة تكون ملونة بسبب الشوائب الموجودة فيه، معظم الزبرجد ذو لون مائل للإصفرار وقد يكون ابيض او رمادي او اخضر او ازرق. عند تسخينها غالبا ما يصبح الزبرجد ذات لون اصفر محمر . من أسمائه: ماء البحر أ الزمرد الريحاني أ خرز الثعبان أ الأوليفين أ البريدوت أ الزمرد الأخضر.

(٤١٣) الزمرد : لفظة معربة قديما عن اليونانية، أطلقت أولاً على عدد من الأحجار الصغار فضلاً عن ذوات اللون الأخضر منها ((.Enc.Br.Vol.٨.P٣٩٠.

الذباب. ومنه جنس إذا نظرت إليه الأفاعي سالت أحداقها على خدودها. **حجر الباهت**: هو حجر أبيض شفاف يتلألأ حسناً، وهو مغناطيس الإنسان، إذا أبصره الإنسان غلب عليه الضحك والسرور. ومن أمسكه معه قضيت حوائجه وعقدت عنه الألسن، ويسمى حجر البهت.

حجر الفيروزج(٤١٤) : هو أخضر مشوب بزرقة. يوجد بخراسان وهو كالدهنج يصفو بصفاء الجو ويتكدر بكدرته. ينفع العين اكتحالاً والتختم به ينقص الهيبة إلا أنه يورث الغنى والمال.

وعن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أنه قال: ما افتقرت يد تختمت بالفيروزج.

والمرجان(٤١٥): ينبت في البحر كالشجر وإذا كلس تكليس أهل الصنعة عقد الزئبق، فمنه أبيض ومنه أحمر ومنه أسود، وهو يقوي البصر كحلاً وينشف رطوبته بخاصة ذلك فيه.

---

(٤١٤) الفيروزج : معرب عن الفارسية بيروزه وذكر البيروني أن معنى اسمه فيها النصر، ولذلك دعي بحجر الغلبة، ووصف بأنه حجر أزرق، أصلب من اللازورد (الجماهر ص ١٧٠، ونخب الذخائر ص ٥٥) وهو يتكون من فوسفات الألومونيوم القاعدية ويوجد في الصخور البركانية قرب مدينة نيسابور بخراسان وقد اكتشف مواطن عديده له بعد ذلك.

(٤١٥) المرجان : تكوين من الحجر الحيوي ساعد على تكوينه في البحر بعد الله سبحانه ملايين الحيوانات الدقيقة. ومن الممكن ان تشبه تكوينات المرجان الأشجار المتفرعة والقباب الكبيرة والقشور الصغيرة غير المنتظمة، أو أنابيب الأعضاء الدقيقة وتكون الحيوانات الحية التي تكون المرجان التكوينات بظلال جميلة سمراء مائلة للصفرة، وبرتقالية وصفراء وبنفسجية وخضراء، وفيها تموت الحيوانات تترك هياكل من الحجر الجيري تكون أساسات الحواجز وضلوع في قاع البحر تسمى الشعاب المرجانية..

العقيق(٤١٦): وهو معروف، من تختم به سكن غضبه عند الخصومة وسكن ضحكه عند التعجب. والسواك بنحاتته يجلو وسخ الأسنان ورائحتها الكريهة وينفع من خروج الدم من اللثة، ومحرقه يقوي السن وينفع من الخفقان. وقال صلى الله عليه وسلم: من تختم بالعقيق لم يزل في خير وبركة وسرور.

الكهرباء: هو حجر أصفر مائل إلى الحمرة. ويقال إنه صمغ شجر الجوز الرومي، ينفع حامله من اليرقان والخفقان والأورام ونزف الدم، ويمنع القيء، ويعلق على الحامل فيحفظ جنينها.

البللور: وهو حجر أبيض شفاف أشف من الزجاج وأصلب. وهو متجمع الجسم في موضع بخلاف الزجاج، وهو يصبغ بألوان كثيرة كالياقوت، واستعمال آنيته ينفع لالتهاب القلب. والأغبر إذا علق على من يشتكي وجع الضرس أبرأه الله في الحال.

الزجاج: معروف، وهو يقبل الألوان ويجلو الأسنان، ويجلو بياض العين وينبت الشعر إذا طلي بدهن الزئبق.

اللازورد(٤١٧): وهو حجر أزرق ينفع العين اكتحالاً إذا خلط في الأكحال، ومن الماليخوليا(٤١٨).

---

(٤١٦) العقيق: كلمة عربية مشتقة من الفعل عق، بمعنى شق، وذلك لعقه بعضلا الحجارة أي لشقه إياها، أو لبريق فيه فالعقيقة من البرق هو ما يبقى في السحاب من شعاعه، وبه تشبه السيوف فتسمى عقائق وهو حجر أحمر على شكل خرز (اللسان ٤ / ٣٠٤٥، المعجم الوسيط ٢ / ٦٣٩).

(٤١٧) اللازورد: بسكون الزاي، كلمة فارسية، من الأحجار الكريمة سماوي اللون وذكر البيروني أن الناس كانوا يطلقون على اللازورد اسم ارميناقون، وذلك لشبهه حجرا بهذا الاسم كانيجلب من أرمينية، وتعني حجر أرمني (الصيدنة، الورقة ١٣٨، والمعجم الوسيط ٢ / ٨٤٣).

وأما غير ذلك من المعادن فهو حجر اليشم: وهو حجر الغلبة، من حمله لا يغلبه أحد في الحروب ولا الخصومات ولا المحاججة. ومن وضعه في فمه سكن عطشه. ولهذا اتخذه الملوك في حوائجهم ومناطقهم وأسلحتهم.

التوتياء[٤١٩]: هو حجر منه أخضر ومنه أصفر ومنه أبيض. يجلب من سواحل الهند. وأجوده الأبيض الخفيف الطيار ثم الأصفر ثم الفستقي الرقيق. وهو بارد يابس يمنع الفضلات من النفوذ إلى عروق العين وطبقاتها، وينفع من الرطوبة وينشف الدمعة ويزيل الصنان من الجسد.

الأثمد: هو الكحل الأسود، أجوده الأصفهاني، وهو بارد يابس ينفع العين اكتحالاً ويقوي أعصابها ويمنع عنها كثيراً من الآفات والأوجاع سيما الشيوخ والعجائز. وإن جعل معه شيء من المسك كان غاية في النفع، وينفع من حرق النار طلاءً مع الشحم، ويقطع النزف ويمنع الرعاف إذا كان من أغشية الدماغ. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير أكحالكم الأثمد، ينبت الشعر ويجلو البصر.

الملح: هو حار يابس، وهو يدفع العفونات كلها ويجلو كآبة اللون طلاءً، ويذيب الأخلاط الغليظة والبلغم والعفن والخام والسوداء، ويأكل اللحم الزائد ويحسن اللون أكلاً، ويضمد به مع بذر الكتان للسع العقرب، ومع العسل والخل لنهش أم أربعة وأربعين. وينفع من الجرب والحكة البلغمية والنقرس، ويمنع من أوجاع المعدة الباردة، ويحد الذهن، ويشد اللثة المسترخية ويسهل خروج الثفل، إلا أنه يضر بالدماغ والبصر والرئة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله

---

(٤١٨) الماليخوليا : مرض ضعف القوة العقلية.

(٤١٩) التوتياء Tutie : ويطلق على ركاز الزنك بالحالة التي يخرج عليها من المنجم أو أكسيد الزنك وعرف العرب النوعين قديماً، وهو من المعادن التي تستعمل في صبغ النحاس وله فوائد علاجية.

عنه: يا علي ابدأ بالملح واختم بالملح، فإنه شفاء من سبعين داء. والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل في
النبات والفواكه وخواصها

اعلم وفقنا الله تعالى جميعاً إلى التفكر في عجائب صنعته وغرائب قدرته أن عقول العقلاء وأفهام الأذكياء قاصرة متحيرة في أمر النباتات وعجائبها وخواصها وفوائدها ومضارها ومنافعها، وكيف لا وأنت تشاهد اختلاف أشكالها وتباين ألوانها وعجائب صورة أوراقها وروائح أزهارها. وكل لون من ألوانها ينقسم إلى أقسام، كالحمرة مثلاً: وردي وأرجواني وسوسني وشقائقي، وخمري وعنابي وعقيقي، ودموي ولكي وغير ذلك، مع اشتراك الكل في الحمرة. ثم عجائب روائحها ومخالفة بعضها بعضاً، واشتراك الكل في طيب الرائحة وعجائب أشكال ثمارها وحبوبها وأوراقها دليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى، ولكل لون وريح وطعم وورق وثمر وزهر وحب وخاصية لا تشبه الأخرى، ولا يعلم حقيقة الحكمة فيها إلا الله تعالى، والذي يعرفه الإنسان من ذلك بالنسبة إلى ما لا يعرفه كقطرة من بحر

حكى المسعودي أن آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة خرج ومعه ثلاثون قضيباً مودعة أصناف الثمار: منها عشرة لها قشر، وهي: الجوز واللوز والفستق والبندق والشاهبلوط والصنوبر والرمان والنارنج واللوز والخشخاش(٤٢٠). ومنها عشرة لا قشر لها، ولثمارها نوى، وهي: الرطب والزيتون والمشمش والخوخ

(٤٢٠) الخشخاش : Common Poppy : وتعرف عصارته باسم : الافيون " ويزرع كمحصول طبي في البلاد بما فيها مصر واساس تركيبه الكيميائي هو " المورفين " ومفعوله مسكن ومخدر وتحرمه الحكومات الا فيما يدخل في بعض الادوية التي تصرف بأمر الطبيب (الطب القديم، ص، ٢٣).

والإجاص والعناب والغبيراء[٤٢١] والدراقن[٤٢٢] والزعرور[٤٢٣] والنبق[٤٢٤]. ومنها عشرة ليس لها قشر ولا نوى، وهي التفاح والكمثري والسفرجل والتين والعنب والأُترج والخرنوب والبطيخ والقثاء والخيار.

---

(٤٢١) الغبيراء : نبات عشبي يعرف علمياً باسم Almus rubra والجزء المستخدم منه الجذور. وقد اقترح الدكتور ديل استخدام مسحوق جذر هذا النبات لعلاج التهاب الردب وهذا النبات له تأثيرات ملينة على الجهاز الهضمي ويساعد في الإخراج. وقد صرحت إدارة الغذاء والدواء الأمريكية FDA باستخدام هذا النبات كملطف فعال للجهاز الهضمي ويمكن استخدامه كما يستخدم الشوفان.

(٤٢٢) الدراقن : وهو منشط ومساعد للهضم ومدر للبول، وملين لطيف يفيد في حالات عسر الهضم وحصاه.

(٤٢٣) الزعرور : شجيرة الزعرور هي من الفصيلة الوردية، توجد في البرية والأحراج وفي المرتفعات الجبلية. شجرة الزعرور ذات أوراق خضراء وأزهارها عذقية تتحول إلى ثمرات بيضوية محمرة اللون أو سوداء أو صفراء وحسب نوعها. تستخدم ثمار الزعرور الطازجة كغذاء مثل ثمار النبق لشجرة السدر حيث تفيد الثمار الطازجة في علاج أضطرابات القلب العصبية من سبب أرتفاع ضغط الدم أو تلك المصاحبة لسن اليأس[لذا فهو يفيد في حالات تصلب الشرايين والذبحة الصدرية و يساعد على إبقاء الدم في معدلاته الطبيعية. تمتاز ثماره بحلاوة مذاقها ولها تاثير على اللساناً وللأستخدامات الطبية والعلاجية فأن لزهوره فوائد كثماره.

(٤٢٤) شجرة النبق : متوسطة الحجم يصل ارتفاعها الى ثمانية أمتار مستديمة الخضرة، معمرة بطيئة النمو والساق غير معتدل ويحتوي على مركبات صابونية ويستعمله اهل السعودية في علاج الدوسنتاريا وفي لبنان لالتهابات الشعبيات الهوائية ومرضى السل، وينمو نبات النبق في الجزيرة العربية ويسمى بها الكنار.

النخل(٤٢٥): هو أول شجرة استقرت على وجه الأرض، وهي شجرة مباركة لا توجد في كل مكان. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكرموا عماتكم النخل. وإنما سميت عمتنا لأنها خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام، ولأنها تشبه الإنسان من حيث استقامة قدها وطولها وامتياز ذكرها من بين الاناث، واختصاصها

(٤٢٥) النخل : النخلة شجرة مباركة عظيمة النفع، ولا يوجد شيء من إنتاجها حتى أشواكها إلا وتستخدم، لذلك أستحقت الذكر في القرآن الكريم أكثر من عشرين مرة، وفي السنة المطهرة كثيراً ما ذكرت حتى أن جذع النخلة بكى حزناً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ورد في البداية والنهاية لابن كثير وروى الإمام أحمد بن حنبل وذكر البخاري في غير موضع من صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوم الجمعة يسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد يخطب الناس فجاءه رومي وقال : ألا أصنع لك شيئاً تقعد عليه كأنك قائم؟ فصنع له منبراً درجتين ويقعد على الثالث، فلما قعد نبي الله على المنبر خار كخوار الثور ـ أي الجذع ـ ارتج لخواره المسجد حزناً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل إليه رسول الله من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التزمه سكت ثم قال : والذي نفس محمد بيده لو لم التزمه مازال هكذا حتى يوم القيامة حزناً عليه والبلح والتمر من الأطعمة سهلة الهضم سريعة الامتصاص والتي تمد الإنسان سريعاً بالطاقة مع احتوائها على الدهن والبروتين والمعادن والألياف والماء، تستعمل جذوع النخيل في أعمال البناء والنجارة وفي أغراض شتى لا تخفى علينا جميعاً بالمنطقة العربية، تستعمل الأوراق في تسقيف المنازل وعمل الأسيجة وأكشاك الظل، والسلال وفي عمل حشوات جيدة (الكارينة) للكراسي، كما يدخل في صناعة الورق تستخدم الثمار في صناعة السكر الأبيض (سكروز) والعسل الأسود (الدبس)، تستخدم الأزهار في صناعة ماء اللقاح المعروف والمنتشر في دول الخليج، تستخدم أوراق وجذوع وبقايا تقليم النخيل في الوقود وعمل السماد البلدي. و للتمر العديد من المنافع والاستخدامات الطبية : القضاء علىالإمساك، معالجة البواسير، معالجة التهاب القولون، الوقاية من مرض السرطان، علاج ارتفاع ضغط الدم، يعالج التسمم الغذائي، يعالج مرض البلاجرا، يعالج حساسية الجلد، يستخدم في علاج الدوار (أنظر : نظمي خليل أبو العطا، آيات معجزات من القرآن وعالم النبات).

باللقاح[426]، ورائحة طلعها كرائحة المني. ولطلعها غلاف كالمشيمة التي يكون الولد فيها. ولو قطع رأسها ماتت، ولو أصاب جمارها آفة هلكت والجمار من النخلة كالمخ من الإنسان، وعليها الليف كشعر الإنسان، وإذا تقاربت ذكورها وإناثها حملت حملاً كثيراً لأنها تستأنس بالمجاورة. وإذا كانت ذكورها بين إناثها ألقحتها بالريح، وربما قطع إلفها من الذكور فلا تحمل، لفراقه، وإذا دام شربها للماء العذب تغيرت، وإذا سقيت الماء المالح أو طرح الملح في أصولها حسن ثمرها. ويعرض لها أمراض مثل أمراض الإنسان.منها الغم، وعلاجه أن يقطع من أسفلها قدر ذراعين ثم تخلل بالحديد. والعشق: وهو أن تميل شجرة إلى أخرى ويخف حملها وتهزل، وعلاجها أن يشد بينها وبين معشوقها الذي مالت إليه بحبل أو يعلق عليها سعفة منه، أو يجعل فيها من طلعه.

ومن أمراضها منع الحمل، وعلاجه أن تأخذ فأساً وتدنو منها وتقول لرجل معك: أنا أريد أن أقطع هذه النخلة لأنها منعت الحمل، فيقول ذلك الرجل: لا تفعل فإنها تحمل في هذه السنة، فتقول: لا بد من قطعها. وتضربها ثلاث ضربات بظهر الفأس، فيمسكها الآخر ويقول: بالله لا تفعل فإنها تثمر في هذه السنة فاصبر عليها ولا تعجل وإن لم تثمر فاقطعها. فتثمر في تلك السنة وتحمل حملاً طائلاً.

ومن أمراضها: سقوط الثمرة بعد الحمل وعلاجه أن يتخذ لها منطقة من الأسرب فتطوق به فلا تسقط بعدها، أو يتخذ لها أوتاداً من خشب البلوط ويدفنها حولها في الأرض. ومن عجيب أمرها أنك إذا أخذت نوى تمر من نخلة واحدة

(٤٢٦) اللقاح : تأبير النخل أي نثر حبوب اللقاح من الشماريخ التي تحمل أزهاراً مذكرة على الشماريخ التي تحمل أزهار مؤنثة واسم العمل الإبارة (النباتات في القرآن، جمال الدين حسين، مكتبة الأنجلو، ص ٣٤).

وزرعت منها ألف نخلة، جاءت كل نخلة منها لا تشبه الأخرى. قال صاحب كتاب الفلاحة[٤٢٧]: إذا نقعت النوى في بول البغل وزرعت منها ما زرعت جاءت نخله كلها ذكوراً، وإن نقعت النوى في الماء ثمانية أيام وزرعته جاء بسره كله محمراً؛ وإن نقعت النوى في بول البقر أياماً وجففته ثلاث مرات وزرعته جاءت كل نخلة تحمل حملاً قدر نخلتين، وإذا أخذت نوى البسر الأحمر وحشوته في ثمر الأصفر وزرعته جاء بسره أصفر، وكذلك بالعكس، وكذلك فلاحة النوى المتطاول والنوى المدور. وكيفية غرسه أن تجعل طرف النوى الغليظ مما يلي الأرض وموضع النقير إلى جهة القبلة.

وحكي أن بعض الرؤساء أُهدي له عذق واحد فيه بسرة حمراء وبسرة صفراء. وحكي أن قرية بنهر معقل كانت نخلها تخرج الطلع[٤٢٨] في السنة مرتين. وحكي أن بالسكن من أعمال بغداد نخلة تخرج كل شهر طلعة واحدة على مر السنين. وكان في بستان ابن الخشاب بمصر نخلة تحمل أعذاقها، في كل عذق بسرة، نصفها أحمر ونصفها أصفر، والأعلى أحمر، والأسفل أصفر؛ والعذق الآخر بالعكس: الفوقاني أصفر والتحتاني أحمر.

وعن بعض ملوك الروم أنه كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قد بلغني أن ببلدك شجرة تخرج ثمرة كأنها آذان الحمر، ثم تنشق عن أحسن من اللؤلؤ المنظوم، ثم تخضر فتكون كالزمرد، ثم تحمر وتصفر فتكون كشذور الذهب. وقطع الياقوت، ثم تينع فتكون كطيب الفالوزج، ثم تيبس فتكون قوتاً وتدخر مؤونة، فلله

---

(٤٢٧) الفلاحة : هي النظر في النبات من حيث تنميته ونشوئه بالسقي والعلاج وتعهده بمثل ذلك (مقدمة ابن خلدون واللسان ٥ / ٣٤٥٨).

(٤٢٨) الطلع : أعضاء التذكير في الزهرة.

درها شجرةً وإن صدق الخبر فهذه من شجر الجنة. فكتب إليه عمر رضي الله عنه: صدقت رسلك، وإنها الشجرة التي ولد تحتها المسيح وقال: إني عبد اللهّ فلا تدع مع اللهّ إلهاً آخر.

ووصف خالد بن صفوان(٤٢٩) النخل فقال: هي الراسخات في الوحل، المطعمات في المحل، الملقحات بالفحل، المعينات كشهد النحل، تخرج أسفاطاً(٤٣٠) غلاظاً وأوساطاً كأنها ملئت حللاً ورياطاً(٤٣١)، ثم تنشق عن قضبان لُجَيْن(٤٣٢) وعسجد(٤٣٣) كالشذر المنضد، ثم تصير ذهباً أحمر بعد أن كانت في لون الزبرجد. ومن خواص النخلة أن مضغ خوصها يقطع رائحة الثوم وكذلك رائحة الخمر.
شعر:

كـأن النخيـل الباسـقات وقـد بـدت	لناظرهـا حسـناً قبـاب زبرجـد
وقـد علّقـت مـن قلبهـا زينـةً لهـا	قناديـل يـاقوتٍ بـأمراس عسـجد

النارجيل(٤٣٤): وهو الجوز الهندي، زعم أهل اليمن والحجاز أن شجر النارجيل هو شجر المقل، لكنها أثمرت نارجيلاً لطيب قاع التربة والأهوية. وأجوده

---

(٤٢٩) خالد بن صفوان ابن الأهتم. العلامة، البليغ، فصيح زمانه أبو صفوان المنقري، الأهتمي، البصري. وقد وفد على عمر بن عبد العزيز..

(٤٣٠) أسفاطاً: جمع سفط وهو الوعاء (القاموس المحيط ٢ / ٣٦٢).

(٤٣١) الريط: كلُّ ثوبٍ لَيِّنٍ رَقيقٍ (القاموس المحيط، ريط).

(٤٣٢) اللجين: الفضة الخالصة (اللسان ٥ / ٤٠٠٢).

(٤٣٣) العسجد: الذهب، وقيل هو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت (اللسان ٤ / ٢٩٣٧).

(٤٣٤) النارجيل: من فصائل النخيل وفي الوطن العربي تشتهر بزراعتها محافظة ظفار في سلطنة عمان وذلك دون سواها من مناطق السلطنة الأخرى، وذلك نظراً لطبيعة جوها وموقعها المطل على المحيط الهندي. وتتميز هذه الشجرة العريقة بأنها مصدر غذاء للإنسان بما تجود به من ثمار جوز الهند ومصدر دخل للمزارعين الذين يهتمون بزراعتها والمحافظة عليها، فمنها يحصلون على الزيت وعلى الجذوع لبناء

الطري ثم جديد عامه الأبيض. وهو حار يابس يزيد في الباه وقوة الجماع وينفع من تقطير البول، ودهن العتيق منه ينفع البواسير والريح ويقتل الدود شرباً، ولبن الطري منه كثير الحلاوة، وليفه يتخذ منه حبال للسفن.

المنازل والقوارب وعلى الليف لصناعات نسيجية مختلفة تتشابه كثيرا مع المنتجات المختلفة التي توفرها أشجار النخيل التي تتميز بها مناطق السلطنة الأخرى. كما تتميز هذه الشجرة بأن انتاجها مستمر على مدار العام وليست موسمية كباقي الأشجار، جوز الهند له فوائد جمه وعظيمة منها أنه علاج لمرض الكلى وذلك لأن الماء الذي يشربه الشخص من جوز الهند يقوم بغسل الكلية والمسالك البوليه، وهو ايضاً علاج لمرض الربو. كما أن القشر الداخلي والذي يسمى "بالنارجيل" يستفاد منه بعد تفتيته في وصفات الطبيخ وفي صنع الحلويات أو وضعه عليها وأنواع الشوكولاته وغيرها، وهو مساعد فعال في إنقاص الوزن بشكل طبيعي دون اللجوء إلى اتباع نظام غذائي خاص، ومفيد لاضطرابات الجهاز الهضمي مثل داء كرون والتهاب القولون، ومضاد لطفيليات الأمعاء، يساعد في علاج مرض الربو، مجدد للطاقة في جسم الإنسان لاحتوائه على سلسلة من ثلاثي الجلسريد، غني بحمض اللوريك وهذا الحمض مضاد للفيروسات والبكتريا.

الإجاص(٤٣٥) والقراصيا(٤٣٦): هما أخوان كالمشمش والخوخ الزهري، والإجاص نوعان: أحدهما يستعمل في الأدوية وأصغر منه، وهو الذي يقال له الخوخ التلباشري، وهو أحلى من الأول. والقراصيا أيضاً نوعان. أحدهما البرقوق وهو حلو أغبر والآخر أسود حامض. قال صاحب كتاب الفلاحة: من أراد أن يكون بلا نوى فليشق أسافل قضبانها شقاً متوسطاً وقمت غرسها، وليخرج من أجوافها مخها، وهو صوفة وسط القضيب، إخراجاً بلطف ويضم بعضها إلى بعض

---

(٤٣٥) الإِجَّاص : بالكسر مُشَدَّدةً: ثَمَرٌ. دخِيلٌ، لأنَّ الجيمَ والصادَ لا يَجْتَمِعَانِ في كلمةٍ، الواحِدَةُ (القاموس المحيط، الإجاص)، وأصل ومنشأ الإجاص آسيوي وتحديداً من الصين، وقد عرفه القدماء الإغريق والرومان، وينبت منه حوالي اكثر من خمسين نوعاً، يستعمل الإجاص في نظام الاكل الخاص بإنقاص الوزن فيبطئ حركة الامعا وبذلك تبقى الوجبة وقتاً اكبر بالأمعاء، وبسبب تأخير التفريغ يشعر الانسان بالامتلاء فلا يطلب طعاماص ووجبات اكثر، يُستعمل الاجاص مع المعالجات الخاصة بالامراض النفسية، توتر، فصام، قلق، إحباط، وغيرها، وهو مهدئ نفسي، يعالج امراض الامعاء الغليظة (القولون) وينشط المعدة ويمنع قبوضة المعدة والإكتام، ويفتح الشهية، يكسر العطش ويمنع الغثيان والقيء، منشط للكبد، يدر إفراز الصفراء من المرارة، يعالج الالتهاب الوبائي للكبد، يدر البول، يفتت الحصى والرمل، وذلك لاحتوائه على البوتاسيوم، تساعد على التئام الجروح والجراحات بعد العمليات

(٤٣٦) وتُطلق القراصيا على البرقوق المجفف والتي تصل نسبة الرطوبة فيه من ١٥ الى ٢٥ ٪ حسب الأصناف وطريقة التجفيف ومدتهمنه حامض ومنه عفص والحلو حار رطب ينحدر على المعدة سريعا ويثير التخم ويرخي المعدة واذا اكل اسهل البطن ولين الطبيعه وهو نافع للمعدة البلغمية المملوءة فضولا لأنه يجفف وان استعمله القراصيا رطبا لين البطن وان استعمل يابسا امسك البطن وجميع القراصيا اذا خلط بشراب ممزوج بماء ابرا السعال وهو يحسن اللون ويحد البصر وينهض الشهوه وان شرب باللبن وحده نفع من به حصى.

ويربطهما بشيء من الحشيش أو البردي(٤٣٧)، ويغرسهما مع بصل العنصل فإنهما يثمران ثمراً بلا نوى. وكذلك يفعل بالرمان فيخرج حبه بلا نوى.

العناب(٤٣٨): منه بري ومنه بستاني. وهو كثير الحمل، ولشجره شوك. ومتى أحرق في أصله شيء من شجر الجوز حمل حملاً كثيراً، وكذلك إن أحرق في أصل الجوز شجر العناب. وهو معتدل بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ينفع من حدة الدم لتغليظه له، وينفع الصدر والرئة ويحبس الدم. والماء المطبوخ فيه العناب نافع، فإنه يبرد ويرطب ويسكن الحدة واللذعة والذي في المعدة والأمعاء والسعال عن حرارة، ويلين خشونة الصدر والحنجرة إلا أنه يولد بلغماً، وهو عسر الهضم قليل الغذاء.

---

(٤٣٧) البردي : Papyrus : نبات مائي انتشر في مناقع الدلتا وضفاف القنوات، استعمله المصريون في عديد من الأغراض أهمها صناعة الورق لتسجيل احداثهم وعلومهم وآدابهم، حمله الفينيقيون الى شعوب العالم عن طريق ثغر بيبلوس واشتق الاغريق من اسم الثغر اسما اطلقوها على الكتاب " بيبليون " وعلى دار الكتب بيبليوتيك (الموسوعة الثقافية، كتاب الشعب، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٢ م) وفي الطب الإسلامي كان رماد البردي يوضع فوق الجروح ل.تجفيفها، وكان يعالج قرحة الفم ويُخلط بالخل لعلاج نزف الأنف (الطب القديم، ص ١٤).

(٤٣٨) العناب : شجر شائك يصل طوله إلى حوالي ٨أمتار أوراقه مستطيلة غير حادة التسنن وعناقيد من الأزهار الصفراء المخضرة وثمرته بيضوية بنية إلى محمرة وأحيانا سوداء تشبه الزيتونة لذيذة الطعم ولبها أبيض هش. ويعرف العناب علمياً باسم zizyphus vulgaris من الفصيلة السدرية وموطنه الأصلي الصين واليابان ويزرع في الصين منذ أربعة آلاف سنة ويعتبر من فواكه أهل الصين المفضلة وله قيمة غذائية جيدة، ويزرع في جنوب شرق آسيا، وفي نيوزيلندا ويعيش في المناطق الحارة وشبه الحارة ويحتوي العناب على صابونينات وفلافونيدات وسكريات وهلام وفيتامينات أ،ب٢، ج ومعادن هامة مثل الكالسيوم والفوسفور والحديد وهو مفيد لأمراض الحلق ومسكن ومهدئ ومكافح للسعال ونافع للصدر وهو يزيد في الوزن ويحسن قوة العضلات ويزيد الاحتمال وفي الطب الصيني يوصف العناب كمقو للكبد ويعطى لخفض الهيوجية والتململ

الزيتون[٤٣٩]: نوعان: منه بستاني وبري، والبري هو الأسود، وشجرته مباركة لا تنبت إلا في البقاع الشريفة الطاهرة المباركة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن آدم وجد ضرباناً في جسمه ولم يعهده؛ فشكا إلى الله عز وجل فنزل عليه جبريل بشجرة الزيتون فأمره أن يغرسها ويأخذ من ثمرها ويعصره ويستخرج دهنه، وقال له: إن في دهنه شفاءً من كل داء إلا السام[٤٤٠]؛ ويقال إنها تعمر ثلاثة آلاف سنة.

ومن خواصها أنها تصبر على الماء طويلاً كالنخل، ولا دخان لخشبها ولا لدهنها وإذا لقط ثمرتها جنب فسدت وقل حملها وانتثر ورقها؛ وينبغي أن تغرس في المدن لكثرة الغبار، فإن الغبار كلما علا على زيتونها زاد دسمه ونضجه. وإذا دققت حولها أوتاداً من شجر البلوط قويت وكثرت ثمرتها؛ وإذا علق من لسعه شيء من ذوات السموم من عروق شجر الزيتون برأ لوقته؛ وإذا أخذ ورقة ودق وعصر ماؤه على اللدغة منع سريان السم، وكذلك من سقي السم وبادر إلى شرب عصارة ورقها لم يؤثر فيه السم.

---

(٤٣٩) الزيتون Olive : هي شجرة مستديمة الخضرة جميلة المنظر يصل ارتفاعها الى عشرين متراً ولها صفات خاصة تميزت بها عن باقي الأشجار فمن اخشابها صنعت المحاريب واقيمت اعواد المنابر ومن اوراقها صنعت اكاليل الأبطال واتخذت اغصانها رمزا للسلام والخير والوفاء ومن زيتها مادة للإنارة وطعام طيب وشفي يستطب به لعلاج الأمراض وثمار الزيتون ذات قيمة غذائية عالية فهي تحتوي ١٦٪ مواد كربوهيدراتية و ١,٥ ٪ بروتين ونسبة عالية من الدهن ١٣,٥ ٪ وتتميز بوجود عنصر الصوديوم وكذلك البوتاسيوم والنحاس والفسفور وهو خال من الحديد لاضافة الى انه غني بفيتامين أ ويستخرج من الثمار زيت الزيتون ذو الفوائد العديدة؛ فهو يفيد الجهاز الهضمي عامة والكبد خاصة ويفضل كافة أنواع الدهون النباتية والحيوانية ولا يسبب امراضا للدورة الدموية او الشرايين كغيره من الدهون كما انه ملطف للجلد ويجعله ناعم الملمس ويدخل زيت الزيتون في العديد من الأغراض الصناعية والغذائية، كما يدخل في تركيب أجود أنواع الصابون.

(٤٤٠) السام : الموت.

وإذا طبخ ورقها الأخضر طبخاً جيداً ورش في البيت هرب منه الذباب والهوام، وإذا طبخ بالخل وتمضمض به نفع من وجع الأسنان؛ وإذا طبخ بالعسل حتى يصير كالعسل وجعل منه على الأسنان المتآكلة قلعها بلا وجع. ورماد ورقها ينفع للعين كحلاً ويقوم مقام التوتيا. وصمغها ينفع من البواسير إذا ضمد به. وإذا نقع ورقها في الماء وجعل فيه الخبز فإذا أكله الفأر مات لوقته. وصمغ الزيتون البري ينفع من الجرب والقوباء ووجع الأسنان المتآكلة إذا حشيت به. وهو من الأدوية القتالة.

والزيتون المملوح يقوي المعدة ويضر بالرئة. والأسود منه يورث سهراً وصداعاً وخلطاً سوداوياً. والخل يكسر نصف شره. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بالزيت فإنه يسهل المرة، ويذهب البلغم، ويشد العصب ويمنع الغثي ويحسن الخلق، ويطيب النفس ويذهب الهم. وقال صلى الله عليه وسلم: كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه يخرج من شجرة مباركة. وهو حار رطب موافق لوجع المفاصل وعرق النسا، ويسهل مع ماء الشعير(٤٤١) شرباً ويتقيأ به مع الماء الحار فيكسر عادية المسموم لذغاً وشرباً.

وزيت الزيتون البري: ينفع من الصداع واللثة الدامية مضمضةً، ويشد الأسنان المتحركة. ونواه يبخر به لأوجاع الضرس وأمراض الرئة. وقد قيل في الزيتون:

أنظـــــــــر إلى زيتوننـــــــــا فهـــــــو شـــــــفاء المهـــــج

---

(٤٤١) الشعير : نبات عشبي حولي من الفصيلة النجيلية، وتزرع منه أنواع كثيرة منها الشعير الأجرد أو السلت وهو يشبه القمح. ويعتبر الشعير أقدم مادة استعملها الإنسان في غذائه، وقد جاء ذكر الشعير ضمن الحبوب في القرآن.

بـــــــدا لنـــــــا كـأعـــــــين ... قـــد كحلـــت بالـــدّعج[442]

خــــــضرّة زبرجـــــــد ... مـــــــسودّة مـــــن ســـبج

التمر هندي[443]: هو ألطف الإجاص وأقل رطوبة، وأجوده الجديد الطري. وهو بارد يابس، يسهل المرة الصفراء ويمنع حدتها ويطفئها وينفع من القيء والعطش ومن الحميات والغثي والكرب، إلا أنه يضر بالصدر وأصحاب السعال. الغبيراء: خشبها أصبر من كل خشب على الماء، كالأرز والتوت. وزهرتها إذا شمتها المرأة هاجت بها شهوة الجماع حتى تطرح الحياء. والتنقل بثمرها يبطئ السكر ويحبس القيء وينفع من إكثار البول.

---

(٤٤٢) الدعج : السواد، وقيل شدة السواد، وقيل الدعج شدة سواد سواد العين وشدة بياض بياضها مع سعتها.

(٤٤٣) التمر هندي : من الفصيلة البقلية، أشجاره ضخمة تنمو بالمناطق الحارة، والثمرة عبارة عن قرن مبطط منحن قليلاً، وله قشرة رقيقة بداخلها لب بني لحمي حمضي المذاق يعمل من منقوعه شراب بارد منعش في فصل الصيف. ملين خفيف، ومن المستحسن شربه على الإفطار للصائمين. يستعمل مغلياً كالشاي ضد الحميات. يحضر مركب من نقيعه في الحليب بنسبة ١ ـ ٤ ويسمى مصل التمر الهندي، يفيد في إزالة الحموضة الزائدة في الجسم

الخوخ[٤٤٤]: هو أخو المشمش ومشاكل له في كل أموره إلا في البقاء، فإن المشمش أطول عمراً منه لأن الخوخ أكثر ما يحمل أربع سنين، والحر والبرد يهلكه. وهو نوعان: شعري وزهري. قال صاحب كتاب الفلاحة: إذا أخذ القضيب من شجر الخوخ ونقع في بول انسان سبعة أيام ثم تثقب شجرة الصفصاف ثقباً نافذاً متسعاً بحيث يدخل فيه قضيبُ القصب وتدخل القضيب في ذلك الثقب حتى يخرج من الجانب الآخر، ثم تطين الموضع المثقوب وتقطع ما فضل من القضيب من الجانبين، بعد ذلك بسبعة أيام، فإنه يثمر ثمراً بلا عجم.

وإذا أردت تلوين ثمرتها فشق النواة فإن أردت لونها أحمر فضع في النواة زنجفراً مسحوقاً ناعماً. وإن شئت أصفر فزعفراناً، وإن شئت أخضر فزنجاراً. وإن أردت أزرق فلازورداً ونيله، وإن شئت أبيض فاسفيداج، ثم ترد قشرة النواة على القلب رداً موافقاً وتغطيها وتزرعها فإن ثمرتها تجيء على اللون الذي وضعت فيه النواة بلا مغايرة. وإذا حفرت أصل الشجرة في أول كانون وثقبته وجعلت فيه قصبة من قصب السكر ثم تتركها خمسة أيام ثم تسقيها فإنها تحمل حملاً حلواً، وكذلك طعم نواه. وخاصية ورق الخوخ أنه يقطع رائحة النورة من الجسد إذا سحق ناعماً ووضع في الدلو مع ماء الليمون والشيرج. ويقتل الدود الذي في باطن الإنسان إذا

---

(٤٤٤) الخوخ : عباره عن ثمره موسميه و يسمى أيضاً البرقوق في المغرب العربي أكبر حجما من المشمش قليلا ويطلق عليها اسم محلي بمنطقة عسير وخصوصا ببلاد الماوين ببلحمر حيث تشتهر تلك المنطقه بهذه الثمره بجودتها واسمها المحلي (فركس) ومنه نوعان النوع الاول يسمى (زغادي) وهو لين نسبيا ويمتاز بكثرة العصاره داخله وهي تشبه في طعمها المنقا الهندي نسبيا واما النوع الثاني يطلق عليه اسم (الفدري) وهذا النوع يختلف في تكوينه الداخلي عن النوع الاول حيث يمتاز بتماسكه داخليا وكل ما زاد اللون الداخلي للاحمر كان افظل في نوعيته وايضا تكون البذره الداخليه له ذات رائحه عطره مستمره، يحمي أيضا من أمراض القلب ويخفف كمية الكولستيرول يساعد على تنشيط المعدة و يساعد على الهضم، يساعد على إزالة حصى المثانة والبول الدموي

طليت به السرة ويقتل دود الأذن إذا قطر فيه من عصارتها. والخوخ بارد رطب وهو يزيد في الباه ويضر بالمبرودين ويشهي الطعام ولا يحمض في المعدة، بخلاف المشمش.

المشمش(٤٤٥): هو شجر يسرع إليه الفساد، عسر النشوء، إلا أنه إذا نبت طال مكثه، قال صاحب كتاب الفلاحة: من أراد أن تعظم هذه الشجرة عنده فلينزع أكثر ثمرتها عند أول نشئها وحملها، ولا يترك عليها من الحمل إلا شيئاً قليلاً في أغصان قوية منها. وهي تشبه الخوخ في جميع أحواله وإن فعلت بها جميع ما ذكرته في الخوخ من الألوان والأصباغ قبلت ذلك. وإن أردت المشمش بلا نوى فاقطع وسط ساق شجرتها حتى تبلغ قلبها ثم اضرب في ذلك الموضع وتداً من خشب بلوط، فإن تلك الشجرة تحمل مشمشاً بلا نوى، ومتى ركبت اللوز في المشمش اكتسبت من طعمه وحلاوته.

---

(٤٤٥) المشمش : شجرة مثمرة ذات حجم متوسط يتراوح طولها بين ٨ و١٢ مترا أوراقها ذات شكل قلبي مع أطراف مدببة. طول الأوراق يصل لـ٨ سم وعرضها بين الـ٣ و٤ سم. تسقط أوراقها في الخريف وتزهر في الربيع وفي الصيف تنضج ثمار المشمش. أزهارها ذات لون أبيض مائل إلى الوردي. تبدو ثمارها شبيهة بثمار الخوخ والنكتارين حيث لون المشمش يكون أصفرا أو برتقاليا عليه مسحة حمراء. لثمرة المشمش نواة واحدة والموطن الأصلي للمشمش هو الصين وقال ابن سينا عنه «المشمش يسكن العطش، وإذا أكل يجب أن يؤخذ مع اليانسون والمصطكى، لأنه يولد الحميات بسرعة تعفنه ودهن نواه ينفع من البواسير، ونقيع المقدد من المشمش ينفع من الحميات الحارة» وأما ابن البيطار «هي ثمرة رطبة تجانس الخوخ إلا أنه أفضل من الخوخ، وهو يسهل الصفراء ويولد خلطا غليظا، يذهب بالبخر من حر المعدة ويبردها تبريدا شديدا، ويلطفها ويقمع الصفراء والدم وينبغي أن يتجنبه من يعتريه الرياح ومن يسرع اليه الجشاء الحامض. وأما اصحاب المعدة الحارة والعطش فينتفعون به»

وأما خاصيته فعن أنس بن مالك [٤٤٦] رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نبياً من الأنبياء بعثه الله إلى قومه وكان لهم عيد يجتمعون فيه في كل سنة، فأتاهم النبي في ذلك اليوم ودعاهم إلى الله تعالى فقالوا: إن كنت صادقاً فادع لنا ربك يخرج لنا من هذا الخشب اليابس ثمرةً على لون ثيابنا، وكانت ألوانها مزعفرة، ونحن نؤمن لك. فدعا ذلك النبي ربه عز وجل، فاخضر الخشب وأورق وأثمر بالمشمش الأصفر، فمن أكل منه ناوياً للإيمان وجد نواه حلواً، ومن أكل على نية أن لا يؤمن وجد نواه مراً.

وورقها إذا مضغ أزال وجع الضرس. والمشمش بارد رطب ورطبه سريع العفونة يولد الحميات بسرعة ويبرد المعدة ويفسد الطعام الذي في المعدة، وقديده إذا نقع أزال الحميات، ونواه إذا نقع وأكل أحدث غشياً وكرباً وغثياناً. ودهن لب المر منه له منافع.

حكي أن طبيباً مر برجل يغرس شجر المشمش. فقال له ما تصنع؟ قال: أعمل لي ولك. قال الطبيب: كيف ذلك؟ قال أنتفع أنا بالثمرة وثمنها، وتنتفع أنت بمرض من يأكلها.

---

(٤٤٦) أنس بن مالك بن النَّضر الخزرجي الأنصاري (١٠ ق ه - ٩٣ هـ) صحابي جليل، ولد بالمدينة، وأسلم صغيراً وكناه الرسول محمد ﷺ بأبي حمزة. خدم الرسول ﷺ في بيته وهو ابن ١٠ سنين. دعا له ﷺ «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له، وأدخله الجنة» فعاش طويلا، ورزق من البنين والحفدة الكثير. روى كثيرا من الأحاديث عن رسول الله ﷺ [الأعلام للزركلي؛ والإصابة؛ وطبقات ابن سعيد؛ وتهذيب ابن عساكر ٣/ ١٩٩؛ وصفة الصفوة ١/ ٢٩٨].

التفاح[٤٤٧]: هو أصناف، حلو وحامض وعفص ومز، ومنه ما لا طعم له. وهذه الأصناف في التفاح البستاني. وذكر أن بأرض اصطخر تفاحاً، نصف التفاحة حامض ونصفها حلو. ومتى ركب التفاح في الرمان يحمر ويحلو، ومتى صب في أصله أو في أصل الدراقن بول الإنسان احمر ومتى غرس أصلها ورد أحمر يحمر. ومتى صب في أصل الشجرة من التفاح بول أمره برئت من سائر أمراض الشجر ومتى غرس في أصلها العصفر أو حولها لم تدود ثمرتها. ومتى أردت أن تكتب على التفاح الأحمر بالأبيض فاكتب عليها وهي خضراء بالمداد: لا إله إلا الله، أو ما شئت، وتركته إلى أن يحمر ثم مسحت المداد فتخرج الكتابة وما تحتها أبيض ليس به حمرة. وكذلك إذا قطعت ورقة ورسمت فيها ما شئت من النقوش، وألصقتها على التفاح قبل احمراره تجد النقش بعد الاحمرار أبيض، وإذا قل ثمرها وانتثرت زهرتها أو ورقها فعلق عليها صحيفة من رصاص وأرخها حتى يبقى بينها وبين الأرض شبر، وإذا خرجت الثمرة وصلحت فارفع عنها الصحيفة. خاصية هذه الشجرة: عصارة ورقها تسقى لمن سقي السم أو نهشته حية أو لدغته عقرب، مع حليب ماعز، فلا

---

(٤٤٧) التفاح Apple : هو أحد أنواع الفاكهة الشائعة، يعتقد أن الموطن الأصلي لشجرة التفاح هي أسيا الوسطى وبالتحديد كازخستان حيث لا زالت هناك بقايا من غابات التفاح على شكل أشجار تفاح برية في المناطق الجبلية. يساعد علي الهضم ويزيل النفايات من الكبد وهو مصدر غني فيتامين ج والألياف. وقشرته قليلة السعرات الحرارية وغنية بسكر فركتوز الذي يضبط سكر الدم ويمدنا بالطاقة. يعالج التفاح مشاكل الجلد والتهاب المفاصل وهو قابض في الإسهال وملين ومدر للبول. به سكريات وصوديوم. وينظم الجهاز الهضمي ويمنع الإمساك ويوقف والنقرس والروماتيزم ويمنع تكوين الحصوات المرارية وينظف الأسنان ويفيد في حموضة المعدة أثبت التفاح قدرته على تقليل مخاطر سرطان القولون والبروستات والرئة، كما يساعد في علاج أمراض القلب وتخفيض الكولسترول وتخفيض الوزن، بالإضافة إلى قدرته على حماية المخ من مرض الشيخوخة(الزهايمر). كما أثبت خبراء التغذية أن تناول الصنفين الغذائين التفاح والسمك فقط يومياً كفيل بخسارة الوزن الزائد مع الإبقاء على الجسم صحياً طيلة شهر كامل.

يؤثر فيه السم ولا النهشة ولا اللدغة. وشم زهر التفاح يقوي الدماغ، وأجوده الشامي ثم الأصفهاني. والتفاح الحامض بارد غليظ مضر بالمعدة ومنسي الإنسان. ليس فيه نفع ظاهر. والحلو منه معتدل الحرارة والبرودة. وشمه وأكله يقوي القلب ويقوي ضعف المعدة وهو نافع من السموم وقشره رديء الجوهر مضر بالمعدة ولا يؤكل بقشره وكثرة أكله بقشره تحدث وجعاً في العصب. وإذا أردت أن التفاح يبقى مدة طويلة فلفه في ورق الجوز واجعله تحت الأرض أو في الطين.

الكمثرى(٤٤٨): هو أنواع كثيرة وسائرها يبلغ عروقها الماء تحت الأرض. قال صاحب كتاب الفلاحة: ومن أحرق شيئاً من شجر الدلب وشجر اللوز بالسوية في أصول شجر الكمثرى، أخرج حملاً في غير أوانه. ومن ركب الكمثرى على التين أخرج كمثرى حلواً لطيفاً دقيق البشرة سريع النضج. ومن أراد أن لا يقرب ثمرتها دود فليطل ساقها بمرارة البقرة. وزهره يؤثر في تقوية الدماغ. وأجوده الذكي الرائحة الكثير الماء الرقيق البشرة، الصادق الحلاوة، الشديد الاستدارة وهو بارد يابس، وأكثر الفاكهة غذاءً، سيما الحلو منه. وحلوه ملين، وحامضه قابض جداً. وهو يقوي المعدة ويقطع العطش ويسكن الصفراء، إلا أنه يحدث القولنج ويضر بالمشايخ. وإذا أدخل الغذاء منع بخار المعدة أن يترقى إلى الرأس، وهكذا الموز، وحبه يقتل دود البطن.

السفرجل: هو أصناف، حلو وحامض ومز وعفص. وهو حياة للنفس. قال صاحب كتاب الفلاحة: إذا أردت أن تتخذ تماثيل من السفرجل فخذ عوداً وانحته

---

(٤٤٨) الكمثرى : تسمى أنجاص في سوريا ولبنان، من الفواكه الشهيرة وتستخدم لعلاج ضغط الدم في سن اليأس (٥٠ – ٦٠ سنة) ولتصلب الشرايين وتزيل الترشيحات الناجمة عن أمراض القلب والكلى والكبد (مقامات السيوطي، ص ٥٩ – ٦٠).

علىٰ أي تمثال أردت، ثم خذ من طين الفخار فلبسه لذلك القالب الذي عملته، ثم اتركه حتىٰ يجف بعض الجفاف، ويكون القالب الذي وضعته في الفخار قطعتين، ثم تنزع العود المنحوت من القالب الفخار وتطبقه علىٰ السفرجلة وهي كالجوزة أو دونها، وتعصبه بخرق من قطن عصباً وثيقاً وتشد خيطاً من العصابة إلىٰ غصن آخر من فوق السفرجلة المذكورة بحيث لا تثقل فتسقط، فإذا بدا صلاح السفرجل فاقطع الخيط وحل العصابة وفك القالب تجد السفرجلة قد تكونت علىٰ الهيئة التي وضعتها من الصور والأشكال، وهو ما يحير العقل.

ورماد ورق السفرجل يفعل في العين فعل التوتياء، وكذلك رماد خشبه. ولزهره خاصية عظيمة عجيبة في تقوية الدماغ وتفريح القلب. وللسفرجل منافع كثيرة غير أن في ثفله قبضاً فينبغي أن يؤكل بلا ثفل.

روىٰ **يحيى بن طلحة** عن أبيه قال: دخلت علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وبيده سفرجلة، فألقاها إلي وقال: دونكها فإنها تحيي الفؤاد وتنقية

وروىٰ **الفضل بن العباس** أنه صلىٰ الله عليه وسلم كسر سفرجلة وناول منها جعفر بن أبي طالب(٤٤٩) وقال له: كل فإنه يصفي اللون ويحسن الولد. ومن عجيب أمره أنه إذا قطع بسكين تنشف ماؤه وإذا كسر كان رطباً مائياً. وهو بارد يابس، يزهر

---

(٤٤٩) جعفر بن أبي طالب (؟-٨هـ) هو جعفر بن أبي طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب بن هاشم، أبو عبد الله، صحابي هاشمي.من شجعانهم،يقال له : جعفر الطيار، وهو من السابقين الىٰ الإسلام،أسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم ويدعو فيها، وهاجر الىٰ الحبشة في الهجرة الثانية، وكان خطيب القوم أمام ملك الحبشة،فلم يزل هناك الىٰ أن هاجر النبي ﷺ الىٰ المدينة، ثم جعله النبي ﷺ أمير الجيش إلىٰ مؤتة بعد زيد بن حارثة فاستشهد هناك ﷺ، روىٰ عن النبي ﷺ.وعنه ابنه عبد الله، وعمرو بن العاص،وابن مسعود، وغيرهم.[الإصابة ١/ ٢٣٩، وأسد الغابة ١/ ٣٤١،والاستيعاب ١/ ٢٤٢، وطبقات ابن سعد ٤/ ٣٤، وتهذيب التهذيب ٢/ ٩٨،والأعلام ٢/ ١١٨].

اللون ويسر النفس ويدر البول ويمنع من القيء والحمى، ويسكن العطش ويقوي المعدة ويحبس نزف الدم. والحامل إذا دامت على أكله، سيما في شهرها الثالث، كان ولدها حسن الوجه زكي الفهم ورائحته تقوي الدماغ والقلب. وإذا طبخ بالعسل نفع من عسر البول. والكثرة من أكله تولد القولنج والمغص ووجع العصب، وفي أكله بعد الطعام إطلاق للبطن، وإذا وضعت السفرجلة في موضع فيه أنواع الفواكه أفسدت الكل، وإذا أردت السفرجل أن يقيم زماناً فضعه على نشارة الخشب أو على التبن.

التين(٤٥٠) : هو أصناف. قال صاحب كتاب الفلاحة إذا أردت غرسه فاجعل قضبان القصب في الماء المالح يوماً ثم اجعله تحت خثى البقر واغرسه فإن شجرته تطيب جداً وثمرته تنبل وتزكو حلاوتها، وإذا سقيتها ماء الزيتون لا يسقط من ثمرتها شيء. ومن عجيب أمر التين أن الطيور إذا أكلته وذرقته على الجدار الندي والأماكن الندية تنبت أيضاً وتشجر وتثمر.

---

(٤٥٠) التين : Fig : من الفصيلة التوتية، وشجرته صغيرة تنمو كثيرا في البلاد المعتدلة، وشجرة التين ذات أوراق جلدية قلبية الشكل وثمرتها مركبة تتكون من جزء لحمي غليظ ويبطنه مجموعة من الأزهار الأنثوية وأجود أنواع التين الكبار اللحيم النضيج الكروي الشكل الذي لا ينتفخ غالبا ويعتبر الجزء الخصب من جنوب الجزيزة العربية الموطن الأصلي للتين حيث لا يزال ينمو هناك بحالة برية ومنها انتشر الى مناطق عديدة وتُؤكل الثمار الطازجة أو المجففة لقيمتها الغذائية العالية وتحتوي ثمالر التين الجافة على ٧٣ ٪ من المواد الكربوهيدراتية و١.٣ ٪ بروتينات.أ٢.٪ دهن ويعطي ١٠٠ جرام من الثمار عند تناولها مقدار ٢٧٠ كيلو سعراً حرارياً من الطاقة التي يستفيد منها الجسم، والتين غني بالفيتامينات أ و، ب١، وب٢، كما أنه يحتوي على العديد من الأحماض العضوية وخاصة الليمونيك والماليك والتين غني بالأملاح المعدنية المفيدة مثل صوديوم، بوتاسيوم، كالسيوم، ماغنسيوم، حديد، نحاس، فسفور، كلور. والتين ملين بالإضافة الى أنه غني بالسكريات التي تعطي الجسم طاقة كبيرة.

ومن أخذ من السقمونيا[٤٥١] غصناً وعمد إلى شجرة التين وسلخ منها موضعاً وركب فيه غصناً من السقمونيا كتركيب سائر الأشجار وليكن ذلك إذا بلغت الشمس من الجدي ست درجات أو سبعاً أو ثمانياً ودار حول شجرة التين سبع دورات ثم وضع الغصن عند فراغ سابع دورة في شجرة التين وعصب التركيب، فإنها تنبت تيناً كالدواء المسهل، من أكل منها تينتين كان كشرب شربة.

وإذا غسلت شجر التين بالماء الحار هلكت. وخشبها ينفع من لسع الرتيلاء نقعاً بالماء وشرباً ومسحاً وتعليقاً. ولبن عيدانه إن قطر على موضع اللسعة لم يسر السم في الجسد. وقضبانها تهري اللحم في القدر إذا طبخت معه، وإذا نثر رماد خشب التين في البساتين هلك منها الدود، وإذا دق ورق التين مع الفج منه على عضة الكلب نفعه. وعصارة ورقها تقلع آثار الوشم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد وضع بين يديه التين: لو قلت إن ثمرةً نزلت من الجنة لقلت هذه. كلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أقسم الله بهذه الشجرة لأنها تشبه ثمار الجنة، لا قشر لها ولا نوى وهي على قدر اللقمة.وأجوده المائل إلى البياض ثم الأصفر ثم الأسود، وأجود أصنافه الوزيري. والتي حار رطب، وهو أغذى من سائر الفواكه وأسرع نفوذاً، وهو يصلح اللون الفاسد ويوافق الصدر ويسكن العطش الذي من البلغم المالح، ويمنع الاستسقاء، وينفع من لسع العقرب والرتيلاء وأكله أمان من السموم، وإذا استعمل منه على الريق عشرة مع قلب الجوز كان له نفع عظيم ومع اللوز فكذلك، والغرغرة بمائه مطبوخة تحلل الخوانيق، ولبنه يذيب الجامد من الدماء والألبان، ويلطخ بلبنه الدماميل فتنضج ويقطر على الثآليل

---

(٤٥١) السقمونيا Scammonee : نبات متسلق منتشر في شمالي سوريا وفي اسيا الصغرى وهو مسهل قوي ودواء معروف قديماً وسقمونيا انطاكية أفضل الأنواع.

فيقطعها، وعلى الجراحات التي عليها اللحم الفاسد فينقيها، والإكثار من أكله بالخبز يورث القمل في البدن. ودخان التين يهرب منه البق والبعوض.

العنب(٤٥٢): الكرمة أكرم الشجر، وثمارها أشرف الثمر. وللناس بفلاحتها عناية عظيمة لما في العنب من الخاصية. وقد صنفوا كتباً فيما يتعلق بفلاحة الكرم والدوالي، لأنها أقل عملاً وأخف مؤنه وأكثر حملاً وأجود عصيراً. ومن عجيب أمرها أنك إذا أخذت من قضبانها التي فيها قوة الحمل وغرستها تأتي في أول سنتها بالعناقيد، ويكون بينها وبين الغرس شهران. وهذا الأمر لا يتفق في شيء من الشجر أصلاً.

قال صاحب كتاب الفلاحة: إذا أردت أن ترى من الكرمة عجباً من كثرة النفع وقوة الأصل وزيادة الحمل وسرعة الإدراك فخذ قضبان غرسها من شجرة قريبة العهد ثم اغرسها في النصف الأول من الشهر والطخ رأس القضيب بخثى البقر وابذر في جورة غرسها شيئاً من البلوط والنانخواه والباقلاء فإن شجرتها تكون في غاية العجب ومخالفة لسائر الكروم. وإذا أخذت قضيباً من العنب الأبيض وقضيباً من العنب الأسود وقضيباً من العنب الأحمر وشققتها بحيث لا يقع شيء من قشورها، ولففت بعضها ببعض وغرستها فإن القضبان كلها تخرج ساقاً واحداً، وتحمل الألوان الثلاثة شجرة واحدة. وإذا أردت أن تسود العنب الأبيض فاحفر

---

(٤٥٢) العنب : ثمار نبات الكرم، وسكر العنب أفضل السكريات وأسهلها هضماً فهو يمتص مباشرة الى الدم ويشبه السكر الموجود في الدم، وعند تناول ١٠٠ سم من العنب يعطي الجسم ٦٨ كيلو سعراً من الطاقة الحرارية بالاضافة الى فيتامينات أ وب١ وب٢ وحمض النيكوتيك وفيتامين ج وغني بحمض الماليك والبوتاسيوم ويحتوي على أملاح الصوديوم والكالسيوم والمنجنيز والحديد والنحاس والفسفور والكبريت والكلور وحمض الطريك وبعض الانزيمات، ويجفف العنب فيصبح زبيبا ويختلفلا باختلاف انواع العنب واجوده الكثير الشحم الرقيق القشرة قليل البذور.

عن أصل الكرمة واسقها شيئاً من النفط الأسود فإن أردت أن لا يقع في الكرم دود فاقطع طاقتها بمنجل قد لطخ بدم ضفدع أو دم دب.

وإذا أردث أن يسلم من البرد فدخن الكرم بزبل بحيث يصل الدخان إليها جميعاً وانثر عليها ثمرة الطرفاء، وإذا حملت الكرمة فأخذت من نوى الزبيب أو العنب وطمر في أصلها أسرع إدراك ثمرها. وعصير كل عنب على لون أرضه لا لون حبه. وماء الكرم الذي يتقاطع من قضبانها بعد كسحها يجمع ويسقى للمشغوف بالخمر بعد شرب الخمر من غير علمه فإنه يبغض الخمر قطعاً. وينفع للجرب شرباً ويدق ورقها ناعماً ويضمد به الصداع فيسكنه.

وأصناف ثمرها كثيرة وأعجبها عيون البقر: وهي كالجوز، وأصابع العذارى: وهي كالأصبع المخضوبة، وربما بلغ العنقود منه طول ذراع والعنبة أوقية(٤٥٣) بالمصري. ويقال: إن في بعض الكتب المنزلة: أتكفرون بي وأنا خالق العنب؟ وقشر العنب بارد يابس. والعنب جيد الغذاء مقوي للبدن، يسمن بسرعة ويوفد دماً جيداً وينفع الصدر والرئة. والمقطوف لوقته ينفع ويحرك البطن ويقوي شهوة الجماع ويقوي مادة المني، وحبه ينفع من لسع الهوام والأفاعي دقاً وضماداً. الحصرم: أجود ماء الحصرم المعتصر باليد، وهو بارد يابس، ينفع من الصفراء ومن الحرارة الملتهبة ويولد رياحاً ومغصاً ويضرب بالعصب والصدر.

الزبيب: أجوده الكثير اللحم الصادق الحلاوة. وقيل إنه أُهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبيب فقال: بسم الله كلوا، نعم الطعام الزبيب، يشد العصب ويذهب الوصب ويطفئ الغضب ويرضي الرب ويطيب النكهة ويذهب البلغم ويصفي اللون.

---

(٤٥٣) أوقية : زنة سبعة مثاقيل وزنة لأربعين درهماً (اللسان ٦ / ٤٩٠٣).

والزبيب حار رطب وحبه يابس والزبيب تحبه المعدة والكبد وهو جيد لوجع الأمعاء وينفع الكلى والمثانة، ويعين الأدوية على الإسهال إذا أخذ منه عشرة دراهم.

القشمش(٤٥٤): هو زبيب صغير حلو أحمر وأخضر وأصفر. ويحكى عن أصحابه أنهم قالوا: ما زبب من قشمشنا في الشمس جاء أحمر، وما زبب معلقاً جاء أصفر، وما زبب في البيوت جاء أخضر. وهو كالزبيب غير أنه لا عجم له.

الخمر: أول من استخرج الخمر جمشيد الملك؛ فإنه توجه مرة إلى الصيد فرأى في بعض الجبال كرمة وعليها عنب فظنها من السموم فأمر بحملها حتى يجربها ويطعم العنب لمن يستحق القتل، فحملوها فتكسرت حباتها فعصروها وجعلوا ماءها في ظرف. فلما عاد الملك إلى قصره إلا وقد تخمر العصير، فأحضر رجلاً وجب عليه القتل فسقاه من ذلك فشربه بكره ومشقة، فنام نومة ثقيلة، ثم انتبه فقال: اسقوني منه، فسقوه أيضاً مراراً، ولم يحدث فيه إلا السرور والطرب، فسقوا غيره وغيره،

---

(٤٥٤) القشمش : هو زبيب صغير لا نوى له. أبو حنيفة: أخبرني جماعة من أهل الأعراب أن بالسراة منه كثيراً وعناقيده بيض مثل أذناب الثعالب، وإذا زبب فمنه ما زبيبه أحمر ومنه ما يجيء زبيبه أصفر ومنه أخضر قالوا: وكل ذلك كشمش ولكن اختلاف ألوانه من جهة اختلاف أجناسه، وقد أخبرني رجال من أهل هراة عن كشمشهم أنه ما زبب منه في الشمس جاء أحمر وما علق تعليقاً حتى يزبب يجيء أصغره مثل الفلفل وأكبره كالحمص لونه أخضر وما نشر في البيوت في الظل يجيء أخضر. علي بن محمد: الكشمش بالعربية هو القشمش بالفارسية وهو زبيب صغير لا نوى له أصغره كالفلفل وأكبره كالحمص ولونه أخضر وأحمر يكون ببلاد فارس وخراسان حلواً شديد الحلاوة والخراساني أجود من الفارسي لأنه أشد حمرة وأصدق حلاوة وعنبه حلو جداً وعناقيد طوال دقاق مثل قدر الذراع، ورأيت منه بدرعة وسجلماسة شيئاً كثيراً حلواً شبيهاً بالخراساني غير أن لونه أسود. الرازي: في كتاب دفع مضار الأغذية: والقشمش يشبه الزبيب إلا أنه أقل قبضاً وألين وأسهل خروجاً. ابن سرانيون: أما القشمش فينفع السعال والصدر وصفته أن يطبخ بالماء وحده ويؤخذ منه جزء ومن الفانيذ نصف جزء ويطبخ حتى يصير له قوام.

فذكروا أنهم انبسطوا بعدما شربوا ووجدوا سروراً وطرباً فشرب الملك وأعجبه ثم أمر بغرسه في سائر البلاد.

وقيل إن ملك السريان وهو أحد الأخوين اللذين اشتركا في الملك رأى يوماً طائراً وقد قصدت حية فراخه فرمى الملك الحية بسهم فقتلها. فغاب الطائر وأتى بثلاث حبات عنب في منقاره ورجليه ورماها بين يدي الملك، فعلم الملك أنها مكافأة له على ما فعله فزرعها فعلقت وأينعت وأثمرت، فلم يجسر الملك على استعماله خوفاً من أن يكون قاتلاً أو مضراً فعصره وأودعه في الآنية فغلى وقذف بالزبد وفاحت رائحته، فتعجب الملك لذلك فسقى منه شخصاً وجب عليه القتل فطرب ورقص وأظهر سروراً، ثم انتبه وذكر ما حدث له من السرور والطرب، فسر به الملك وأمر بغرسه في البلاد.

والأسود من الخمر بطيء الانحدار رديء الكيموس قوي الحرارة، والأبيض قليل الحرارة سريع النحدار. ومن لازم شربها حصل له خلل في جوهر العقل، ووجع في الكبد والطحال، وقلة شهوة الغذاء وضعف في الباه وفساد في الدماغ، ويحدث النسيان والبخر في الفم، والرعشة والرعب وضعف البصر والعصب والحميات والسكتة والصرع وموت الفجأة. وشربها على الريق بعد التعب يحدث خفقاناً في القلب وقساوة والتهاباً وأوجاعاً. ومما يمنع السكر بزر الكرنب وبزر الحصرم وأكل الفالوزج وشم اللينوفر. وأعظم ذمها كونها مفتاحاً لكل شر وجالبة لكل سوء وضر، ومميتة للقلب ومسخطة للرب. نسأل الله تعالى أن يتوب علينا وعلى كل عاص، وأن يلهمنا رشدنا ويأخذ بنواصينا إلى الخير بحق محمد وآله.

الخل: المتخذ من الخمر، بارد يابس، يمنع انصباب المواد إلى داخل البدن ويلطف ويعين على الهضم وخصوصاً مع وجود الشيب والتغرغر به يمنع سيلان

الخلط إلى الحلق، يمنع نزف الدم، وينفع من الجرب والقوابي وحرق النار، ووضعه على الرأس يمنع الصداع الحار. وهو صالح للمعدة الحارة ويفتق الشهوة ويبرد الرحم وينفع المنهوش، وشربه مسخناً ينفع لمقاومة السموم والأدوية القتالة.

التوت(٤٥٥): وهو الفرصاد. وهو أعز الأشجار، لأن دود القز لا يأكل إلا منه. قال المعتصم(٤٥٦) لعمال البلاد: استكثروا من غرس التوت فإن شعبها حطب وثمرها رطب، وورقها ذهب. وهو أنواع، والأسود منه بارد يابس. وإذا وضع

---

(٤٥٥) التوت : هو نبات على هيئة أشجار كبيرة وأفرعها كثيرة وهو نوعان، التوت الابيض الذي تؤكل ثماره وتتغذى على أوراقه دودة القز وتكون أزهاره ذات لون اصفر مائل الى الاخضرار وأوراق كثة والنوع الثاني التوت الاسمر او البنفجسي واشجاره اقل حجماً ونمواً من اشجار التوت الابيض. يعرف التوت بعدة اسماء مثل الفرصاد والفشكل والغلام. يعتبر التوت مفيداً جداً في حالات فقر الدم وأورام الحلق واللثة، وله تأثيرات فعالة في خفض درجة الحرارة وفي حالات الحميات والحصبة، كما انه يفيد في حالات العطش، ويستخدم عصير التوت في المجال الطبي لاضافته مع الأدوية بغرض التلوين وتحسين الطعم. وقد اتضح في السنوات الأخيرة ان جذور التوت لها خواص مسهلة للمعدة والأمعاء وطاردة للديدان، كما ان آخر الدراسات العلمية تؤكد ان للتوت تأثيرا هرمونيا ذكريا وهو بذلك يعتبر مفيداً لحالات الضعف الجنسي ويعمل أيضاً على خفض نسبة السكر في الدم والبول وهو بذلك مفيد لحالات ارتفاع نسبة السكر في الدم وأمراض الكبد وحالات السعال والحصبة

(٤٥٦) المعتصم : هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور المعتصم بالله العباسي (- ١٨ ربيع الأول ٢٢٧هـ= ٥ يناير ٨٤٢) المشهور عنه قصة وامعتصماه. نقل عاصمة الخلافة العباسية الى سامراء وهو من خلفاء الدولة العباسية. ولد المعتصم بالله سنة (١٧٩هـ) وكَرِه التعليم في صغره، فنشأ ضعيف القراءة يكاد يكون أُمِّيًّا. بُويع بالخلافة سنة (٢١٨ هـ) بعد وفاة أخيه المأمون وبعهد منه. وقد سلك مسلك المأمون في سيرته، وفتح عَمُّورية من بلاد الروم الشرقية، وبنى مدينة سامراء سنة (٢٢٢هـ) حين ضاقت بغداد بجنده. وهو أول من أضاف اسمه إلى اسم الله تعالى من الخلفاء فقيل المعتصم بالله وكان يُقال له المُثمَّن لأنه ثامن الخلفاء من بني العباس، وثامن أولاد الرشيد، وملك سنة ثمان عشرة، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وعاش ثمانية وأربعين سنة، وفتح ثمانية فتوح، وقتل ثمانية أعداء، وخلف ثمانية بنين وثمانية من البنات. وتُوفي المعتصم في سامراء سنة (٢٢٧هـ).

الأسود منه على لسع العقرب سكنه في الحال. والأبيض منه حار رطب رديء الغذاء مفسد للمعدة لكن يدر البول.

الرمان[٤٥٧]: هي من الأشجار التي لا تقوى إلا بالبلاد الباردة المعتدلة. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما أُلحقت رمانة قط إلا بحبة من الجنة. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إذا أكلتم الرمان فكلوها ببعض شحمها فإنه دباغ للمعدة، وما من حبة منه تقيم في جوف مؤمن إلا أنارت قلبه، وأخرجت شيطان الوسوسة عنه أربعين يوماً.

وأجوده الكبار والحلو والمليسي، وهو حار رطب يلين الصدر والحلق ويجلو المعدة وينفع الخفقان ويزيد في الباه، وقشره تهرب من الهوام.

الأُترج[٤٥٨]: هي شجرة حارة ولا تنبت إلا في البلاد الحارة وتقيم نحو عشرين سنة ومتى مستها حائض أو أخذ من ورقها جنب فسدت شجرته. وقشر

---

(٤٥٧) الرمان Pomegranate : من نباتات العائلة الرمانية التي عرفت منذ عهد قدماء المصريين وهي قديمة العهد جداً في مصر وعرفه القدماء باسم ارهماني ومنها اشتق الاسم القبطي ارمين او رمن الذي اشتق منه الاسم العبري رمون والعربي رمان، وهي شجرة صغيرة متساقطة الأوراق لها اوراق مستدقة رمحية الشكل وأزهارها كبيرة جميلة المنظر حمراء اللون لها كأس لحمي ملتحم السبلات احمر اللون والتويج احمر سائب البتلات ومتك صفراء ناصلة وقلم قصير ومسيم مطمور بين الأسدية ومبيض الزهرة متعدد المساكن وتفصلها بعضها عن بعض أغشية شفافة بكل مسكن بروز لحمي، ويحتوي الرمان على نسبة عالية من السكر ١٨ ٪ إلا أن طعمه حريف لاحتوائه على احماض عضوية كما انه يحتوي على نسبة عالية من الحديد وبعض الفيتامينات منها فيتامين ج ويطرد الديدان الشريطية وحمى الطاعون والدوسنتاريا والاسهال.

(٤٥٨) الأترج : شجرة من الموالح يصل ارتفاعه الى خمسة امتار ناعم الاغصان والورق ازهاره بيضاء وثمرته تشبه الليمونة الا انها اكبر بكثير ذات لون برتقالي ذهبي له رائحة مميزة ذكية ماؤها حامض يعرف الأترج بعدة اسماء وفقاً للمنطقة التي يكثر فيها ففي السعودية يدعى ترنج وفي بلاد الشام ترنج ايضاً

الأترج حار يابس ولحمه حار رطب. وحماضه بارد يابس، وحبه حار رطب. وأجوده الكبار، وهو يصلح لفاسد الهواء والوباء، ولحمه رديء للمعدة ويشهي الطعام وينفع من الخفقان ويسهل الصفراء.

النارنج(٤٥٩): شجرة لا يسقط ورقها كالنخلة؛ قال صاحب كتاب الفلاحة: إذا زرعت النرجس تحت شجرة النارنج تبدلت حموضتها بالحلاوة. ودواء مرض

وكباد وفي مصر والعراق أترج كما يسمى تفاح العجم وتفاح ماهي وتفاح ادم وليمون اليهود لأنهم يحملونه في اعيادهم.يعرف الأترج علمياً باسم CiTRUS MEDiCA، المحتويات الكيميائية لثمار الأترج:تحتوي قشور ثمرة الأترج على زيت طيار والمكون الرئيسي ليمونين والذي يشكل نسبة ٩٠٪ من محتويات الزيت وتحتوي القشور على فلافونيدات وكوماريتز وتربينات ثلاثية وفيتامين C وكاروتين ومواد بكتينية ورد ذكره في حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب". لقد ورد ذكر الأترج في سفر اللاويين من التوراة "تأخذون لأنفسكم ثمر الأترج بهجة" وقد قيل ان بعض الملوك الاكاسرة سجن بعض الاطباء، وامر الا يقدم لهم من الاكل الا الخبز وادام واحد، فاختاروا الأترج وسئلوا عن ذلك فقالوا "لانه في العاجل ريحان ومنظره مفرح، وقشره طيب الرائحة ولحمه فاكهة وحماضه إدام وحبه ترياق وفيه دهن، يستخدم الترنج في الطب الحديث كفاتح للشهية وطارد للارياح ومهضم ومنبه للجهاز الهضمي ومطهر ومضاد للفيروسات وقاتل للبكتريا ومخفض للحمى، ويستخدم كمضاد للبرد والانفلونزا والحمى ولعدوى الصدر والحنجرة بالميكروبات ويقوي جهاز المناعة. كما يساعد في موازنة ضغط الدم

(٤٥٩) نبات النارنج عبارة عن شجرة معمرة دائمة الخضرة يصل ارتفاعها إلى عشرة أمتار .أوراقها جلدية غامقة اللون والازهار بيضاء لها رائحة عطرية لطيفة والثمرة كروية كبيرة ذات لون برتقالي محمر وخشنة الملمس وطعمها حامض مثل الليمون. يقال ان اصله من الصين وانتقل منها إلى البلدان المجاورة للصين ثم إلى بقية القارة الآسيوية، فافريقيا وغيرها. وقد ادخله العرب إلى اسبانيا وزرع فيها عدة سنين قبل البرتقال. و يستعمل على نطاق واسع في تعطير الحلويات والأشربة ومصنوعات السكاكر.ويجب على العمال الذين يعملون في تقشير النارنج بأيديهم لبس قفازات حيث ان زيت قشور النارنج تسبب حكة شديدة وتسلخات للجد بالاضافة إلى انها قد تسبب دوخة وآلام في الرأس وحساسية في الأعصاب وتشنجات ولذلك يجب الاحتياط.

شجرة النارنج أن تسقى دم إنسان من فصد وغيره مخلوطاً بالماء. خاصية ورقها إذا مضغ طيب النكهة، ويذهب رائحة الثوم والبصل والخمر، ورائحة زهرها تنفع الدماغ وتقوي القلب، وتحلل مواد الرياح الباردة.

الليمون: هو نبات هندي، ولا يصح ويقوى إلا بالبلاد الحارة، وورقه وقشره حار يابس، وحماضه بارد يابس، وماؤه كذلك، ينفع من الصفراء ويسكن العطش ويقوي المعدة والشهوة ويضر بالصدر والعصب، وهو مشاكل للأُترج في أفعاله وله خاصية عظيمة في دفع السموم ونهش الحيات والأفاعي.

على نهر الدير بالبصرة، وكنت أقيم بها وبجواري بستان ظهرت فيه حية أطول من عشرة أشبار في عرض جراب ودوره، وكثرت جناياتها وأذاها. فطلبت حواءً يصيدها أو يقتلها، فجاء رجل فدللته نحو وكرها فبخر بدخنة كانت معه فلم يشعر إلا والحية قد خرجت إليه. فلما رآها الرجل وهاله أمرها ولى فنهشته فمات في الحال. واشتهر أمرها بها الناس وامتنع الحواؤون من الحضور إليها فجاء لي رجل بعد مدة وقال: قد بلغني أمر الحية وفسادها وتعاظم أذاها فدلني عليها. فقلت: قد قتلت حواءً. فقال: هو أخي وقد جئت لآخذ بثأره أو أموت كما مات، فأرنيها. فقلت له: اعبر إلى البستان. وجلست أنا في طبقة لها طاقة تطل على البستان أنظر ما يكون منه. فأخرج دهناً كان معه فأدهن به وصلى ودعا ودخن كما دخن أخوه فخرجت إليه هائشة، فما تزعزع عن مكانه فلما قربت منه هجم عليها وطلبها فهربت منه، فتبعها وقبض عليها، فالتفتت إليه ونهشته فمات من وقته. فترك الناس الضيعة ورحلوا من أجلها، وقالوا لا مقام لنا في جيرة هذه السخطة. فجاءني بعد أيام رجل آخر فسألني عنهما وعن الحية فأخبرته بما كان فقال: والله هما أخواي، وجئت لآخذ بثأرهما أو أموت كما ماتا ولا بد لي منها. فأريته البستان وجلست في الطاقة لأنظر ماذا يصنع؟

فأخرج دهناً وادهن به ودخن كأخويه فخرجت إليه فطلبها فوقفت له تحاربه، ثم تمكن من قفاها وقبض عليها فالتفتت وعضت إبهامه فحزمها وجعلها في سلة كبيرة أحضرها معه وبادر إلى إبهامه فقطعها وأشعل ناراً وكواها. فحملناه إلى الضيعة فرأى ليمونة بكف صبي، فقال: أعندكم من هذا شيء؟ قلنا نعم قال: ائتوني بما تقدرون عليه، فأتيناه بكثير منه فجعل يقضم ويأكل ويدهن به موضع اللسعة وبات فأصبح سالماً، فقال: ما خلصني الله سبحانه إلا بهذا الليمون. وقطع رأس الحية وذنبها ورمى بهما، وغلى على بدنها وطبخه وأخذ دهنه ومضى.

اللوز: أجوده الطري الكثير الدهن، وهو معتدل الحرارة والرطوبة يغذي غذاء حسناً ويسمن وينفع الصدر والسعال ونفث الدم، ويلين البطن خصوصاً إذا كان مع التين، وينفع من عضة الكلب الكلب، والمر منه حار يابس وهو جيد للشرى مع الشراب، ودهنه ينفع من وجع الأذن ويمنع صداع الرأس، وأكله قبل السكر يمنع السكر، وهو يقوي البصر ويفتح سدد الكبد والطحال والكلى.

الجوز: ينبت بنفسه ولا يصح إلا في البلاد الباردة، وهو حار يابس بطيء الهضم إلا أنه ينصلح مع التين. ودهنه ينفع من الحمرة، وقشره يحبس نزف الدم ويضمد به لعضة الكلب الكلب، وكثرة أكله تورث ثقل اللسان.

البندق: حار مع يبوسة وإذا خط على العقرب حلقة بعود البندق لا يقدر أن يخرج منها، وهو يزيد في الباه وشهوة الجماع مع السكر مدقوقاً، وينفع من نهش الهوام خصوصاً مع التين أكلاً وضماداً، وإذا طلي مدقوقاً على يافوخ الطفل الأزرق العينين ردهما سوداوين.

الشاهبلوط(٤٦٠): ينفع لإدرار البول، وينفع من السموم ونزف الدم.

الفستق: حار يابس أشد حرارة من الجوز يفتح سدد الكبد ويقوي فم المعدة، ويمنع من الغثيان، ومن نهش الهوام والسعال البلغمي ولدغ العقارب ويزيد في الباه.

الصنوبر(٤٦١): حار يابس يمنع الرطوبات من البدن ويزيد في الباه مع عقيد العنب. **الفلفل**(٤٦٢): حار يابس فيه جذب وتحليل وهو عدو البلغم اللزج، ويلطف الأغذية ويشهي الطعام ويدر البول وينفع ظلمة البصر.

القرنفل(٤٦٣): حار يابس يطيب النكهة ويحد البصر، وينفع من الغشاوة ويمنع القيء والغثيان ويقوي الكبد، وقدر ما يؤخذ منه نصف مثقال مع مثليه سكر نبات مسحوقين منخولين.

---

(٤٦٠) الشاهبلوط : نوع من البلوط، وأقوىٰ من البلوط أثراً. «الجامع ١ : ١١٠»..

(٤٦١) الصنوبر : شجرة دائمة الخضرة، يتراوح ارتفاعها بين (٢٠-٣٠) م. جذعها منتصب، يتراوح قطره بين (٣٠-٥٠) م. القشرة رمادية محمرة، تسترها حراشف بنية اللون. أوراق الصنوبر إبرية الشكل، طولها من (١٠-٢٠) سم وهو مطهر للمجاري التنفسية والبولية. مضاد للتسمم بالفوسفور. خارجيا له خواص مخرشة و محمرة و مطهرة.

(٤٦٢) الفلفل Black popper : شجرة معمرة تنمو بريا، وتزرع في كثير من الدول، تحتوي ثمار الفلفل على زيت طيار، ومركبات تجعله صالحاً لعلاج المعدة، وطارداً للريح، ومضادا للبكتيريا والحشرات، ويستخدم في أفريقيا لتشجيع الاجهاض وطرد البعوض (الطب القديم ، ص ٣٩).

(٤٦٣) القرنفل Clous de girofle : شجرة القرنفل شجرة دائمة الاخضرار ذات شكل هرمي تعلو ١٥ متراً، ولها رائحة عطرية قوية والقرنفل هو براعم الازهار المجففة لشجرة القرنفل، وهو من التوابل المشهورة، ويحظى بقيمة عالية كدواء عشبي، وهو من أقدم التوابل، وتحتوي كبوش القرنفل على أفضل

الخولنجان[٤٦٤]: حار يابس، يحلل الرياح وينفع من القولنج ووجع الكلى ويهيج الباه، ويطيب النكهة ويهضم الطعام ويصلح المعدة ويطرد البلغم والرطوبة المتولدة في المعدة، وينفع من عرق النسا ولمن لا يضبط البول.

الزنجبيل(٤٦٥): هو كالفلفل في منافعه. **المصطكا**[٤٦٦]: حار يابس ملين، وهو يجبر العظام المكسورة، ومضغه يجلب البلغم من الرأس وينقيه ويطيب النكهة وينفع من السعال البلغمي ومن أورام الكبد ونزف الدم وفساد الرحم تحملاً.

زيت عطري، ويمكن أيضاً تقطير سوق الشجرة وأوراقها من أجل زيتها وزيت القرنفل (Clove Oil) هو زيت مطهر للجروح ومضاد للجراثيم ومخفف لآلام الأسنان.

(٤٦٤) الخولنجان : عبارة عن نبات عشبي معمر يصل ارتفاعه إلى حوالي مترين له أوراق كبيرة، ذو أزهار بيضاء وحمراء، يمتاز الخولنجان الصغير برائحته العذبة وطعم تابلي .يوجد من الخولنجان عدة أنواع مثل الخولنجان الصغير أو ما يعرف بالعيني والخولنجان الأبيض والخولنجان الكبير أو الأحمر، وهناك أنواع أخرى تستعمل فقط للزينة لجمال أزهارها واستدامة خضرتها.

(٤٦٥) الزنجبيل Gingembre : نبات من العائلة الزّنجبارية، وهو أصلاً من نباتات المناطق الحارة، وهو من النباتات المعمرة تتكاثر وينمو النبات الى ارتفاع متر تقريبا، ويحمل اوراقا متبادلة رمحية الشكل، والساق الذي يحمل الأوراق أجوف ويحتوي على زيت طيار بنسبة تصل الى ٣ ٪ لها رائحة العقار المميزة، ولكن ليس للزيت حرافة العقار، وهو يستعمل تابلا ومسكنا ومنبها.

(٤٦٦) المصكا (المستكة) شجرة دائمة الخضرة لها ثمر أحمر مر الطعم.شجر المستكة شجر صغير ينمو بحوض البحر المتوسط.و المصطكى عبارة عن فصوص راتنجية معروفة من قديم، رغم أن الراتنج يبرز تلقائياً فإن الإفراز يزداد إذا ما أزيلت شرائح من اللحاء أو بعمل شقوق طويلة في جذع الشجرة و الأغصان الكبيرة للنبات فتسيل عصارته الراتنجية سائلة تجمد بسرعة و تبقى متعلقة بالشجرة على هيئة دموع هشة بيضاوية أو حبوب طويلة لونها أصفر في حين يتساقط الباقي على الارض.يستخرج المصطكى ثلاث مرات في العام الواحد أي يعطي ثلاثة محاصيل.

خيار الشنبر(٤٦٧): معتدل في الحرارة والبرودة، عسله يسهل المرة المحترقة ويطفئ حدة الدم ويسكن وهجه ويذهب الورم العارض منه، وينفع من الأورام الحارة في الأحشاء خصوصاً في الحلق إذا تغرغر به ممرساً في ماء عنب الثعلب، وإذا سقي مع التربد أخرج رطوبات عجيبة، وإذا سقي مع التمر هندي أخرج الأخلاط الصفراوية ونفع المحمومين، وإذا سقي مع الهندبا نفع من القولنج ووجع المفاصل واليرقان. وهو يسهل من غير أذئ حتئ الحوامل، وهو يضر بالنسل، وبدله نصف وزنه من ترنجيل، وثلاثة أمثاله من شحم الزبيب مع تربد.

السرو(٤٦٨): شجرة حسنة الهيئة قويمة الساق، يضرب بها المثل في استقامة قدها ومشق قامتها وخضرة ورقها. وهو أخضر صيفاً وشتاء والتدخين بأغصانها في البيت يطرد البق، وطبيخه بالخل يسكن وجع الأسنان ويجعل من نشارته بنادق وتطرح في الدقيق الدرمك يبقي زماناً طويلاً لا يفسد، وورقه مع الشراب ينفع من عسر البول، وإذا دق ورقها رطباً وجعل على الجراحة ألحمها، ورمادها ينفع من حرق النار وسائر القروح ذروراً، وجوزها يطرد البق إذا دخن به.

---

(٤٦٧) خيار الشنبر: هو شجر ينمو في مناطق كثيرة من العالم وينتشر على الأخص في بلاد الهند وباكستان. وقد ثبت بالتجربة والدراسة العلمية الرصينة أن لهذا الشجر فوائد صحية عديدة ومن أبرزها أنه يستخدم كعلاج للضعف الجنسي والعقم سواء عند الرجل أو المرأة. ولاستخدامه كمقو جنسي تغلى أزهار النبات في اللبن ويشرب من هذا الحساء يومياً.

(٤٦٨) السرو: شجرة دائمة الخضره يصل ارتفاعها إلى ٣٠متراً ذات اوراق خضراء غامقه دقيقه وخاريط ذكريه وأنثويه وهو بطيء النمو. يعرف النبات علمياً بإسم Cupressus sempervirens وموطنه الاصلي تركيا ويكثر في الاجواء المعتدله وخاصة في مصر في شبة جزيرة سيناء حول دير سانت كافترين ومنطقة الدلتا.

البطيخ[٤٦٩]: منه بستاني ومنه بري، والبري هو الحنظل والبستاني ثلاثة أصناف: هندي وهو الأخضر وخراساني وهو العبدلي، وصيني وهو الأصفر. ثم الأصفر ثلاثة أصناف: صيني وحلبي وسمرقندي، وفلاحتها كلها واحدة، والطعوم والأشكال مختلفة. وإذا نقع بزر البطيخ بالعسل والبن جاء في غاية الحلاوة، وإذا نقع في ماء الورد شممت من بطيخه رائحة الورد، ومتى دخلت المرأة الحائضة في المقثأة فسدت وتغير طعمه وإذا أصاب بزر البطيخ أو القثاء رائحة الدهن جاء كله مراً. وإذا وضع رأس حمار في وسط المبطخة دفع عنها جميع الآفات وأسرع نباتها وحملها وحملها وإدراكها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن البطيخ كان أحب الفاكهة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تفكهوا بالبطيخ وعضوا منه، فإن ماءه رحمة، وحلاوته من حلاوة الجنة. ومن أكل لقمة من البطيخ كسب الله له ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة، لأنه خرج من الجنة.وعن وهب بن منبه أنه وجد في بعض الكتب أن البطيخ طعام وشراب وفاكهة وجلاء وأُشنان وريحان وحلاوة ونقل، وينقي المعدة ويشهي الطعام ويصفي اللون ويزيد في ماء الصلب ويدر البول ويسهل الخام.

الصيني: وهو الأصفر، وهو ثلاثة أصناف. وأطيبه وأحلاه السمرقندي وأجوده العبدلي، وهو بارد رطب يدر البول ويقلع الكلف والبهق الرقيق والوسخ، وبزره أقوى جلاءً من جرمه، وقشره يلصق على الجبهة فيمنع النوازل من العين،

---

(٤٦٩) البطيخ : أثبتت الدراسات الحديثة فوائد صحية عديدة لفاكهة البطيخ، خصوصا فيما يتعلق بسلامة الأمعاء والكلي. فقد أظهرت الدراسات أن يرطب الجلد، وينعش الجسم و يفيد كملين قوى للأمعاء، ومادة تساعد على الهضم، ومقوى للدم، ومفتت لحصوات الكلي.

ولحمه ينفع من حصاة الكلى والمثانة، وهو يستحيل إلى خلط ويرخي الجسد ويحدث هيضة. وإذا فسد في الجوف فهو كالسم.

القرع: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا طبختم فأكثروا القرع فإنه يسكن قلب الحزين. ومن خواصه أن الذباب لا يقع عليه، ولما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت خرج كالطفل حين يخرج من بطن أمه، فأنبت الله سبحانه وتعالى عليه في الحال شجرة من يقطين(٤٧٠) لئلا يقع عليه الذباب فيؤذيه. فمكثت الشجرة حتى تصلبت بشرته وقويت أعضاؤه فأيبسها.

والقرع بارد رطب، ويسمى الدباء. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء، وهو يغذي غذاء يسيراً وينحدر سريعاً، وهو جيد للصفراء وعصارته تسكن وجع الأذن مع دهن ورد، ينفع من أورام الدماغ، وسليقه ينفع من السعال ووجع الصدر من حرارة، ويقطع العطش، إلا أنه يفسد في المعدة ويضر بأصحاب السوداء والبلغم ويضر بالأمعاء.

القثاء والفقوس والعجور: فالقثاء بارد رطب يسكن الحرارة والصفراء ويدر البول ويسكن العطش ويوافق المثانة وشمه ينعش المغشي عليه، وأكله ينفع من عضة الكلب الكلب؛ وبذره يدر البول ويحسن اللون طلاء ويطفىء الحرارة، لكنه رديء

---

(٤٧٠) اليقطين :(القرع – الكوسا – قرع الكوسا) فهو من الفصيلة القرعية واليقطين من أجود انواع الخضروات، سهلة الهضم ولا يجهد المعدة ولا الامعاء ولهذا فهو غذاء نافع لمرضى القولون الغليظ وثمار القرعيات ولب اليقطين له دور في علاج الدودة الشريطية ويقال ان الذباب لا يقرب هذه الشجرة.

الكيموس، يهيج الحميات ويؤلم المعدة، وكذلك الفقوس والعجور. الخيار[٤٧١]: بارد رطب، ينفع من الحميات المحترقة ويدر البول، إلا أنه يحدث العطش، وشمه ينفع المغشي عليه من حرارة، ويحدث وجعاً في المعدة والخواصر.

الباذنجان: حار يابس ينفع من نزف الدم ويورث أخلاطاً رديئة وخيالات فاسدة، ويولد السوداء والسدد ويسود البشرة؛ ويفسد اللون، ويصفره ويولد الكلف والصداع

الأرز: بارد يابس، يحبس البطن حبساً ليس بالقوي، وإن لم تغسل عنه الحمرة التي عليه، وإلا عقل البطن. وأنفعه ما أُكل باللبن الحليب، وأكله يزيد في النضارة بوجه الآكل ويخصب البدن ويري أحلاماً صالحة.

السمسم[٤٧٢]: حار رطب مغذ ملين محلل ينفع السوداويين ووجع الصدر والخشونة في الحلق ويزيد في المني.

الحمص: حار رطب ملين يدر البول ويهيجه، وينفع ويغذي أكثر من الباقلاء، ويجلو النمش ويحسن اللون أكلاً وطلاء، وينفع من الأورام الحارة الصلبة ومن وجع الظهر ويصفي اللون.

---

(٤٧١) الخيار : أسمائه أيضاً " عبد اللاوي " وهو من النباتات التي صورت بكثرة على الآثار المصرية، وفي الطب الاسلامي كانت أوراق الخيار تستخدم في تسكين الآلام عند عضة الكلب المسعور (الطب القديم، ص ٢٢).

(٤٧٢) السمسم : Sesame : نبات حولي أوراقه مستطيلة، أزهاره ارجوانية أو مائلة للبياض ويحتوي على بذور مفلطحة ويزرع من اجل بذوره التي تحتوي على زيت السمسم الثمين، وهو مغذ وملين للأمعاء ومرطب للجلد (الطب القديم، ص ٣٢).

الكمون(٤٧٣): حار يابس يقتل الدود ويطرد الريح ويحلله، وإذا غسل الوجه بمائه صفاه، وكذلك أكله بقدر يسير، ويدمل الجراحات ويقطع الرعاف مسحوقاً مع خل، وإذا مضغ وقطر ريقه في العين نفع الطرفة والدم السائل من العين. الكمون الكرماني: وهو الشونيز الأسود، حار يابس يقطع البلغم جلاءً، ويحلل الرياح والنفخ ويقطع الثآليل وينفع الزكام البارد. ويجعل مدقوقاً في خرقة كتان ويطلى به جبهة من به صداع بارد.

الكراويا(٤٧٤): حار يابس يطرد الريح ويخففه، وينفع الخفقان ويقتل الديدان ويدر البول. وقدر ما يؤخذ منه درهم.

• • • •

---

(٤٧٣) الكمون Cumin : بذوره منبهه وطاردة للريح، وتستخدم في صناعة العطور، ويستخدم في حالات عسر الهضم والمغص (الطب القديم، ص ٤٥).

(٤٧٤) نبات حولي من فصيلة الخيميات، ينمو في الحقول والأحراج وعلى جوانب الطرق، والجزء الطبي منه المستعمل هو الثمرة التي لها طعم حاد حِرِّيف ورائحة معروفة. يتواجد في مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط وإيران ومنغوليا. تنشيط الجهاز الهضمي ومعالجة المغص المعوي خصوصاً عند الأطفال، والمساعدة على طرد الغازات. يساعد على إدرار اللبن عند المرضعات وتسكين آلام الرحم بعد الولادة. زيت الكراويا يستخدم في تخفيف آلام الروماتيزم في المفاصل والعضلات. تستعمل في بعض الصناعات الغذائية مثل بعض أنواع الفطائر والجبن.

فصل في البقول[٤٧٥] الكبار

القلقاس(٤٧٦): حارس يابس رطب يزيد في الباه ويولد الريح.

القنبيط(٤٧٧): حار يابس يفتح السدد، ويشفي من الخمار وينفع من ضربة السكر ويولد رياحاً.

اللفت(٤٧٨): حار رطب يغذي غذاء كثيراً ويولد المني ويدر البول، ويشهي الطعام إذا طبخ مرتين وطيب بالخل والخردل(٤٧٩). وماؤه ينفع البصر وهو يحرك شهوة الجماع.

الفجل(٤٨٠): حار رطب يقطع رائحة الثوم ويقوي الباه وينقي المعدة، وماؤه إذا قطر في العين جلاها، وبالشرب ينفع من نهش الأفاعي، وإذا طرح ماؤه على العقرب ماتت لساعتها. ومن أكل فجلاً ولسعته عقرب فلا يضره.

---

(٤٧٥) البقول : البقل هو ما اخضرت به الأرض، والمتعارف عليه هو مأكولات من نباتات الفصيلة البقلية.

(٤٧٦) القلقاس : بقلة زراعية عسقولية من الفصيلة القلقاسية، تؤكل عساقلها – أي ما يسمىٰ درناتها – مطبوخة وتحوىٰ الدرنات مواد غروية، ومواد نشوية مغذية وهو ومزيل للسعال والقلقاس سريع الهضم ويغلف المعدة

(٤٧٧) القنبيط : نبتة غنية بالمواد الكبريتية. تعرف أيضاً باسم القرنبيط

(٤٧٨) اللفت Turnip : اللفت من البقول الزراعية التي تضم الفجل والكرنب وغيرهما، وهو يدر البول، يفتت الحصىٰ، يمنع انحباس الماء بالجسم والتنفخ (الاستسقاء).، منشط للكبد، يعالج اليرقان، ويمنع امراض حصىٰ المرارة، يعالج ضعف البصر لما فيه من فيتامين أ ومشتقاته.

(٤٧٩) الخردل : يطلق علىٰ أنواع نباتية من جنس واحد تختلف في لون بذورها فمنها الأسود والأبيض وتتميز البذور بتجانسها من حيث الوزن والحجم لذلك اتخذت مقياساً للوزن وله طعم حريف وأزهاره صفراء اللون ذهبية مرتبة في عناقيد والثمرة خلردلة بها من ٣ – ٥ بذور سوداء اللون محمرة صغيرة الحجم لها صعم حار نافذ وقطر البذر ١مم.

الجزر(٤٨١): حار رطب، ينفع من ذات الجنب والسعال المزمن ويهيج الباه.

البصل(٤٨٢): حار يابس ملطف محمر للبشرة، يجذب الدم إلى خارج الجسد كالخردل، ويزيد في الباه وينفع من تغير المياه ويفتق الشهوة ويلين الطبع ويحسن اللون ويحد البصر.

الثوم(٤٨٣): Garlic : حار يابس يسخن المعدة إسخاناً ظاهراً، وينفع أصحاب الأمزجة الباردة الرطبة، وينفع الأبدان المشرفة على الوقوع في الفالج ويخفف المني

---

(٤٨٠) الفجل : Radish : كلى والاضطرابات النفسية، فاتح للشهية (الطب القديم، ص ٣٩).

(٤٨١) الجزر : نبات جذري من الفصيلة الخيمية. يستفاد من جذره الذي في التربة.وهو ثنائي الحول وله عدة ألوان أرجواني وأرجواني محمر وأصفر وقريب من الأبيض. وكلما كان الجزر أكثر إحمراراً دل ذلك على زيادة محتواه من مادة الكاروتين التي يحتاج إليها الجسم بمقدار واحد ونصف ملغم يوميا. طعم الجزر حلو ودافئ وممتع. تعتبر أوراق الجزر غذاء جيدا للمواشي. يتوفر الجزر حاليا طوال أيام السنة حيث يزرع صيفا في البلاد الحارة تحت المسقفات البلاستيكية لحماية النبات من حارة الشمس المرتفعة.و الجزر له خواص المضادات الحيوية، فهو يدمر البكتيريا التي تزهر في الأمعاء و يساعد عصير الجزر في التخلص من الإلتهابات المعوية وفي شفاء قرحة المعدة و يساعد في التخلص من بعض ديدان المعدة والمغص و يحفظ جدران أجهزه الهضم ويضمده و مدر للبول

(٤٨٢) البصل Onion : من الفصيلة الزنبقية، وهو يحتوي على زيت طيار به مواد عضوية كبريتية وبروتينات ومواد كربوايدراتية وبعض المعادن وفيتامينات أ و ج، والبصل يستعمل لنكهته وهو منفث ومهيج ومنشط لحركة الأمعاء مما يجعله مفيداً للإمساك، ومنشطا للرحم ويقوي ضربات القلب ويخفظ نسبة السكر في الدم وقد أثبتت الأبحاث أن البصل يساعد على الوقاية من جلطات الدم ويخفف الإصابة من تصلب الشرايين وتناول البصل يؤدي الى خفض الكوليسترول في الدم الذي يؤدي الى الذبحة الصدرية.

(٤٨٣) الثوم : هو نبات معمر بالبصلات ذات الرائحة النافذة ويحتوي على مواد كبريتية وأهمها زيت طيار يحوي ثنائي اليل الكبريتيد وجولوكوزيد اليين اليسين، ولكنه خال من الفيتامينات ويستعمل الثوم تابلا ومعرقاً ومدراً للبول ومنفثاً ومطهراً للأمعاء وفيه علاج الدوسنتاريا ويوقف نمو البكتيريا ويوصف علاجا لتصلب الشراين وضغط الدم العالي ويؤثر على عضلات القلب وينشطها ومضغ الثوم مدة ثلاث

ويفتح السدد ويحلل الرياح ويطلق البطن ويقوم في جميع الأوجاع الباردة مقام الترياق الأكبر، وله منافع كثيرة.

الهليون(٤٨٤): حار رطب يفتح السدد وينفع القولنج البلغمي والريح وينفع عسر البول.

. . . .

دقائق يعد كافيا لقتل جميع الميكروبات التي تكون بالفم والشوم علاج ناجح لسوء الهضم والانتفاخ والمغص وزيته الطيار يمتص في الدورة الدموية ويفرز من الرئتين ويعمل مطهرا ومضادا للتقلصات ويخفف آلام التهابات الجهاز الهضمي وآلام البطن عند مسحه على البطن وقد استعمل الثوم وقاية من أمراض التيفوس والتيفود والدفتريا وعلاج السعال الديكي وهو منفث ويخفف السعال والثوم يفتح الشهية للأكل ويفيد في تخفيف العرق الغزير ليلاً وقد استعمل الثوم كملطف للحرارة في الحميات وتستعمل عصارته في الأمراض الجلدية وآلام الأذن وهو مطهر للجرح ولأسطح المقروحة .

(٤٨٤) الهليون من النباتات المصرية القديمة حيث نقشت رسوماته على جدران المعابد ووجدت عيدانه في العديد من المقابر الفرعونية وكذلك ما زالت بذوره محفوظة داخل أوان فخارية حتى اليوم. والهليون نبتة معمرة رفيعة السيقان تعلو مترين لها أوراق ابرية طويلة وأزهار جرسية تنتج ثماراً عنبية حمراء زاهية.. وا لهليون من الخضروات الورقية التي تمكث في الأرض حوالي عشر سنوات ويوجد منه عدة انواع مثل الهليون الأبيض والبنفسجي. وجميع الأصناف الثلاثة تجود زراعتها في مصر وخاصة في الأراضي الصفراء الخصبة والرملية.

الهندبا(٤٨٥): قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: في كل ورقة من الهندبا وزن حبة من ماء الجنة، وهو بارد رطب، وهو يفتح السدد ويروق الدم، وينفع الكبد والعروق.

النعنع(٤٨٦): حار يابس وفيه قوة مسخنة وهو ألطف البقول المأكولة جوهراً. وعصارته تنفع من سيلان الدم من الباطن ويقوي المعدة ويسخنها ويسكن الفواق الكائن عن امتلاء، ويهضم إذا أخذ منه اليسير.

الزعتر(٤٨٧) **البري**: سريع النبات بعيد من الآفات، وهو حار يابس محلل ملطف يسكن وجع الضرس مضغاً، وينفع من أوجاع الوركين والكبد والمعدة. ويخرج الدود وحب القرع. وينفع المغص وعضة الكلب الكلب.الكرفس: حار يابس، يحلل النفخ ويفتح السدد ويسكن الأوجاع؛ ويطيب النكهة وينفع من ضيق

---

(٤٨٥) الهندبا عشبة معروفة تكثر في الاراضي الطينية،وحواشي الطرق، ومنها بري وبستاني عريض الورق ودقيق الورق أوقد تشتد مرارته في الصيف فيميل إلى قليل حرارة ولا يؤثر أوالبستاني أجود وأفضله الشامي.

(٤٨٦) يعد نبات النعنع الفلفلي هجيناً من نوعين من النباتات هما النعنع المائي والنعنع الأخضر. ويستخدم من هذا النبات أوراقه وهي ذات شكل بيضاوي ولون أخضر وحواف مسننة ورأس مدبب، تكسوها طبقة من الأوبار المفرزة، رائحتها عطرية جميلة وطعمها بارد مميز وهو مضاد للتشنج طارد للريح منشط للكبد.

(٤٨٧) الزعتر : Thyme : وجدت بقايا منه في مقبرة توت عنخ امون ويزرع في مصر وهو طارد للبلغم وعلاج الصاع والتقلصات المعوية (الطب القديم، ص ٣٠).

النفس ويدر البول، ويهيج شهوة الجماع من الرجال والنساء. وطبيخه مع العدس(٤٨٨) يتقيأ به من سقي السم وينفعه.

اسفاناخ(٤٨٩): بارد رطب ملين ينفع السعال والصدر والصفراء، وينفع أوجاع الظهر الدموية وهو سريع الانحدار مضر بأصحاب الأمزجة الباردة.

الشومر(٤٩٠): وهو الرازيانج، حار يابس يسخن إسخاناً قوياً ويحلل الرياح ويفتح السدد ويحد البصر ويفتت الحصئ من المثانة.

الشبت(٤٩١): حار رطب مسخن مجفف منضج للأخلاط الباردة ويسكن الأوجاع ويفش الأورام وينفع الفواق.

---

(٤٨٨) العدس Leentils : نبات صغير أزهاره بيضاء قرمزية والثمرة قرنية بها بذرتان عدسيتان قطرهـا حوالي ٩ مم وهو من البقول، وهو طعام مفيـد وقـوي ومركـز وغنـي بالبروتينـات (٢٥ ٪) وهـو غنـي بالمعادن خاصة الكالسيوم والحديد وبه ٣٪ أملاح معدنية، ويمتاز العدس (أبو جبة) أنه أغنئ من المقشور في المعدنيات بالإضافة الى فيتامين ب.

(٤٨٩) اسفاناخ : (السبانخ) ويسمئ علمياً بـ (سبيناسـيا أوليراسـيا Spinacia Oleracea). وهـو مـن الخضراوات الورقية المشهورة والمعروفة عند العرب وهـم أول مـن اكتـشف قيمتهـا الغذائيـة وفوائـدها الطبية، حيث تعتبر بلاد فارس الموطن الأصلي للسبانخ ومن ثم انتشر إلى اسبانيا مع فتح الأندلس وبعض الدول تستخدم السبانخ في أعيادها كأعياد النيروز في أفغانستان فإن سكان كـابول يتناولونهـا مـع الأرز وذلك تفاؤلا بأن العام الجديد سيكون خصبا، وأيضا في النمسا هناك عيد يسمئ عيد السبانخ يتم سنويا تقديم فطائر بأشكال متنوعة تدخل السبانخ في إعدادها والسبانخ يحتوي على العديد من العناصر الغذائية المفيدة للصحة العامة كالحديد، الكالسيوم، المغانسيوم، المنغنيـز إضـافة إلى فيتـامينA,B,C وبيتاكـاروتين وحمض الفوليك، ويحتوي أيضا على الحمض الأميني الهستدين وعلى العديد من العنـاصر الغذائيـة التـي تلعب دورا مهما كمضادات للأكسدة

(٤٩٠) نبات معمر مرتفع والأوراق دقيقة، ولونها أخضر فاتح. والبـذور مفلطحـة، وقـد كـان الـشومر معروفا.

. . . .

(٤٩١) الشبت : Dill : يستخدم الشبت للأكل وفي طب الأعشاب يعتبر الشبت من المواد المرطبة والمهدئة والتي تاعد على الهضم ويشفي انتفاخ البطن والمغص عند الأطفال (الطب القديم، ص ٣٤).

فصل في حشاش مختلفة

حب الرشاد(٤٩٢): حار يابس، وأكله يزيد في الذهن والذكاء ويهيج الباه وعصارته تنفع من نهش الهوام شرباً ومع العسل ضماداً. ودخانه يطرد الهوام.

حرمل(٤٩٣): صالح لأوجاع المفاصل. وفيه قوة مسكرة كاسكار الخمر ينفع من القولنج شرباً وطلاء. وبزره ينقع في الخل ويرش في البيت فيطرد الذباب.

سنا(٤٩٤): أجوده الحجازي. وهو حار يابس، يسهل الصفراء والسوداء وينفي الفضول. وقدر ما يؤخذ منه خمسة دراهم.

بسفنانج: أجوده الغليظ الأخضر الأملس وهو حار يابس محلل النفخ والريح والرطوبة ويسهل بلا مغص ولا كرب وينفع من نزف الدم.

شيرخشك(٤٩٥): هو حار باعتدال وهو أقوى فعلاً من الزنجبيل.

---

(٤٩٢) حب الرشاد نبات عشبي حولي قائم من الفصيلة الصليبية Cruciferae موطنه منطقة الشرق الأوسط والحجاز ونجد. وأزهاره بيضاء متعددة، و قد نقل ابن القيم ما ذكره الكحال دون أن يشير إليه وزاد عن جالينوس: قوته مثل قوة بزر الخردل لذلك قد يسخن به أوجاع الورك المعروفة بالنساء وأوجاع الرأس

ويعمل على زيادة الأنسولين الفعال؛ لأنه يحتوي على كميات عالية من الكبريت.

(٤٩٣) حرمل (peganum harmal) أو غلقة الذئب نبات عشبي معمر، يبلغ ارتفاعه ٦٠ سنتيمتر، ذو أوراق مفصصة، ورائحة مميزة، وأزهاره بيضاء كبيرة، ويعطي ثماراً علبية بيضية، بها بذور سوداء صغيرة. وينمو النبات برياً في معظم بلدان الوطن العربي، خاصة في المناطق الصخرية في البيئات ذوات المطر الوفير نسبياً، كما ينمو في كثير من بلدان البحر الأبيض المتوسط.

(٤٩٤) السنا: Senna : هو جنس كبير يحتوي على ٢٥٠-٢٦٠ نوع من النباتات الزهرية التي تتبع الفصيلة البقولية، تحت الفصيلة البقمية.

مربطارخ[٤٩٦]: حار يابس مفتح للسدد محلل للرياح وينفع مع الشراب شرباً للسع العقارب وللمعدة المسترخية.

أشنان: هو حار يابس مفتح محلل. ووزن نصف درهم منه يحل عسر البول، ودرهم يدر الحيض، وثلاثة دراهم تسهل مائية الاستسقاء. وهو يجلو الأسنان. ودخان الأخضر يهرب منه الهوام.

. . . .

---

(٤٩٥) قيل هو طل يقع من السماء على شجر الخلاف بهراة وهو حلو إلى الإعتدال وهو أفضل أصناف المن وأكثرها نفعاً.

(٤٩٦) ولعلاج النزلات الصدرية والتهابات القصبة الهوائية بعد خلطها مع صفار البيض.

فصل في البزور

بزر قطونا(٤٩٧): بارد رطب يصفي الحرارة والعطش ويسكن الصفراء.

بزر مرو: حار رطب يسهل البلغم وقدر ما يؤخذ منه زنة درهمين.

بزر البصل: حار يابس، يُحرك الباه من الأمزجة الباردة.

بزر اللفت: حار رطب يزيد في قوة الجماع. وقدر ما يؤخذ منه وزن درهمين.

بزر الجزر: حار يابس يهيج الباه ويدر البول والحيض، وينفع من لسع الهوام شرباً وضماداً.

بزر السذاب(٤٩٨): حار يابس يقاوم السموم إذا استعمل مع التين والجوز.

بزر الرازيانج(٤٩٩): حار يابس قابض مفتح مسكن للأوجاع محلل للرياح يدر البول والحيض.

بزر الفجل: حار يابس، ينفع من نهش ذوات السموم وينفع من وجع المفاصل، ويحلل ورم الطحال ويسهل خروج الطعام.

بزر الهندبا: معتدل بين الحر والبرد ينفع من الحميات الصفراوية ومن سدد الكبد واليرقان وقدر ما يؤخذ منه نحو مثقال.

---

(٤٩٧) بزر قطونا **Psyllium** : والمعروف باسم لسان الحمل ويعرف هذا النبات ايضاً باسم حشيشة البراغيث

(٤٩٨) وهو نبات عشبي معمر بري وزراعي ويتكاثر بالبذور يعرف علميا باسم **Ruta graveolens**

(٤٩٩) يعرف باسم: الرازيانج والشهار والبسباس والشمرة والشمر المر والشمر الحلو والحلوة والحبة الحلوة وشمر الحدائق والشمر الوحشي والشمر الزهري .

بزر قثاء: بارد رطب يجلو ويدر البول وقدر ما يؤخذ منه عشرة دراهم. وإذا دق ودهن به البدن حسنه.

حب الرمان الحامض: بارد يابس يمنع القيء والغثيان، وينفع من المواد الصفراوية.

بزر هليون(٥٠٠): حار رطب يدر المني ويحرك شهوة الجماع. وقدر ما يؤخذ منه درهمان.

. . . .

---

(٥٠٠) هليون : ورقه كورق الشبث ولا شوك له البتة وله بزر مدور أخضر ثم يسود ويحمر وفي جوفه ثلاث حبات كأنها حب النيل صلبة ومنه ما يكون كثير الشوك وهو الذي يسمى بعجمية الأندلس أسرعين.

فصل في
خواص الحيوانات

خواص البغل، وأعضاؤه وأجزاؤه: شحم أذنه إذا سقيت منه المرأة لا تحبل أبداً. مخه إذا طعم منه الإنسان تناقص عقله وفهمه وحصل له التوهم والنسيان والسهو. قلبه تأكله المرأة فلا تحبل. حافره إذا أحرق أو أذيب بدهن الآس وطلي به رأس الأقرع أنبت الشعر. خصيته تجفف بملح وتوضع في جلد حرير وتعلق في رقبة فرس أو جمل فإنه لا يصيبه سوء ما دامت معلقة عليه. بوله إذا شربته المرأة طرحت جنينها الميت، وإن شمه المزكوم وبصق عليه وكبه في طريق فمن داس عليه انتقل الزكام إليه ويبرأ المزكوم الذي كبه. الزنبور الذي يوجد في دبر البغل، يجفف ويبخر به صاحب البواسير يبرأ. جلد جبهته إذا أحرق في مكان لا يحصل فيه اتفاق ولا صلح ولا يتم فيه شيء من الأمور.

خواص الحمار وأجزاؤه: مخه يسقى لمن غلب عليه النسيان. سنه إذا وضع تحت رأس من قل نومه نام. كبده يجفف ويعلق على من به حمى الربع تزول عنه. طحاله يجفف ويدخر، فإن قل لين ثدي المرأة سحق بماء وطلي به الثدي يكثر اللبن فيه. حافره يسحق بعد حرقه ويطلى به جبهة من به صرع أياماً يزول عنه. ويخلط بالزيت ويطلى به الخنازير يجففها.

قال بلنياس: يشق حافر الحمار ويحشى قطراناً وكلساً ويحرق بشيرج زنج ويطلى به البرص يقلعه، ولو كان عتيقاً. فإذا تدخنت المرأة المطلقة بحافر الحمار أسرع خروج ولدها حياً سالماً بسهولة؛ وكذلك إذا كان الجنين ميتاً أخرجه. ويؤخذ من ذنبه ثلاث طاقات شعر حين ينزو على الأتان ويشد على ساق الرجل ينتشر ذكره ويستوي على سوقه وينعظ في الحال.

لحمه: من أكل منه أمن من آفات السموم فلا يؤثر فيه سم أبداً، وينفع صاحب الجذام نفعاً جيداً. دمه يطلى به البواسير مراراً تسقط. لبن الحمار يسقى للصبي الذي يكثر بكاؤه ويزول عنه ذلك، ومن ضرب بالسياط ضرب الموت يسلخ له جلد حمار في الحال ويلبس به جسمه وينام فيه ليلة فإنه يزول عنه ألم الضرب ويأمن عاقبته. جلد جبهته يعلق على المصروع يزول عنه. ويلقى شيء من شعر ذنبه في نبيذ قوم يسكرون فيقع بينهم الشر والخصومة والعربدة. عصارة روثه تسقى لمن في مثانته حصاة تفتتها

خواص أجزاء حمار الوحش: مخه يسحق بدهن الزنبق ويطلى به البهق يزول. مرارته قال ابن سينا: إنها تقلع القوباء من الجسم. لحمه مدقوقاً ينفع النقرس طلاءً مع دهن الورد. شحمه جيد للكلف طلاءً. حافره يتخذ خاتماً ويعلق على أصحاب الجنون والصرع في رأس الشهر يزول عنهم ذلك.

ويكتحل به محرقاً ينفع من ظلمة العين والغشاوة. روثه يرمي في تنور الخباز يسقط جميع أقراصه. وإذا سحق وخلط ببياض البيض وانتشقه المرعوف انقطع عنه الرعاف. والله سبحانه وتعالى أعلم.

• • • •

خواص أجزاء الإبل: ليس للبعير مرارة وإنما على كبده شيء يشبهها وهي جلدة فيها لعاب يكتحل به فينفع من الغشاء العتيق، ويطلى به الرقبة فينفع من الخوانيق. كبده إذا داوم على أكله نفع من نزول الماء في العين. شحمه متى وضع في موضع هربت منه الحيات. سنامه يذاب ويطلى به البواسير يسكن وجعه. كرشه فيه غدة إذا أخرجت منه استحجرت، وإذا سحقت بالخل ابيضت، وهي من أنفع الأشياء للسموم القاتلة. عظمه يسحق ويذاب بالزيت ويطلى به رأس المصروع يزول صرعه. شعره يشد على الفخذ الأيسر يمنع سلس البول ويشد على فخذ الصبي الذي يبول في الفراش يزول عنه. وبره يذر على الأنف محرقاً يحبس الرعاف والدم السائل من الجراحات، كذلك إذا ذر عليها. لبنها نافع من السموم كلها والمضمضة به تنفع الأسنان المتآكلة ويزيل صفرة الوجه أكلاً وطلاءً. بعره قال ابن سينا: يقطع الرعاف ويزيل أثر الجدري ويقطع الثآليل.

خواص البقر: قرنه يحرق ويجعل في طعام صاحب حمى الربع تزول عنه. ويشرب في شيء من الأشربة يزيد في الباه ويقوي القضيب ويشده ويورث الإنعاظ وينفخ به في منخر الرعف ينقطع دمه. قرناه يحرقان حتى يصيرا رماداً ويذاب بالخل ويطلى به موضع البرص مستقبلاً به الشمس فإنه يزول. مخه طرياً يذاب بدهن ويقطر في الأذن الوجعة يسكن وجعها. لسان الثور الأسود يجفف ويسحق ويمزج به حماض الأترج ويستف منه مقدار مثقال فلا يخاصم أحداً إلا غلبه وألزمه.

مرارته ببزر الجرجير وبزر الفجل ومائه يعرض للنار ليقوي ويشتد ويطلى به الكلف فإنه يزول إذ لزم ذلك. ويخلط بمرارته ورق الغبيراء مدقوقاً وتتحمل منه المرأة فإنها تحمل. وفي مرارته حجر قدر عدسة تجعل في ماء الشهدانج وماء الفرفخ،

ويستعط منه صاحب الصرع يزول صرعه، وتطلى الشجرة بمرارة البقرة لا يتولد فيها الدود، وتخلط مرارة البقر ببعر الفأر ويتحمل بها صاحب القولنج يزول في الحال. مرارة البقرة السوداء يكتحل بها من به ظلمة العين يحتد بصره؛ وإذا أردت أن ترى عجباً فخذ جرة من فخار وادفنها في الأرض إلى عنقها واطل باطنها بشحم البقر فإنه لا يبقي في ذلك الموضع شيء من البراغيث حتى يدخل فيها.

خصية العجل تجفف وتشرب مسحوقة بشراب تهيج الباه وتعين على الجماع إعانة عظيمة. قضيبه يجفف ويسحق ويرمى على البيض النيمبرشت ويطعم منه فإنه يزيد في الباه. كعبه يحرق ويدلك به السن يبيضها ويذهب وسخها. لبنه يزيل صفرة الوجه. وإذا شرب مخيضاً نفع البواسير. سمنه يطلى به لسع العقرب يبرأ لوقته. والعتيق منه نافع للجراحات. دمه يطلى به الورم يسكن وجعه. قال بلنياس: بول الثور يخلط مع بول الإنسان ويوضع على أصابع اليدين والرجلين يذهب بحمى الربع وقلما يحتاج إلى ثلاث مرات. وهذا من العجائب. أخثاء البقر يضمد بها لسعة الزنبور تسكنها.

خواص أجزاء بقر الوحش: مخه يطعم منه صاحب الفالج ينفعه نفعاً بيناً. قرنه من استصحبه معه نفرت منه السباع ويدخن به في البيت فتهزب من ريحه الحيات. رماده يذر منه على السن المتآكلة يسكن الوجع. دمه ترياق للسموم كلها. شعره يبخر به البيت يهرب منه الفأر.

خواص أجزاء الجاموس: الدودة التي في دماغه إذا علقت على أحد لا ينام ما دامت معه. لحمه يولد القمل. شحمه يذاب بالملح الأندراني ويطلى به على الكلف والنمش والجرب والبرص يزيله.

خواص أجزاء الضأن: قرن الكبش: إذا دفن تحت شجرة باكرت بثمرتها قبل كل الأشجار وكثر حملها. مرارة الضأن يكتحل بها مع العسل ينفع من نزول الماء في العين، ومن إزالة البياض ينفع نفعاً عجيباً. مخه يورث البله وأصحاب الصرع إذا أكلوا منه يشتد صرعهم. عظمه يحرق بنار حطب الطرفاء ويخلط رماده بدهن الشمع المتخذ من دهن الورد ويطلى به موضع الشج والهشم يصلحه. وقال بلنياس: إذا تحملت المرأة بصوف النعجة قطع الحمل.

خواص أجزاء المعز: قال بلنياس: قرن ماعز أبيض يسحق ويشد في خرقة ويجعل تحت رأس النائم فإنه لا يتنبه ما دام تحت رأسه. مرارة التيس بعد نتف الشعر من الجفن كحلاً تمنعه من النبات. ومرارة تيس مع مرارة بقرة مخلوطان يلطخ بهما فتيلة من قطن عتيق وتجعل في الأذن يزيل الطرش الحادث. طحاله يقطعه صاحب الطحال بيده ويعلقه في بيت هو فيه فإذا جف الطحال زال ألم المطحول. لحمه يورث النسيان ويحرك السوداء.

قال بلياناس: دم التيس يفتت حجر المغناطيس. وتسقى إبرة بدم تيس ويثقب بها الأذن فلا تلتئم إبداً. جلده إذا سلخ وهو حار ووضع على جلد الملسوع أو المنهوش من الحيات والأفاعي أو المضروب بالسياط دفع عنهم الآفة والألم. لبن الماعز ينفع من النوازل ويحسن اللون شرباً، سيما مع السكر، ويطلي ببعره الجرب مع السكر في الحمام ثلاث مرات فإنه يذهب به. لبنه علاج للنسيان مع السكر ودواء للبلغم والوسواس والخيالات الفاسدة والأحلام الرديئة ويهيج الباه. أنفحة الجدي والخرفان تجلب الفضول من أعماق البدن.

بول الجدي يغلى حتى يسخن ويخلط بمثله من سكر ويطلى به الجرب في الحمام ثلاث مرات يزول. قال ابن سينا: بعر الماعز يحلل الخنازير بقوة وإذا حملته المرأة

بصوفه منع سيلان الدم من الرحم. وبعر المعز والضأن مع الخل يوضع على حرق النار بدهن ورد وشمع، ينفعه.

خواص أجزاء الغزال: قرنه ينحت ويدخن به لطرد الهوام: لسانه يجفف في الظل ويطعم للمرأة السلطة الملسنة على زوجها تزول سلاطتها. مرارته تقطر في الأذن الوجعة يزول وجعها. بعر الظبي وجلده يحرقان ويجعلان في طعام الصبي ينشأ ذكياً فهماً حافظاً فصيحاً.

الأسد: خواص أجزائه: سنه من استصحبه يأمن وجع السن وألمه، ويعلق على الصبي تنبت أسنانه بسهولة. مرارته تسقى للإنسان يصير جريئاً جسوراً مقداماً، وهي تزيل الصرع حملاً، وتنفع داء الثعلب(٥٠١)، والاكتحال بها يمنع سيلان الفم من العين. شحمه يطلى به البواسير والأورام الحارة ينفعها، ويطلى به الوجه والبدن فلا يقر به شيء من السباع وتهابه، وإن جعل في بيت هرب منه العقارب والفأر، وإن ألقي في ماء لا يشربه شيء من الدواب. شحمه الذي بين عينيه يذاب ويمسح به الرجل وجهه يهابه كل من يراه وينقاد إليه. لحمه ينفع من الفالج والاسترخاء. دمه إذا طلي به السرطان أزاله، وكذلك جميع السلع والأورام التي تحدث في الإنسان، وإذا مزج به الحليب وطليب به البرص أزاله. خصيته تولد العقر في الرجال، فمن أكل منها لا تحبل منه امرأة أصلاً. برثنه يحمله الإنسان معه فلا يقربه شيء من السباع ويهابه كل من رآه، وإذا طرح في الماء وشربت منه الغنم أصابها هزال ولم تسمن بعدها أبداً. جلده ينام عليه صاحب حمى الربع يوم نوبته، ويغطى بالثياب حتى يعرق، تزول عنه؛ ودوام الجلوس عليه يذهب البواسير، ويذهب أيضاً الخوف من قلب الخائف. ولو اتخذ من جلده طبل دهل لا يقف لسماعه فرس أبداً، وإذا حمل جلد جبهته انسان تحت عمامته كان مهاباً موقراً معظماً عند الملوك والسلاطين معاملاً بالإكرام والتبجيل.

النمر: فمن خواص أجزائه: إذا دفن رأسه في مكان، اجتمع فيه كل فأر في تلك الأرض. مرارته من اكتحل بها نور بصره ومنع نزول الماء في العين. شحمه يذاب ويجعل على الجراحات العتيقة ينظفها ويبرئها. لحمه من أكله ولو خمسة دراهم منه لا

(٥٠١) داء الثعلب: مرض يصيب فروة الرأس فيعمل على تساقطه على شكل دوائر غالباً.

تضره السموموات الحيوانية والنباتية. قضيبه يطبخ ويشب من مرقه ينفع الحصى في المثانة ومن تقطير البول. جلده يتخذ منه مقعد يجلس عليه صاحب البواسير والشقاق تزول عنهما. ومن حمل شيئاً من جلده هابه كل من رآه.

الفهد: من خواص أجزائه: لحمه يورث حدة في الذهن وذكاءً وفهماً وقوة في البدن والأعضاء. دمه من شرب منه غلبت عليه الفصاحة والبلاغة. برثنه إذا وضع في مكان لم يبق فيه فأر أصلاً.

الكلب: من خواص أجزائه: عينا الكلب الأسود الميت متى دفنتا تحت جدار انهدم سريعاً، وإن حملهما إنسان معه لا ينبح عليه كلب أصلاً. نابه يشد على الكلب العقور لا يعود يعقر أحداً ما دام عليه، ويشد الصبي ينبت سنه بلا وجع ولا ألم. ومن كان كثير الهترة والهذيان والكلام في نومه وحمله لا يعود لما ذكر. وناب الكلب الكلب الذي قد عض إنساناً يشد في قطعة جلد ويربط في عضد الإنسان يأمن من عضة الكلب الكلب ما دام حاملاً لذلك. لسان الكلب الأسود يملح ويخرز ويحمل فلا تنبح على حامله الكلاب وهذه الخاصية تعلمها اللصوص مرارته تنفع من ظلمة العين اكتحالاً كبده يطعم مشوياً لمن عضه الكلب؛ وشحم الكلب يطلى به الخنازير يحللها، سيما ما كانت في الحلق. مخه أيضاً يفعل ذلك.

قضيبه يجفف ويستصحبه الإنسان يبتلى بانتصاب الذكر ما دام حامله. شعره يشد على المصروع يخف صرعه، وشعر الأسود البهيم من الكلام أشد نفعاً للمصروع. بوله يقلل الثآليل إذا طلي به. قال ابن سينا: قراد الكلاب ينفع في النبيذ ويسقى صاحب القولنج يزيله في الحال إذا كان القراد أبيض اللون. زبل الكلب الأسود تحمله المرأة تأمن من إسقاط الجنين.

الذئب: من خواص أجزائه: رأسه يعلق في برج الحمام لا يقربه سنور ولا حية. ويدفن رأس الذئب في زريبة الغنم يمرض كل غنم في الزريبة ويموت غالبها. نابه من استصحبه لا يسكر أبداً ولو شرب دناً من الخمر. وإذا علق نابه على الفرس سبق الخيل. عينه اليمنى من حملها لا يفزع بالليل. عينه اليسرى من حملها لا يغلبه النوم. مرارته يطلى بها بين الحاجبين يبقى مكرماً بين الخلق. وتشد على الفخذ الأيمن في أول الشهر تزيل الصرع عن المصروعين؛ وإذا تحملت منها المرأة التي لا تحمل حملت. والاكتحال بها ينفع من نزول الماء في العين ومن الغشاوة. دمه يخلط بدهن الجوز ويقطر في الأذن يزيل الطرش وإذا سقيت منه المرأة لا تحبل أبداً. خصيته تؤكل مشوية لتقوية الباه وتهييج الجماع. عظمه: يحرق ويدق ويذر حول الزريبة لا يقرب غنمها ذئب أصلاً.

الضبع: وخواص أجزائه: رأسه يجعل في برج، يكثر فيه الحمام جداً. لسانه من حمله معه لا ينبح عليه كلب ولا يغلب عند المخاصمة والمحاججة. وإذا علق على باب دار فيها عرس أو دعوة لا يقع فيها شر ولا مكروه ولا خلف، ويزداد فرحهم واتفاقهم. نابه من استصحبه لم ينس شيئاً أبداً. مرارة الضبعة العرجاء تمنع من نزول الماء في العين اكتحالاً وتجلو البصر من الظلمة. قال بليناس: تخلط مرارة الضبع بدم العصافير ويطلي به الإنسان عينه يأمن من نزول الماء فيها مدة حياته. قلبه يعلق على صبي يبقى فهيماً ذكياً. شحمه تطلى به الحواجب يكون فاعله محبوباً عند الناس. يده اليمنى من استصحبها قضيت حوائجه عند الملوك، وتشد على عضد المرأة وساقيها يسهل عليها الولادة. برثنه يعلق على شجرة لا يقربها أذى. قضيبه يجفف ويسحق ويستف منه الرجل قدر دانقين[٥٠٢] يهيج به شهوة الجماع بحيث لا يمل ولا يفتر

(٥٠٢) الدانق: كلمة فارسية تعني حبة والدانق الواحد ثماني حبات.

ولو أتى عشرين امرأة. وإن سقيت المرأة الفاجرة من ذلك تابت وتركت الفجور. وقال بلنياس: فرجها وجلدة سرتها إن شدا على رجل لم تنظر إليه امرأة إلا أحبته، وإن شدا على امرأة فلا ينظرها أحد إلا أحبها، وإن شد فرجها على المحموم زالت عنه الحمى. جلده يتخذ منه غربالاً يغربل به القمح ثم يزرعه يأمن الفساد والجراد، قال ابن سينا: من عضه الكلب الكلب فإذا فزع من الماء يسقى في إداوة من جلد ضبع؛ وقيل إذا أخذت شيئاً من جلد ضبع وشددت فيه شيئاً من ورق الشيح(٥٠٣) وربطته في خرقة وعلقته على الإنسان فإن النساء تتبعه ويرى من ذلك أمراً عجباً. الشعر الذي حول فقحته ينتف ويحرق ويسحق بزيت ويدهن به صاحب الأُبنة يزول مرضه.

الدب: فمن خواص أجزائه نابه يلقى في لبن المرضعة ويسقى للصبي تنبت أسنانه بسهولة من غير ألم. عيناه تعلقان على صاحب حمى الربع في خرقة حرير أو كتان تزول عنه. مرارته تنفع من ظلمة العين اكتحالاً. شحمه يزيل البرص طلاءً. دمه يخلط بدهن البيض ويطلى به الموضع الذي ليس به شعر، ينبته.

خواص الثعلب: رأسه إذا وضع في برج حمام هربت كلها. نابه يشد على الصغير الذي به ريح الصبيان يذهب فزع النوم وتحسن أخلاقه، ويعلق على من يشكو ألماً بأسنانه يزول عنه. مرارته تنفخ في أنف المصروع فلا يصرع في ذلك الشهر والاكتحال بها يمنع نزول الماء في العين. لحمه ينفع اللقوة والفالج والجذام إذا داوم عليه. شحمه يذاب ويطلى به النقرس ينفع في الحال ويزول وجعه.

• • • •

(٥٠٣) نبات معروف من الفصيلة المركبة، وهو نبات معمر لأوراقه رائحة عطرية، وله أنواع كثيرة أغلبها برية، ويمكن زراعته في الحدائق الخفيفة في التربة الرملية. المستعمل منه النبات كاملاً عدا الجذور

فصل في
خواص أجزاء سباع الطيور

العقاب[٥٠٤]: مرارته تنفع منظلمة العين اكتحالاً ويطلى بها ثدي المرأة إذا انعقد اللبن فيه يسكن ألم ذلك ويكثر لبنها. دمه يجفف ويخلط بالإهليلج الأصفر مسحوقاً ويكتحل به فإنه ينفعْ من جرب العين، ولو طلي به من خارج نفعه أيضاً. مخه يذاب بالزيت ويطلى به رجل المنقرس يزول أله، وكذلك وجع المفاصل. الباز: مرارته من اكتحل بها يأمن من نزول الماء في العين. وقال ابن سينا: مرائر الجوارح كلها تنفعَ من ظلمة البصر اكتحالاً. عظمه يدق بعد الحرق ويذر على الموضع المحروق من البدن، ينفعه.

خواص أجزاء النسر: مرارته تقطر في الأذن تذهب الطرش الحادث والعتيق، والاكتحال بها يجلو البصر. لحمه يطبخ ويخلط بالورس والملح والكمون والعسل ويسقى للسع الهوام المسمومة. شحمه يذاب ويقطر في الأذن مراراً يذهب بالطرش. الشوحة وهي الحدأة. مرارتها إذا جففت وسحقت وذرت في سلال الحيات ماتت الحيات، وتنفع من النهوش واللدوغ طلاءً.

---

(٥٠٤) العقاب : طائر كبير من فصيلة الكواسر يتميز بكبر الحجم وضخامة المنقار وعرض الجناحين والشراسة وقوة البصر، والقدرة الفائقة على الطيران وشدة البأس وهو من الطيور التي تعيش بالقرب من المياه على سواحل البحار أو مستنقعات المياه العذبة حيث يمثل السمك غذائه الرئيسي، ويرفف عالياً فوق الماء ثم يهبط بسرعة ليغوص في الماء مقدماً رجليه أولاً ويستخرج السمكة من الماء ماسكاً بها بمخالب رجليه. ويتميز بطول الجناح وقصر الذيل وجناحاه ضيقين وأعلى جسمه بني اللون بينما باطن الأجنحة والبطن والصدر أبيض وألوانه تشبه ألوان طائر الرخمة (Egyptian vulture) لكن جناحاه أضيق وأطول وله طيران مميز وهو أصغر بقليل من الرخمة إذ يبلغ طوله من ٥٢ إلى ٦٠ سم. ويتمز عن باقي الجوارح بأن منقاره أسود أو رمادي غامق بالكامل وكذلك رجليه ومخالبه.

خواص أجزاء الحبارى(٥٠٥): داخل قانصتها تجفف وتسحق مع الملح الأندراني والخبز المحرق أجزاء سواء، ويكتحل به فإنه يزيل البياض الذي في العين اكتحالاً. وقال ابن سينا: بيض الحبارى نافع للقوابي وحرق النار.خواص أجزاء الطاووس: مخه مع السذاب والعسل ينفع من القولنج وأوجاع المعدة. مرارته يسقى منها وزن دانق للمبطون. دمه من سقي منه اعتراه جنون. لحمه يزيد في الباه وينفع من وجع الركبتين. شحمه يطلى به العضو المبرود. عظمه من صحبه يأمن من عين السوء. مخلبه يشد على المطلقة تضع في الحال، يشد على فخذها، وكذلك إذا بخر به تحت ذيلها وضعت سريعاً.خواص أجزاء الدجاج: تطبخ الدجاجة البيضاء بعشر بصلات وكف سمسم مقشر حتى تنهري ويؤكل لحمها ويشرب مرقها، فإنه يزيد في الباه ولا ينكرها أحد، ويقوى الشهوة ويلذذ الجماع للرجل والمرأة، ومداومة أكل الدجاج تولد البواسير والنقرس. شحمه يطلى به الكلف الأحمر في الوجه ينفعه ويزيله، وينفع من الشقاق والعارض في القدم من البرد. مرارتها تمنع من نزول الماء في العين اكتحالاً. قانصتها

قال بلنياس: تشوى وتطعم لمن يبول في الفراش يذهب عنه ذلك. بيضها ينقع في الخل ثلاثة أيام ثم يترك في الشمس ليجف ويطلى به للبهق يذهب به. والبيض النيمبرشت ينفع في تكثير مادة المني وإسخانه وزيادة الشهوة عجيباً. دهن البيض يطلى به النقرس يسكن وجعه وألمه. ذرقها ينفع القولنج إذا شرب بخل أو نبيذ

---

(٥٠٥) الحبارى : من الطيور متوسطة الحجم ذات القوائم متوسطة الطول طويلة العنق والذيل يصل ارتفاع الذكر الى ٤٠ سم ويزن في المتوسط كيلو جرام أو أكثر قليلا، وتعيش الحباري في البراري والسهول المستوية ويوجد ٣٢ نوعاً منها في العالم ولأفريقيا النصيب الأكبر حيث يوجد ٢٣ نوع أشهرها الحباري العربية لونها شاحب والحباري الآسيوية مائل للصفرة رملي والحباري الأفريقية مائل للسواد و يعد من أفضل الفرائس على الاطلاق للصقور.

وينفع صاحب الحصاة. قال بلنياس: ذرق الدجاجة يلصق على باب قوم يقع بينهم شر وخصومة.

خواص أجزاء الكركي(٥٠٦): ذرقه يسحق بالماء وتبل به فتيلة وتجعل في الأنف ينفع كل قرحة في الخيشوم. عينه تسحق ويكتحل بها الإنسان فلا ينام. مرارته تنفع من نزول الماء في العين اكتحالاً. لحمه وشحمه يطبخان ويقطر مرقهما في الأذن يزيل الطرش. مخه يذاب بخل العنصل ويسقى لوجع الطحال في الحمام، ينفعه. قانصته تجفف وتسحق ويسقى منها زنة درهمين لمن به وجع الكليتين والمثانة بماء الحمص، ينفعه.

خواص أجزاء الهدهد(٥٠٧): قنزعته تعلق على من به وجع الرأس يزول. قال بليناس: من أخذ عينه وجففها وجعلها في دهن، ودهن به وجهه فلا يراه أحد إلا أحبه حباً ما عليه مزيد، وتجعل عينه تحت رأس إنسان فلا ينام ويغلب عليه السهر ما دامت تحت رأسه، وإذا شددتها على أحد تذكر جميع ما كان نسيه، وتعلق على صاحب الجذام تنفعه نفعاً بيناً. لسانه يحمله الإنسان معه لا يظفر به عدو ما دام معه، وإذا علقت عينه مع لسانه على إنسان يدفع عنه غلبة السهو والنسيان ويزيد في فهمه وذكائه وحذقه. قلبه إذا علق على إنسان زاد في قوة الباه وشهوة الجماع، وإذا شوي

---

(٥٠٦) وهو من طيور البر والصحاري والواحات وضفاف الأنهار ومستنقعات المياه الحلوة يصل طول الكركي ٩٦-١١٩ سم وذيله كثير الريش، ولونه رمادي والظهر بني فاتح أما رقبته من الأمام فسوداء ومن الخلف بيضاء وأعلى رأسه حمرة ويتعرض للصيد من الطيور الجارحة.

(٥٠٧) طائر جميل الشكل، أنيق.. القنزعة الموجودة فوق رأسه تزيده جمالا يوجد في أماكن الأحراش والبساتين، طعامه مؤلف من الحشرات والديدان.. يبني الهدهد عشه في ثقوب الأشجار والخرائب، وهو مؤلف من الأعشاب والريش. تبيض فيه الأنثى أربع بيضات، وتفقس بعد سبعة عشر يوماً، والفراخ تطير وعمرها ثلاثة أسابيع، والهدهد من الطيور التي تفرخ في الكثير من مناطق بلاد الشام..

ودق مع السكر وجعل فوق رغيف وأكله شخصان انعقد بينهما محبة لا انصرام لها بحيث لا يصبر أحدهما عن الآخر لحظة واحدة. مرارته يسعط بها صاحب اللقوة ثلاثة أيام في مكان مظلم ينفعه نفعاً مسرعاً

جناحه الأيمن يجعل تحت رأس النائم، يثقل في نومه. ولو دخن بجناح هدهد في برج حمام هربت منه الحمام، ومن وضع على أذنه ريشة من الهدهد وخاصم أو حاكم كان هو الغالب في خصومته وحكومته. لحمه يقدد ويسحق ويخلط في الدقيق ويتخذ منه خبيص ويطعمه لمن أراد، فإنه يحبه محبة عظيمة. عظمه يدخن به في البيت تموت من دخانه الهوام الأرضية والنمل والعقرب وأشباهها. أظافره تحرق وتدق وتسقى للمرأة التي لا تحمل فإنها تحمل إذا باشرها الرجل عقب الشرب.

خواص أجزاء العقعق(٥٠٨): دماغه يخلط بالغالية ويسعط به صاحب اللقوة والفالج يذهب ما به. دمه يجفف ويخلط بماء الورد ويسقى للصبي الذي لا يتكلم ينطلق لسانه بالكلام. دمه طرياً: يطلى به الموضع الذي فيه نصل أو شوكة يخرجها بسهولة. مخه يطعم للصبي بالسكر يبقى فصحياً ذكياً فهيماً حافظاً. ريشه يحرق ويدق ويذر في عش النمل لا يبقى في الموضع شيء منه. مخ بيضها يكتحل به بعد الحمام مرتين أو ثلاثة فإنه يزيل ببياض العين بالكلية.

(٥٠٨) العقعق : طائر وصوته العقعقة قال ابن بري وروى ثعلب عن إسحق الموصلي أن العقعق يقال له الشججى وفي حديث النخعي يقتل المحرم العقعق قال ابن الأثير هو طائر معروف ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب قال وإنما أجاز قتله لأنه نوع من الغربان"، وأما مختارُ الصحاح فلم أجد فيه إلا العقعقُ طائرٌ معروفٌ وصوتهُ العقعقة.

خواص أجزاء الخفاش(٥٠٩): وهو المسمى بطير الليل. رأسه يترك في برج الحمام يألف الحمام ذلك البرج وينمو فيه، وإذا ترك تحت رأس انسان فإنه لا ينام. دماغه: قال ابن سينا: يكتحل به يزيل الماء من العين. قلبه يعلق على من هاجت به شهوة الجماع يسكنها. دمه يزيل الغشاء من العين اكتحالاً ويطلى به الإبط والعانة بعد النتف.فإنه لا ينبت بعد ذلك بهما شعر. ذرقه يزيل الظفر من العين وكذلك البياض اكتحالاً. ويلقى في عش النمل فيهرب منه. ويطلى به العضو الذي ينبت عليه الشعر وهو لا يختار نباته بالزرنيخ والنورة مراراً فإنه لا ينبت على ذلك شعر وتعمى منابت الشعر.

خواص أجزاء البوم(٥١٠): مرارته يكتحل بها تنفع من ظلمة العين اكتحالاً. وزعموا أن إحدى عينيه تنام والأخرى تمنع النوم عن حاملها. والطريق إلى معرفة حاليهما أنك ترميهما في إناء فيه ماء، فالغائصة في الماء هي المنومة والطافية هي

---

(٥٠٩) الخفاش : هو الحيوان الثديي الوحيد الذي يستطيع الطيران. والخفافيش نجد أن أيديها وسواعدها تحولت كأجنحة تطير بها. وكانت تنتقل بالسماء المظلمة في العصر الإيوسيني منذ ٥٠ مليون سنة. وأثناء هذه الفترة تغيرت ملامح هذا الحيوان قليلا. وهذا ما بينته الحفائر التي عثر عليها في أوربا وشمال أمريكا. ويوجد حوالي ألف نوع من الخفافيش وهي تعادل ربع عدد أنواع الثدييات وبصفة عامة كل الخفافيش تنشط ليلا أو مع بزوغ الفجر أو ظهور الغسق، وكثير من الخفافيش الليلية تعتمد علي جهاز سونار للطيران والعثور علي الفريسة.وكثير من الخفافيش التي تطير بالغسق والغروب لديها بصر يمكنها من الإبصار في المستويات الدنيا من الضوء. لكن الخفافيش التي تعيش بالجزر المنعزلة والتي تقل بها الفرائس تطير بالنهار. عضة الخفاش قد تسبب مرض الكلب (السعار). ولقد عرف مؤخرا أن الخفافيش لها فوائد. من بينها أنها عدو طبيعي للحشرات التي تطير ليلا. وتقوم بتلقيح حوالي ٥٠٠ نوع من النباتات كالموز والبلح والمانجو والتين والكاشيو.وتفرز أيضا سمادا غنيا بالنتروجين يطلق عليه جوانو guano.

(٥١٠) البومة : طير جارح ليلي ويعاكس الصقور والعقبان، والبومة ذات ريش ناعم وقصير الذيل وكبير الرأس ذو عينين كبيرتين موجهتين للأمام وحاطتين بقرص وجهي والمنقار معقوف ومتجه لأسفل ويكون عادة متخفيا جزئيا بالريش الوجهي (موسوعة الحيوان، ص ١٨٨).

المسهرة، وتخلط عيناه بالمسك وتحمل؛ فمن شم رائحة ذلك أحب الحامل محبة أكيدة وهيجت بالشم روحانية المحبة. قلبه يطعم لصاحب الفالج مشوياً ينفعه. مرارته تخلط برماد من خشب بلوط وتطعم لمن في مثانته حصىٰ تفتته. وتخلط برماد خشب الطرفاء ويأكله من يبول في الفراش يزول عنه. كبده سم قاتل. لحمه يورث الغثيان والقيء. عظمه يبخر به بين ندمان الخمر يقع بينهم خصومات وفرقة وتشتيت في الحال.

خواص أجزاء الخطاف(٥١١): ريش رأسه يجعل تحت رأس إنسان فإنه لا ينام. يجفف قلبه ويسحق ويسقىٰ للإنسان فإنه يعين علىٰ الجماع بما لم يمكن وصفه.وهذا آخر الكلام في الخواص.

---

(٥١١) الخطاف : أو سمامة النخيل هذا الطائر يقضي معظم اوقاته في الهواء، ويمكن مشاهدته بجناحه الطويل الذي يشبه المنجل، كما انه يضع عشه في شقوق الصخور ويصل حجمه إلى (٧١)سم.

فصل في خصائص البلدان لم تذكر في ترجمة العنوان لأبي منصور الثعالبي(512) رحمة الله تعالى عليه.

فمنها:

الشام: جعلها الله دار الإسلام على التأبيد والدوام، ومن خصائصها أنها كانت مواطن الأنبياء عليهم السلام ومعدن الزهاد وعش العباد؛ ومن خصائصها التفاح الذي يضرب به المثل في الحسن والطيب والرائحة، ومنها الزجاج الذي يشبه به كل شيء رقيق في ألسنة الأنام: أرق من زجاج الشام، ومن خصائصها غوطة دمشق. وأطيب نزه الدنيا أربع: غوطة دمشق، ونهر الأُبلة، وشعب بوان، وصغد(513) سمرقند.

مصر(514): خلد الله ملك سلطانها؛ ومن خصائصها كثرة الذهب والدنانير، وكان يقال في المثل السائر ما معناه: من دخل مصر ولم يستغن فلا أغناه الله، ومنها

---

(512) هوعبد الملك بن محمد بن إسماعيل (350-429هـ 961-1038م) الذي يُعرف بأبي منصور الثعالبي النيسابوري أديب عربي لقب بالثعالبي لأنه كان فرّاء يخيط جلود الثعالب ويعملها، وإذا عرفنا أنه كان يؤدّب الصّبيان في كُتّاب استطعنا أن نقول جازمين أن عمل الجلود لم يكن صناعة يعيش بها، ويحيا لأجلها،بل كانت من الأعمال التي يعالجها المؤدّبون في الكتاتيب وهم يقومون بالتأديب والتعليم،وما أشبه هذا الحال بحال مؤدبي الصّبيان في مكاتب القرية المصرية في عهد مضى، وقد شدَّ كل منهم خيوط الصوف إلى رقبته والمغزل في يده.

(513) الصغد : كورة بين بخارى وسمرقند إحدى جنان الدنيا قالوا: جنان الدنيا أربع: صغد سمرقند وغوطة دمشق وشعب بوان وأبلة البصرة وصغد حالياً يُعرف باسم أوزبكستان (القاموس الإسلامي ج4، ص 275)

(514) مصر : دولة تقع في أقصى الشمال الشرقي لقارة أفريقيا، وتطل على كل من الساحل الجنوبي الشرقي للبحر المتوسط والساحل الشمالي الغربي للبحر الأحمر بمساحة إجمالية تبلغ مليون كم^2 تقريبا.

الكتان[٥١٥] الذي يبلغ قيمة الحمل منه ألف دينار، ويقال له دق مصر، وهو من الكتان المحض لا غير، ومثل هذا لا يوجد في الدنيا. وحمير مصر موصوفة بحسن المنظر وكرم المخبر حتى لا يخرج من بلد أمثالها ولا أفهم منها.

ومن خصائصها الهرمان ووصفهما يعجز عنه اللسان، ومنها ثعابين لا تكون إلا بمصر وهي عجيبة الشأن في إهلاك بني آدم والحيوان وليس لها عدو إلا النمس، وهي إحدى العجائب لأنها دويبة متحركة إذا رأت الثعبان دنت منه من غير خوف ولا جزع فينطوي الثعبان عليها ويريد أن يأكلها فيزفر النمس زفرة ويقد الثعبان قطعتين أو قطعاً، ولولا النمس لأكلت الثعابين سكان مصر. والنمس بمصر أنفع لأهلها من القنافذ لأهل سجستان.

ومن خصائصها النيل والمقياس. حكي أنه ليس في الدنيا أكبر من نيلها نهراً ولا أحكم من مقياسها أمراً. ومن عيوبها أن أهلها يكرهون المطر كراهية شديدة حتى يخرجون في ذكر كراهيته إلى ما لا فائدة في ذكره لأن المطر لا يوافقهم ويهلك زرعهم

مصر دولة عربية إسلامية أفريقية و جزءا من أراضيها، وهي شبه جزيرة سيناء، يقع في قارة آسيا. الإسم الرسمي للدولة طبقا لدستورها هو جمهورية مصر العربية.

(٥١٥) الكتان linseed : نبات حولي يصل ارتفاعه إلى حوالي متر ذات ساق نحيلة وأوراقه رمحية وأزهاره زرقاء، عرف وزرع في مصر القديمة منذ عهد الفراعنة، وصنع منه قماش عرف بقماش الكتان الذي استخدم في التحنيط. أما بذوره فهي زيتية بها ٤٠٪ زيت به نسبة عالية من أوميجا ٣ و٢٢٪ بروتينات و٤٪ معادن. وزيت الكتان (الحار) به نسبة عالية من (أوميجا ٣) الذي يفيد في تقليل الكولسترول. والزيت له رائحة مميزة تزيد مع التخزين. والبذور مقارنة بالزيت، نجدها تحتوي أكثر على نسبة ٩٨٪ من مادة ليجنام lignans المضادة للسرطان و٩٧٪ أكثر من الألياف وأوميجا ٣. وهذه المواد تفيد في تقليل الكولسترول وأعراض ما قبل الدورة والإقلال من الوزن ومرض السكر. يدخل زيت الكتان في صناعة الأقمشة وصناعة الأصباغ.

وخصت بالتماسيح التي هي أخبث حيوان في الماء وليس فيها منفعة بوجه من الوجوه.

اليمن: من خصائصها السيوف والبرود والقرود، والزرافة التي فيها شبه من الناقة والثور والنمر، ومن خصائصها العقيق الذي ملأ الدنيا كثرة.

البصرة والكوفة: كان يقال: الدنيا بصرة ولا مثلك يا بغداد. وكان جعفر بن سليمان يقول: العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة وداري عين المربد وقال الحافظ في المد والجزر بالبصرة: ما قولكم وظنكم بقوم يأتيهم الماء صباحاً ومساء فإن شاؤوا أذنوا له وإن شاؤوا حجبوه.

ويحكى أن أمير المؤمنين **هرون الرشيد**(٥١٦) قال لجعفر بن يحيى(٥١٧) وزيره وهما بالكوفة في آخر الليل: قم بنا يا جعفر نتنسم هواء الكوفة قبل أن تكدره العامة بأنفاسها. ومن أصدق ما قيل: الكوفي لا يوفي.

---

(٥١٦) هارون الرشيد : هو أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي، كان مولده بالري حين كان أبوه أميرا عليها وعلى خراسان في سنة ثمان وأربعين ومائة وأمه أم ولد تسمى الخيزران وهي أم الهادي ولي الخلافة بعهد معقود له بعد الهادي من أبيهما المهدي في سنة سبعين ومائة بعد الهادي، وكان ذا فصاحة وعلم وبصر بأعباء الخلافة وله نظر جيد في الأدب والفقه، قيل إنه كان يصلي في خلافته في كل يوم مائة ركعة إلى أن مات لا يتركها إلا لعلة ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم.وكان يحب المديح ويجيز الشعراء ويقول الشعر، وكان الرشيد يحب العلماء ويعظم حرمات الدين.

(٥١٧) جعفر بن يحيى البرمكي وزير هارون الرشيد هو نديم الرشيد وخليله في المجالس، وله من الأعمال الكبيرة أيضًا؛ فهو الذي قضى على العصبية القبلية في الشام سنة ١٨٠ هـ ثم جعل له ولاية خراسان والشام ومصر، وجعله مسئولاً عن تربية ابنه المأمون وبعد نكبة البرامكة الشهيرة أمر هارون بقتل جعفر سنة ١٨٧ هـ.

بغداد: قال أحمد بن طاهر: هي جنة الأرض وواسطة الدنيا وقبة الإسلام ومدينة السلام وغرة البلاد ودار الخلفاء ومعدن الظرفاء واللطائف، وبها أرباب النهايات في العلوم والدرايات والحكم والصناعات هواؤها ألطف من كل هواء، وماؤها أعذب من كل ماء ونسيمها أرق من كل نسيم، لم تزل مواطن الكاسرة في سالف الزمان، الذين أظهروا المعدلة في الرعايا ووطنوا الأقاليم والبلدان ومنازل الخلفاء الأعلام في دولة الإسلام. ومن عجائبها أنها على كونها حظيرة الخلفاء ومقرها، لا يموت فيها خليفة. قال عمارة بن عقيل فيها:

قضى ربها ان لا يموت خليفةٌ   بها، وبها قد شاء في خلقة يقضي

الأهواز(٥١٨): من خصائصها أن بها ثلاثة بلاد، كل واحدة منها مخصوصة بشيء لا يوجد مثله في البلاد، منها عسكر مكرم الذي لا يكون أحد يقاومه؛ ومنها السكر الذي لا يعادله شيء في الدنيا طيباً وكثرة؛ ولا يكون إلا بها، ومنها تستر التي بها طراز الديباج الفاخر، وهو موصوف مع ديباج الروم. ومنها السوس التي بها طرز الخز النفيسة الملوكية، ومن عيوب الأهواز العقارب الجرارات القاتلة، ولا يوجد بها أحد محمر الوجه، لا رجل ولا أمرأة ولا صبي أصلاً.

فارس(٥١٩): من خصائصها ماء الورد الذي لا يوجد مثله في سائر الأرض طيباً. والجوري منه منسوب إلى إحدى بلادها، والموميات التي تمتحن بأن تكسر رجل ديك ثم يسقى منه وزن شعيرة فإن كان خالصاً انجبر الكسر حتى كأنه لم يكن.

---

(٥١٨) الأهواز Ahwaz : اقليم يقع شرقي العراق وشمال الخليج العربي ويحه من الشرق بلاد فارس، افتتحه المسلمون حوال ١٦ هـ في خلافة عمر بن الخطاب (القاموس الإسلامي، ج١، ص ٦٤).

(٥١٩) فارس: هو الإسم التاريخي للمنطقة التي قامت عليها الإمبراطوريات والدول الفارسية والتي تشكل اليوم إيران. وتعتبر الإمبراطورية الفارسية، من أعظم وأكبر الدول التي سادت المنطقة قبل البعثة

أصفهان(٥٢٠): هي موصوفة بصحة الهواء وجودة التربة وعذوبة الماء؛ وقلما تجتمع هذه الصفات في بلدة.

النبوية، حتى إنها فاقت الإمبراطورية البيزنطية في الشهرة والقوة، ولقد مرت هذه الدولة بعدة أطوار قبل البعثة وبعدها، ونقف في هذا المقال على ذكر ما كانت عليه الدولة الفارسية من انحطاط وخلل كبير في الأنظمة الساسية والدينية والاجتماعية التي سادت قبل البعثة المحمدية، وكانت الدولة الساسانية تحكم بلاد إيران في القرن السابع الميلادي ويكوّن الفرس مادة الإمبراطورية ولكنها أخضعت الترك في بلاد ما وراء النهر والعرب في العراق وكانت حدودها الغربية غير مستقرة حسب قوتها فأحياناً تغلب على أطراف بلاد الشام كما حدث سنة ٦١٤م عندما اجتاحت بلاد الشام واستولت على بيت المقدس ثم استولت على مصر سنة ٦١٦م. ولم يستسلم هرقل امبراطور الروم بل أعاد تنظيم بلاده وإعداد جيوشه وهزم الفرس في آسيا الصغرى سنة ٦٢٢م ثم استعاد منهم سوريا ومصر سنة ٦٢٥م ثم هزمهم هزيمة ساحقة سنة ٦٢٧م (٦هـ) قرب أطلال نينوى مما أدى إلى ثورة العاصمة (المدائن) ضد كسرى الثاني وعقد خليفته شيرويه الصلح مع هرقل على أن أحوال الدولة الفارسية لم تستقر بعد ذلك إذ تكاثرت الثورات والانقلابات الداخلية حتى تعاقب على عرش فارس في تسع السنوات التالية أربعة عشر حاكماً مما مزّق أوصال دولة الفرس وجعلها مسرحاً للفتن الداخلية حتى أجهز عليها العرب المسلمون في حركة الفتح. هذا عن الأحداث السياسية والعسكرية التي مرت على بلاد فارس

(٥٢٠) أصفهان : قامت مدينة أصفهان بدور مهم في تاريخ الفكر العربي الإسلامي منذ أن فتحت في عهد عمر بن الخطاب عام (١٩ أو ٢٣هـ/ ٦٤٠ -٦٤٤م)، حيث كانت مركزا من مراكز الحركة العلمية والأدبية في العالم الإسلامي، ولاسيما حينما كانت تحت حكم آل بويه (٣٢١هـ/ ٩٣٣ م-١٠٥٥/٤٤٧ م) ثم في حكم السلاجقة فيما بعد. وكلتا الدولتين كان لها دور في تنشيط الحركة الفكرية، وشجعوا العلماء والأدباء والفلاسفة، حتى لقد نبغ في عهدهما من يعد بحق فخر الدولة الإسلامية في العصور المختلفة كما نبغ في أصفهان أناس لا يحصون من العلماء في كل علم وفن، ولاسيما العلماء والفلاسفة والأدباء والشعراء الكبار والمؤرخين واللغويين وغيرهم. ولقد كانت أصفهان درة في تاريخ فارس، ومركزا حضاريا حين انطوت تحت راية الإسلام، وممن لمعوا في سماء أصفهان من أئمة الحديث، أبو محمد عبد الله بن حيان الأصفهاني، وجمال الدين الجواد الأصفهاني الوزير، وعماد الدين الكاتب الأصفهاني. ومن المفسرين محمد بن بحر الأصفهاني. ومن المؤرخين ابن حمزة بن الحسين الأصفهاني، والحسن بن عبد الله الأصفهاني، ومن الأدباء واللغويين أبو الفرج الأصفهاني، صاحب الأغاني، ومحمد بن داود الأصفهاني ومدينة أصفهان حالياً هي إحدى مدن إيران. ويبلغ عدد سكانها ٧٠٠٠٠٠ نسمة. وتقع مدينة أصفهان

ويحكى أن الحجاج ولى بعض خواصه أصفهان؛ وقال له: وليتك بلدةً حجرها الكحل، وذبابها النحل، وحشيشتها الزعفران.

الري(٥٢١): من خصائصها الثياب المسيرة والمقاريض الوثيقة.

طبرستان: يقال إنها قد شانها مازان غيرها من كثرة الأشجار والخضرة والمياه. ومن خصائصها النارنج والأُترج.

جرجان: وهي جبلية سهلية برية بحرية، يعدون بها مائة نوع من أنواع الرياحين والبقول والحشائش الصفراوية والثمار والحبوب السهلية والجبلية التي هي مبذولة بها يتعيش منها الغرباء والفقراء باجتنائها وبيعها وجمعها. وفيها حب الرمان وبزر قطونا. والتين مباح لهم.

في وسط إيران على بعد أربعمائة كيلو متراً من الخليج الفارسي وعلى ارتفاع ١٦٠٠ متراً فوق مستوى سطح البحر. وتعتمد القاعدة الاقتصادية في أصفهان على زراعة القطن والحبوب والتبغ، كما تقوم بها بعض الصناعات مثل صناعة النسيج والأقمشة من القطن والحرير والصوف، بالإضافة إلى صناعة السجاد والصناعات الغذائية والصناعات المعدنية .وتشتهر أصفهان بعجائبها في فن العمارة والحدائق العامة التي انتهى الكثير منها بمرور الزمان فيما عدا ما تم الحفاظ عليه وترميمه. ومن روائع أصفهان المسجد الملكي) مسجد الشاه) الذي يعود إلى القرن السابع عشر والذي يعد من أفضل نماذج العمارة الفارسية.

(٥٢١) تعتبر مدينة الريّ التاريخية -التي ما زالت آثارها ماثلة للعيان على بعد ٦ كيلومترات جنوب شرقي طهران -من حيث العراقة والقدم من أقدم المدن، حيث عاصرت مدينتي نينوى وبابل، وكانت من أهم البلدان في القرون الأولى من العهد الإسلامي من حيث عظمتها، ولم تنافسها في حينها سوى مدينتي «بغداد» و«نيسابور»، وقد أقيمت أولى مباني هذه المدينة حول عين ماء تسمّى "عين علي" (چشمه علي)، وتوجد بعض التلال التاريخية الأثرية العريقة بالقرب منها وفي معجم البلدان: الريّ مدينة مشهورة من أمّهات البلاد.

ومن خصائصها: العناب الذي لا يكون في سائر البلدان مثله. وتلقى حتى في الصيف والشتاء في أسواقها من الخيار والفجل والجزر والرياحين كالخزامى والخيري والبنفسج(٥٢٢) والنرجس والأترج والنارنج. وهي مجمع السمك وطير الماء والدراج والحجل، حتى يقال لها بغداد الصغيرة إلا أنها وبيئة مختلفة الهواء كثيرة الإيذاء، قتالة الغرباء، ويقال إن جرجان مقبرة لأهل خراسان. وكان أبو تراب النيسابوري يقول: لما قسمت البلاد بين الملائكة وقعت جرجان في قسم ملك الموت، أي لكثرة الموتى بها.

نيسابور(٥٢٣): يقال إن كل بلدة موسومة بسابور فهي جليلة نفيسة، كسابور من فارس وجند سابور من الأهواز، وقرى سابور من الهند، ولا كنيسابور التي هي سرة خراسان وغرتها. ويقال إن كل بلد لها اسمهان فناهيك بها شرفاً وعظمة، كمكة يقال لها بكة، والمدينة يقال لها يثرب، ومصر يقال لها الفسطاط، وحلب يقال لها الشهباء، وبغداد يقال لها مدينة السلام، وبيت المقدس يقال لها إيلياء؛ ودمشق يقال لها الشام، والري يقال لها المحمدية؛ وأصفهان يقال لها حي، ويقال لها اليهودية أيضاً، وسجستان يقال لها زرنج، وخوارزم يقال لها كاث. ونيسابور يقال لها أبرشهر.

---

(٥٢٢) البنفسج : جنس زهر مشهور من الفصيلة البنفسجية أنواعه كثيرة مثل (كندي – ذو دابرة – الأحراج).

(٥٢٣) نيسابور : بفتح أوله، والعامة تسميه (نشاور)، وهي مدينة عظيمة، ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء، ومنبع العلماء، لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها. (معجم البلدان ٥ : ٣٣٠) وكانت نيسابور أعظم مدن خراسان، وكانت ملتقى العلماء وأعلام الفكر والأدب، وكان العلماء والأدباء كثيرًا ما يعرّجون عليها في رحلاتهم بين المشرق والعراق، فيقيمون فيها بعض الوقت وهي مدينة في إيران، وكانت أحد مراكز الثقافة والحضارة الإسلامية على مرّ العصور في فترة الحكم الساماني. كانت نيسابور مركز المملكة ومركز الفنون في هذه الفترة. تعرضت المدينة للخراب الكبير على يد المغوليين عام ١٢٢١ .

وكان **المأمون** يقول: عين الشام دمشق، وعين الروم قسطنطينية، وعين العراق بغداد، وعين خراسان نيسابور، وعين ما وراء النهر سمرقند. وكان ابن الليث صاحب نيسابور يقول: ألا أقاتل عن بلدة حشيشها البرساس، وحجرها الفيروزج، وترابها طين الأكل الذي لا يوجد مثله في الأرض، ويحمل من زورن نيسابور إلى أدنى الأرض وأقصاها ويتحف به الملوك والسادات.

أما الفيروزج: فلا يكون إلا بنيسابور، وربما بلغ فيمة الفص المثقال والمثقالين وفوق ذلك. وقد جمع الخضرة والنضارة والخاصية، وكونه لم يتغير بالماء الحار. وتبلغ القطعة المتميزة منه مائة دينار. ولما دخل إليها أحمد بن طاهر قال: يا لها من بلدة جليلة، لو لم يكن لها عينان، وكان ينبغي أن تكون مياهها التي في باطن الأرض على ظاهرها، وأن تكون مسالحها التي على ظاهرها في باطنها. وأنشد:

لـــيس في الأرض مثـــل نيـــسابور ... بلـــد طـــيب ورب غـفـــور

طوس: من خصائصها الشيح الذي لا يكون إلا بها، والحجر الأبيض الذي يتخذ منه القدور والمقالي والمجامر، وقد يتخذ منه كل ما يتخذ من الزجاج: كالأقداح والكيزان[524] وغيرها. وقيل: قد ألان الله لأهل طوس الحجر كما ألان لداود عليه السلام الحديد.

هراة[525]: مدينة عظيمة ينشد فيها:

---

(٥٢٤) الكوز : إناء بعروة يُشرب به الماء (المعجم الوسيط ٢ / ٨٣٧).

(٥٢٥) هراة : هي مدينة تقع في غرب أفغانستان. عدد سكانها ٢٤٩٠٠٠ نسمة (عام ٢٠٠٢). سكانها من أصول طجكية وفارسية. مدينة هرات مدينة قديمة بها مبانٍ تاريخية عديدة، دمر الكثير منها بسبب الصراعات العديدة التي قامت فيها في العقود الأخيرة. لها مركز جيد على خط التجارة بين بلاد فارس، والهند، والصين، وأوروبا. لا تزال الطرق بينها وبين تركمنستان وكذلك إيران مهمة إستراتيجياً.

هراة أرضٌ خصبها واسع ونبتها التفّاح والنرجس
ما أحدٌ منها إلى غيرها يخرج إلا بعد ما يفلس

ومن خصائصها: الكشمش وهو نوع من الزبيب الذي لا يوجد ببلد غيرها مثله، والطائفي أيضاً وهو نوع فاخر من الزبيب، وهو الذي يقال فيه:

وطائفيّ من الزبيب به تنقّل الشّرب حين تنتقل
كأنه في الإناء أوعيةٌ من السحاريّ ماؤها عسل

مرو: وهي مدينة جليلة بناها ذو القرنين؛ ويقال لها أم خراسان: وينشد فيها:

بلد طيب وماءٌ معين وثرى طيبه يفوح عبيرا
وإذا المرء قدّر السير منه فهو ينهاه باسمه أن يسيرا

بلخ[526] : وإليها ينسب جيحون، ويقال له نهر بلخ، ويقال: العيش في الصيف ببلخ كتصحيفه. ومن خصائصها النيلوفر والبنفسج والبجاد.

---

(٥٢٦) بَلّخ : من أقدم المدن في حوض نهر جيحون (اموداريا) ويقال لها: أم البلاد وقلب الإسلام ورابع أرباع خُراسان، وقبة الإسلام بعد أن أصبح أهلها من المسلمين، وظهر من "بَلّخ" زرادشت صاحب الديانة الزرادشتية في القرن السادس قبل الميلاد، كما كانت موطناً للآريين الذين عُرفت دولتهم باسم دولة "بكتريا"، وهو اسم "بَلّخ" قديماً(٤)، فانتشرت من "بكتريا" الديانة الزرادشتية، وانتقلت إلى فارس، وشمال الهند، ولبَلّخ ناحيتانِ عظيمتان الأولى: شرقها هي "طخارستان" والثانية غربها يغلب عليها اسم "الجوزجان"، وتمثل "بَلّخ" بناحيتيها رابع أرباع خُراسان، وهي عاصمة هذا الربع الرابع وقصبته، وقد اكثرت المصادر ومعاجم البلدان من الحديث عنها فقال اليعقوبي: أنها مدينة خُراسان العظمى، وذكر المقدسي بأنها: بَلّخ البهية، وبقيت بَلّخ إحدى قواعد الملك في خُراسان حتى حطمها جنكيز خان فلم تقم لها بعد ذلك قائمة، وهي الآن قرية صغيرة تعرف باسم "وزير أباد" على بعد بضعة أيام غرب مدينة "مزار شريف" عاصمة أقليم "بَلّخ"، وإحدى المدن الهامة في أفغانستان، واستوطن العرب "بَلّخ"؛ وأكثريتهم من الأزد، وتميم على ما يذكر اليعقوبي، وتقع "بَلّخ" في أرض مستوية، وبينها

سجستان[٥٢٧] : يقال ماؤها وشل ولصها بطل. ويروى في أفاعيها عن شبيب بن شبة أنه قال: صغار أفاعيها سيوف وكبارها حتوف. ومن شروط أهلها أن لا يصيدوا شيئاً من قنافذها أصلاً لأنها تأكل أفاعيها وحياتها. وقد ذكرنا أفاعي سجستان مع ثعابين مصر آنفاً، وجرارات الأهواز، وعقارب شهر زور، كما يذكر حكماء اليونان، وصاغة حران، وحاكة اليمن، وأطباء جند نيسابور، ولصوص طوس، ورماة الترك، وسحرة الهند.

بست: يقال إن هواءها كهواء العراق وماءها كماء الفرات. وسئل بعض الفضلاء عنها فقال: صفتها تثنيتها يعني أنها بستان.

غزنة: هي مخصوصة بصحة الهواء وعذوبة الماء، فالأعمار بها طويلة والأمراض بها قليلة. وما ظنك بأرض تنبت الذهب ولا تلد الحيات ولا الحشرات المؤذية؟ فهي أذكى أرض وأطيبها وأنظفها.

ومن خصائصها أن يخرج منها الرجال الأنجاد الأجلاد. وكان أبو مسلم يكتب إلى داود صاحب غزنة أن أنفذ إلي الرجال من يزوالستان، والخيل من تخارستان، ومن مناقبها أنها قليلة الثمار لأن كثرة الثمار تقترن بكثرة الأمراض، وكلما كانت الثمار أقل ببلدة كانت الأمراض بها أقل، والهواء بها أصح والتربة أخف والماء أهنأ وأمرأ.

وبين أقرب الجبال، إليها، جبل كَوّ، نحو أربعة فراسخ، ولها سور كبير، يحف به خندق عميق، ذكر ذلك الأصطخري، وأضاف بأنَّ بناء المدينة من الطين، ويقع الجامع في وسطها، وحوله الأسواق. للمزيد انظر (الأصطخري: مسالك الممالك، ٢٧٥، ابن حوقل: صورة الأرض، ٣٢٦ وكي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ٤٦٢).

(٥٢٧) سجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة في إيران، (للمزيد، تقويم البلدان، ص ٣٤٣، ومعجم البلدان (٣/ ١٩٠)، ولسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص ٣٧٣).

بلاد الهند: ناهيك بها دياراً يأتي من بحرها الدر، ومن جبلها الياقوت، ومن شجرها العود، ومن ورقها العطر والكافور؛ وأنشد الثعالبي في غلام هندي:

هــذا غـــزال الهنــد في الغـــزلان كمثـــل عـــود الهنـــد في العيـــدان
وجـــه بـــديع الحـــسن في الغلـــمان مـــصوّر مـــن حـــدق الحـــسان
كأنـــــه في نـــاظـــــر الإنــــسان إنـــسان عـــين الحـــسن في الزمـــان

ومن خصائصها الفيل والكركند والببر والببغاء والطاووس والعاج والساج والتوتيا، والقرنفل والسنبل والتنبل والنارجيل، وجوز الطيب (٥٢٨) والسيوف والحراب والذهب والعطر، وهي أكثر خصائص من كل البلدان على الإطلاق.

سمرقند: لما أشرف عليها قتيبة بن مسلم(٥٢٩) قال: كأنها السماء في الخضرة، وكأن قصورها النجوم اللامعة، وكأن أنهارها مجرة. وكان يقول: سمرقند جنة في الأرض ترعاها الخنازير. ومن خصائصها الكواغد التي أزرت بكواغد الأرض في الطول والعرض، والجلود الرقاق التي لا توجد في الدنيا، وكان الأوائل يكتبون كتب العلوم والحكمة والتواريخ فيها لحسنها ولينها وقامتها، وقال الشاعر:

للنـــــاس في أخراهـــم جّـــنة وجنـــــة الـــــدنيا سمـــرقــنـــــد
يـــا مـــن يـــساوي أرض بلـــخٍ بهـــا هـــــل يـــستوي الحنظـــل والقنـــد

الصين: ومن خصائصها الظروف الصينية، ولهم الفخار الفاخر الذي لا يوجد في غيرها. ولهم الإبداع في خرط التماثيل وإتقانها، وعمل التصاوير والنقوش

---

(٥٢٨) جوز الطيب Noix muscade : .

(٥٢٩) قتيبة بن مسلم الباهلي : هو فاتح التركستان واوزبكستان وبخارىٰ وسمرقند وفرغانة وخوارزم كان والياً على خراسان.

المدهشة كالأشجار والوحوش والطيور والأزهار والثمار وصور الإنسان على اختلاف الحالات والأشكال والهيئات، حتىٰ لا يعجزهم شيء إلا الروح والنطق، ثم لا يرضون بذلك حتىٰ إن مصورهم يفصل بين الشخص الضاحك من الغضب والضاحك من العجب والضاحك من سرور والضاحك من الخجل، ولهم الحرير المثمر، وبها المماطر التي لا تبل بالمطر، ولهم الستائر التي يستتر بها الفارس والفرس في الحرب ولا تؤثر السهام فيها ولا الجروح، ويكون زنة كل واحدة منها دون الرطل الشامي، ولهم مناديل الغمر التي إذا اتسخت ألقيت في النار فتعود جديدة ولم تحترق.

بلاد الترك: هي بلاد توازي بلاد الهند في كثر خصائصها كالمسك والسمور والسنجاب والقماقم والفنك[٥٣٠]، والثعالب السود والخذنك واليشم، والخزحار الذي يتخذ من ذنبه وعرفه المطارد.

فأما تبت فهي أيضاً من بلاد الترك، وقد خصت بجوهر شريف وعرض لطيف. فأما الجواهر فالذهب الذي ينبت فيها. وأما العرض فمن أقام بها اعتراه الفرح والسرور، ولو مات له عشرة من الأولاد لا يعتريه حزن ولا هم ولا يدري ما سبب ذلك، وإن الغريب الذي يدخلها لا يزال مسروراً منبسطاً حتىٰ يخرج منها. وهذه خصوصية عظيمة.

خوارزم: تناسب بلاد الترك أيضاً في الخصائص، ويجلب منها السمور والوبر الفاخر والسموك المملحة والبطيخ الغريب النوع والطعم والحلاوة، وهي أشد بلاد الله برداً وشتاء، حتىٰ إن جيون يجمد مع عمقه وغظمته فتمشي علىٰ متنه الجامد

---

(٥٣٠) الفنك : ضرب من الثعالب فروته أجود أنواع الفراء (المعجم الوسيط ٢ / ٧٢٩).

القوافل والعجل والفيول، وربما بقي جامداً مدة تزيد على الشهرين لكنها تصير كالأرض اليابسة الجلدة.

انتهت خواص البلدان.

وهنا نبذة تناسب هذا المكان

حكي أن أبا علي الهاشمي وأبا دلف الخزرجي كانا يوماً في مجلس أنس عند **عضد الدولة بن بويه**، (٥٣١) وكانا شاعرين بليغين، فقال أبو علي لأبي دلف: صب الله عليك الحمى الخيبرية والدمامل الجزرية والقروح البلخية. فقال له أبو دلف من غير ترو: يا مسكين قد بلغ عظمك السكين أتنقل التمر إلى البصرة والعطر إلى اليمن؟ لا بل صب الله عليك ثعابين مصر وأفاعي سجستان، وعقارب شهرزور، وجرارات الأهواز، ووباء جرجان، وصب علي برود اليمن ومقصب مصر، وتفاصيل إسكندرية وحلل الصين، وخزوز الكوفة، وأكسية فارس، وشربناف أصفهان، وصقلاطون الروم وتصافي بغداد، ومنير الري وطوز نيسابور، وملح مرو، وسنجاب خزخيز، وسمور بلغار وثعالب الخزر، وفنك كاشغر، وحواصل هراة وقندس التغزغز وتكك أرمينية، وجوارب قزوين، وأفرشني بسط شيراز، وأخذ مني خصيان الخطا وغلمان الترك وسراري بخارى ووصائف سمرقند، وحملني على نجائب نجد وعتاق البادية وحمير مصر وبغال برذعة، ورزقني تفاح

---

(٥٣١) البويهيون : بنو بويه: سلالة من الديلم (جنوب بحر الخزر) حكمت في غرب إيران و العراق سنوات ٩٣٢/ ٤٥-١٠٥٦/ ٦٢ م.ينحدر بنو بويه من أعالي جبال الديلم و يرجعون في نسبهم إلى ملوك الفرس الساسانية (حسب ادعائهم). استمدوا اسمهم من أبو شجاع بويه، والذي لمع اسمه أثناء عهد الدولتين السامانية ثم الزيارية. استطاع ثلاثة من أبنائه الاستيلاء على السلطة في العراق و فارس. خلع عليهم الخليفة العباسي ألقاب السلطنة.استولى "علي عماد الدولة" (٩٣٢-٩٤٩ م) على فارس و أسس فرعا دام إلى حدود سنة ١٠٥٥ م. الإبن الثاني حسن ركن الدولة (٩٣٢-٩٧٦ م) استولى على الري و همذان و اصفهان. دام فرعه حتى سنة ١٠٢٣ م.وأخيرا استولى بدوره أحمد معز الدولة (٩٣٢-٩٦٧ م) على العراق، (الأحواز) وكرمان. دام فرعه حتى ١٠١٢ م. قام الأخير بالاستيلاء على بغداد سنة ٩٤٥ م وأعلن نفسه حامي الخلافة (حتى ١٠٥٥ م). من أهم حكام هذه الأسرة علي بن خسرو عضد الدولة (٩٤٩-٩٨٣ م) والذي استطاع أن يتملك دولة واسعة الأطراف شملت كل العراق المعروف اليوم و مناطق أخرى.

الشام وموز اليمن، ودبس أرجان وتين حلوان وعناب طبرستان، وإجاص بست ورمان الري وكمثرى نهاوند ومشمش طوس، وسفرجل خلاط وبطيخ خوارزم، وأشمني مسك تبت وعود الهند وكافور قنصور وأترج المربد ونارنج البصرة ومنثور الصغد ونوفر السودان، وورد جور، ونرجس الدست، وشاهسفرم ترمذ. فلما سمع عضد الدولة ذلك ضحك وتعجب من استحضاره خواص البلدان في الحال، وأمر له بخلعة سنية ومال. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

يتلوه نبذة من أخبار ملوك الزمان السالفة منقول من كتاب الذهب المسبوك في سير الملوك للإمام الحافظ العلامة **أبي الفرج بن الجوزي**(٥٣٢)، تغمده الله برحمته. قال: حكى بعض علماء التاريخ أن قيصر ملك الشام والروم أرسل رسولاً إلى ملك فارس أنوشروان صاحب الإيوان. فلما وصل ورأى عظمة الإيوان وعظمة مجلس كسرى على كرسيه والملوك في خدمته، ميز الإيوان فرأى فيه اعوجاجاً في بعض جوانبه، فسأل الترجمان عن ذلك فقيل: ذلك بيت لامرأة عجوز كرهت بيعه عند عمارة الإيوان، فلم ير ملك الزمان إكراهها على البيع فأبقى بيتها في جانب الإيوان، فذلك ما رأيت وسألت.

فقال الرومي: وحق دينه إن هذا الاعوجاج أحسن من الاستقامة، وحق دينه إن هذا الذي فعله ملك الزمان لم يؤرخ فيما مضى لملك ولا يؤرخ فيما بقي لملك. فأعجب كسرى كلامه وأنعم عليه ورده مسروراً محبوراً.

---

(٥٣٢) ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد جمال الدين. مؤرخ وموسوعي وأديب عراقي (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠١ م). نشأ في بغداد ودرس على مشايخها، وكان إمام عصره في الحديث والوعظ، ولكنه ألف في فنون شتى وترك ما يزيد على مائة مؤلف في التراجم والسير والتاريخ والجغرافيا والطب والفقه والحديث والتصوف.

ولما فتح كسرى بلاد العجم وأحكم البنيان وشيد الحصون ومهد البلاد ونشر العدل والإنصاف في الحاضر والباد، وجند الجنود وحشد الحشود، سار إلى نحو الجزيرة وآمد[٥٣٣]، وفتح ما هناك من البلاد إلا آمد فإنه عجز عنها لتشييد بنائها وتمكين سورها، فرحل إلى الفرات وافتتح حلب وأعمالها وكثيراً من الشام، وغدر[٥٣٤] بقيصر ملك الشام والروم؛ وقتل ابن أخته بحمص ثم سار إلى أنطاكية وقتل صاحبها وافتتحها. فخاف قيصر وهادنه وحمل إليه الجزية(٥٣٥). وكان ذلك في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. وفي ذلك نزل قوله تعالى: «**الٓمٓ غُلِبَتِ الرومُ في أدنى الأرض وهمُ من بَعدِ غلَبِهم سَيغلِبون**»(٥٣٦). والقضية قصة مشهورة ليس هذا موضع ذكرها.**قال:** وحمل كسرى من الشام من أعاجيب الرخام وبدائع المرمر وأنواع البلاط المجزع والأحجار البهجة؛ فبنى بالعراق مدينة تسمى برومية وزخرفها بأبهى ما قدر عليه، وكان أراد أن يصنع ذلك بآمد فلم يقدر على أخذها وفتحها؛ فجعل رومية على هيئتها وشكلها. واشتد سلطان كسرى وعظم ملكه حتى هابته ملوك الأرض وهادنته وحملت إليه الجزية، وتزوج بشاه روزا ابنة خاقان ملك الترك ولم يكن في زمانها أكمل منها محاسن، ولا أبدع صورةً وشكلاً.وكتب إليه ملك الصين: من نقفور ملك الصين صاحب قصر الدر والجواهر، الذي يجري في ساحة

---

(٥٣٣) آمد : بكسر الميم، وهي لفظة رومية : بلد قديم حصين مبني لالحجارة السود، ودجلة محيطة بأكثره، مستديرة به كالهلال (مراصد الاطلاع، البغدادي، ج١، ص ٦).

(٥٣٤) الغدر: الإخلال بالشيء وتركه، والغدر يقال لترك العهد، ومنه قيل: فلان غادر، وجمعه: غدرة، وغدار: كثير الغدر، والأغدر، وغدرت الشاة: تخلفت فهي غدرة انظر: اللسان (غدر).

((٥٣٥ الجزية : Tribute : الجزية ما يؤخذ من أهل الذمة من مال وغيره من أهل البلاد المفتوحة مقابل حمايتهم والذود عنهم.

(٥٣٦) سورة الروم : آية ١ — ٣.

قصره نهران يسقيان العود والكافور، الذي يوجد ريح قصره في فرسخين، وتخدمه بنات ألف ملك؛ والذي في مربطه ألف فيل أبيض، إلى أخيه كسرى أنوشروان.

وأهدى إليه فارساً هو وفرسه من الدر المنضود، وعينا فرسه من الياقوت الأحمر؛ وأهدى إليه ثوباً من الحرير الصيني، فيه صورة الملك كسرى وهو جالس على كرسيه في إيوانه، والتاج على رأسه والملوك في خدمته، والخدم بأيديهم المذاب المصورة المنسوجة بالذهب في أرض لازوردية، في صندوق مرصع بأنواع اليواقيت الفاخرة التي لا قيمة لها؛ وأهدى إليه جارية خطائية تغيب في شعرها الحالك إذا أسبلته، يتلألأ جمالاً وبهاءً، وغير ذلك من طرف الصين وأعاجيبه. وكتب إليه ملك الهند: من ملك الهند وعظيم أراكنة(٥٣٧) الشرف، صاحب قصر الذهب والزمرد والياقوت والزبرجد، الذي أبواب قصره من الزمرد الزباني. إلى أخيه كسرى أنوشروان ملك فارس. وأهدى إليه ألفاً من العود الهندي الذي يذوب على النار كالشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع فتبين فيه الكتابة. وأهدى إليه جاماً من الياقوت البهماني، يفتح شبراً في شبر، سمكه عرض أصبعين. وأهدى إليه أربعين درة يتيمة، كل واحدة تزيد على ثلاثة مثاقيل، وأهدى إليه عشرة أمنان كافور كالفستق، وأكبر جارية طولها عشرة أشبار إلى صدرها، وخمسة أشبار إلى فرقها، تضرب أهداب عينيها على خديها فكأن بين أجفانها لمعاناً كلمعان البرق من بياض مقلتيها وسواد سوادهما مع صفاء لونها ودقة تخاطيطها وإتقان شكلها مقرونة الحاجبين. وكان كتابه في لحاء شجر الكادي والكتابة بالذهب. وهذا شجر يكون بأرض الصين والهند، وهو نوع من نبات الطيب عجيب ذو لون أبيض كالفلة مصقول بالمرآة، ينطوي كالورق ولا يتكسر، وريحه أعطر شيء من الطيب

---

(٥٣٧) الأركون، رئيس القرية ورئيسها الأعظم، على وزن أفعول من الركون لأن أهلها يركنون إليه، أي يسكنون ويميلون إليه (لسان العرب، ٣/ ١٧٢٢ / مادة ركن).

وأهدىٰ إليه ملك تبت من عجائب بلاده مائة جوشن[٥٣٨] تبتية ومائة قطعة تخافيف كالبرانس كل واحدة منها تستر الفارس وفرسه ومائة ترس تبتية، لا تعمل في هذه الأتراس والجواشن والتخافيف عوامل الرماح ولا بواتر الصفاح ولا شدائد نصول الجراح، وزنة كل قطعة من المذكورات ما بين أربعين إلىٰ ستين درهماً. وأهدىٰ إليه أربعة آلاف من من المسك التبتي، وتسعين غزالاً من غزلان المسك في الحياة ومائدة عظيمة من الذهب الأحمر مرصعة بأنواع الدر والجواهر يدور حولها نحو ثلاثين رجلاً، قد كتب علىٰ حافتها: أشهىٰ الطعام ما أكله الآكل من حله وجاد علىٰ ذي الفاقة من فضله. ما أكلته وأنت تشتهيه فقد أكلته، وما أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك.

وكان لكسرىٰ خواتيم أربعة: خاتم للخراج، فصه ياقوت أحمر يتقد كالنار، نقشه: العدل للعدل. وخاتم للضياع، فصه فيزوزج نقشه: العمارة العمارة. وخاتم للضرب والعقوبة، فصه من زمرد، نقشه: التأني التأني. وخاتم للبرد والرسل فصه درة بيضاء، نقشه: العجل العجل. وكان له مائدة أهداها إليه قيصر ملك الروم من العنبر، فتحها ثلاثة أذرع، علىٰ ثلاث قوائم من الذهب مفصصة بأنواع الجواهر، أحد الأرجل الثلاثة ساعد أسد وكفه، والآخر ساق وعل، والثالث كف عقاب ومخلبه وثلاثون جاماً من الجزع اليماني، فتح كل منها شبر في شبر. وكان عنده خمسة آلاف درة، زنة كل واحدة منها ثلاثة مثاقيل. وكان يقول خير الكنوز معروف أودعته الأحرار، وعلم توارثته الأعقاب، وأطول الناس عمراً من كثر علمه فانتفع به من بعده. وكان لكسرىٰ عشرة آلاف غلام من الترك والخطا وهم في غاية الحسن والجمال واستقامة الصور والتخطيط، في آذانهم قروط الذهب الأحمر فيها الدر

---

(٥٣٨) الجوشن : الدرع (بطرس البستاني : محيط المحيط).

والياقوت معلقاً، ولباسهم أقبية الديباج المدثر عشرة صنوف، كل صنف منها على قد واحد وزي واحد ولون واحد من ملابس الديباج، ولا يزالون كذلك وكلما التحى واحد منهم أو مات أتي بغيره مكانه في الوقت والحال. وكان على مربطه تسعة آلاف فيل، منها ألفان وسبعمائة فيل أشد بياضاً من الثلج، ومنها ما ارتفاعه أربعون شبراً، مات منها فيل فوزن أحد نابيه فوجد مائتين وأربعين مناً بالبغدادي.

ولما ملك الاسكندر فارس والمغرب والشام وبنى الاسكندرية ودمشق وغيرهما وأحاديثه طويلة ارتحل نحو الهند والسند والصين فوطئ أرضها وأذل ملوكها، وأهديت إليه الهدايا من الترك والتبت وغيرهم إلى أن أنهى مطلع الشمس من العمران، وكان معلمه أرسطاطاليس، فبلغه أن بأقصى الهند ملكاً عادلاً من ملوكهم وهو ذو حكمة وديانة وسياسة وقد أتى عليه مئات من السنين وهو قاهر لطبيعته مميت لشهوات نفسه، يتجمل بكل خلق كريم ويظهر بكل فعل جميل. فكتب إليه الإسكندر يقول: إذا أتاك كتابي هذا فلا تقعد ولو كنت ماشياً، حتى تأتيني وإلا مزقت ملكك وألحقتك بمن مضى.

فلما ورد الكتاب على ملك الهند كتب جواباً للإسكندر بأحسن خطاب وألطف جواب، ولقبه بملك الملوك العادلة وأعلم الإسكندر في جوابه أنه قد اجتمع عنده أشياء لم تجتمع عند ملك من ملوك الدنيا، من ذلك ابنة لم تطلع الشمس على أحسن صورةً وهيئة منها، ومنها فيلسوف يخبرك عن مرادك من قبل أن تسأله؛ ومنها طبيب لا تخشى معه من الأدواء والأمراض والعوارض إلا ما جاء من قبل الموت، ومنها قدح إذا ملأته شرب منه عسكرك بجمعه ولا ينقص من القدح شيء، وإني مهد جميع ذلك إلى ملك الملوك وسائر إليه.

قال: فلما قرأ الإسكندر جوابه وسمع بذكر هذه الأشياء قلق إليها قلقاً عظيماً، فأرسل إليه جماعة من الحكماء أن يشخصوه إليه إن كان كاذباً وأن يخيروه في المقام إن كان صادقاً ويأتوه بهذه الأربع. فمضى القوم إلى ملك الهند فتلقاهم أحسن لقاء وأنزلهم أرحب منزل وأكرمهم أعظم إكرام مدة ثلاثة أيام. فلما كان اليوم الرابع جلس لهم مجلساً خاصاً وأقبل على الحكماء وباحثهم في أصول الحكمة والفلسفة والعلم الإلهي والمبادئ الأول والهيئة والأرض ومساحتها والبحار وغيرها، حتى ملأ صدورهم من العلم والحكمة. ثم أخرج ابنته إليهم وأبرزها عليهم فلم يقع أحدهم على عضو من أعضائها فأمكنه أن يتعدى ببصره عن ذلك العضو إلى غيره، وشغله تأمل ذلك العضو وحسن تخطيطه واتقان صنعه. فخافوا على عقولهم من الزوال، ثم رجعوا إلى نفوسهم عند سترها وقد اندهشوا، وسير صحبتهم القدح والطبيب والفيلسوف، وودعهم مسافة من الأرض بعد أن خيروه في المقام.

فلما ورد ذلك على الإسكندر أمر بإنزال الطبيب والفيلسوف في دار الضيافة والإكرام، ونظر إلى الجارية فطاش عقله عند مشاهدتها وشغف بها، وكان الإسكندر إذ ذاك ابن خمس وعشرين سنة، وكان من أحسن الناس خلقاً وخلقاً، وأكثر الملوك إنصافاً وعدلاً، وأغزر الخلق معرفة وحكمة، وأعظم الملوك هيبة وصيتاً، فأمر القيمة بإكرامها واحترامها وتعظيمها وتقديمها على سائر حرمه وأهله.

ثم قصت الحكماء ما جرى بينهم وبين ملك الهند من المباحث، فأعجب الإسكندر وامتحن القدح بأن ملأه ماء فشرب منه جميع عسكره ولم ينقص منه شيء. وسار في الحال إلى الفيلسوف يمتحنه فيما قيل عنه بإناء مملوء من السمن بحيث لا يمكن أن يزاد فيه شيء، وقال للرسول: سر به إلى الفيلسوف وضعه بين يديه ولا تخبره بشيء أصلاً. فلما وصل به وضعه بين يديه ووقف ولم يكلمه فأخذه الفيلسوف

بيديه ونظره وتأمله بانفاذ بصيرته فأخذ إبراً صغاراً كثيرة وغرزها في السمن حتى بقي وجه السمن كالقنفذ(٥٣٩)، وسيرها إلى الاسكندر، فلما رآها الإسكندر ووقف عليها حرك رأسه ثم أمر فجعل من الإبر كرة حديد وسيرها إلى الفيلسوف. فلما وقف الفيلسوف عليها ضرب منها مرآة مصقولة ترد صورة من تأملها من الأشخاص لشدة تلألئها وصفائها وزوال درنها، وأمر بردها إلى الإسكندر. فجعلها الإسكندر في طست فيه ماء وسيرها إلى الفيلسوف. فلما نظرها الفليسوف جعلها كرة مقعرة حتى طفت على وجه الماء وسيرها إلى الإسكندر. فلما رآها الإسكندر ثقبها وملأها تراباً وردها إلى الفيلسوف. فلما رآها الفيلسوف تغير لونه ودمعت عينه وسيرها إلى الإسكندر على حالها من غير أن يحدث في التراب حادثة.

قال: فلما كان من الغد جلس الإسكندر جلوساً خاصاً وأمر بإحضار الفيلسوف فلما أقبل نحو الإسكندر، رآه الإسكندر شاباً حسناً كأحسن الناس، فتعجب من حسنه وهيئته، فحط الفيلسوف يده على أنفه ثم أتى بتحية الملوك. فأشار الإسكندر إليه بالجلوس على كرسي وضعه له بين يديه فجلس حيث أمره،

ثم قال له الإسكندر: ما بالك لما نظرت إليك وضعت أصبعك على أنفك؟ فقال أيها الملك المعظم دام لك الملك والنعم، لما نظرت إلي استحسنت صورتي وخطر بخاطرك هل حكمة هذا الشاب على قدر صورته، فوضعت اصبعي على أنفي أخبر الملك أنه ليس في الهند مثلي. فقال: صدقت قد خطر ذلك بخاطري.

---

(٥٣٩) القنفذ : حيوان ثديي آكل حشرات، ليلي، يكمن شتاء، جسمه مغطى بأشواك تنتشر بين الشعر ويلتف فيصير كالكرة فيقي نفسه من خطر الأعداء (الموسوعة الثقافية، كتاب الشعب، مؤسسة دار الشعب \ القاهرة، ١٩٧٢ م).

ثم قال له الاسكندر: يا رئيس حدثني بما كان بيني وبينك من الرسائل، فقال: أيها الملك أرسلت إلي بإناء مملوء من سمن لا يمكن أن يزاد فيه، تخبرني أنك قد امتلأت من الحكم فلا يمكن أن يزاد على حكمتك شيء، فأخبرتك أن عندي من دقائق الحكم ولطائفها ما ينفذ في حكمتك كما نفذت الإبر في السمن. ثم أرسلت إلي بالإبر كرة، فأخبرتني أن نفسك قد علاها من وسخ الصدأ بقتل الأعداء وسفك الدماء ما قد علا هذه الكرة، فأخبرتك أن عندي من الحيلة والملاطفة ما يجعل نفسك مثل صفاء هذه المرآة حتى تشرق على الموجودات، ثم أعلمتني بالطست[٥٤٠] والماء أن الأيام والليالي قد قصرت عن ذلك فأخبرتك أني سأعمل في الحيلة على إيصالك إلى العلم الكثير في العمر القصير، كما شرفت الحديد الذي من طبعه الرسوب في الماء على وجه الماء فثقبت المقعر وملأته تراباً، تخبرني بالموت والقبر، فلم أغيره مخبراً للملك أن لا حيلة في الموت.

فتعجب الاسكندر وقال: والله ما غادر ما خطر بخاطري. ثم أمر له بخلع وأموال كثيرة فأبى وقال: أنا راغب فيما يزيد في عقلي، فكيف أُدخل على عقلي ما ينقصه؟ أيها الملك أحسن إلى أهل الهند وكف عن معارضتهم. وقيل: إن القدح الذي شرب منه عسكر الاسكندر وما نقص منه شيء هو قدح آدم أبي البشر عليه السلام، معمول من ضروب الخواص والروحانية؛ وشاهد من الطبيب من لطائف صنائعه ما بهر عقله، ومن عجائب علاجه وتلطفه في إزالة الآفات والأدواء.

وقيل: مر ببابل فأُخبر عن غار هناك وبه آثار عظيمة، فأتاه ووقف على بابه فإذا عليه مكتوب بالسرياني: يا من نال المنى وأمن الفنا وقد وصل إلى هنا، اقرأ وافتكر

---

(٥٤٠) الطست: من آنية الصُّفر وطشت وطست تعريب تشت الفارسي وهو إناء من النحاس تُغسل فيه الأيدي وغيرها (طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الدخيلة، ص ٤٦).

وادخل إلى الغار واعتبر، واعلم أني قد ملكت البلاد وحكمت على العباد وما نلت من الدنيا المراد، قال: فدخل الإسكندر الغار وقد أسبل الدموع الغزار، فوجد شيخاً عظيم الهامة طويل القامة على سرير من الذهب ملقى، وقد ترك جميع ما ملك، وألقى يده اليمنى مقبوضة والأخرى مفتوحة، ومفاتيح خزانته عند رأسه مطروحة، وعلى يمينه لوح مكتوب فيه: جمعنا المال وأمسكناه، وعلى شماله لوح مكتوب فيه: ثم رحنا وتركناه؛ وعند رأسه لوح مكتوب فيه:

لقــد عمّــرت في زمـــن سعـــيد ... وكنـــت مـــن الحـــوادث في أمـــان
وقاربـــت الثـــريّا فـــي عـلـــوٍّ ... فـصرت عـلى السرير كـما تـراني

فقال الإسكندر: سبحان الملك الذي لا عز إلا عزه. ووقع في قلبه الوجل والوله، فترك كل ما كان له وتخلى للعبادة وأصلح عمله وفرق الذخائر والخزائن، وتصدق بماله في الحصون والمدائن، وأعتق العبيد والخدم، وانتصب لعبادة الله على أحسن قدم وقال: أعزل نفسي قبل العزل، وأحاسبها قبل حساب يوم الفصل، ولبس الخشن والمسوح رغبة في ملك الأبد والثواب الممنوح، وجرح نفسه بسكين الجوى، حتى أعرضت عن مهاوي الهوى، لما وجد في الغار الدوا، وترك ما حاز واحتوى؛ واعتزل اللهو وانزوى، ولبساط الرغبة طوى؛ ولسان حاله ينشد لما تم له واستوى:

دع الهـــوى، فآفـــة العقـــل الـهـــوى ... ومنتهـــى الوصـــل صـــدودٌ ونـــوى
وراقـــب اللّـــه، فـأنـــت راحـــل ... إلى الثـرى، ومعظـــم العمـــر انطـــوى
مـــا ينفـــع الإنـــسان يـــوم مـوتـــه ... مـــا حـــاز مـــن أموالـــه ومـــا احتـــوى
يقـــسمـــها وارثـــه بـرغـمـــه ... وهـــو بنـــار إثمهـــا قـــد اكـتـــوى
تـب قبـل شـيب الـراس، فالتـائب لا ... يتبـــع شـــيب رأســـه إلا الـتـــوى

مـــا دام في العمـــر اخـــضرارٌ عـــوده	ســـهل، وصعـــبٌ عـــوده إذا ذوى
إذا أضـــيع أوّل الـعـمـــر أبـــت	أعجـــازه إلا اعوجاجـــاً والتـــوا

قيل: ورجع الإسكندر من بابل وقد أحاطت به البلابل وظهرت به آثار السقام، حتى ثقل لسانه بالكلام وكان قد رأى في منامه وطيب لذيذ أحلامه أنه سيموت فوق أرض من حديد وتحت سماء من حديد، ثم أخذه العطش والحمى والتلهب والظمأ ففرشوا تحته دروع الحديد وظللوا فوقه بالجحف الفولاذ استجلاباً للتبريد، فأفاق بعد زمان من الغشوة واللهف، فرأى دروع الحديد تحته وفوقه الجحف، فأيقن بارتحاله، فكتب كتاباً إلى أمه بصورة حاله وأوصاها بأن تعمل له وليمة عجيبة الأسلوب، وأن لا يحضرها إلا من لا أصيب بخليل ولا محبوب. فلما مات رحمه الله وضع في تابوت من ذهب ليحمل إلى أمه بالإسكندرية، واجتمعت له هذه النعم وعمره ست وثلاثون سنة. وكان مدة ملكه تسع سنين. فقال حكيم الحكماء: ليتكلم كل منكم بكلام ليكون للخاصة معزياً وللعامة واعظاً. فقام أحدهم وقال: لقد أصبح مستأسر الملوك أسيراً. وقال آخر: هذا الإسكندر كان يخبأ الذهب فصار الذهب يخبؤه. وقال آخر: العجب كل العجب أن القوي قد غلب والضعفاء مغترون. وقال آخر: قد كنت لنا واعظاً ولا واعظ أبلغ من وفاتك. وقال آخر: رب هائب لك لا يقدر أن يذكرك سراً وهو الآن لا يخافك جهراً. وقال آخر: يا من ضاقت عليه الأرض في طولها والعرض، ليت شعري كيف حالك في قدر طولك؟. وقال آخر: يا من كان غضبه الموت هلا غضبت على الموت؟ وقال آخر: سيلحق بك من سره موتك. وقال آخر: مالك لا تحرك عضواً من أعضائك وقد كنت تزلزل الأرض؟

فلما ورد على أمه في التابوت شرعت في عمل الوليمة، وهيأت المآكل والمطاعم ونادت: لا يحضر الوليمة إلا من لا فجع في الدنيا بمحبوب ولا خليل؛ فلم يحضر الوليمة أحد. فقالت: ما بال الناس لا يحضرون الوليمة؟ قالوا: أنت منعتهم من الحضور. قالت: كيف ذلك؟ قيل لها: قد أمرت أن لا يحضرها من فقد محبوباً ولا من فجع بخليل، وليس في الناس أحد إلا وقد أصيب بذلك مراراً. فلما سمعت بذلك خف ما بها من الحزن وتسلت بعض تسلية وقالت: رحم الله ولدي لقد عزاني بأحسن تعزية، وسلاني بألطف تسلية.يا هذا أين القرون الأُول والأُخر؟ أين من ملك وقهر؟ أين من حشد وحشر؟ أين من أمر وزجر وخرب آخرته، ودنياه عمر، وأمن الموت المنتظر، هل كان له من الموت مفر؟ فلما جاءه المنون[٥٤١] بالأمر الأمر حطه من القصور إلى الحفر، وعوضه عن الحرير بالمدر، وسلط عليه الدود إلى أن اضمحل واندثر، ولم يبق منه عين ولا أثر إلا ذل وفتر، ووهن وخور، وعنف على ذنبه المحتقر، ونبئ بما قدم وأخر من العجز والبجر.

تبنـــي وتـجـمــع والآثـــار تـنــدرس ... وتأمـل اللّـبــث والأرواح تـخـتـلــس

ذا اللب فكّر فيما في الخلد مــن طـمــع ... لا بــد أن ينتـهـــي أمـــر ويـنـعـكـــس

أين الملـوك ومــلاّك الـمـلــوك، ومــ ... كانوا إذا الناس قاموا هــيبةً جـلــســوا

ومـن سـيوفـهـــم فـــي كـــل مـعـــركة ... تخشى، ودونهم الـحـجّــاب والـحـــرس

أصمّـهـم حـدثٌ وضـمّـهـم جـدثٌ ... باتوا وهم جثث في الرمس قد حبــســوا

أضحوا بمهلكة فـــي وســـط مـعـــركة ... صرعى، وماشي الورى من فوقهم نطس

كأنهم قطّ مـــا كـــانـــوا ومـــا خـلـقـــوا ... ومات ذكرهـم بـيـن الـورى ونـســوا

والله لو شاهدت عيناك مـــا صـنـعــت ... يـد البـلاء بـهـــم والـدود تـفـتـــرس

---

(٥٤١) المنون : الموت (لسان العرب، مادة منن).

لعاينت منظراً تشجى القلوب به | وعاينت منكراً من دونه البلس
من أوجهٍ ناظرات حاز ناظرها | ورونق الحسن منها كيف ينطمس
وأعظمٍ باليات ما بها رمقٌ | وليس تبقى بهذا وهي تنتهس
وألسنٍ ناطقات زانها أدب | ما شأنها؟ شانها بالآفة الخرس
تبسّهم ألسنٌ للدهر فاغرةٌ | فاها، فآها لهم إذ بالردى وكسوا
عروا من الوشى لما ألبسوا حللاً | من التراب على أجسامهم وكسوا
وعاد ترب المنايا من ملابسهم | جون الثياب، وقدماً زانها الورس
إلام يا ذا النّهى لا ترعوي أبداً | ودمع عينك لا يهمي وينبجس

هذا آخر الكلام عن أخبار الملوك الماضية. والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل في ذكر الكلام في مسائل عبد الله بن سلام لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام

وفيها فوائد كثيرة وعلوم غزيرة تزيد هذا الكتاب رونقاً وبهجة وتفيد الناظر فيه استدلالاً وحجة روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم؛ وأُمر أن يكاتب ملوك الكفار وأن يدعوهم إلى عبادة الملك الجبار، كتب كتاباً إلى يهود خيبر(٥٤٢)، حيث كانوا أقرب الكفار إليه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا جبريل، ما الذي أكتبه إليهم؟ فأملاه جبريل فقال: أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى يهود خيبر، أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والدين الخالص لله والعاقبة للتقوى، والسلام على من اتبع الهدى وأطاع الملك الأعلى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم به فكتب ثم ختمه وأرسل به إلى يهود خيبر. فلما وصل إليهم أتوا به شيخهم وكبيرهم وحبرهم وعالمهم عبد الله بن سلام وكان اسمه قبل اسلامه أشماويل، فقالوا: يا ابن سلام هذا كتاب محمد قد أتانا فاقرأه علينا. فقرأه عليهم، ثم قال لهم: ما ترون؟ وقد علمتم أن في التوراة (٥٤٣)علامات تعرفونها وآيات لا تنكرونها، تظهر على يد محمد الذي بشر به موسى بن عمران؛ فإن

---

(٥٤٢) خيبر : مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على بعد تسعين ميلا تقريباً من المدينة في جهة الشمال (الحميري، الروض ٢٢٨، ياقوت، معجم ٢ / ٤٠٩) وفي غزوة خيبر أنظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ٧/ ٤٦٣ وما بعدها، وصحيح مسلم في الجهاد والسير باب غزوة خيبر، الواقدي : المغازي (٦ / ٣٨٩)، وتاريخ الطبري (٢ / ٢٩٨)، وابن الأثير : الكامل (٢ / ٢١٦).

(٥٤٣) التوراة : تعني كلمة "التوراة" بالعبرية التعليم أو التوجيه (الترئية بالمعنى الحرفي) وخصوصاً فيما يتعلق بالتعليمات والتوجيهات القانونية، وترمز التوراة للأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدّس عند اليهود (للمزيد أنظر، دائرة المعارف الاسلامية، اللغة العبرية وآدابها (٢٩)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، للدكتور عبد الوهاب المسيري).

يك هذا أطعناه: فقالوا: إذاً ينسخ كتابنا ويحرم ما هو محلل لنا. فقال ابن سلام: يا قوم لقد آثرتم الدنيا على الآخرة والعذاب على الرحمة. ثم قال لهم إن محمداً رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب وأنتم بين أظهركم التوراة وتكتبون وتقرؤون، فأنا أستخرج من التوراة ألفاً وأربعمائة مسألة وأربع مسائل من غوامضها، وأتوجه بها إليه فإن عرفها وأجاب عنها وكشف الالتباس فهو الذي بشر به موسى بن عمران فنؤمن به حقيقة الايمان، وإن تلكأ وعجز عن حلها فلا نرجع عن ديننا ولا نتبعه لحظة من زمان. فأجابه اليهود إلى ما قاله واستخرجوا من التوراة ما قدروا عليه من غوامض لا تصل إليها أفهامهم، وجهزوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم. قال: فلما وصل إلى المدينة ودخل من باب المسجد ورأى أنوار النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من حوله حن قلبه إلى الإسلام فقال: السلام عليك يا محمد، أنا أشماويل بن سلام، والسلام على أصحابك الأعلام. فقالوا: وعلى من اتبع الهدى السلام ورحمة الله وبركاته على الدوام، ثم أمره النبي صلى الله عليه وسلم بالجلوس فجلس، فقال له: ما تريد يا بن سلام؟ فقال يا محمد أنا من علماء بني إسرائيل وممن قرأ التوراة وفهمها وعلمها، وأنا رسول اليهود إليك، وقد أرسلوا معي رسائل لا نفهمها عن يقين، وقد سألوك أن تبينها لهم وأنت من المحسنين. فقال عليه الصلاة والسلام: قل ما بدا لك من المسائل يا بن سلام فقد أخبرني بها جبريل عن الملك العلام، وإن شئت أخبرتك بها قبل أن تفوه بالكلام.

فقال: يا محمد أعلمني بها لكي أزداد يقيناً. فقال: يا بن سلام لقد جئتني بألف مسألة وأربعمائة مسألة وأربع مسائل، استخرجتموها من التوراة ونسختها بخطك. قال: فنكس عبد الله بن سلام رأسه وبكى وقال: صدقت يا محمد، وأنت الصادق الأمين، يا محمد أنت نبي أم رسول الله؟ فقال: إن الله جل وعلا بعثني نبياً ورسولاً وخاتم النبيين، أما قرأت في التوراة: محمد رسول الله والذين معه أشداء على

الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً قال: صدقت يا محمد أمكلم أم موحىٰ إليك؟ قال: يا بن سلام إن هو إلا وحي يوحىٰ، ينزل به جبريل الأمين عن رب العالمين. قال: صدقت يا محمد، كم خلق الله من نبي؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً، قال: صدقت يا محمد، فكم من مرسل فيهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر. قال: صدقت يا محمد، فمن كان أول الأنبياء؟ قال: آدم عليه السلام، قال: فمن كان أول المرسلين؟ قال: آدم أيضاً، كان نبياً مرسلاً.

قال: صدقت يا محمد. فأخبرني عن رسل العرب كم كانوا، قال: سبعة: إبراهيم، وإسماعيل، ولوط، وصالح، وشعيب، ومحمد. قال: صدقت يا محمد. فأخبرني كم كان بين موسىٰ وعيسىٰ من نبي؟ قال: ألف نبي. قال: صدقت يا محمد فعلىٰ أي دين كانوا؟ فقال: علىٰ دين الله الخالص ودين ملائكته ودين الإسلام قال: صدقت يا محمد، ما الاسلام وما الإيمان؟ قال: الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان والحج إلىٰ بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً، والايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني كم ديناً لله تعالىٰ؟ قال: يا بن سلام دين واحد وهو الإسلام. قال: صدقت يا محمد، كم كانت الشرائع؟ قال: كانت مختلفة في الأمم الماضية. قال: صدقت يا محمد، فأهل الجنة يدخلون الجنة بالإسلام أم بالإيمان أم بأعمالهم؟ قال: يا بن سلام استوجبوا الجنة بالإيمان، ويدخلونها برحمة الله ويقتسمونها بأعمالهم. قال: صدقت يا محمد فأخبرني كم كتاباً أنزل الله تعالىٰ؟ قال: يا بن سلام أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب. قال: صدقت يا محمد، فعلىٰ من أنزلت هذه الكتب؟ قال: أنزل الله عز وجل علىٰ شيث بن آدم خمسين صحيفة، وأنزل علىٰ

إدريس[٥٤٤] ثلاثين صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل الزبور على داود، والتوراة على موسى، والانجيل[٥٤٥] على عيسى، والفرقان على محمد.

قال: صدقت يا محمد، لم سمي الفرقان فرقاناً؟ قال: لأن آياته وسوره مفرقة لا كالصحف والتوراة والإنجيل. قال: صدقت يا محمد، فهل في القرآن شيء من الصحف؟ قال: نعم. قال: وما هو يا محمد؟ فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم: «**قد أفلح من تزكّى، وذكَر اسمَ ربّهِ فصلّى، بل تُؤْثِرونَ الحياةَ الدنيا، والآخرةُ خيرٌ وأبقَى، إن هذا لَفي الصحُفِ الأولى، صُحفِ إبراهيمَ وموسى**»[٥٤٦] قال: صدقت يا محمد، فأخبرني ما ابتداء القرآن وما ختمه؟ قال: ابتداؤه بسم الله الرحمن الرحيم، وختمه صدق الله العظيم.

قال: صدقت يا محمد. فأخبرني عن خمسة خلقها الله بيده. قال: جنة عدن خلقها الله بيده، وشجرة طوبى غرسها الله بيده، وصور آدم بيده، وبنى السماء بيده، وكتب الألواح لموسى بيده. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني من أخبرك بها أخبرت؟ قال. أخبرني جبريل؛ قال: صدقت يا محمد، عمن؟ قال: عن ميكائيل. قال: عمن؟ قال:

---

(٥٤٤) كان ادريس عليه السلام نبياً يوحى اليه وكان صادق الوعد، ويذكر أن اسمه ادريس لغزارة علمه بما نزل اليه من الوحي والدرس الكثير، وقال أنه أول من خط بالقلم، وأول من عرف حساب الأيام والسنين، وبرع في الطب واتصف بثلاث صفات (التعمير، والورع، والرفع الى السماء، وفي الرابعة قبضه ملك الموت، ويجعله البعض الخضر أو الياس (تفسير الطبري (١٦ / ٧٢).

(٥٤٥) يُطلق على الإنجيل "العهد الجديد" أما التوراة فيُطلق عليها " العهد القديم " (للمزيد، أنظر، قاموس الكتاب المقدس، كتاب الألفاظ (٣١٧)، والانجيل وهو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى بن مريم - عليه الصلاة والسلام - إلى بني إسرائيل، متمما لما جاء في التوراة من تعاليم، فيه أحكام ووصايا ومواعظ (القاموس الاسلامي، ج١، ص ١٩٤).

(٥٤٦) سورة الأعلى : آية ١٤ - ١٩.

عن إسرافيل[٥٤٧]، قال: عمن؟ قال: عن اللوح المحفوظ. قال: عمن؟ قال: عن القلم، قال: عمن؟ قال: عن رب العالمين، قال: وكيف ذلك؟ قال: بأمر الله فيكتب على اللوح، وينزل اللوح على إسرافيل، ويبلغ ميكائيل جبريل.قال: صدقت يا محمد. فأخبرني عن جبريل في زي الذكران هو أم في زي الإناث؟ قال: في زي الذكران. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني ما طعامه وشرابه؟ قال: يا بن سلام، طعامه التسبيح وشرابه التهليل. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني ما طوله وما عرضه، وما صفته وما لباسه؟ قال: يا بن سلام، الملائكة لا توصف بالطول والعرض لأنهم أرواح نورانية لا أجسام جثمانية، ضوءه كضوء النهار في ظلمة الليل، له أربعة وعشرون جناحاً خضراء مشبكة بالدر والياقوت، مختومة بالدر واللؤلؤ والمرجان، عليه وشاح، بطانته من استبرق[٥٤٨] وهي تأخذ بالبصر، وطهارته الوقار وإزاره الكرامة ووجهه كالزعفران، لا يأكل ولا يشرب ولا يسهو ولا يمل ولا ينسى، وهو قائم بأمر وحي الله تعالى إلى يوم القيامة.قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن بدء خلق الدنيا، وأخبرني عن بدء خلق آدم. قال: نعم، إن الله سبحانه وتعالى تقدست أسماؤه، وجل ثناؤه ولا إله غيره، خلق آدم من طين بيده وخلق الطين من الزبد، وخلق الزبد من الموج، وخلق الموج من الماء.

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن آدم لم سمي آدم؟ قال: لأنه خلق من طين الأرض وأديمها. قال: صدقت يا محمد، قال: فآدم خلق من طينة واحدة أم من الطين كله قال: يا بن سلام: بل خلق من الطين كله، ولو خلق من طينة واحدة لما عرف الناس بعضهم بعضاً ولكانوا على صورة واحدة قال: صدقت يا محمد، فهل

---

(٥٤٧) إسرافيل : الملك الموكل بالنفخ في الصور.

(٥٤٨) الاستبرق : ما غلظ من الديباج فهو البطائن والسندس الظهائر (كلمات القرآن، عبد المنعم ابراهيم، ص ٤٣٤).

لذلك مثل في الدنيا؟ قال: نعم، أما تنظر إلى الدنيا محشوة من تراب أبيض وأحمر وأصفر وأغبر وأسود وأزرق، وفيه عذب وملح ولين وخشن ومتغير ومنتن، وكذلك بنو آدم. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني لما خلق الله آدم، من أين دخلت فيه الروح؟ قال: دخلت من فيه قال: صدقت يا محمد، أدخلت فيه رضاً أو كرهاً؟ قال: بل أدخلها الله كرهاً وأخرجها كرهاً

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني ما قال الله لآدم؟ قال يا بن سلام، قال الله لآدم: «اسكُن أنتَ وزَوْجُك الجنةَ وكُلا منها رغَداً حيث شئتما ولا تقْربا هذه الشجرةَ فتكونا من الظالمين» قال: صدقت يا محمد، فأخبرني كم حبة أكل من الشجرة؟ قال: حبتين. قال: وكم أكلت حواء؟ قال حبتين. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني ما صفة الشجرة وكم غصناً كان لها، وكم كان طول السنبلة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان للشجرة ثلاثة أغصان، وكان طول كل سنبلة ثلاثة أشبار. قال: وكم حبة كان في السنبلة؟ قال: خمس حبات. قال: صدقت يا محمد، وكم سنبلة فرك. قال فرك سنبلة واحدة. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن صفة الحبة كيف كانت؟ قال: يا بن سلام كانت بمنزلة البيض الكبار. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن الحبة التي بقيت مع آدم، ما صنع بها؟ قال: نزلت مع آدم من الجنة فزرعها في الأرض، فتناسل منها الحب في الأرض وبورك فيها. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن آدم، أين أهبط من الأرض قال: أهبط بأرض الهند. قال: صدقت يا محمد، فأين أُهبطت حواء؟ قال: بجدة. قال: صدقت يا محمد، فأين أُهبطت الحبة؟ قال: بأصبهان. قال: صدقت يا محمد، فأين أُهبط إبليس؟ قال: ببيسان[٥٤٩]. قال: صدقت يا محمد، ما أغزر علمك وما أصدق لسانك، فأخبرني ما كان لباس آدم لما أهبط من الجنة؟ قال:

---

(٥٤٩) بيسان: مدينة تقع بأرض اليمامة، مشهورة بكثرة النخيل (معجم البلدان، مادة بيسان).

ثلاث ورقات ومن ورق الجنة، وكان متشحاً بالواحدة متزراً بالأخرى معتماً بالثالثة. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني في أي مكان اجتمعا؟ قال: بعرفات. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن أول بيت وضع للناس؟ قال: بيت الله الحرام.

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن آدم، خلق من حواء أم حواء خلقت من آدم؟ قال: يا بن سلام، بل حواء خلقت من آدم، ولو خلق آدم من حواء لكان الطلاق بأيدي النساء. قال: صدقت يا محمد.

قال ابن سلام: فمن كله خلقت أم من بعضه؛ قال عليه الصلاة والسلام: خلقت من بعضه، ولو خلقت من كله لكان القضاء في النساء ولم يكن في الرجال، قال: صدقت يا محمد، فمن باطنه خلقت أم من ظاهره، قال: من باطنه، ولو خلقت من ظاهره لكشفت النساء عن وجوهن كالرجال وما استترن. قال: صدقت يا محمد، فمن يمينه خلقت أم من شماله؟ قال صلى الله عليه وسلم. من شماله، ولو خلقت من يمينه لكان حظ الأنثى مثل حظ الذكر، وشهادتها كشهادته. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني من أي موضع خلقت منه؟ قال: من ضلعه الأيسر.

قال: صدقت يا محمد. فأخبرني من كان يسكن الأرض قبل آدم؟ قال: الجن. قال: فبعد الجن؟ قال: الملائكة. قال: فبعد الملائكة؟ قال: آدم وذريته. قال: صدقت يا محمد، كم بين الجن والملائكة؟ قال: سبعة آلاف سنة. قال: صدقت يا محمد، كم بين الملائكة وآدم؟ قال: سبعة آلاف سنة. قال صدقت: يا محمد، هل حج آدم بيت الله الحرام؟ قال: نعم. قال: يا محمد من كور رأس آدم؟ قال: جبريل كوره. قال: صدقت يا محمد، هل اختتن آدم؟ قال: نعم ختن نفسه بيده. قال: فأخبرني يا محمد، لم سميت الدنيا دنيا؟ قال: لأنها خلقت دون الآخرة، ولو خلقت مع الآخرة لم تفن كما لا تفنى الآخرة. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن القيامة لم سميت قيامة؟ قال:

لأن فيها قيام الخلائق للحساب. قال: صدقت يا محمد؛ فالآخرة لِمَ سميت آخرة؟ قال: لأنها متأخرة بعد الدنيا لا توصف سنينها ولا تحصىٰ أيامها ولا ينقضي أمدها.

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن أول يوم بدأ الله فيه خلق الدنيا قال: يوم الأحد. قال: لِمَ سمي أحداً؟ قال: لأنه خلق الواحد الأحد وأول الأيام. قال: صدقت يا محمد، فالاثنين لِمَ سمي اثنين؟ قال: لأنه ثاني يوم من أيام الدنيا، وكذلك الثلاثاء والأربعاء والخميس. قال: صدقت يا محمد، فلم سميت الجمعة جمعة؟ قال: لأنه يوم مجموع فيه الخلق، وهو سادس يوم من أيام الدنيا. قال: صدقت يا محمد فالبست لِمَ سمي سبتاً؟ قال: يوم وكل فيه مع كل من المخلوقين ملكان عن يمينه وشماله يكتبان الحسنات والسيئات، فالذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي عن شماله يكتب السيئات

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني أين مقعد الملكين من العبد؟ وما قلمهما وما دواتهما وما لوحهما وما مدادهما؟ قال صلىٰ الله عليه وسلم: يا بن سلام مقعدهما بين كتفيه، وقلمهما لسانه، ودواتهما ريقه، ولوحهما فؤاده، يكتبان أعماله إلىٰ مماته. قال: صدقت يا محمد، قال: أخبرني كم طول القلم؟ وكم عرضه، وكم أسنانه وما مداده وما أثر مجراه؟ قال: طول القلم خمسمائة عام، وله ثمانون سناً يخرج المداد من بين أسنانه، ويجري في اللوح المحفوظ بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة بأمر الله عز وجل.

قال: صدقت يا محمد، فاخبرني كم لله من نظرة في خلقه في كل يوم وليلة قال: ثلاثمائة وستون نظرة، في كل نظرة يحيي ويميت، ويمضي ويقضي، ويرفع ويضع، ويسعد ويشقي، ويذل ويقهر، ويغني ويفقر. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني ما خلق الله بعد ذلك؟ قال: خلق السماء السابعة مما يلي العرش وأمرها أن ترتفع إلىٰ مكانها فارتفعت، ثم خلق السادسة ثم الخامسة ثم الرابعة ثم الثالثة ثم الثانية ثم سماء الدنيا

كذلك، وأمر كلاً منها فاستقرت بمكانها دون الأخرى. قال: صدقت يا محمد، فما بال لون سماء الدنيا اخضر؟ قال: اخضرت من لون جبل قاف. قال: صدقت يا محمد، فمم خلقت سماء الدنيا؟ قال: خلقت من موج مكفوف. قال: يا محمد وما الموج المكفوف؟ قال: يا بن سلام ماء قائم لا اضطراب له. قال: صدقت يا محمد، فلم سميت سماء؟ قال: لأنها خلقت من دخان.

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن السموات ألها أبواب؟ قال: نعم وهي مقفلة ولها مفاتيح وهي مخزونة. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن أبواب السماء ما هي؟ قال: من ذهب. قال: فما أقفالها؟ قال: من نور. قال: فما مفاتيحها؟ قال: اسم الله الأعظم. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن طول كل سماء وعرضها وسمكها وارتفاعها وما سكانها؟ قال: طول كل سماء خمسمائة عام، وعرضها كذلك، وسمكها كذلك، وبين كل سماء إلى سماء كذلك، وسكان كل سماء جند وصنوف من الملائكة لا يعلم عددها إلا الله تعالى. قال: صدقت يا محمد. قال: فأخبرني عن السماء الثانية التي فوق سماء الدنيا مم خلقت؟ قال: خلقت من الغمام. قال: فالثالثة مم خلقت؟ قال: من زبرجدة خضراء. قال: فالرابعة. قال: من ذهب أحمر. قال: فالخامسة. قال: من ياقوتة حمراء. قال فالسادسة: قال: من فضة بيضاء. قال: فالسابعة. قال: من نور ساطع.قال: صدقت يا محمد، فما فوق السماء السابعة؟ قال: بحر الحيوان؛ قال: فما فوقه؟ قال: بحر الظلمة قال: فما فوقه؟ قال: بحر النور. قال: فما فوقه يا محمد؟ قال صلى الله عليه وسلم: فوقه الحجب قال: فما فوق الحجب؟ قال: سدرة المنتهى. قال فما فوق سدرة المنتهى؟ قال: جنة المأوى. قال: صدقت يا محمد فما فوق جنة المأوى؟ قال: حجاب المجد قال: فما فوق حجاب المجد؟ قال: حجاب الجبروت. قال: فما فوق حجاب الجبروت قال: حجاب العزة. قال: فما فوق

حجاب العزة؟ قال: حجاب العظمة. قال: فما فوق حجاب العظمة قال: حجاب الكبرياء. قال: فما فوق حجاب الكبرياء؟ قال: الكرسي.

قال: صدقت يا محمد، لقد أوتيت علوم الأولين والآخرين وإنك لتنطق بالحق المبين، فأخبرني ما فوق الكرسي؟ قال: العرش العظيم. قال: ما فوق العرش؟ قال: تعالى الله علواً كبيراً، أمره فوق العرش وعلمه تحت العرش. قال: صدقت يا محمد، هل يستوي مخلوق على العرش؟ قال: معاذ الله يا بن سلام، الأدب الأدب. قال: صدقت وأصبت. أخبرني عن الشمس والقمر، أهما مؤمنان أم كافران؟ قال صلى الله عليه وسلم: هما مؤمنان طائعان مسخران تحت قهر المشيئة. قال: صدقت يا محمد، فما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور؟ قال: لأن الله تعالى محا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة، نعمة من الله وفضلاً، ولولا ذلك لما عرف الليل من النهار. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن الليل لم سمي ليلاً؟ قال: لأنه منال الرجال من النساء، جعله الله ألفة وسكناً ولباساً، قال: صدقت يا محمد، ولم سمي النهار نهاراً، قال: لأنه محل طلب الخلق لمعايشهم ووقت سعيهم واكتسابهم

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن النجوم كم جزءاً هي؟ قال: ثلاثة أجزاء، جزء منها بأركان العرش يصل ضوءها إلى السماء السابعة، وجزء منها في السماء الدنيا كالقناديل المعلقة تضيء لسكانها وترمي الشياطين بشررها إذا استرقوا السمع، والجزء الثالث منها معلق في الهواء وهي تضيء على البحار وعلى ما فيها. قال: صدقت يا محمد، ما بال النجوم تبين صغاراً وكباراً؟ قال يا بن سلام لأن بينها وبين السماء بحاراً تضرب الريح أمواجها فتضطرب فتبين صغاراً وكباراً، ومقادير النجوم كلها واحدة. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني كم بين السماء والأرض من ريح؟ قال: يا بن سلام، ثلاث: الريح العقيم التي أرسلت على قوم عاد وهي ريح سوداء مظلمة

يعذب الله بها من يشاء من أهل النار، وريح حمراء يعذب الله بها الكفار يوم القيامة، وريح أهل الأرض تغدو في جوانبها، ولولا تلك الريح لاحترقت الأرض والجبال من حر الشمس. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن حملة العرش كم هم صفاً؟ قال: ثمانون صفاً، كل صف منها طوله ألف ألف فرسخ، وعرضه خمسمائة عام، رؤوسهم تحت العرش وأقدامهم تحت الأرض السابعة، ولو كان طائر يطير من أذن أحدهم اليمنى إلى اليسرى ألف سنة من سني الدنيا لم يبلغ مدى ذلك، ولهم ثياب من در وياقوت، شعورهم كالزعفران وطعامهم التسبيح وشرابهم التهليل، ومنها صف نصفه من ثلج ونصفه من نار، ومنها صف نصفه رعد(٥٥٠) ونصفه برق(٥٥١)، ومنها صف نصفه من ماء ونصفه من مدر، ومنها صف نصفه من ماء ونصفه من ريح.

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن طائر ليس له في السماء ملجأ ولا في الأرض مأوى، ما هو؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تلك حيات بيض أعرافها كأعراف الخيل، تبيض في الجو على أذنابها وتفرخ في الهواء إلى يوم القيامة. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن مولود أشد من أبيه قال: يا بن سلام ذلك الحديد، مولد من الحجر وهو أشد من الحجر. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن بقعة أصابتها الشمس مرة واحدة فلا تعود إلى يوم القيامة إليها. قال: ذلك الموضع الذي

(٥٥٠) الرعد: صوت شديد يقترن بالبرق (يأتي بعده) فهو صوت تفريغ البرق حيث تتولد حرارة شديدة (تسخين للهواء فيتمدد بسرعة شديدة مؤدياً لهذا الصوت المعروف بالرعد وهو يسمع بعد البرق نتيجة لأن الضوء أسرع كثيرا جدا من الصوت (القاموس الجغرافي، ص ٢٤٢).

(٥٥١) البرق: وميض ضوئي يسبق سماع الرعد ينتج عن تفريغ كهربائي مفاجئ يتم بين سحابة وأخرى أو بين أعلى سحابة (شحنات موجبة) وأدناها (شحنات سالبة) واذا ما تم التفريغ الكهربائي بين أسفل السحابة وسطح الأرض فتُعرف بالصاعقة، وعادة ما يرتبط بوجود سُحب المزن الركامي الممطرة خاصة من نوع المطر الانقلابي (القاموس الجغرافي، ص ٢٢٤).

أغرق الله فيه فرعون حين انفلق البحر وانطبق عليه. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن بيت له اثنا عشر باباً خرج منه اثنتا عشرة عيناً لاثني عشر قوماً.

قال النبي صلى الله عليه وسلم إن أخي موسى عليه السلام لما جاوز ببني إسرائيل البحر ودخل بهم إلى البرية شكوا العطش فمر بحجر مربع فأوحى الله عز وجل إليه أن اضرب بعصاك الحجر، فضربه موسى فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً لأثني عشر سبطاً(٥٥٢) من إسرائيل.

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن شيء لا من الجن ولا من الإنس، ولا من الطير ولا من الوحش، أنذر قومه، قال يا بن سلام: النملة أنذرت قومها حين قالت: «يا أيُّها النملُ ادخلوا مَساكِنَكم لا يَحْطِمَنَّكم سليمانُ وجنودهُ وهم لا يشعرون»(٥٥٣). قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عمن أوحى الله إليه من الأرض. قال: أوحى الله إلى طور سيناء أن يرفع موسى نحو السماء ليأخذ الألواح المنزلة عليه. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن مخلوق أوله عود وآخره روح؟ قال: ذلك عصا موسى بن عمران عليه السلام، أمره الله ان يلقيها في بيت المقدس، فألقاها فإذا هي حية تسعى.

قال صدقت يا محمد، فأخبرني عن ثلاث ذكور لم يولدوا من فحل قال: هم آدم عليه السلام، وعيسى بن مريم عليهما السلام، وكبش إسماعيل عليه السلام. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن وسط الدنيا، أي موضع هو؟ قال: بيت المقدس. قال كيف ذلك؟ قال: لأن فيه الحشر والصراط والميزان. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن الفلك المشحون؟ قال صلى الله عليه وسلم: السفن المبنية، أما قرأت في التوراة: وحملناه على ذات ألواح ودسر قال: ما الألواح؟ قال: الأشجار التي شقت طولاً هي

(٥٥٢) السبط: بكسر السين وسكون الباء، ولد الولد او الحفيد (القاموس، ج٣، ص ٢٣٣).
(٥٥٣) سورة النمل: آية ١٨.

الألواح، والدسر: المسامير، والعوارض من الحديد. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني كم كان طول سفينة نوح عليه السلام، وكم كان عرضها وارتفاعها؟ قال: يا بن سلام كان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها مائة وخمسون ذراعاً، وارتفاعها مائتا ذراع. قال: صدقت يا محمد، فمن أين ركبها نوح عليه السلام؟ قال: من العراق. قال: وأين بلغت؟ قال: طافت بالبيت العتيق أسبوعاً، وبالبيت المقدس أسبوعاً، واستوت على الجودي

قال صدقت يا محمد، فأخبرني عن البيت المعمور، أين كان لما أغرق الله الدنيا؟ قال: لما أغرق الله الدنيا رفع البيت الحرام من الأرض إلى السماء السابعة؛ ومن ثم سمي البيت المعمور(٥٥٤). قال: صدقت يا محمد، فأخبرني أين كانت الصخرة وبيت المقدس وقت الطوفان؟ قال: أودعهما الله عز وجل في بطن جبل أبي قبيس. قال: صدقت يا محمد. فأخبرني عن المولود الذي لم يشبه أباه، وربما أشبه خاله أو عمه؛ قال: إذا جامع الرجل امرأته فإن غلبت شهوة الرجل شهوة المرأة خرج الولد بأبيه أشبه؛ وإن غلبت شهوة المرأة شهوة الرجل خرج الولد بأمه أشبه؛ وإن استويا خرج شبيهاً بهما، وإن سبقت شهوة الرجل خرج الولد بعمه أشبه، وإن سبقت شهوة المرأة كان الولد بخاله أشبه.

قال: صدقت يا محمد، هل يعذب الله خلقه بلا حجة؟ قال: معاذ الله، إن الله تبارك وتعالى ملك عادل لا جور في قضائه. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن أطفال المشركين، أين يكونون أفي الجنة هم أم في النار؟ قال: يا بن سلام، الله أولى بهم، إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلق لفصل القضاء أمر الله تعالى بأطفال

---

(٥٥٤) يقال أنه البيت الذي كان ابراهيم الخليل مسنداً ظهره اليه في السماء السابعة حين عرج رسول الله الى السماء السابعة ودخلها (مسلم (٢ / ٢١٤)، والمنتقى (ورقة ١٦٧).

المشركين فيؤتى بهم فيقول لهم عز وجل: عبادي وأبناء عبادي وإمائي، من ربكم وما دينكم وما عملكم؟ فيقولون: اللهم أنت ربنا، وأنت خالقنا ولم نك شيئاً، وأمتنا، ولم تجعل لنا ألسنة تنطق بها، ولا عقولاً نعقل بها، ولا قوة في الأعضاء نتعبد بها، ولا علم لنا إلا ما علمتنا. فيقول الله عز وجل: فالآن لكم ألسنة وعقول وقوة للحركة في الأعضاء، فإن أمرتكم يا عبادي بأمر تفعلونه؟ فيقولون: إلهنا تباركت وتعاليت، لك السمع والطاعة، مر بأيما شئت. فيأمر الله ملكاً فيزجر جهنم حتى تفور، ويأمر بأطفال المشركين أن يلقوا فيها، فمن كان منهم قد سبق في علم الله له السعادة ألقى بنفسه في الحال بلا إمهال، فتكون النار عليه برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم عليه السلام، ومن سبق في علم الله له الشقاوة وامتنع من إلقاء نفسه في النار فأولئك يتبعون آباءهم، والفرقة الأخرى يخرجون إلى الجنة مع المؤمنين. قال: صدقت وبررت وبينت وأزلت الشك يا محمد، فزدني يقيناً، فأخبرني عن الأرض لم سميت أرضاً؟ قال: لأنها أرض يداس عليها. قال: صدقت يا محمد، فمم خلقت؟ قال: من الزبد، قال: فالزبد مم خلق؟ قال: من الموج. قال: فالموج مم خلق؟ قال: من البحر. قال: صدقت يا محمد، فكيف كان ذلك؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل لما خلق البحر أمر الريح أن يضرب الأمواج بعضها في بعض، فاضطربت الأمواج حتى ظهر الزبد فأمره أن يجتمع فاجتمع، ثم أمره أن يلين فلان، ثم أمره أن يعتدل فاعتدل، ثم أمره أن يمتد فامتد، فسطحها أرضاً ومهدها. قال صدقت يا محمد. قال: فأخبرني بم أمسكها؟ قال: بجبل قاف المحيط بالعالم، وهو أصل أوتاد الأرض التي نحن عليها.

قال: صدقت يا محمد. قال: فأخبرني ما تحت هذه الأرض؟ قال: تحتها ثور، والثور على صخرة. قال: وما صفة ذلك الثور؟ قال: له أربع قوائم وأربعون قرناً وأربعون سناماً، رأسه بالمشرق. وذنبه بالمغرب، ومسيرة ما بين قرن وقرن من قرونه

خمسون ألف سنة. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني ما تحت الصخرة التي عليها الثور؟ قال: تحتها جبل يقال له صعود. قال: ولمن أعد ذلك الجبل يوم القيامة؟ قال: لأهل النار، يصعد المشركون في النار في مدة خمسين ألف سنة، حتى إذا بلغوا أعلاه نفضهم الجبل فيتساقطون إلى أسفله ويسحبون على وجوههم. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني ما تحت ذلك الجبل؟ قال: أرض. قال: وما اسمها؟ قال: هاوية. قال: وما تحتها؟ قال: بحر. قال: وما اسمه؟ قال: السهيل. قال: صدقت يا محمد، فما تحت ذلك البحر؟ قال: أرض. قال: وما اسمها؟ قال: ناعمة. قال: وما تحتها؟ قال: بحر. قال: وما اسمه؟ قال: الزاخر. قال: وما تحته؟ قال: أرض. قال: وما اسمها. قال: فسيحة. قال: فصف لي يا محمد تلك الأرض. فقال صلى الله عليه وسلم: يا بن سلام، هي أرض بيضاء كالشمس وريحها كالمسك، وضوءها كالقمر ونباتها كالزعفران، يحشر عليها المتقون يوم القيامة.

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني أين تكون هذه الأرض التي نحن عليها اليوم؟ قال صلى الله عليه وسلم: تبدل بأرض غيرها. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني ما تحت تلك الأرض؟ قال: بحر. قال: وما اسمه؟ قال: القمقام. قال: وما فيه؟ قال: النون. قال: وما النون؟ قال: الحوت. قال: وما اسمه؟ قال: بهموت. قال: صدقت يا محمد، فصف لي الحوت قال؛ يا بن سلام، رأسه بالمشرق وذنبه بالمغرب. قال: فما على ظهره؟ قال: الأراضي والبحار والظلمات والجبال. قال: فما بين عينيه؟ قال: بين عينيه سبعة أبحر، في كل بحر سبعون ألف مدينة، وفي كل مدينة سبعون ألف ملك. قال: فما يقولون؟ قال: يقولون لا إله إلا الله وحده لا شريك له: له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني ما تحت الحوت؟ قال: ريح تحمل الحوت بإذن الله تعالى. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني ما تحت الريح؟ قال: الظلمة. قال: فما تحت الظلمة؟ قال: الثرى. قال: وما تحت الثرى؟ قال: لا يعلم

ذلك إلا الله تبارك وتعالى قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن ثلاث رياض في الدنيا هن من رياض الجنة. قال صلى الله عليه وسلم: أولها مكة، وثانيها بيت المقدس، وثالثها يثرب هذه، قال: صدقت يا محمد.

ثم قال عبد الله بن سلام: يا محمد: أخبرني عن أربع مدن من مدائن الجنة في الدنيا. قال: أولها إرم ذات العماد، والثانية المنصورة من بلاد الهند، والثالثة سارية بساحل بحر الشام، والرابعة البلقاء من أرض أرمينية. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن أربع منابر من منابر الجنة في الدنيا. قال: أولها القيروان وهي إفريقية بالمغرب، الثانية باب الأبواب من أرمينية، الثالثة عبادان بأرض العراق، الرابعة خراسان خلف نهر جيحون. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن أربع مدن من مدائن جهنم في الدنيا. قال: أولها مدينة فرعون في أرض مصر، الثانية أنطاكية بأرض الشام، الثالثة بأرض سيحان من أرمينية، الرابعة المدائن من العراق. قال: صدقت يا محمد. فأخبرني عن أربعة أنهار في الدنيا من أنهار الجنة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: أولها الفرات وهو في حدود الشام، الثاني بأرض مصر وهو النيل، الثالث نهر سيحان وهو نهر الهند، الرابع نهر جيحان وهو بأرض بلخ. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن شيء لا شيء، وعن شيء بعض شيء، وعن شيء لا يفنى منه شيء. قال: يا بن سلام أما شيء لا شيء فهي الدنيا، يذهب نعيمها ويموت أهلها ويخمد ضوءها، وأما شيء بعض شيء فوقوف الخلائق في صعيد واحد للحساب، وأما شيء لا يفنى منه شيء فهي الجنة لا يفنى نعيمها، والنار لا ينقضي عذابها. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن جبل قاف وما خلفه وما دونه. قال صلى الله عليه وسلم: خلفه سبعون أرضاً من ذهب وسبعون أرضاً من فضة وسبعة أراض من مسك. قال: ما سكان هذه الأراضي؟ قال: الملائكة. قال: كم طول كل أرض وكم عرضها؟ قال: طول كل أرض عشرة آلاف عام وعرضها كذلك. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني ما

وراءه؟ قال: حجاب من الريح. قال: فما وراء ذلك؟ قال: كنف محيط بالدنيا كلها. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن أهل الجنة، يأكلون ويشربون فكيف لا يبولون ولا يتغوطون؟ وما مثل ذلك في الدنيا؟ قال: مثله في الدنيا الجنين الذي في بطن أمه يأكل مما تأكل ويشرب مما تشرب، ولا يبول ولا يتغوط، ولو بال أو راث لا نشق بطن أمه ولماتت أمه من تصاعد بخار ذلك إليها.

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن أنهار الجنة ما هي؟ قال: يا بن سلام، من لبن لم يتغير طعمه، وخمر وماء وعسل مصفى. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني أجامدة هي أم جارية؟ قال: بل جارية بين أشجار وثمار ورياض. فقال: هل تنقص تلك الأنهار أم تزيد؟ قال: لا تنقص ولا تزيد. قال: فهل لذلك مثل في الدنيا؟ قال: نعم، أما تنظر إلى البحار وما ينزل فيها من الأمطار وما يمدها من الأنهار منذ خلقت إلى الآن، ولا يؤثر فيها زيادة ولا نقصان. قال صدقت يا محمد، قال فأخبرني بأسماء أنهار الجنة وصفاتها. قال النبي صلى الله عليه وسلم: في الجنة نهر يقال له الكوثر، رائحته أطيب من المسك الأذفر والعنبر، حصباؤه الدر والجوهر والياقوت الأحمر، عليه خيام من اللؤلؤ الأبيض، وهو منزل أولياء الله تعالى.

قال: صدقت يا محمد، فصف لي أشجار الجنة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا بن سلام، في الجنة شجرة يقال لها طوبى، أصلها در وأغصانها من زبرجد وثمرها من جوهر، ليس في الجنة غرفة ولا حجرة ولا قصر ولا خيمة إلا وهي مطلة عليها. قال: صدقت يا محمد. فهل الدنيا لها من مثل؟ قال: نعم، الشمس المشرقة، تشرق على بقاع الدنيا ولا يخلو من شعاعها مكان. قال: صدقت يا محمد، فهل في الجنة ريح؟ قال: يا بن سلام، ريح واحدة خلقت من نور مكتوب عليها: الحياة واللذة لأهل الجنة، ويقال لها البهاء، فإذا اشتاق أهل الجنة أن يزوروا ربهم في الجنة هبت

تلك الريح عليهم تنفخ في وجوههم النور والنضرة والسرور، وتطيب قلوبهم ويزدادون نوراً على نورهم، وتضرب أبواب الجنان(٥٥٥) وحلق المصاريع، وتسبح الأنهار بخريرها والأطيار بتغريدها والأغصان بتصفيقها، فلو أن من في السموات والأرض قيام يستمعون لتلك اللذة لماتوا جميعاً من طيبها وشوقاً إلى مشاهدتها، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، دار الثواب.

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن أرض الجنة ما هي؟ قال: يا بن سلام، أرضها ذهب وترابها مسك وعنبر، ورياضها الدر والياقوت والزعفران وسقفها عرش الرحمن، قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن طعام أهل الجنة إذا دخلوها. قال: يأكلون من كبد الحوت الذي يحمل الدنيا والأراضي والجبال، واسمه بهموت. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن أهل الجنة، كيف ينصرف ما يأكلون من ثمارها وأطيارها من أجوافهم؟ قال: يا بن سلام، ليس يخرج شيء من أجوافهم بل يعرقون عرقاً طيباً أطيب من المسك وأعبق(٥٥٦) من العنبر، ولو أن عرق رجل من أهل الجنة مزج به البحار لعطر ما بين السماء والأرض من طيب ريحه.قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن لواء الحمد ما صفته وكم طوله وارتفاعه؟ قال: يا بن سلام، طوله ألف سنة، أسنانه من ياقوتة حمراء وياقوتة خضراء، قوائمه من فضة بيضاء له ذوائب من نور، ذؤابة بالمشرق وذوابة بالمغرب، والثالثة بوسط الدنيا. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن الأسطر المكتوبة عليه وكم عدة ذلك؟ قال: ثلاثة أسطر، الأول: بسم الله الرحمن الرحيم، الثاني: الحمد لله رب العالمين، الثالث: لا إله إلا الله

---

(٥٥٥) الجنان : البستان ومنه الجنات واشتقت من الاجتنان وهو الستر لتكاثف أشجارها (اللسان ١ / ٧٠٥).

(٥٥٦) العبق : الريح الطيبة.

محمد رسول الله. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن الجنة والنار وأيهما خلق قبل؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الجنة خلقت قبل النار، ولو خلقت النار قبل الجنة لسبق العذاب الرحمة. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن الجنة أين هي؟ قال: في السماء السابعة، والنار في تخوم الأرض السفلى. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني كم للجنة من باب وكم للنار من باب؟ قال: للجنة ثمانية أبواب والنار سبعة أبواب. قال: وكم بين الباب والباب من الجنة؟ قال: ألف سنة. قال: وكم ارتفاعها؟ قال: خمسمائة عام، وعلى شرفاتها سرادق من ذهب بطانته من الزمرد، وعلى كل باب جند من الملائكة لا يحصي عددهم إلا الله تبارك وتعالى. قال: فما تقول تلك الملائكة؟ قال: يقولون: طوبى لأهل الجنة وما يلقون من النعيم وكرامة الله تعالى. قال: في أي الأعمار وأي الصفات يدخل أهل الجنة الجنة؟ قال: يدخلونها أبناء ثلاث وثلاثين في حسن يوسف عليه السلام، وطول آدم، وخلق محمد صلى الله عليه وسلم. قال: فصف لي بعض نعيم أهل الجنة. قال: إن أدنى ما فيه الجنة وليس في الجنة دنيء، ولو نزل به جميع من في الأرض من العوالم لوسعهم طعاماً وشراباً وفاكهة وقرى ولم ينقص مما لديه شيء، ولو أن رجلاً من أهل الجنة بصق في البحار المالحة لعذبت، ولو أدلى ذؤابة من ذوائبه من السماء إلى الأرض لغلب ضوءها ضوء الشمس ونور القمر.

قال: صدقت يا محمد، فصف لي الحور العين. قال: يا بن سلام، الحور العين بيض كاللؤلؤ، مشربات بحمرة الياقوت الأحمر. قال: صدقت يا محمد، صف لي النار. قال: يا بن سلام، إن النار أُوقد عليها ألف سنة حتى احمرت، وألف سنة حتى ابيضت، وألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة ممزوجة بغضب الله لا يهدأ لهيبها ولا يخمد جمرها، يا بن سلام لو أن جمرة من جمرها ألقيت في دار الدنيا لألهبت ما بين المشرق والمغرب من حرارة جمرها وعظم خلقها، وهي سبع طباق: الطبقة

الأولى للمنافقين، والثانية للمجوس، والثالثة للنصارى، والرابعة لليهود، والخامسة سقر، والسادسة السعير، وأمسك النبي صلى الله عليه وسلم عن ذكر السابعة وبكى حتى جرت دموعه على لحيته الكريمة ثم قال: وأما السابعة وهي أهونها فلأهل الكبائر من أمتي.

قال: صدقت وبررت يا محمد، فأخبرني عن يوم القيامة وكيف يقوم الخلائق؟ قال: يا بن سلام، إذا كان يوم القيامة كورت الشمس واسودت، وطمست النجوم وخمدت وانتثرت، وسيرت الجبال وعطلت العشار وبدلت الأرض غير الأرض. قال: صدقت يا محمد: كيف تقوم الخلائق؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقيم الله الخلائق لفصل القضاء، ويمد الصراط، وينصب الميزان وينشر الدواوين ويبرز الرب للحكم بين الخلائق. قال: صدقت يا محمد، فكيف يميت الخلائق إذا قامت الساعة؟ قال يأمر ملك الموت فيقف على صخرة بيت المقدس ويضع يمينه على السموات ويده اليسرى تحت الثرى، ويصيح بهم صيحة عظيمة، وينفخ صاحب الصور في صوره فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا إنس ولا جان ولا طير ولا وحش إلا خر ميتاً ميتة رجل واحد، فتبقى السموات خالية من سكانها والأرض عاطلة من قطانها، والعشار معطلة والبحار جامدة والجبال مدكدكة، والشمس منكسفة والنجوم منطمسة.

قال: صدقت يا محمد. فأخبرني عن ملك الموت هل يذوق الموت أم لا؟ قال: يا بن سلام إذا أمات الله الخلائق ولم يبق شيء له روح يقول الله لملك الموت: من بقي من خلقي؟ وهو أعلم بمن بقي، فيقول: يا رب أنت أعلم، لم يبق إلا عبدك الضعيف ملك الموت. فيقول الله: يا ملك الموت قد أذقت رسلي وأنبيائي وأوليائي وعبادي الموت، وقد سبق في علمي القديم وأنا علام الغيوب أن كل شيء هالك إلا

وجهي، وهذه نوبتك. فيقول: إلهي ارحم عبدك ملك الموت، فإنه ضعيف وأنت ألطف به. فيقول سبحانه: ضع يمينك تحت خدك الأيمن، واضطجع بين الجنة والنار ومت قال عبد الله بن سلام: بأبي أنت وأمي يا محمد، وكم بين الجنة والنار؟ فقال صلى الله عليه وسلم: مسيرة ثلاثة آلاف سنة من سني الدنيا فيضطجع ملك الموت بين الجنة والنار، على يمينه، ويضع يده اليمنى تحت خده واليسرى على وجهه ويصرخ صرخة، فلو أن أهل السموات والأرض أحياء لماتوا من شدة صرخته، قال: صدقت يا محمد، فما يصنع الله بالسموات إذا مات سكانها؟ قال: يطويها بيمينه كطي السجل للكتاب، ثمي قول جلا جلاله وتقدست أسماؤه ولا إلا غيره ولا معبود سواه: أين مدعي الملك والقوة؟ فلا يجيبه أحد. ثم يقول: «لِمَنِ المُلْكُ اليومَ» فلا يجيبه أحد، فيرد سبحانه على ذاته المقدسة: «للهِ الواحدِ القهار، اليومَ تُجزى كلُّ نفسٍ بما كسبت، لا ظُلْمَ اليومَ إن اللهَ سريع الحساب»

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني كيف يحشر الخلائق بعد موتهم؟ قال صلى الله عليه وسلم: يا بن سلام، يحيي الله إسرافيل وهو أول من يحيى من المقربين، وهو صاحب الصور، فيأمره أن ينفخ في الصور نفخة البعث. قال ابن سلام: فما يقول إسرافيل في الصور؟ قال صلى الله عليه وسلم: يقول: أيتها العظام البالية النخرة والأوصال المتفرقة المنفصلة هلموا للعرض على الله، هلموا إلى جبار السموات والأرض. ثم ينفخ فيه مرة أخرى فإذا هم قيام ينظرون، قال: فكم طول كل نفخة؟ قال: مدة أربعين سنة، قال: فكم كلمة يتكلم إسرافيل في الصور وقت النفخ؟ قال: ست كلمات، الكلمة الأولى: يكون الناس طيناً، الثانية: يكونون صوراً، الثالثة: تستوي الأبدان، الرابعة: تجري الدماء في العروق، الخامسة: تنبت الشعور، السادسة: قوموا. فإذا هم قيام ينظرون. قال: صدقت يا محمد. فكيف تقوم الخلائق يوم القيامة؟ قال صلى الله عليه وسلم: يا بن سلام، يقومون حفاة عراة وألسنتهم

جافة وبطونهم مظلمة وأبصارهم وجلة. قال ابن سلام: الرجال ينظرون إلى النساء والنساء ينظرن إلى الرجال. قال: هيهات يا بن سلام، «لكلّ امرئ منهم يَوْمئذٍ شأنٌ يُغْنيه» من شدة هول يوم القيامة. قال صدقت يا محمد.

ثم أمسك ابن سلام عن الكلام، فقال صلى الله عليه وسلم: سل عما شئت ولا تهب. فقال: الحمد لله الذي من علي بالنظر إلى وجهك يا محمد وأهلني لخطابك، فأخبرني إذا كان يوم القيامة أين يحشر الله الخلائق؟ قال: يحشرون إلى بيت المقدس. قال: وكيف ذلك؟ قال: يأمر الله عز وجل ناراً فتحيط بالدنيا وتضرب وجوه الخلائق، فيهربون ويمرون على وجوههم، فيجتمعون إلى بيت المقدس. قال: صدقت يا محمد، فما يصنع الله بالطفل الصغير والشيخ الكبير؟ قال: من كان مؤمناً سارت به الملائكة وانتفضت النار عن وجهه، ومن كان كافراً تلفح وجهه النار حتى يؤتى به إلى بيت المقدس.

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني كم تكون يومئذ صفوف الخلائق؟ قال يا بن سلام: مائةً وعشرين صفاً. قال: كم طول كل صف وكم عرضه؟ قال: طوله مسيرة أربعين ألف سنة وعرضه عشرون ألف سنة. قال: صدقت يا محمد، كم صفاً من المؤمنين وكم صفاً من الكافرين؟ قال: المؤمنون ثلاثة صفوف، ومائة وسبعة عشر صفاً للكافرين. قال: يا محمد فما صفة المؤمنين وما صفة الكافرين؟ فقال صلى الله عليه وسلم: أما المؤمنون فغر محجلون من أثر الوضوء والسجود، وأما الكافرون فسود الوجوه، يأتون الصراط. قال: وكم طول الصراط؟ قال: مسيرة ثلاثين ألف سنة. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني كيف تمر الخلائق على الصراط؟ فقال: يكسو الله الخلائق نوراً، فأما نور المسلمين والمؤمنين والموحدين فمن نور العرش، ونور

الملائكة من نور الكرسي فلا يطفأ لهم نور أبداً، وأما الكافرون فمن نور الأرض ونور الجبال.

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن أول فئة تجوز على الصراط، من هم؟ قال: المؤمنون قال: صدقت يا محمد، فصف لي ذلك. قال: يا بن سلام، من المؤمنين من يجوز في عشرين عاماً على الصراط، فإذا بلغ أولهم الجنة تدلت الكفار على الصراط حتى إذا توسطوا أطفأ الله نورهم فيبقون بلا نور، فينادون بالمؤمنين «انظرُونا نقتبسْ مِن نُورِكم» أليس فيكم الآباء والأصحاب والإخوان «ألم نكُنْ معكم» في دار الدنيا «قالوا بلى، ولكنكم فتنتُم أنفُسَكم وتربّصتم وارتبتم وغرّتكم الأمانيُّ حتى جاء أمرُ الله وغرّكم بالله الغَرُورُ فاليوم لا يؤخذُ منكم فدية ولا من الذين كفروا، مأواكم النار، هي مولاكم وبئس المصير» ويقال لهم: «ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضُرب بينهم بسُورٍ». ويأمر الله جهنم فتصيح بهم من تحتهم صيحة فيسقطون على وجوههم ورؤوسهم في النار حيارى نادمين، وتنجو عصابة المؤمنين ببركة الله ولطفه بهم.

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني ما يصنع الله بالموت حينئذ؟ قال: فإذا صار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، أُتي بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال لأهل الجنة: يا أولياء الله هذا الموت هل تعرفونه؟ فيقولون: نعرفه يا ملائكة ربنا، اذبحوه حتى لا يكون موت أبداً. ويقولون لأهل النار: يا أعداء الله هذا الموت هل تعرفونه؟ فيقولون: نعرفه، فتقول الملائكة: نذبحه؟ فيقولون: يا ملائكة ربنا، لا تذبحوه ودعوه لعل الله يقضي علينا بموت فنستريح. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيذبح الموت بين الجنة والنار، فييئس أهل النار من الخروج منها وتطمئن أهل الجنة بالخلود فيها. فعند ذلك قال ابن سلام: صدقت يا رسول الله.

ونهض قائماً على قدميه وقال: امدد يدك الكريمة لتشملني بركتها، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك محمد رسول الله، وأن الجنة حق وأن النار حق، وأن الحساب حق وأن الثواب حق، وأن ما أخبرت به حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور. فكبرت الصحابة رضي الله عنهم عند ذلك، وسماه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن سلام، وصار من أكابر الصحابة رضي الله عنهم والنقمة على اليهود.

تمت المسائل بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وهذه نبذة منقولة من كتاب البدء لأبي زيد البلخي، رحمة الله تعالى.

فصل فيما ذكر من المدة قبل خلق الخلق

روىٰ حماد بن زيد عن طاوس، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت بنو إسرائيل لموسىٰ بن عمران عليه السلام: سل ربك منذ كم خلق الدنيا؟ فقال موسىٰ: يا رب أما تسمع ما يقول عبادك؟ فأوحىٰ الله سبحانه وتعالىٰ إليه: يا موسىٰ إني خلقت أربعة عشر ألف مدينة من فضة، وملأتها خردلاً وخلقت لها طيراً، وجعلت رزقه كل يوم حبة من ذلك الخردل، فأكل الخردل حتىٰ فني ما في الخزائن ومات الطير بعد استيفاء رزقه، ثم خلقت الدنيا، فقيل لابن عباس: فأين كان عرشه؟ قال: علىٰ الماء فقيل: فأين كان الماء؟ قال: علىٰ متن الريح.وروي مثل هذا عن طاووس مرفوعاً، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: هذا شيء غامض صعب موكول إلىٰ علم الله تعالىٰ، إذ ليس يدرىٰ ما الذي كان قبل هذا الخلق؟ أمثل هذا الخلق أم علىٰ خلافهم؟ وهل يعيد الدنيا بعد فناء هذه الدنيا أم لا. والأخبار واردة بأشياء عجيبة، والقدرة صالحة لأضعاف أضعاف ذلك.

وزعم بعض الناس أنه عد قبل آدم هذا الذي ننسب إليه ألف آدم ومائتي آدم، والله أعلم. وكله جائز لكونه تحت الإمكان ودخل في حد الإيجاد، فأما الذي لا يسوغ القول إلا به، ولا يلزم إلا اعتقاده، هو انفراد الله سبحانه جل جلاله عن خلقه سابقاً من غير شريك ولا جوهر قديم، وإبداعه الأشياء لا من شيء، سبحانه، لا إله إلا هو.

ذكر مدة الدنيا
واختلاف الناس فيها:

قال الله تعالى: «الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام»(٥٥٧) فزعم قوم أن مدة الدنيا ستة آلاف سنة، مكان كل يوم ألف سنة. روي عن كعب الأحبار رضي الله عنه أن الله وضع الدنيا على سبعة أيام، مكان كل يوم ألف سنة، وروي أبو المقوم الأنصاري عن ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الدنيا جمعة من جمع الآخرة. وروي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأبان وعكرمة، في قوله تعالى: **«في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»(٥٥٨)** قال: هي الدنيا من أولها إلى آخرها. وجاء في خبر آخر أنه مائة ألف سنة وخمسون ألف سنة.

قال البلخي رحمه الله: أخبرني هريد المجوسي وهو أعلم من الموبذان بفارس أن في كتاب لهم أن مدة الدنيا أربعة أرباع، فأولها: ثلاثمائة ألف سنة وستون ألف سنة، عدد أيام السنة، وقد مضت. والربع الثاني: ثلاثون ألف سنة، عدد أيام الشهر، وقد مضت أيضاً. والربع الثالث. اثنا عشر ألف سنة، عدد شهور السنة، وقد مضت أيضاً. والربع الرابع سبعة آلاف سنة، عدد أيام الأسبوع، ونحن فيها

قال البلخي رحمه الله: وجدت في كتاب راويةً عن وهب، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: منذ كم خلقت الدنيا؟ فقال: أخبرني ربي أنه خلقها منذ سبعمائة ألف سنة إلى اليوم الذي بعثني فيه رسولاً إلى الناس. وزعم أيضاً أن مما يدل على ذلك ما جاء في الخبر أن إبليس عبد الله قبل أن يخلق آدم خمسةً

---

(٥٥٧) سورة الأعراف : آية ٥٤.

(٥٥٨) سورة المعارج : آية ٤.

وثمانين ألف سنة، وخلق عد ما خلق السموات والأرض من المدد ما شاء الله. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ذكر ما وصف من الخلق قبل آدم
عليه السلام

روي في الحديث أن كل شيء خلقه الله من الخلق كان قبل آدم، وأن آدم وجد بعد إيجاد الخلق، لأنه خلق آدم آخر الأيام التي خلق فيها الخلق. وروىٰ بقية بن الوليد عن محمد بن نافع عن محمد بن عبد الله بن عامر المكي أنه قال: خلق الله خلقه من أربعة أشياء: الملائكة من نور، والجان من نار، والبهائم من ماء، وآدم من طين، وذريته كذلك بالتبعية، فجعل سبحانه الطاعة في الملائكة والبهائم لأنهما من النور والماء، وجعل المعصية في الجن والإنس لأنهما من الطين والنار.

وروي عن شهر بن حوشب أنه قيل: خلق الله في الأرض خلقاً وأسكنهم فيها، ثم قال لهم: «إني جاعلٌ في الأرض خليفةً» فما أنتم صانعون؟ قالوا: نعصيه فلا نطيعه، فأرسل الله عليهم ناراً فأحرقتهم. ثم خلق الجن فأمرهم بعمارة الأرض، فكانوا يعبدون الله حق عبادته، حتىٰ طال عليهم الأمد فعصوا وقتلوا نبياً لهم يقال له يوسف وسفكوا الدماء، فبعث الله عليهم من الملائكة جنداً، وجعل عليهم إبليس رئيساً وكان اسمه عزازيل فأجلوهم من الأرض وألحقوهم بجزائر البحور. وسكن إبليس ومن معه من الملائكة الأرض، فهانت عليهم العبادة وأحبوا المكث فيها. فقال الله عز وجل لهم: «**إني جاعلٌ في الأرض خليفةً**»(٥٥٩) فصعب عليهم العزل ومفارقة المألوف، وقالوا «أتجعل فيها» علىٰ طريق الاستفهام من الله سبحانه «مَن يفسِدُ فيها ويَسْفِك الدماءَ».

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن الله تعالىٰ لما خلق الجان من نار السموم، جعل منهم المؤمن والكافر؛ ثم بعث إليهم رسولاً من الملائكة وذلك قوله

(٥٥٩) سورة الحج : آية ٧٧.

تعالى: «اللهُ يَصطفي من الملائكة رُسلاً ومن الناس»(٥٦٠) قال: فقاتل الملك المرسل بمؤمني الجن كفارهم فهزموهم وأسروا ابليس، وهو غلام وضيء اسمه الحارث أبو مرة، فصعدت الملائكة به إلى السماء ونشأ بين الملائكة في الطاعة والعبادة وخلق الله خلقاً في الأرض فعصوه، فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة فنفوهم عن الأرض، ثم خلق الله آدم فأشقىٰ إبليس وذريته به.

وزعم بعضهم انه كان قبل آدم في الأرض خلق لهم لحم ودم، واستدلوا بقوله: «أتجعلُ فيها مَن يُفسد فيها ويسفِكُ الدماء»(٥٦١) فلم يقولوا ذلك إلا عن معاينة.

واحتجوا أيضاً بقول جويبر: إنهم كانوا خلقاً فبعث إليهم نبي اسمه يوسف فقتلوه. والذين سكنوا الأرض قبل آدم ثلاث أمم: الذين إبليس من نسلهم، والذين قتلوا نبيهم يوسف، والذين أجلاهم إبليس من الأرض، مع ما قيل إنه كان قبل آدم ألف آدم ومائتا آدم، ونوح آخر الآدميين. وروي أن آدم لما خلق قالت له الأرض: يا آدم جئتني بعد ما ذهبت جدتي وشبابي وقد خلقت، قال عدي بن زيد مفرداً:

قـــضى لـــستة أيـــام خـلائقـــه وكـــان آخـــر شيء صـــوّر الـــرجلا

---

(٥٦٠) سورة البقرة : آية ١٢٧.

(٥٦١) سورة البقرة : آية ٣٠.

ذكر عدد العوالم كم هي

منقول من المشارع للبرقي. في عدد العالمين ثمانية أقول:

الأول: أنهم مائة وثمانية وعشرون عالماً. قال الضحاك: ثمانية وستون عالماً حفاة عراة لا يدرون من خلقهم، وستون عالماً يلبسون الثياب.

الثاني: ألف عالم، عن سعيد بن المسيب قال: لله تعالى ألف عالم ستمائة منها في البحر، وأربعمائة في البر.

الثالث: ثمانية عشر ألف عالم؛ قال وهب: لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم، الدنيا منها عالم واحد، وما العمارة في الخراب إلا كفسطاط في الصحراء، يعني أن المعمور من الأرض بالحيوان هو القليل كالخيمة المضروبة في الفلاة. الرابع: أربعون ألفاً، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن الله أربعين ألف عالم، الدنيا من شرقها إلى غربها عالم واحد.

الخامس: سبعون ألفاً، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: «الحمد لله رب العالَمين» قال: الذي فيه الروح، قال: والجن والإنس عالم، والملائكة والكروبيون عالم، وسبعون ألف عالم سوى ذلك لا يعلمهم إلا الله سبحانه وتعالى.

السادس: ثمانون ألفاً، قال مقاتل بن حيان: العالمون ثمانون ألف عالم، أربعون ألف عالم في البر، وأربعون ألف عالم في البحر.

السابع: أن الرؤساء المتبوعين ثمانية عشر ألفاً، والأتباع لا يحصون. وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: العالمون ثمانية عشر ألف ملك، منهم أربعة آلاف وخمسمائة بالمشرق، وأربعة آلاف وخمسمائة ملك بالمغرب، وأربعة آلاف وخمسمائة ملك

بالكنف الثالث من الدنيا، وأربعة آلاف بالكنف الرابع من الدنيا، مع كل ملك من الأعوان ما لم يعلم عدده إلا الله، ومن ورائهم أرض بيضاء كالفضة، عرضها مسيرة الشمس أربعين يوماً، ولا يعلم طولها إلا الله، مملوءة ملائكة يقال لهم الروحانيون، لهم زجل بالتسبيح والتهليل، لو كشف عن صوت أحدهم لهلك أهل الأرض من هول صوته، فهم العالمون منتهاهم العرش.

الثامن: أن عددهم لا يحصى. قال كعب: لا يحصى عدد العالمين إلا الله تعالى. قال الله تعالى: «وما يعلَم جنودَ ربّك إلاّ هو». وقال مقاتل بن سليمان: لو فسرت «العالَمين» لاحتجت إلى ألف مجلد، كل مجلد ألف ورقة. والله تعالى أعلم.

ذكر التواريخ من لدن آدم
عليه السلام

روى عبد الله بن قتيبة(٥٦٢) في كتاب المعارف(٥٦٣) أن آدم عاش ألف سنة، وكان بين موته والطوفان ألفا سنة ومائتا سنة واثنتان وأربعون سنة، وبين الطوفان وموت نوح ثلاثمائة وخمسون سنة، وبين نوح وإبراهيم عليهما السلام ألفا سنة وأربعون سنة، وبين إبراهيم وموسى تسعمائة سنة، وبين موسى وداود خمسمائة سنة، وبين داود وعيسى ألف سنة ومائتا سنة، وبين عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ستمائة سنة وعشرون سنة، فيكون من عهد آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم سبعة آلاف سنة وثمانمائة سنة وسنتان، ومن مولد النبي صلى الله عليه وسلم إلى عامنا هذا: ثمانمائة وثلاث وستون سنة، فيكون جملة التاريخ من عهد آدم إلى يومنا هذا وهو عام ثمانمائة واثنين وعشرين سنة من الهجرة ثمانية آلاف سنة وستمائة سنة وثلاثاً وستين سنة.

---

(٥٦٢) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ – ٢٧٦هـ). ولد ابن قتيبة في بغداد ثم سكن الكوفة وولي قضاء الدينور مدة طويلة فنسب إليها، وقضى معظم حياته في بغداد وأخذ من علمائها علوم الحديث والفقه واللغة والتفسير والنحو والأدب والأخبار وتوفي ببغداد ٢٧٦هـ ويعتبر ابن قتيبة من أئمة الأدب ومن المصنفين المكثرين ومن خير النماذج التي تمثل ثقافة القرن الثاني الهجري أومن مؤلفاته الكثيرة كتاب الشعر والشعراء.

(٥٦٣) كتاب المعارف : هذا الكتاب هو دائرة تمتزج فيها مختلف خطوط الكتابة التاريخية؛ إذ نجد فيه فكرة كتابة تاريخ عالمي يبدأ بالخليقة وينتهي بالمعتصم. وتظهر فيه وجهة أصحاب الأخبار والأنساب في كتابة التاريخ؛كما أنه يتناول أيام العرب بإيجاز ويبدو فيه اهتمام الفقيه بطريقة الفتح هل هي صلح أم عنوة؛واستفاد ابن قتيبة في كتاب المعارف من مصادر مكتوبة ومن الروايات ومن الروايات الشفوية؛ولك سبيل انتقاء معلوماته التاريخية بعد نقد مصادرة. وتتميز مادته التاريخية بالحياد والتأكيد على الحقائق.

روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر، ثم قام خطيباً فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبر به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه. والحديث طويل، في آخره: وجعلنا نلتفت إلى الشمس هل بقي منها شيء؟ فقال صلى الله عليه وسلم: لم يبق من الدنيا إلا كما بقي من يومكم هذا.

وروي عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنما مثلي. ومثلكم كقوم خافوا عدواً فبعثوا ربيئة لهم فلما فارقهم إذا هو بنواصي الخيل فخشي أن يسبقه العدو إلى أصحابه، فلمع بثوبه وقال: يا صباحاه. وإن الساعة كادت أن تسبقني إليكم.

وعن حذيفة بن أُسيد رضي الله عنه قال: أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نذكر الساعة فقال: أما إنها لا تقوم حتى تكون قبلها عشر آيات. فذكر الدخان والدجال، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى، وطلوع الشمس من مغربها، وثلاث خسوفات: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب. وآخر ذلك: نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر، فيقال: غدت النار فاغدوا، وراحت النار فروحوا، وتغدو وتروح ولها ما سقط.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا عملت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء: إذا اتخذوا المغانم دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وتعلم العلم لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته، وأدنى صديقه، وأقصى أباه وأمه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القيان، والمعازف، وشربت الخمور،

ولبس الحرير، ولعن آخر الأمة أولها، فتوقعوا عند ذلك ريحاً حمراء، وخسفاً ومسخاً وقذفاً.

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن جبريل عليه السلام لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن أمر الدين فقال: متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: ما أمارتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. وعن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله رفع إلي الدنيا وأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة، كما أنظر إلي كفي هذه. ومنه خبر الهاشمي والسفياني والقحطاني، والترك والحبشة والدجال، ويأجوج ومأجوج، وخروج الدابة والدخان، ونفخة الصور وعيسى، وطلوع الشمس من مغربها.

عن أبي إدريس الخولاني عن حذيفة بن اليمان قال: أنا أعلم الناس بكل فتنة كائنة إلى يوم القيامة، وما بي أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر لي في ذلك شيئاً لم يحدث به غيري، ولكنه حدث مجلساً أنا فيه عن الكوائن والفتن التي يكون منها صغار وكبار، فذهب أولئك الرهط غيري.

وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعدد ستاً بين يدي الساعة، أولهن موتي فاستبكيت حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكتني، ثم قال: قل إحدى، فقلت: إحدى.

والثانية فتح بيت المقدس، قل: اثنتان. فقلت. قال: والثالثة موتان يكون في امتي كعقاص الغنم. قال: ثلاثة فقلت ثلاثة. قال: والرابعة: فتنة عظيمة تكون في أمتي لا تبقي بيتاً في العرب إلا دخلته. قل: أربعة. والخامسة: هدنة بين العرب وبين بني الأصفر، ثم يسيرون إليكم فيقاتلونكم. قل خمس. والسادسة: يفيض المال فيكم حتى يعطى أحدكم المائة من الدنانير فيسخطها. قل: ست. وعن أبي إدريس عن جده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أول الناس هلاكاً فارس، ثم العرب على أثرهم.

وفي رواية معاوية بن صالح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: النجوم أمان لأهل الماء، فإذا طمست النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون، وأنا يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمان لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون، والجبال أمان لأهل الأرض فإذا انشقت الجبال أتى أهلها ما يوعدون.

وقد روى عطاء عن ابن عباس وسلمة بن الأكوع رضي الله عنهم، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلائق، يتسافدون على ظهر الطريق تسافد البهائم.

وفي رواية أبي العالية: لا تقوم الساعة حتى يمشي إبليس في الطرق والأسواق يقول: حدثني فلان عن رسول الله بكذا وكذا، افتراءً وكذباً.

وقال بعض أهل التفسير في قوله تعالى: «حمعسق» إن الحاء حرب في آخر الزمان، والميم ملك بني أمية، والعين عباسية، والسين سفيانية، والقاف القيامة. فمن ذلك ما مضى، ومنه ما هو منتظر.

ذكر خروج الترك

روى أبو صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمين الترك. قوم وجوههم كالمجان المطرقة، صغار الأعين خنس الأنوف يلبسون الشعر. وقيل إن هلاك سلطان بني هاشم على أيدي الأتراك الإسلامية؛ وهلاك الأتراك الإسلامية على أيدي كفرة الترك، وقيل: هم أهل الصين يستولون على الأقاليم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

حكى البيروني عن الأوزاعي، عن عبد الله بن لبابة، عن فيروز الديلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: تكون هدة في رمضان(٥٦٤) توقظ النائم وتفزع اليقظان. وفي رواية الأوزاعي: يكون صوت في نصف شهر رمضان يصعق له سبعون ألفاً، ويخرس له سبعون ألفاً، وتتفتق له سبعون ألف بكر، قال: ثم يتبعه صوت آخر. فالأول صوت جبريل، والثاني صوت إبليس، وقيل: الصوت في رمضان، والمعمعة في شوال(٥٦٥)، وتمييز القبائل في ذي القعدة(٥٦٦)، ويغار على الحاج في ذي الحجة(٥٦٧). والمحرم(٥٦٨) أوله بلاء وآخره فرج؛ قالوا: يا رسول الله من يسلم منه؟ قال: من يلزم بيته ويتعوذ بالسجود.

وفي رواية قتادة: تكون هدة في رمضان، ثم تظهر عصابة في شوال، ثم تكون معمعة في ذي القعدة، ثم يسلم الحاج في ذي الحجة، ثم تنتهك المحارم في المحرم، ثم

(٥٦٤) سمي رمضان؛ لمصادفته شدة الرمضاء (الحرارة) والحجارة ترمض فيه من شدة الحر (أنظر: القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٧٢).

(٥٦٥) سمي شوالاً لإشالة الإبل أذنابها عند اللقاح في ذلك الوقت أنظر: القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٧٣).

(٥٦٦) سمي ذا القعدة، لأنهم كانوا يقعدون فيه عن القتال، لكونه أول الأشهر الحرم (أنظر: القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٧٤).

(٥٦٧) سمي الحجة، لأنهم يحجون فيه (أنظر: القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٧٤).

(٥٦٨) سمي محرماً لحرمة القتال فيه وكانت العرب الجاهلية قد حرمت أربعة شهور (المحرم ورجب وذي القعدة وذي الحجة) وذلك للتفرغ لأعمال الحج والخلاص من ويلات الحرب (أنظر: القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٦٩).

يكون صوت في صفر(٥٦٩)، ثم يتنازع القبائل في شهر ربيع الأول(٥٧٠)، ثم العجب كل العجب بين جمادي(٥٧١) ورجب(٥٧٢)، ثم فيه مغنية خير من دسكرة مائة ألف.

(٥٦٩) نسبة الى صفر بيوتهم منهم عند خروجهم لأنهم خرجوا للقتال لانقضاء الأشهر الحرم (أنظر : القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٧٠) .

(٥٧٠) لظهور الزهر والأنوار والأمطار ولإرتباع الناس والمقام فيه (أنظر : القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٧٠) .

(٥٧١) لجمود المياه فيه حيث يصادف أيام الشتاء (أنظر : القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٧١).

(٥٧٢) الرجبة العماد ومنه قبل عذق مرجب، وسموه بذلك، لتعظيمهم اياه في الجاهلية، وهو من الأشهر الحرم.

ذكر الهاشمي الذي يخرج من خراسان مع الرايات السود:

روي عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا رأيتم الرايات السود من قبل خراسان فاستقبلوها مشياً على أقدامكم لأن فيها خليفة الله المهدي. وفي هذا أخبار كثيرة، هذا أحسنها وأولاها. وروي فيه عن عباس بن عبد المطلب أنه قال. إذا أقبلت الرايات السود من المشرق يوطئ أصحابها للمهدي سلطانه.

وقال قوم: قد نجزت هذه بخروج أبي مسلم، وهو أول من عقد الرايات السود وسود ثيابه وخرج من خراسان فوطأ لبني هاشم سلطانهم.

قال آخرون: بل هذه تأتي بعد، وإن أول الكوائن ملك يخرج من الصين من ناحية يقال لها حتن بها طائفة من ولد فاطمة من ظهر الحسين بن علي رضي الله عنهم، ويكون على مقدمته رجل كوسج من تميم يقال له شعيب بن صالح، مولده بالطالقان. مع حكايات كثيرة وأخبار عجيبة من القتل والأسر. والله أعلم.

روي عن مكحول، عن أبي عبيدة بن الجراح[573] رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يزال هذا الأمر قائماً بالقسط حتى يلثمه رجل من بني أمية.

وفي رواية أبي قلابة، عن أسماء عن ثوبان، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر ولد العباس، فقال: يكون هلاكهم على يد رجل من أهل بيت هذه، وأومأ إلى أم حبيبة بنت أبي سفيان.

ومما أخبر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ذكر الفتن بالشام قال: فإذا كان ذلك فانتظروا خروج المهدي. ثم ذكر السفياني وأنه من ولد زيد بن معاوية، بوجهه آثار الجدري، وبعينه نقطة من بياض، يخرج من ناحية دمشق ويبعث خيله

---

(٥٧٣) أبو عبيدة بن الجراح (٤٠ هـ ـ ١٨ هـ) هو عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري ـ مشهور بكنيته (أبي عبيدة) وبالنسبة إلى جدة (الجراح). من الصحابة تامقلين في الفتيا، وأحد السابقين إلى الإسلام والعشرة المبشرين،هاجر الهجرتين و شهد بدراً وما بعدها. آخي رسول الله صلي الله علية وسلم بينه وبين سعد بن معاذ ـ قال أحمد من حديث أنس : إن أهل اليمن لما قدموا على رسول الله صلي الله علية وسلم قالوا : ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام، فأخذ بيد أبي عبيدة بن الجراح فقال : هذا أمين هذه الأمة. وقد دعا أبو بكر يوم توفي رسول الله صلي الله علية وسلم في سقيفة بني ساعدة إلى البيعة لعمر أو لأبي عبيدة. ولاه عمر الشام وفتح الله علية اليرموك والجابية. توفي في طاعون عمواس بالشام. له في الصحيحين (١٤) حديثاً. ذلك من العلوم. دخل مصر ثم رجع فدخل بغداد وولي قضاءها، ثم قدم دمشق وولي بها تدريس دار الحديث بالظاهرية، ثم إلى القاهرة مكارماً حتى حضرها وصار بها من أعيان العلماء، وجعله صرعتمش شيخ مدرسته الي بناها. من تصانيفه : «غاية البيان ونادرة الزمان في آخر الأوان» شرح الهداية في عشرين مجلداً، و«التبيين في أصول المذهب» شرح الأخسيكثي ـ نسبة إلى أخسيكث، بالثاء المثلثة، وعند البعض بالتاء المثناه، مدينة بها وراء النهر ـ و«شرح البزدوي»
[الفوائد البهية ص٥٠، والجواهر المضية ٢/ ٢٧٩، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٣٢٥، ومعجم المؤلفين ¾].

وسراياه في البر والبحر فيبقرون بطون الحبالى وينشرون الناس بالمناشير، ويحرقون ويطبخون الناس في القدور، ويبعث جيشاً له إلى المدينة فيقتلون ويأسرون ويحرقون، ثم ينبشون عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبر فاطمة رضي الله عنها؛ ثم يقتلون كل من كان اسمه محمداً وفاطمة، ويصلبونهم على باب المسجد، فعند ذلك يشتد عليهم غضب الجبار فيخسف بهم الأرض، وذلك قوله تعالى: **«ولو ترى إذ فَزعوا فلا فَوْتَ وأُخذوا من مكانٍ قريب»**(٥٧٤) أي من تحت أقدامهم. وفي خبر آخر أنهم يخربون المدينة حتى لا يبقى بها رائح ولا سارح.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لتتركن المدينة كأحسن ما كانت حتى يجيء الكلب فيشغر على سارية المسجد؛ قالوا: فلمن تكون الثمار يومئذ يا رسول الله؟ قال: لعوافي السباع والطير، قال: ثم تسير سرية السفياني تريد مكة حتى تنتهي إلى موضع يقال له بيداء فينادي مناد من السماء: يا بيداء بيدي بهم، فيخسف بهم فلا ينجو منهم إلا رجلان من كلب، تقلب وجوههما في أقفيتهما، يمشيان القهقرى على أعقابهما حتى يأتيا السفياني، فيخبرانه، ويأتي للمهدي وهو بمكة فيخرج معه اثنا عشر ألفاً فيهم الأبدال والأعلام، حتى يأتي المياه فيأسر السفياني ويغير على كلب لأنهم أتباعه ويسبي نساءهم. قالوا: فالخائب يومئذ من غاب عن غنائم كلب. كذا الرواية مع كلام كثير. والله أعلم.

---

(٥٧٤) سورة سبأ: آية ٥١.

ذكر خروج المهدي

قد روي فيه روايات مختلفة وأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي وابن عباس رضي الله عنهم. وأحسن ما جاء في هذا الباب خبر أبي بكر بن عياش عن عاصم بن ذر، عن عبد الله بن مسعود(٥٧٥) رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تذهب الدنيا حتى يأتي على أمتي رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ليس فيه تواطؤ اسمه اسمي.

وللشيعة فيه أشعار كثيرة وأسطار بعيدة، منها قول عامر بن عامر البصري:

طغى الجور(٥٧٦) والعدوان فاض، فهل ... بني العزم في فكرٍ لتحصيل آلة

لنبني قبل الغرق منها سفينةً ... فننجو بها من هلك أمواج فتنة

فكن عالماً بالوقف فكراً وفتنة ... أخيّ، فهذا الوقت وقتٌ لفطنة

إمام الهدى حتى متى أنت غائب ... فمنّ علينا يا إمام بأوبة

مللنا وطال الإنتظار فجد لنا ... بحقّك يا قطب الوجود بزورة

وقوّم بعدلٍ منك ظهراً قد انحنى ... وعدّل مزاجاً، مال، منك بحكمة

---

(٥٧٥) عبد الله مسعود (ـ ٣٢ هـ) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن من أهل مكة. من أكابر الصحابة فضلاً وعقلاً. ومن السابقين إلى الإسلام. وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين. شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله علية وسلم وكان أقرب الناس إليه هدياً ودلاًوسمتاً. أخذ من فيه سبعين سورة لا ينازعه فيها أحد. بعثه عمر إلى أهل الكوفة ليعلمهم أمور دينهم. له في الصحيحين ٨٤٨ حديثاً. [الطبقات لابن سعد ٣/ ١٠٦؛ والإصابة ٢/ ٣٦٨؛ والأعلام ٤/ ٤٨٠].

(٥٧٦) الجور : الظلم.

فأنت لهذا الأمر قدماً معين لذلك قال الله: أنت خليفتي

ومن حلية المهدي أنه أسمر اللون كث اللحية أكحل العينين براق الثنايا، في خده خال، يرفع الجور عن الأرض ويفيض العدل على الخلق ويسوي بين الضعيف والقوي في الحق، ويبلغ الإسلام مشارق الأرض ومغاربها ويفتح القسطنطينية، ولا يبقى أحد في الأرض إلا دخل في الإسلام أو أدى الجزية؛ وعند ذلك يتم وعد الله ليظهره على الدين كله.واختلفوا في مدة عمره، فقيل: يعيش سبع سنين؛ وقيل: تسعاً، وقيل: عشرين، وقيل: أربعين، وقيل: سبعين. والله أعلم.

ذكر خروج القحطاني

روي عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لا تقوم الساعة حتى تقفل القوافل من رومية، ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس رجل من قحطجان. واختلفوا فيه من هو؟ فروي عن ابن سيرين[٥٧٧] أنه قال: القحطاني رجل صالح، وهو الذي يصلي خلفه عيسى، وهو المهدي. وروي عن كعب أنه قال: يموت المهدي ويبايع الناس بعده القحطاني. وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: رجل يخرج من ولد العباس.

---

(٥٧٧) محمد بن سيرين يكنى أبا بكر، وقال ابن عائشة كان سيرين والده من أهل جرجرايا وكان يعمل قدور النحاس فجاء إلى عين التمر يعمل بها فسباه خالد بن الوليد. وكان مولى أنس بن مالك كاتبه أنس واشتهر ابن سيرين بتفسير الأحلام وكان في تأويله للرؤى يأمر بتقوى الله ويبشر الناس أن من رأي ربه في المنام دخل الجنة، إنه التابعي الجليل محمد بن سيرين الذي كان مثالا يحتذي في الورع والزهد والعبادة، مما جعل الناس في زمانه إذا رأوه كبروا، ويقول أحد معاصريه كان محمد بن سيرين قد أعطى هديا وسمتا وخشوعا فكان الناس إذا رأوه ذكروا الله.

روي عن السدي في قوله عز وجل: «لَهُمْ في الدنيا خِزْيٌ»(٥٧٨) ولهم في الآخرة عذاب عظيم»(٥٧٩) قال: فتح القسطنطينية وخروج الدجال. وبعض المفسرين ذهب في تفسير «ألم غُلِبَتِ الروم»(٥٨٠) أنه كائن، وعني به فتح القسطنطينية، وذكر أنه تباع الفرس بدرهم ويقتسمون الدنانير بالجحف. قالوا: وبين فتح القسطنطينية وخروج الدجال سبع سنين. فبينما هم كذلك إذ جاءهم الصريخ: إن الدجال قد خلفكم في داركم. قال: فيرفضون ما في أيديهم من ذلك وينفرون إليه، وهي كذابة.

---

(٥٧٨) خِزْيٌ : Abaseness : الذل والهوان وجمعها خزايا.

(٥٧٩) سورة البقرة : آية ١١٤.

(٥٨٠) سورة الروم : آية ٢.

الأخبار الصحيحة متواترة بخروجه بلا شك ولا ريب، وإنما الأختلاف في صفته وهيئته. قال قوم: هو صائف بن صائد اليهودي، ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان أحياناً يربو في مهده وينتفخ في بيته حتى يملأ بيته. فأُخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فأتاه في نفر من أصحابه، فلما نظر إليه عرفه فدعا الله سبحانه وتعالى، فرفعه إلى جزيرة من جزائر البحر، إلى وقت خروجه.

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه وهو يلعب مع الصبيان فقال ابن صياد: أشهد أني رسول الله. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: اشهد أني رسول الله. فقال له ابن صياد أشهد اني رسول الله. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قد خبأت لك خبيئاً.

قال: ما هو؟ قال: الدخ، يعني الدخان. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: اخسأ فلن تعدو طورك. قال عمر رضي الله عنه: أتأذن لي فأضرب عنقه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن يكنه فلا تسلط عليه، وإن لا يكنه فلا خير لك في قتله. ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاختطف.

وجاء في الحديث أنه أغم جفال الشعر مكتوب بين عينيه: ك ف ر، يقرؤه كل أحد، كاتب وغير كاتب.

واختلفوا في موضع مخرجه، فقال قوم: يخرج من المشرق من أرض خراسان، وقالت طائفة: يخرج من يهود أصفهان، وقال قوم: يخرج من أرض الكوفة. واختلفوا في أتباعه. قالوا: النساء والأعراب والمومسات وأولادهن. وأختلفوا في العجائب التي تظهر على يديه، فقال قوم: يسير حيث سار جنة ونار، فجنته نار وناره

جنة، ويدعي أنه رب الخلائق فيأمر السماء فتمطر ويأمر الأرض فتنبت، ويبعث الشياطين في صور الموتى، ويقتل رجلاً ثم يحييه. فيفتتن الناس ويؤمنون به ويبايعونه. قالوا: ولا يتبعه من الدواب إلا الحمار.

واختلفوا في هيئة حماره فقالوا: ما بين أذني حماره اثنا عشر شبراً، وقيل: أربعون ذراعاً، تظل إحدى أذنيه سبعين رجلاً، وخطوته مدى البصر ثلاثة أيام، يبلغ كل منهل إلا أربعة مساجد: مسجد الله الحرام، ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام، ومسجد الأقصى، ومسجد الطور. ويمكث أربعين صباحاً ويقصد بيت المقدس، وقد اجتمع الناس لقتاله، فتعمهم ضبابة من غمام ثم تنكشف عنهم مع الصبح فيرون عيسى بن مريم عليه السلام قد نزل على المنارة البيضاء في جامع بني أمية فيقتل الدجال.

ذكر نزول عيسى بن مريم
عليهما السلام

المسلمون لا يختلفون في نزول عيسىٰ بن مريم عليهما السلام آخر الزمان. وقد قيل في قوله تعالىٰ: ﴿وإنه لَعِلْمٌ للساعة فلا تَمْتَرُنَّ بها﴾(٥٨١) إنه نزول عيسىٰ. وجاء في الحديث أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: إن عيسىٰ نازل فيكم وهو خليفتي عليكم، فمن أدركه فليقرئه سلامي، فإنه يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويحج في سبعين ألفاً، فيهم أصحاب الكهف فإنهم يحجون، ويتزوج امرأة من الأزد، ويذهب البغضاء والبشحناء والتحاسد، وتعود الأرض إلىٰ هيئتها وبركاتها علىٰ عهد آدم عليه السلام حتىٰ تترك القلاص فلا يسعىٰ إليها أحد، وترعىٰ الغنم مع الذئب، وتلعب الصبيان مع الحيات فلا تضرهم، ويلقي الله العدل في الأرض في زمانه حتىٰ لا تقرض فأرة جراباً، وحتىٰ يدعىٰ الرجل إلىٰ المال فلا يقبله وتشبع الرمانه السكن.

قالوا: وينزل عيسىٰ عليه السلام وفي يده مشقص فيقتل به الدجال، وقيل: إذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص، واتبعهم المسلمون يقتلونهم، فيقول الحجر والشجر: هذا يهودي خلفي إلا الغرقد من شجر اليهود، قالوا: ويمكث عيسىٰ عليه السلام أربعين سنة، ويقال: ثلاثاً وثلاثين سنة يصلىٰ خلف المهدي ثم يخرج يأجوج ومأجوج.

بقية من خبر الدجال: عن فاطمة بنت قيس قالت: خرج علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في نحو الظهيرة، فخطبنا فقال: إني لم أجمعكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن لحديث حدثنيه تميم الداري منعني سرور القائلة: حدثني أن نفراً من قومه ركبوا في البحر فأصابتهم ريح عاصف ألجأتهم إلىٰ جزيرة. فإذا هم بدابة، قالوا لها: ما أنت؟

---

(٥٨١) سورة الزخرف: آية ٦١.

قالت أنا الجساسة. قلنا: أخبرينا الخبر. قالت: إن أردتم الخبر فعليكم بهذا الدير، فإن فيه رجلاً هو بالأشواق إليكم. فأتيناه فأخبرناه فقال: ما فعلت بحيرة طبرية؟ قلنا: تدفق الماء من جانبيها. قال: ما فعل نخل عمان وبيسان. قلنا: يجنيها أهلها. قال: فما فعلت عين زغر؟ قلنا يشرب أهلها منها. قال: فلو يبست هذه نفدت من وثاقي ثم وطئت بقدمي كل منهل إلى مكة والمدينة.

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب فقال: ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أعظم من الدجال. وقال: إنه لم يكن نبي إلا أنذر قومه فتنة الدجال ووصفه، وإنه قد بين لي ما لم يبين لأحد أنه أعور، وكيت وكيت، فإن خرج وأنا فيكم فأنا حجتكم، وإن لم يخرج إلا بعدي فالله خليفتي عليكم، فما اشتبه عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور.

والدجال تسميه اليهود مواطيح كوائيل؛ ويزعمون أنه من نسل داود؛ وإنه يملك الأرض ويردها إلى بني إسرائيل؛ فيتهود أهل الأرض كلهم.

بقية من خبر عيسى عليه السلام

قال بعض المفسرين في قوله تعالى: «وإنْ من أهلِ الكتابِ إلا لَيؤمِنَنَّ به قبلَ موته»(٥٨٢) إنه عند نزول عيسى؛ وقال عز وجل: «وما قتلُوه وما صلَبوه ولكنْ شُبِّه لهم»(٥٨٣) ثم قال: «بل رفعه اللهّ إليه»(٥٨٤). ثم اختلف المتأولون له؛ فقال أكثرهم وأحقهم بالتصديق: هو عيسى عليه السلام بعينه يرد إلى الدنيا؛ وقالت فرقة: نزول عيسى خروج رجل يشبه عيسى في الفضل والشرف؛ كما يقال للرجل الخير ملك وللشرير شيطان، تشبيهاً بهما، ولا يراد الأعيان. وقال قوم: ترد روحه في رجل اسمه عيسى، والآخران ليسا بشيء. والله أعلم.

---

(٥٨٢) سورة النساء : آية ١٥٩.

(٥٨٣) سورة النساء : آية ١٥٧.

(٥٨٤) سورة النساء : آية ١٥٨.

ذكر طلوع الشمس من مغربها

قال بعض المفسرين في قوله تعالى: «يَوم يأتي بعض آياتِ ربِّك لا ينفع نفساً إيمانُها لم تكن آمنتْ من قبلُ أو كسَبتْ في إيمانها خيراً»(٥٨٥) قيل: هو طلوع الشمس من مغربها. وروينا عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه قال: ثلاث إذا خرجت لا ينفع نفساً إيمانها: طلوع الشمس من مغربها؛ والدابة والدجال. وقالوا في صفة طلوعها من مغربها: إنه إذا كانت الليلة التي تطلع الشمس في صبيحتها من مغربها حبست فتكون تلك الليلة قدر ثلاث ليال. قالوا: فيقرأ الرجل جزءه ثم ينام، ويستيقظ والنجوم راكدة والليل كما هو. فيقول بعضهم لبعض: هل رأيتم مثل هذه الليلة قط؟ ثم تطلع من مغربها كأنها علم أسود حتى تتوسط السماء، ثم تعود بعد ذلك فتجري في مجراها الذي كانت تجري فيه. وقد أغلق باب التوبة إلى يوم القيامة.

وروي عن علي أنه قال: تطلع بعد ذلك من مشرقها مائة وعشرين سنة، لكنها سنون قصار، السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة. وكان كثير من الصحابة يترصدون طلوع الشمس من مغربها، منهم حذيفة بن اليمان وبلال وعائشة، رضي الله عنهم.

---

(٥٨٥) سورة الأنعام: آية ١٥٨.

ذكر خروج الدابة

قال الله عز وجل: «وإذا وقع القولُ عليهم أخرجْنا لهم دابّة من الأرض تكلّمهم»(٥٨٦) قال كثير من أهل العلم بالاخبار: إنها ذات وبر وريش وزغب، فيها من كل لون ولها أربع قوائم، رأسها رأس ثور وآذانها آذان فيل، وقرونها قرون أُيل، وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد، وقوائمها قوائم بعير، ومعها عصا موسىٰ وخاتم سليمان، وترفع الأسماء فلا يعرف أحد باسمه وهي تجلو وجه المؤمن بالعصا فيبيض، وتختم على أنف الكافر فيفشو السواد فيه، فيقال: يا مؤمن يا كافر.

وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: هي الدابة التي أخبر تميم الداري عنها. وعن الحسن أنه قال: سأل موسىٰ ربه أن يريه الدابة، فخرجت ثلاثة أيام ولم يدر أي طرفيها خرج؟ فقال موسىٰ: يا رب، رد هذا المتاع النفيس إلى مكانه لا حاجة لنا فيه. ويقال إنها تخرج بأجنادين(٥٨٧) عقيب الحاج، تسير بالنهار وتقف بالليل، يراها كل قائم وقاعد، وإنها لتدخل المسجد وقد عاذ به المنافقون فتقول: أترون المسجد ينجيكم مني؟ هلا كان هذا بالأمس؟ والله أعلم.

---

(٥٨٦) سورة النمل: آية ٨٢.

(٥٨٧) أجنادين: موضع معروف بالشام من فلسطين من الرملة وبه للمسلمين مع الروم يوم مشهور (مراصد الاطلاع، ج١، ص ٣٣).

ذكر الدخان

قال الله عز وجل: «فارْتَقِبْ يومَ تأتي السماءُ بدُخان مُبين»(٥٨٨). وروي عن الحسن رضي الله عنه أنه قال: يجيء دخان فيملأ ما بين السماء والأرض حتى لا يدرى شرق ولا غرب، ويأخذ الكفار فيخرج من مسامعهم ويكون على المؤمن كهيئة الزكمة، ثم يكشفه الله عز وجل بعد ثلاثة أيام، وذلك بين يدي الساعة. وأكثر أهل التأويل على أنه الجوع الذي أصابهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(٥٨٨) سورة الدخان : آية ١٠.

ذكر خروج ياجوج وماجوج

قال الله عز وجل: **«فإذا جاء وعدُ ربي جعله دَكّاءَ»**(٥٨٩) يعني السد. وجاء في الأخبار من صفاتهم وعددهم ما الله به عليم، ولا يختلفون في أنهم بين مشارق الأرض وشمالها.

وروي عن مكحول أنه قال: المسكون من الأرض مسيرة مائة عام، ثمانون منها ليأجوج ومأجوج، وعشرة للسودان، وعشرة لبقية الأمم. ويأجوج ومأجوج أمتان، كل أمة أربعمائة ألف أمة، لا تشبه أمة أخرىٰ، وعن الزهري(٥٩٠) أنهما ثلاث أمم: منسك، وتأويل، وتدريس. فصننف منهم كأمثال الشجر الطوال من الأرز، وصنف منهم عرض أحدهم وطوله بالسواء، وصنف منهم يفترش إحدىٰ أذنيه ويلتحف بالأخرىٰ.

وروي أن طول أحدهم شبر وأكبر. ويكون خروجهم بعد قتل عيسىٰ الدجال. وإذا جاء الوقت جعل الله السد دكاً، كما ذكره عز وجل في كتابه، فيخرجون وينتشرون في الأرض. وروي أنهم يكون أول مقدمتهم بالشام وساقتهم ببلخ. قال: ويأتي أولهم البحيرة فيشربون ماءها، ويأتي أوسطهم فيلحسون ما فيها من النداوة، ويأتي آخرهم فيقولون: لقد كان هنا مرةً ماء ويكون مكثهم في الأرض سبع سنين. ثم يقولون: قد قهرنا أهل الأرض فهلموا نقاتل سكان السماء، فيرمون

---

(٥٨٩) سورة الكهف : آية ٩٨.

(٥٩٠) الزهري (٥٨ — ١٢٤ هـ) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب. من بني زهرة، من قريش. تابعي من كبار الحفاظ والفقهاء مدني سكن الشام. هو اول من دون الأحاديث النبوية. ودون معها فقه الصحابة. قال أبو داود : جميع حديث الزهري(٢٢٠٠) حديث. أخذ عن بعض الصحابة. وأخذ عنه مالك بن أنس وطبقته. [تهذيب التهذيب ٩/ ٤٤٥ ـ ٤٥١؛ وتذكرة الحفاظ ١/ ١٠٢؛ والوفيات ١/ ٤٥١؛ والأعلام للزركلي ٧/ ٣١٧].

بنشابهم[٥٩١] نحو السماء فيردها الله عليهم ملطخة بدم، فيقولون: قد فرغنا من أهل السماء، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون موتى. ثم يرسل الله عليهم السماء فتجرفهم إلى البحر.

وفي رواية كعب أنهم ينقرون السد بمناقيرهم كل يوم، فيعودون من الغد وقد عاد لما كان، حتى إذا بلغ الأجل المعلوم ألقى الله على لسان أحدهم: إن شاء الله فيخرجون حينئذ. وروي أنهم يلحسون السد. وقيل إن فيهم طائفة، لكل منهم أربعة أعين، عينان في رأسه وعينان في صدره، ومنهم من له رجل واحدة يقفز بها قفزاً، ومنهم من هو ملبس شعراً كالبهائم. ومن طوائفهم طائفة لا تأكل إلا لحوم الناس ولا تشرب إلا الدماء، ولا يموت الواحد منهم حتى يرى لصلبه ألف عين تطرف. وفي التوراة مكتوب: إن يأجوج ومأجوج يخرجون في أيام المسيح، ويقولون: إن بني إسرائيل أصحاب أموال وأوان كثيرة، فيقصدون أورشليم وينتهبون نصفها ويسلم النصف الآخر، ويرسل الله عليهم صيحة فيموتون عن آخرهم. وتصيب بنو إسرائيل من أدوات عسكرهم ما يستغنون به سبع سنين عن الحطب. وهذا المقدار من حديثهم في كتاب زكريا عليه السلام، قيل: ويمكث الناس بعد هلاك يأجوج ومأجوج عشرين سنة يحجون ويعتمرون. والله أعلم.

---

(٥٩١) النشاب : النبل أو السهام، واحدته نشابة، ويجب أن تكون صحيحة الاعتدال والاستدارة والفتل والثقل والخفة (مبادئ اللغة، ص ١٠١).

ذكر خروج الحبشة

قال أصحاب هذا العلم: ويمكث الناس بعد هلاك يأجوج ومأجوج في الخصب والدعة ما شاء الله تعالى. ثم تخرج الحبشة وعليهم ذو السويقتين، فيخربون مكة ويهدمون الكعبة، ثم لا تعمر أبداً، وهم الذين يستخرجون كنوز فرعون وقارون. قال: فيجتمع المسلمون ويقاتلونهم فيقتلونهم ويسبونهم، حتى يباع الحبشي بعباءة، ثم يبعث الله ريحاً عقيماً فتقبض روح كل مسلم. والله تعالى أعلم.

ذكر فقدان مكة المكرمة

روي عن الحسن، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: حجوا قبل أن لا تحجوا فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ليرفعن هذا البيت من بين أظهركم حتى لا يدري أحدكم أين كان مكانه بالأمس؟ وقال: كأني أنظر إلى أسود أحمش الساقين قد علاها، ينقضها طوبةً طوبة.

روي أن الله عز وجل يبعث ريحاً يمانية ألين من الحرير وأطيب نفحة من المسك، فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا قبضته. ويبقى الناس بعد مائة عام لا يعرفون ديناً ولا ديانة، وهم شرار خلق الله، وعليهم تقوم الساعة وهم في أسواقهم يتبايعون. وفي رواية عبد الله بن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا تقوم الساعة حتى لا يعبد الله في الأرض مائة سنة. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: يؤمر صاحب الصور أن ينفخ في صوره، فيسمع رجلاً يقول: لا إله إلا الله، فيؤخر مائة عام.

ذكر ارتفاع القران

روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: القرآن أشد نقصياً على قلوب الرجال من النعم في عقلها قيل: يا أبا عبد الرحمن، كيف؟ وقد أثبتناه في صدورها ومصاحفنا قال: يسرىٰ عليه ليلاً فلا يذكر ولا يقرأ.

ذكر النار التي تخرج من قعر عدن فتسوق الناس إلي المحشر

روىٰ حذيفة بن أُسيد رضي الله عنه عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: عشر بين يدي الساعة، هذه إحداهن وفي رواية أخرىٰ: لا تقوم الساعة حتىٰ تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرىٰ(٥٩٢). وفي رواية أخرىٰ: لا تقوم الساعة حتىٰ تخرج نار من حضرموت، مع اختلاف كثير في الروايات.

---

(٥٩٢) بصرىٰ: مدينة من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران (ياقوت : معجم البلدان : ج١، ص ٤٤١، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ص٧٢).

وهي ثلاث مرات، اثنتان منها في آخر الدنيا، وواحدة في أول الآخرة؛ قال الله عز وجل: **«ما يَنظُرون إلا صَيْحةً واحدة تأخُذهم وهم يَخِصِّمُون، فلا يستطيعون توصيةً ولا إلى أهلهم يَرجعون»**(٥٩٣).

وروي عن الحسن بن شيبان، عن قتادة عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تهيج الساعة والرجلان يتبايعان، قد نشرا أثوابهما فلا يطويانها، والرجل يلوط حوضه فلا يستقي منه، والرجل قد انصرف بلبن نعجته فلا يطعمه، والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فلا يأكلها، ثم تلا: **«تأخُذهم وهم يَخِصِّمُون»**(٥٩٤)، **«لا تأتيكم إلا بغتة»**(٥٩٥).

---

(٥٩٣) سورة يس : آية ٤٩ – ٥٠.

(٥٩٤) سورة يس : آية ٤٩.

(٥٩٥) سورة الأعراف : آية ١٨٧.

صاحب الصور هو السيد **إسرافيل عليه السلام**، وهو أقرب الخلق إلى الله عز وجل وله جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، والعرش على كاهله، وإن قدميه قد مرقتا من الأرض السفلى حتى بعدتا عنها مسيرة مائة عام، على ما رواه وهب. ومثل هذا مما يزيد في يقين العامي ويبلغ في تخويفه وتعظيمه لأمر الله تعالى. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: كيف أنتم وصاحب الصور قد التقمه، ينتظر متى يؤمر له فينفخ؟

روي أنه كهيئة قرن، فيه بعدد كل روح ثقب. وله ثلاث شعب: شعبة تحت الثرىٰ تخرج منها الأرواح وترجع إلىٰ أجسادها، وشعبة تحت العرش منها يرسل الله الأرواح إلىٰ الموتىٰ، وشعبة في فم الملك ينفخ فيها. فإذا مضت الآيات والعلامات التي ذكرناها أُمر صاحب الصور أن ينفخ نفخة الفزع ويديمها ويطولها، فلا يبرح كذا عاماً. وهي المذكورة في قوله تعالىٰ: «ما ينظُرون إلا صيحةً واحدة تأخذهُم وهم يخِصّمون». وكذلك في قوله تعالىٰ: «**ما ينظُرون إلا صيحة واحدةً ما لها من فَواقٍ**». وفي قوله تعالىٰ: «**ويومَ يُنفَخ في الصور ففزِع مَن في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله**».

وإذا بدت الصيحة فزعت الخلائق وتحيرت وتاهت، والصيحة تزداد كل يوم مضاعفة وشدةً وشناعة. فينحاز أهل البوادي والقبائل إلىٰ القرىٰ والمدن، ثم تزداد الصيحة وتشتد حتىٰ تتجاوز إلىٰ أمهات الأمصار، وتعطل الرعاة السوائم وتفارقها، وتأتي الوحوش والسباع وهي مذعورة من هول الصيحة، فتختلط بالناس وتستأنس بهم، وذلك قوله تعالىٰ:

«**وإذا العِشار عُطّلتْ، وإذا الوحوش حُشرت**»(٥٩٦). ثم تزداد الصيحة هولاً وشدة حتىٰ تسيرَ الجبال علىٰ وجه الأرض وتصيرَ سراباً جارياً، وذلك قوله تعالىٰ: «**وإذا الجبال سُيّرتْ**»(٥٩٧) وقوله تعالىٰ: «**وتكون الجبالُ كالعِهْن المنفوش**»(٥٩٨)

---

(٥٩٦) سورة التكوير : آية ٤ — ٥.

(٥٩٧) سورة التكوير : آية ٣.

(٥٩٨) سورة القارعة : آية ٥.

وزلزلت الأرض وارتجت وانتفضت، وذلك قوله تعالىٰ: «**إذا زُلزلت الأرضُ زِلزالَها**»(٥٩٩) وقوله تعالىٰ: «**يوم تَرجُف الأرضُ والجبال**»(٦٠٠).

ثم تكور الشمس وتنكدر النجوم وتسجر البحار، والناس حيارىٰ كالوالهين ينظرون إليها. وعند ذلك تذهل المراضع عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، ويشيب الولدان، وترىٰ الناس سكارىٰ وما هم بسكارىٰ، من الفزع، ولكن عذاب الله شديد.

حكىٰ أبو جعفر الرازي عن ربيع، عن أبي العيالة عن أبي بن كعب قال: بينما الناس في أسواقهم إذ ذهبت الشمس، وبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، وبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال علىٰ وجه الأرض، وبينما هم كذلك إذ تحركت الأرض فاضطربت لأن الله تعالىٰ جعل الجبال أوتادها؛ ففزعت الجن إلىٰ الإنس، والإنس إلىٰ الجن، واضطربت الدواب والطيور والوحوش فماج بعضهم في بعض؛ فقال الجن: نأتيكم بالخبر اليقين.

فانطلقوا فإذا هي نار تتأجج. فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأهلكتهم. وهذه من نص القرآن ظاهرة، لا يسع لأحد مؤمن ردها والتكذيب بها.وفي هذه الصيحة تكون السماء كالمهل، وتكون الجبال كالعهن، ولا يسأل حميم حميماً، وفيها تنشق السماء فتصير أبواباً، وفيها يحيط سرادق من نار بحافات الأرض فتطير الشياطين هاربةً من الفزع، حتىٰ تأتي أقطار السماء والأرض فتتلقاهم الملائكة يضربون وجوههم حتىٰ يرجعوا. وذلك قوله تعالىٰ: «**يا معشرَ الجنِّ والإنس إن استطعتم أن**

---

(٥٩٩) سورة الزلزلة: آية ١.

(٦٠٠) سورة المزمل: آية ١٤.

تنفذوا من أقطارِ السموات والأرضِ فانفذوا، لا تنفذون إلا بسلطان»(٦٠١)، **والموتى في القبور لا يشعرون بهذه.**

(٦٠١) سورة الرحمن : آية ٣٣.

ذكر النفخة الثانية في الصور

وذلك قوله تعالى: «ونُفخ في الصور فصَعِقَ مَن في السموات ومن في الأرض إلاّ مَن شاء الله»(٦٠٢)، فيموتون في هذه النفخة إلا من تناوله الاستثناء في قوله: «إلاّ مَن شاء الله».

(٦٠٢) سورة الزمر: آية ٦٨.

ذكر ما بين النفختين من المدة

يقال: إن ما بين النفختين أربعون سنة، تبقى الأرض على حالها مستريحة بعدما مر بها من الأهوال العظام والزلازل، وتمطر سماؤها، وتجري مياهها وتطعم أشجارها، ولا حي على ظهرها من سائر المخلوقات.

قال الله عز وجل: «**كما بَدأنا أولَ خَلْقٍ نُعيده**»(٦٠٣) وقال سبحانه: «**كُلّ مَن عليها فانٍ**»(٦٠٤). وقال عز من قائل: «**كلُّ شيءٍ هالك إلا وجهه**»(٦٠٥) وقال جل وعلا: «**كلُّ نفسٍ ذائقة الموت**»(٦٠٦). فدلت هذه الآيات على هلاك كل شيء دونه. قال جل وعز: «**ونُفخ في الصوْر فصَعِق مَن في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله**»(٦٠٧) دل على أن الصعقة لا تعم جميع الخلائق. فالتمسنا التوفيق بين الآيات بعد أن أمكن أن تكون آية الاستثناء مفسرة لتلك الآي، فقلنا: الاستثناء عند نفخة الصعق، وعموم الفناء بين النفختين، كما جاء في الخبر، لئلا يظن ظان أن القرآن متناقض.

وروى الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: «**كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهه**» قال: كل شيء وجب عليه الفناء إلا الجنة والنار والعرش والكرسي والحور العين والأعمال الصالحة. وقيل في قوله تعالى: «**إلا مَن شاء الله**» الشهداء حول العرش سيوفهم بأعناقهم؛ وقيل: الحور العين؛ وقيل: موسى عليه السلام لأنه صعق مرة؛ وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل، صلوات الله عليهم أجمعين. وقيل: ملك الموت عليه السلام، وقيل: حملة العرش عليهم السلام. قالوا: فيأمر الله تعالى ملك الموت فيقبض أرواحهم، ثم يقول له: مت، فيموت فلا

---

(٦٠٣) سورة الأنبياء: آية ١٠٤.

(٦٠٤) سورة الرحمن: آية ٢٦.

(٦٠٥) سورة القصص: آية ٨٨.

(٦٠٦) سورة العنكبوت: آية ٥٧.

(٦٠٧) سورة الزمر: آية ٦٨.

يبقىٰ في الملك حي إلا الله؛ فعند ذلك يقول: «لِمَنِ المُلك اليوم؟» فلا يجيبه أحد، فيقول: «لله الواحدِ القهار». هكذا روي في الأخبار. والله أعلم.

ذكر المطرة التي تنبت الأجساد

قالوا: فإذا مضىٰ من النفختين أربعون عاماً أمطر الله سبحانه من تحت العرش ماء خاثراً كالطلاء وكالمني من الرجال، يقال له ماء الحيوان، فتنبت أجسامهم كما ينبت البقل. قال كعب: ويأمر الله الأرض والبحار والطير والسباع برد ما أكلت من أجساد بني آدم حتىٰ الشجرة الواحدة، فتتكامل أجسامهم. قالوا: وتأكل الأرض ابن آدم إلا عجب الذنب فإنه يبقىٰ مثل عين الجرادة لا يدركه الطرف، فينشأ الخلق من ذلك العجب، وتركب عليه أجزاؤه كالهباء في شعاع الشمس، فإذا تم وتكامل نفخ فيه الروح ثم انشق عنه القبر، ثم قام خلقاً سوياً.

وذلك قوله تعالى: «**ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون**»(٦٠٨) وقوله: «**إن كانت إلا صيحةً واحدة فإذا هم جميع لدينا مُحْضَرون**»(٦٠٩). ويجمع الله أرواح الخلائق في الصور، ثم يأمر الله الملك أن ينفخ فيهم قائلاً: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة والأعضاء المتمزقة والشعور المنتشرة، إن الله المصور الخلاق يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. فيجتمعن ثم ينادي: قوموا للعرض على الجبار. فيقومون، وذلك قوله تعالى: «**يخرجُون من الأجداثِ سِراعاً**»(٦١٠) وقوله تعالى: «**يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشرٌ، مُهْطِعين إلى يسير**»(٦١١). فإذا خرجوا من قبورهم تلقى المؤمنين بمواكب من رحمة الله كما وعد سبحانه وتعالى: «**يومَ نحشُر المتّقين إلى الرحمن وَفداً**»(٦١٢) والفاسقون يمشون على أقدامهم سوقاً وهو قوله: «**ونَسوق المجْرمين إلى جهنمَ وِرْداً**»(٦١٣).

(٦٠٨) سورة الزمر : آية ٦٨.
(٦٠٩) سورة يس : آية ٥٣.
(٦١٠) سورة المعارج : آية ٤٣.
(٦١١) سورة القمر : آية ٨.
(٦١٢) سورة مريم : آية ٨٥.
(٦١٣) سورة مريم : آية ٨٦.

ذكر الموقف وأين يكون

روى المسلمون أن الناس يحشرون إلى بيت المقدس. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: هو المحشر والمنشر. ووافقت اليهود على ذلك.وروي عن كعب: أن الله نظر إلى الأرض وقال: إني واطئ على بعضك، فانتسفت الجبال وارتجت الصخرة وتضعضعت وارتعدت؛ فشكر الله لها ذلك فقال: هذا مقامي ومحشر خلقي، هذه جنتي وهذه ناري، وهذا موضع ميزاني، وأنا ديان يوم الدين؛ وقيل: يصير الله الصخرة من مرجانة طباق الأرض، ويحاسب عليها الخلق. والله أعلم.

ذكر يوم القيامة والحشر والنشر
وتبديل الأرض غير الأرض وطي السماء، وأحوال ذلك اليوم

قال الله عز وجل: «**يومَ تُبدَّل الأرضُ غيرَ الأرض والسموات، وبرزُوا لله الواحِد القهّار**»(٦١٤). فأول من يحييه الله جل جلاله يوم القيامة إسرافيل لينفخ النفخة الثالثة لقيام الخلق كما تقدم. ثم يحيي رؤساء الملائكة ثم أهل السماء، ويأمر جبريل وميكائيل وإسرافيل أن انطلقوا إلى رضوان خازن الجنان وقولوا له: إن رب العزة والجبروت والكبرياء مالك يوم الدين، يأمرك أن تزين البراق(٦١٥) وترفع لواء الحمد وتاج الكرامة وسبعين حلة من حلل الجنة الفاخرة، واهبطوا بها إلى قبر البشير النذير حبيبي محمد صلواتي وتسليمي عليه، فنبهوه من رقدته وأيقظوه من نومته وقولا له: هلم إلى استكمال كرامتك واستيفاء منزلتك وارتفاعك على الأولين والأخرين، وشفاعتك في المذنبين.

قال: فينطلقون إلى باب الجنة فيقرعونه فيقول رضوان: من بباب الجنة؟ فيقول: جبريل وميكائيل وإسرافيل وأتباعهم، ويبلغ جبريل الرسالة، فيقول: وأين القيامة؟ فيقول جبريل: هذا يوم القيامة. قال: فيقبل رضوان بالبراق ولواء الحمد وتاج الكرامة والحلل وتستبشر الحور والولدان، ويرتفعن إلى أعالي القصور ويمجدن الملك الغفور ويفرحن بلقاء الأحباب ويشكرن رب الأرباب. ثم يأتي النداء من قبل الله عز وجل: يا رضوان زخرف الجنان ومر الحور العين أن يتزين بأكمل زينة

---

(٦١٤) سورة ابراهيم: آية ٤٨.

(٦١٥) البُراق: دابة يركبها الأنبياء، وركبها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء، وفي الأثر أنها دابة أبيض بين البغل والحمار، في فخذيه جناحان يدفع بهما رجله، ويضع يده في منتهى طرفه، ويقال سمي البراق لنصوع لونه وشدة بريقه وسرعته (لسان العرب، وسيرة ابن هشام).

ويتهيأن لقدوم سيد الأنبياء والمرسلين وقدوم أزواجهن من المؤمنين فما بقي غير الوصال والاجتماع والاتصال.

ثم يقبل إسرافيل وميكائيل وجبريل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف إسرافيل عند رأسه وميكائيل عند وسطه وجبريل عند رجليه فيقول إسرافيل لجبريل: نبهه يا جبريل فأنت صاحبه ومؤنسه في دار الدنيا؛ فيقول له جبريل: صح به يا إسرافيل فأنت صاحب النفخة والصور. قال: فيقول له إسرافيل: أيتها النفس المطمئنة البهية الطاهرة الزكية عودي إلى الجسد الطيب، يا محمد قم بإذن الله وأمره. فيقوم صلى الله عليه وسلم وهو ينفض التراب عن رأسه ووجهه، ثم يلتفت عن يمينه وإذا بالبراق ولواء الحمد وتاج الكرامة وحلل المجد، فتسلم الملائكة عليه ويقول له جبريل: يا محمد هذه هدية إليك وكرامة من رب العالمين. فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: بشرني. فيقول جبريل: إن الجنان قد زخرفت والحور العين قد تزينت وهن في انتظار قدومك أيها المختار، فهلم إلى لقاء الملك الجبار. فيقول: سمعاً وطاعة لرب العالمين. أخبرني أين تركت أمتي المساكين؟ فيقول: يا محمد وعزة من اصطفاك على العالم ما انشقت الأرض عن أحد سواك من بني آدم.

قال: فيسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلبس تلك الحلل ويتقدم فيركب البراق وتضع الملائكة على رأسه تاج الكرامة ويسلمونه لواء الحمد، فيأخذه بيده ويسير في موكب الكرامة والعز فرحاً مسروراً مبجلاً معظماً محبوراً، حتى يقف بين يدي الله عز وجل ثم يرسل الله الأرواح ويأمرها أن تلج في الأجساد بنفخة إسرافيل، فإذا الخلائق قيام من قبورهم، عراة ينفضون التراب عن وجوههم ورؤوسهم، وقد عقدوا أيديهم في أعناقهم وشخصوا بأبصارهم مهطعين إلى الداع سكارى وما هم بسكارى، متحيرين والهين حيارى لا يعرفون شرقاً ولا غرباً،

الرجال والنساء في صعيد واحد، لا يعرف الرجل من إلى جانبه: أرجل أم امرأة؟ ولا تعرف المرأة من إلى جانبها: أمرأة أم رجل؟ قد شغل كل منهم بنفسه.ثم يوكل الله عز وجل بكل نفس ملكاً يسوقها إلى الموقف وشاهداً من نفس، فالسائق هو الملك الموكل والشاهد جملة أعضائه وجسده. قال: ثم يؤتى بهم إلى أرض المحشر والموقف، وهي أرض بيضاء من فضة أو كالفضة، لم يسفك عليها دم حرام ولم يعبد عليها وثن، يظهرها الله سبحانه بأرض بيت المقدس، وقد نصبت عليها منابر للأنبياء وكراسي للأولياء والصالحين والشهداء، ويصف الخلائق على تلك الأرض صفوفاً من المشرق إلى المغرب. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: أهل الجنة يومئذ مائة وعشرون صفاً، ثمانون من أمتي، وأربعون من سائر الأمم. ثم تقرب الشمس من رؤوس الخلائق ويزداد في حرها سبعين ضعفاً، وتبرز جهنم وذلك قوله تعالى: «وَبُرِّزَتِ الجحيمُ لمن يَرى»(٦١٦) فتغلي أدمغتهم في رؤوسهم، ويرشح العرق من أبدانهم فيسيل في الأرض ثم يأخذهم العرق على قدر ذنوبهم: فمنهم من يأخذه إلى كعبيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى إبطيه، ومنهم من يأخذه إلى عنقه، ومنهم يعوم فيه عوماً.

ثم يقومون كذلك ما شاء الله حتى يطول الوقوف ويشتد بهم الكرب، فيقول بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى آدم فنسأله أن يشفع فينا إلى ربنا، فمن كان من أهل الجنة فيؤمر به إلى الجنة، ومن كان من أهل النار فيؤمر به إلى النار. فيأتون آدم فيقولون: يا آدم قد طال الوقوف واشتد الكرب فاشفع لنا إلى ربنا، فمن كان من أهل الجنة يؤمر به إليها ومن كان من أهل النار يؤمر به إليها. فيقول آدم: ما لي وللشفاعة؟ ويذكر ذنبه انطلقوا إلى غيري.

(٦١٦) سورة النازعات: آية ٣٦.

فيأتون نوحاً فيقولون مقالهم. فيقول: كيف لي بالشفاعة وقد أهلك الله بدعوتي من في الأرض وأغرقهم؟ ولكن انطلقوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه ويذكرون له الحال ويسألونه الشفاعة، فيقول: ما لي وللشفاعة؟ ولكن انطلقوا إلى موسى بن عمران الذي كلمه الرحمن. قال: فيأتونه فيقول: كيف لي بالشفاعة؟ وقد قتلت نفساً وألقيت الألواح فتكسرت، ولكن انطلقوا إلى عيسى بن البتول[٦١٧]. فينطلقون إليه ويقولون مقالهم. فيقول: ما لي وللشفاعة؟ وقد اتخذني النصارى إلهاً من دون الله وإني لعبد الله، ولكن أدلكم على صاحب الشفاعة الكبرى، انطلقوا إلى أبي القاسم محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وسيد المرسلين.

فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين، ووجهه يضيء على أهل الموقف، فينادونه من دون منبره العالي: يا حبيب رب العالمين وسيد الأنبياء والمرسلين، قد عظم الأمر وجل الخطب وطال الوقوف واشتد الكرب فاشفع لنا إلى ربنا في فصل الأمر، فمن كان من أهل الجنة يؤمر به إليها، ومن كان من أهل النار يؤمر به إليها، الغوث الغوث يا محمد، فأنت صاحب الجاه، والمبعوث رحمة للعالمين، قال: فيبكي النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأتي أمام العرش فيخر ساجداً فينادى: يا محمد ليس هذا يوم سجود فارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع: فيقول: يا رب مر بالعباد إلى الحساب فقد اشتد الكرب وعظم الخطب.

فيجاب إلى ذلك ويأمر الله عز وجل بالعرض للحساب، ثم تزفر جهنم زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا أخذه الرعب والجزع، وكل ينادي: نفسي يا رب، فآدم يقول: يا رب أسألك حواء ولا هابيل، ولا أسألك إلا نفسي، ونوح ينادي: لا أسألك ساماً ولا حاماً بل أسألك نفسي، والخليل ينادي: لا أسألك

---

(٦١٧) بتول Ascetic : المرأة المنقطعة عن الرجال، و البتول مريم العذراء عليها السلام.

إسماعيل ولا إسحق ولكن أسألك نفسي يا رب، وموسى ينادي: لا أسألك هرون أخي بل أسألك نفسي يا رب، وعيسى ينادي: يا رب لا أسألك مريم أمي وأسألك يا رب نفسي وذلك قوله عز وجل: **«يومَ يَفِرُّ المرءُ من أخيه، وأمّه وأبيه، وصاحبتِه وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه»**(٦١٨).

قال: ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ينادي: يا رب لا أسألك فاطمة ابنتي ولا بعلها ولا ولديها، ولا أسألك اليوم إلا أمتي ولا أسألك غيرها، فينادي المنادي من قبل الله عز وجل: يا رضوان زخرف الجنان، يا مالك سعر النيران، يا كسرون مد الصراط على متن جهنم. وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف، وهي ألف عام صعود وألف عام استواء وألف عام هبوط، وقيل أكثر من ذلك. وهو سبع قناطر، فيسأل العبد عند القنطرة الأولى عن الإيمان وهي أصعب القناطر وأهواها قراراً، فإن أتى بالايمان نجا، وإن لم يأت به تردى إلى أسفل سافلين. ويسأل عند القنطرة الثانية عن الصلاة فإن أتى بها نجا وإن لم يأت بها تردى في النار. ويسأل عند القنطرة الثالثة عن الزكاة فإن أتى بها نجا وإن لم يأت بها تردى في النار.

ويسأل عند القنطرة الرابعة عن صيام شهر رمضان فإن أتى به نجا وإن لم يأت به تردى في النار. ويسأل عند القنطرة الخامسة عن الحج فإن أتى به نجا وإن لم يأت به تردى في النار. ويسأل عند القنطرة السادسة عن الأمر بالمعروف، فإن أتى به نجا وإن لم يأت به تردى في النار. ويسأل عند القنطرة السابعة عن النهي عن المنكر، فإن أتى به نجا وإن لم يأت به تردى في النار.

قال: ثم تحمل الخلائق على الصراط، فمنهم من يجوزه كالبرق الخاطف، ومنهم من يجوزه كالريح العاصف، ومنهم من يجوزه كالفرس الجواد، ومنهم كالرجل

---

(٦١٨) سورة عبس: آية ٣٤ - ٣٧.

الساعي، ومنهم من يجوزه وهو يحضن الصراط بصدره، ومنهم من تأخذه النار. وإذا وقف الخلائق بين يدي الله عز وجل تطايرت الصحف بالأيمان والشمائل **«فأمّا من أُوتيَ كتابه بيمينه فسوف يحاسَبُ حساباً يسيراً، وينقلبُ إلى أهله مسروراً، وأما من أُوتيَ كتابَهُ بشِماله فسوف يدعُو ثُبوراً ويصلَى سعيراً»**(٦١٩)

وسئل بعض العلماء: كيف يؤتىٰ كتابه بشماله من وراء ظهره؟ قال: تدخل يده الشمال في صدره وتخرج من وراء ظهره، فيدفع إليه كتابه بشماله من وراء ظهره، فيدعو بالويل والثبور ويصلىٰ سعيراً فيقال: «لا تَدْعُوا اليوم ثُبوراً واحداً وادعُوا ثبوراً كثيراً». ثم يأتي النداء من قبل الله عز وجل: وعزتي وجلالي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم ولا جور جائر ولأقتصن من الشاة القرناء إذا نطحت الشاة الجماء، ولأسألن العود لم خدش العود؟ ولا يدخلن أحد من أهل الجنة الجنة ولا من أهل النار النار وفي قلبه مظلمة. فيقتص حينئذ للمظلومين من الظالمين ويؤخذ من حسنات الظالم فتوضع في صحيفة المظلوم، فإذا استوعبت حسناته وبقي عليه مظالم بعد، أُخذ من سيئات المظلوم فتوضع في سيئات الظالم، ثم يلقىٰ في النار، وكذلك أمثاله.

قال أبي بن كعب: يجيء الرب جل جلاله يوم القيامة في ملائكة السماء السابعة وتعالىٰ عن الرحلة والمقام فيؤتىٰ بالجنة مفتحةً أبوابها وهي تزف بين الملائكة، يراها كل بر وفاجر، وقد احتفت بها ملائكة الرحمة، فتوضع عن يمين العرش، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة، ويؤتىٰ بالنار تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام يقبض عليه سبعون ألف ملك، مصفدة أبوابها، عليها ملائكة سود غلاظ شداد، معهم السلاسل الطوال وأطواق الأغلال والأنكال الثقال، وسرابيل القطران

---

(٦١٩) سورة الانشقاق: آية ١.

ومقطعات النيران، لأعينهم لمعان كالبرق، ولوجوههم لهيب كنار الحريق، وقد شخصت أبصارهم نحو العرش، ينتظرون أمر رب العزة، فتوضع حيث شاء الله، فإذا بدت النار للخلائق ودنت وبينها وبينهم مسيرة خمسمائة عام زفرت زفرة فلا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل إلا وجثا على ركبتيه وأخذته الرعدة وصار قلبه معلقاً إلى حنجرته، ويخرج ولا يرجع إلى مكانه، وذلك قوله تعالى: «**إذِ القلوبُ لدى الحناجرِ كاظمين**»(٦٢٠).

وقيل: توضع النار على يسار العرش ثم يؤتى بالميزان فيوضع بين يدي الجبار، ثم تدعى الخلائق للعرض والحساب. قال كعب الأحبار: لو أن رجلاً كان له مثل عمل سبعين نبياً لخشي في ذلك اليوم ألا ينجو من شر ذلك اليوم. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: وددت أن حسناتي فضلت سيئاتي بمثقال ذرة ثم أُترك بين الجنة والنار، ثم يقال لي: تمن، فأقول: تمنيت أن أكون تراباً. وفي هذا القدر كفاية.

---

(٦٢٠) سورة غافر: آية ١٨.

ذكر أسماء يوم القيامة

هو يوم تعدد أساميه لكثرة معانيه: يوم القيامة. يوم الحسرة والندامة. يوم السابقة. يوم المناقشة. يوم المنافسة. يوم المحاسبة. يوم المسألة. يوم الزلزلة. يوم الندامة. يوم الدمدمة. يوم الآزفة. يوم الراجفة. يوم الرادفة. يوم الصاعقة. يوم الواقعة. يوم الداهية. يوم الحاقة. يوم الطامة. يوم الصاخة. يوم الغاشية. يوم القارعة. يوم النفخة. يوم الصيحة. يوم الرجفة. يوم الرجة. يوم الزجرة. يوم السكرة. يوم البقاء. يوم اللقاء. يوم البكاء. يوم القضاء. يوم الجزاء. يوم المآب. يوم المتاب. يوم الثواب. يوم الحساب. يوم العذاب. يوم العقاب. يوم المرصاد. يوم الميعاد. يوم التناد. يوم الانكدار. يوم الانفطار. يوم الانتشار. يوم الانفجار. يوم الافتقار. يوم الاعتبار. يوم الحشر. يوم النشر. يوم الجزع. يوم الفزع. يوم السباق. يوم التلاق. يوم الفراق. يوم الانشقاق. يوم الفلق. يوم الغرق. يوم العرق. يوم اليقين. يوم الدين «يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين».

فكيف يا بن آدم المغرور، إذا نفخ في الصور، وبعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور، وكورت الشمس وخسف القمر، وانتثرت النجوم، وعطلت البحار، وحشرت الوحوش، وزوجت النفوس، وسيرت الدبال، وعظمت الأهواء، وحشروا حفاةً ووقفوا عراة، ومدت لهم الأرض، وجمعوا فيها للعرض، من الهول حيارئ، ومن الشدة سكارئ، قد أظلهم الكرب، وأجهدهم العطش، واشتد بهم الحر، وعم الخوف، وجل العناء، وكثر البكاء، وفنيت الدموع، ولازموا الخضوع، ودهمهم القلق وعمهم العرق، وطاشت العقول؛ وشمل الذهول؛ وتبلبلت الصدور؛ وعظمت الأمور؛ وتحيرت الألباب وتقطعت الأسباب، ورأوا العذاب، وركبهم الذل، وخضعت رقاب الكل، وزلزلت الأقدام، وتبلدت الأفهام، وطال القيام، وانقطع الكلام، ولا شمس تضيء ولاق مر يسري ولا كوكب دري، ولا فلك

يجري، ولا أرض تقل، ولا سماء تظل، ولا ليل ولا نهار، ولا بحار ولا قفار. يا له من يبر تفاقم أمره وتعاظم ضره وعظم خطره، يوم تشخص فيه الأبصار بين يدي الملك الجبار **«يوم لا ينفعُ الظالمين معذرتُهم ولهم اللعنةُ ولهم سوء الدار»**[٦٢١] قد خشعت لهوله الأصوات، وقل فيه الالتفات، وبرزت الخفيات، وظهرت الخطيات، وأحاطت البليات، وسيق العباد ومعهم الأشهاد، وتقلصت الشفاه وتقطعت الأكباد، وشاب الصغير، وسكر الكبير، ووضعت الموازين، ونشرت الدواوين، وتقطعت الجوارح، وارتعدت الجوانح، واتضحت الفضائح وأُزلفت الجنان، وسعرت النيران، ويؤمر بعد الخطب الجسيم والهوا العظيم للمقعد المقيم؛ إما بدار النعيم والرضوان، وإما بدار الجحيم[٦٢٢] والنير.

---

(٦٢١) سورة غافر : آية ٥٢.

(٦٢٢) الجحيم : Abaddon : دار العذاب في الآخرة، خلقها الله تعالى لتكون مثوى الكافرين يوم القيامة وهي مشتعلة أبدا، وألوان العذاب فيها متعددة وكثيرة، ومن الناس من يدخلها خالدا فيها أبدا لا يموت فيها ولا يحيا.

وهذه قصيدة جامعة لغالب ما تقدم من أحوال يوم القيامة

واسمها قلادة(٦٢٣) الدر المنثور في ذكر البعث والنشور

الله أعظم مما جال في الفكر ... وحكمه في البرايا حكم مقتدر

مولى عظيم حكيم واحد صمدٌ ... حيٌّ قديم مريد فاطر الفطر

يا ربّ يا سامع الأصوات صلّ على ... رسولك المجتبى من أطهر البشر

محمد المصطفى الهادي البشير هدى ... كلّ الخلائق بالآيات والسور

وآله والصحاب الكائنين به ... كأنجمٍ حول من يسمو على القمر

أشكو إليك أموراً أنت تعلمها ... فتور عزمي وما فرّطت في عمري

وفرط ميلي إلى الدنيا وقد حسرت ... عن ساعد الغدر في الآصال والبكر

يا رّبنا جد بتوفيق ومغفرة ... وحسن عاقبةٍ في الورد والصدر

قد أصبح الخلق في خوفٍ وفي ذعر ... وزور لهوٍ وهم في أعظم الخطر

وللقيامة أشراط وقد ظهرت ... بعض العلامات، والباقي على الأثر

قلّ الوفاء فلا عهدٌ ولا ذمم ... واستحكم الجهل في البادين والحضر

باعوا لأديانهم بالبخس من سحتٍ(٦٢٤) ... وأظهروا الفسق بالعدوان والأشر

وجاهروا بالمعاصي وارتضوا بدعاً ... عمّت، فصاحبها يمشي بلا حذر

وطالب الحق بين الناس مستتر ... وصاحب الإفك فيهم غير مستتر

والوزن بالويل والأهواء معتبرٌ ... والوزن بالحقّ فيهم غير معتبر

وقد بدا النقص في الإسلام مشتهراً ... وبدّلت صفوة الخيرات بالكدر

---

(٦٢٣) القلادة : ما جُعل في العنق من حلي ونحوه والجمع قلائد (اللسان ٥ / ٣٧١٨).

(٦٢٤) السحت : كل مال لا يحل كسبه.

وسوف يخرج دجّال الضلالة في ... هرجٍ وقحطٍ كما قد جاء في الخبر

ويدّعي أنه ربّ العباد، وهل ... تخفى صفات كذوبٍ ظاهر العور

فناره جنّةٌ، طوبى لداخلها ... وزور جنّته نارٌ من السعر

شهر وعشر ليالٍ طول مدّته ... لكنها عجبٌ في الطول والقصر

فيبعث الله عيسى ناصراً حكماً ... عدلاً، ويعضده بالنصر والظفر

فيتبع الكاذب الباغي ويقتله ... ويمحق الله أهل البغي والضرر

وقام عيسى يقيم الحقّ متبعاً ... شريعة المصطفى المختار من مضر

في أربعين من الأعوام مخصبةٍ ... فيكسب المال فيها كلّ مفتقر

وجيش ياجوج مع ماجوج قد خرجوا ... والبغي عمّ بسيلٍ غير منهمر

حتى إذا أنفذ الله القضاء دعا ... عيسى فأفناهم المولى على قدر

وعاد للناس عيد الخير مكتملاً ... حتى يتمّ لعيسى آخر العمر

والشمس حين ترى في الغرب طالعةً ... طلوعها آية من أعظم الكبر

فعند ذلك لا إيمان يقبل من ... أهل الجحود ولا عذرٌ لمعتذر

ودابةٌ في وجوه المؤمنين لها ... وسمٌ من النور والكفار بالقتر

والخلف: هل فتنة الدّجال قبلهما ... أو بعد؟ قد ورد القولان في الخبر

وكم خرابٍ وكم خسفٍ وزلزلة ... وفيح نار وآياتٍ من النّذر

ونفخة تذهب الأرواح شدّتها ... إلا الذين عنوا في سورة الزّمر

وأربعون من الأعوام قد حسبت ... نفخاً تبثّ به الأرواح في الصّور

قاموا حفاةً عراة مثل ما خلقوا ... من هول ما عاينوا سكرى بلا سكر

قوم مشاةٌ وركبان على نجب ... عليهم حللٌ أبهى من الزهر

ويسحب الظالمون الكافرون على وجوههم، وتحيط النار بالشرر

والشمس قد أدنيت والناس في عرقٍ وفي زحام وفي كربٍ وفي حصر

والأرض قد بدّلت بيضاء ليس لها خفضٌ ولا ملجأ يبدو لمستتر

طال الوقوف فجاءوا آدماً ورجوا شفاعةً من أبيهم أول البصر

فردّ ذاك إلى نوحٍ فردّهم إلى الخليل، فأبدى وصف مفتقر

إلى الكليم، إلى عيسى، فردّهم إلى الحبيب، فلبّاها بلا حصر

فيسأل المصطفى فصل القضاء لهم ليستريحوا من الأهوال والخطر

تطوى السموات والأملاك هابطة حول العباد لهولٍ معضلٍ عسر

والشمس قد كوّرت والكتب قد نشرت والأنجم انكدرت ناهيك من كدر

وقد تجلى إله العرش مقتدراً سبحانه جلّ عن كيفٍ وعن فكر

فيأخذ الحقّ للمظلوم منتصفاً من ظالمٍ جار في العدوان والبطر

والوزن بالقسط والأعمال قد ظهرت ووزنها عبرةٌ تبدو لمعتبر

وكلّ من عبد الأوثان يتبعها بإذن ربّي، وصار الكلّ في

والمسلمون إلى الميزان قد قسموا ثلاثةً، فاسمعوا تقسيم مختصر

فسابقٌ رجحت ميزان طاعته له الخلود بلا خوفٍ ولا ذعر

ومذنب كثرت آثامه فله شفعٌ بأوزاره، أو عفو مفتقر

وواحد قد تساوت حالتاه، له ال أعراف حبسٌ وبين البشر والحصر

ويكرم الله مثواه بجنّته بجود فضلٍ عميمٍ غير منحصر

وفي الطريق صراط مدّ فوق لظى كحدّ سيف سطا في دقة الشعر

(٦٢٥) سقر: اسم علم على جهنم وجاءت في خمسة مواضع في القرآن (القاموس، ج٣، ص ٣٨٨).

والنـــــاس في ورده شـــتّى، فمـــــستبـق كالبرق والطير، أو كالخيل في النظر

ســـاعٍ ومـــاشٍ ومخـــدوش ومعتـلـــق ناج، وكـم ساقط في النـار منتـشـر

للمـؤمـنـــين ورودٌ بـعـــــده صـــــدرٌ والكـافرون لـهـم وردٌ بـلا صـدر

فيـــشفع المــصطفى والأنبـــياء ومـــن يختاره الملـك الرحمـن فـي زمـر

في كـــل عـــاصٍ لـــه نفـسٌ مقـــصّرة وقلبه عن سوى الربّ العظيم بـري

فـــأوّل الـــشّفعا حـقـــاً وآخرهـــم محمـدٌ ذو البهـاء الطيّـب العـطـر

مقامـــه ذروة الـكـرســـيّ ثـــم لـــه عقـد اللـــواء(٦٢٦) بعـزٍّ غـير

والحـــوض يـــشرب منـه المؤمنـون غـــداً كـالأري يجـري عـلى اليـاقوت

ويخلـــق الله أقوامـــاً قـــد احتـرقـــوا كانوا أولي العزة الشنعاء والنـجـر

والنـار مثـوىً(٦٢٨) لأهـل الكفـر كـلـهـم طباقهـا سـبعةٌ مـسودّة الـحـفـر

جهـــنمٌ ولظـــى والحـطـــم بينـهـمـــا ثم السعير كما الأهـوال فـي سقـر

وتـحـــت ذاك جـحـــيمٌ ثـــم هـــاويةٌ يهوى بها أبـداً، سـحقاً لـمحـتـقـر

في كـــل بـــاب عقوبـــات مـــضاعـفة وكل واحـدة تطـوى عـلـى النـفـر

فيهـــا غـــلاظ شـــداد مـــن مـــلائكة قلوبهم شدّة أقـوى مـن الـحـجـر

لهـــم مقـــامع لـلـتعـــذيب مرصـــدةٌ وكل كسرٍ لـديهم غـير منـجبـر

ســـوداء مظلمـــة شعـشـــاء موحـــشة دهمـــاء محـرقة لـوّاحة البـشر

فيهـــا الجحـــيم مـــذيبٌ للـوجـــوه مـــع ال أمعاء من شدة الإحـراق والـشـرر

---

(٦٢٦) اللواء : العلم.

(٦٢٧) الدرر : الدرة اللؤلؤة العظيمة قال ابن دريد : هو ما اعظم من اللؤلؤ.

(٦٢٨) المثوئ : منزل الإقامة.

فيها الغساق الشديد البرد يقطعهم ... إذا استغاثوا بحرٍّ ثمّ مستعر

فيها السلاسل والأغلال تجمعهم ... مع الشياطين قسراً جمع منقهر

فيها العقارب والحيات قد جعلت ... جلودهم كالبغال الدّهم والحمر

والجوع والعطش المضني ولا نفَسٌ ... فيها ولا جلدٌ فيها لمصطبر

لها إذا ما غلت فورٌ يقلّبهم ... ما بين مرتفع منها ومنحدر

جمع النواصي مع الأقدام صيّرهم ... كالقوس محنيّةً من شدة الوتر

لهم طعام من الزقوم(٦٢٩) يعلق في ... حلوقهم شوكةً كالصّاب والصبر

يا ويلهم عضّت النيران أعظمهم، ... والموت شهوتهم، من شدة الضجر

ضجّوا وصاحوا زماناً ليس ينفعهم ... دعاء داعٍ ولا تسليم مصطبر

وكلّ يوم لهم في طول مدّتهم ... نوع شديد من التعذيب والسعر

كم بين دار هوانٍ لا انقضاء لها ... ودار أمنٍ وخلدٍ دائم الدهر

دار الذين اتّقوا مولاهم وسعوا ... قصداً لنيل رضاه سعي مؤتمر

وآمنوا واستقاموا مثل ما أمروا ... واستغرقوا وقتهم في الصوم والسهر

وجاهدوا وانتهوا عما يباعدهم ... عن بابه، واستلانوا كل ذي وعر

جنّات عدن لهم ما يشتهون بها ... في مقعد الصّدق بين الروض والزهر

بناؤها فضة قد زانها ذهبٌ ... وعينها المسك والحصبا من الدّرر

أوراقها ذهبٌ، منها الغصون دنت ... بكل نوع من الرّيحان والثمر

أوراقها حلل، شفّافةٌ خلقت ... واللؤلؤ الرطب والمرجان في الشجر

---

(٦٢٩) الزقوم Zakkum: شجرة كريهة الطعم والرائحة، كريهة المنظر، جعلها الله محنة وبلاء لأهل النار وتنبت في قاع الجحيم.

دار النعيم وجنّات الخلود لهم دار السلام، لهم مأمونة الغير
وجنة الخلد والمأوى، وكم جمعت جنات عدن لهم من مونقٍ نضر
طباقها درجات عدّها مائةٌ كلّ اثنتين كبعد الأرض والقمر
أعلى منازلها الفردوس(٦٣٠) عاليها عرش الإله فسل واطمع ولا تذر
أنهارها عسل ما فيه شائبة وخالص اللبن الجاري بلا كدر
وأطيب الخمر والماء الذي سلمت من الصّداع ونطق اللهو والسّكر
والكلّ تحت جبال المسك منبعها يجرونه كيف شاؤوا غير محتجر
فيها نواهد أبكار مزيّنة يبرزن من حلل في الحسن والخفر
نساؤها المؤمنات الصابرات على حفظ العهود مع الإملاق والضّرر
كأنهنّ بدور في غصون نقا على كثيب بدت في ظلمة السحر
كلّ امرئ منهم يعطى قوى مائةٍ في الأكل والشرب والإفضا بلا خور
طعامهم رشح مسكٍ كلما عرقوا عادت بطونهم في هضم منضمر
لا جوع لا برد لا همٌّ ولا نصبٌ بل عيشهم عن جميع النائبات عري
فيها الوصائف والغلمان تخدمهم كلؤلؤٍ في كمال الحسن منتشر
فيها غناء الجواري الغانيات لهم بأحسن الذكر للمولى مع السمر
لباسهم سندس(٦٣١)، حلاّتهم ذهب ولؤلؤ ونعيم غير منحصر
والذكر كالنفس الجاري بلا تعب ونزّهوا عن كلام اللغو والهذر

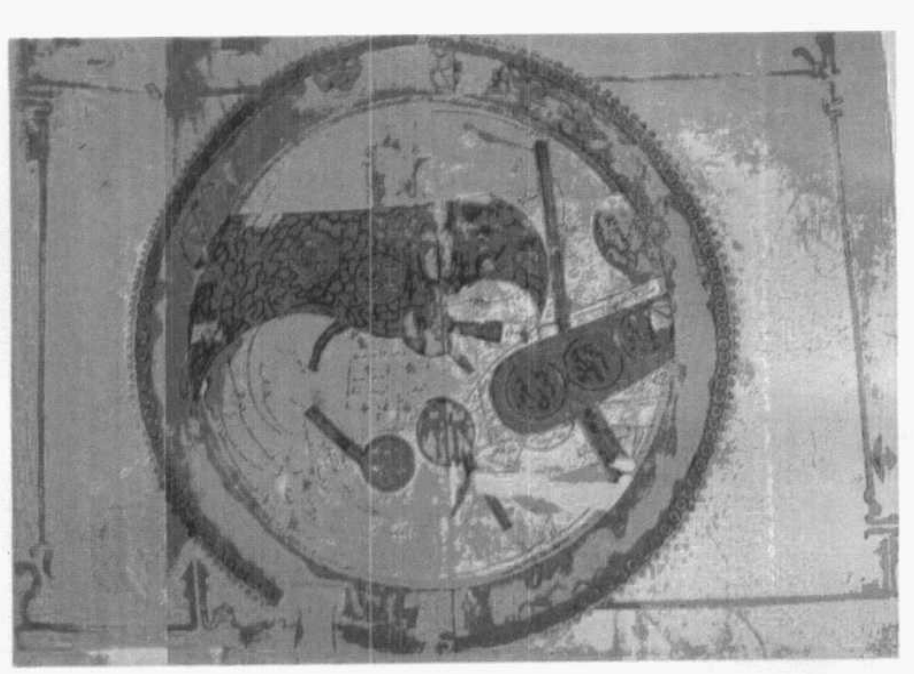
---

(٦٣٠) الفردوس : هي دار النعيم في الآخرة، أعدها الله تعالى للمؤمنين الموحدين من عباده.

(٦٣١) السندس : ضرب من رقيق الديباج والديباج: ضرب من الثياب سداه ولحمته حرير فارسي معرب وفي السندس نعومة ورقة وجمال وله بريق أخاذ.

وأكلهـــا دائـــم لا شيء منـقـطـــع ... كرّر أحاديثها يـا طيّب الـخبـر
فيهـا مـن الخـير مـا لم يجـر في خلـدٍ ... ولم يكن مـدركاً للسمع والبصر
فيهـا رضـا الملـك المـولى بـلا غـضب ... سبحانه، ولهـم نفـع بـلا غـير
لهـم مـن الله شيء لا نظـير لـه: ... سماع تسليمه، والفـوز بالنظـر
بغـير كـيفٍ ولا حـدٍّ ولا مثـلٍ ... حقـاً كـما جـاء في القـرآن والخبـر
وهـي الزيـادة والحـسنى التـي وردت ... وأعظـم المـورد المـذكور في الزّبـر
لله قـومٌ أطـاعوه ومـا قـصدوا ... سـواه إذ نظـروا الأكـوان بالعـبر
وكابـدوا الـشوق والأنكـاد، قوّتهـم ... ولازمـوا الجـدّ والأذكـار في البكـر
يـا مالـك الملـك جـد لي بالرضـا كرمـاً ... فأنـت لي محـسن في سـائر العمـر
يـا ربّ صـلّ عـلى الهـادي البـشير لنـا ... وآلـه وانتـصر يـا خـير منتـصر
مـا هـبّ نـشر صـبا واهتـز نبـت ربـا ... وفاح طيب شـذا في نسمة السحر
أبياتهـا تـسع عـشرٍ بعدهـا مـائةٌ ... كلامهـا وعظـه أبهـى مـن الـدّرر

تم بعون الله تعالى.



خارطة الاصطخرى ويظهر بها العالم مقلوب، أِنظر كلمة النيل فى جهة اليمين على الأنبوب الطويل بعده الماء على شكل منجل (البحر الأحمر) بعده ديار العرب (السعودية) بعدها مياه، بعدها إيران..



خارطة الإدريسى



خارطة ابن الوردى وتعتبر من أدق خرائط العصور الوسطى



صورة لمومياء رمسيس الثانى الموجودة فى المتحف المصرى بالقاهرة
والتى ترجح الأدلة على أنه فرعون موسى

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾

(يونس : ٩٢)

(٥)



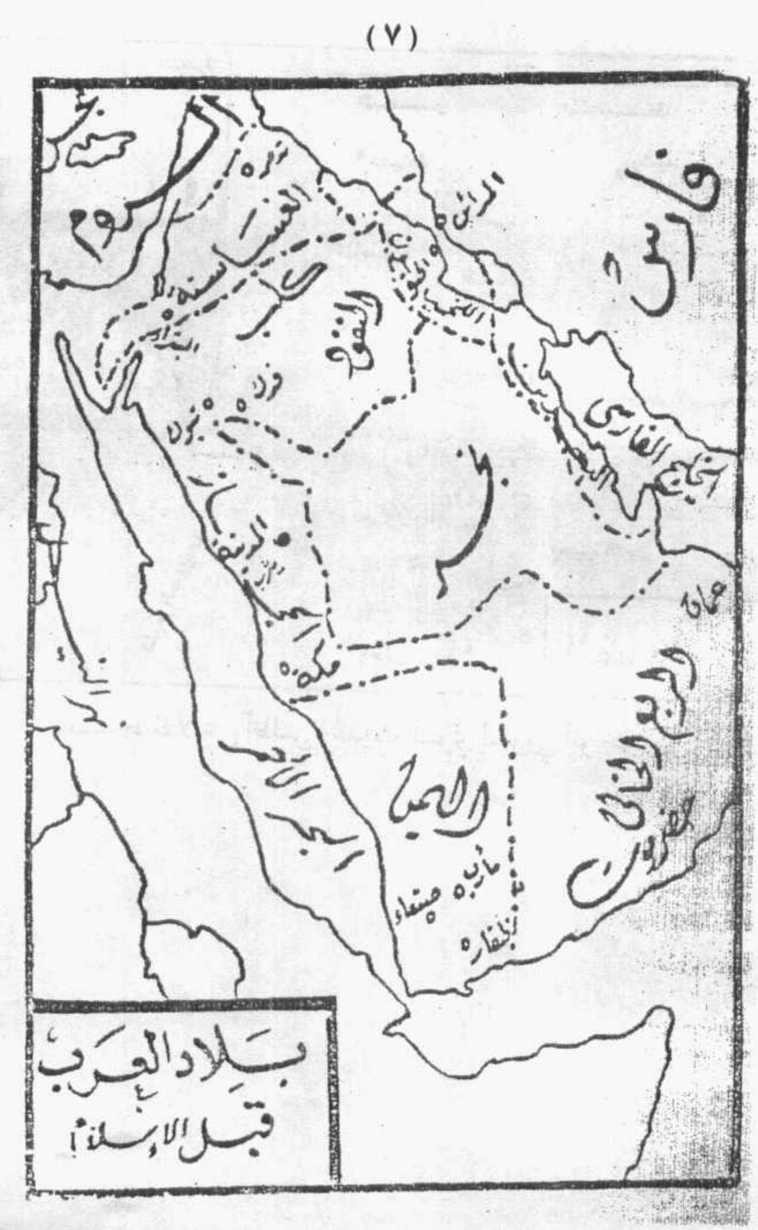
خارطة البيروني، هذه تظهر بوضوح اسم بحر فارس.

(٦)

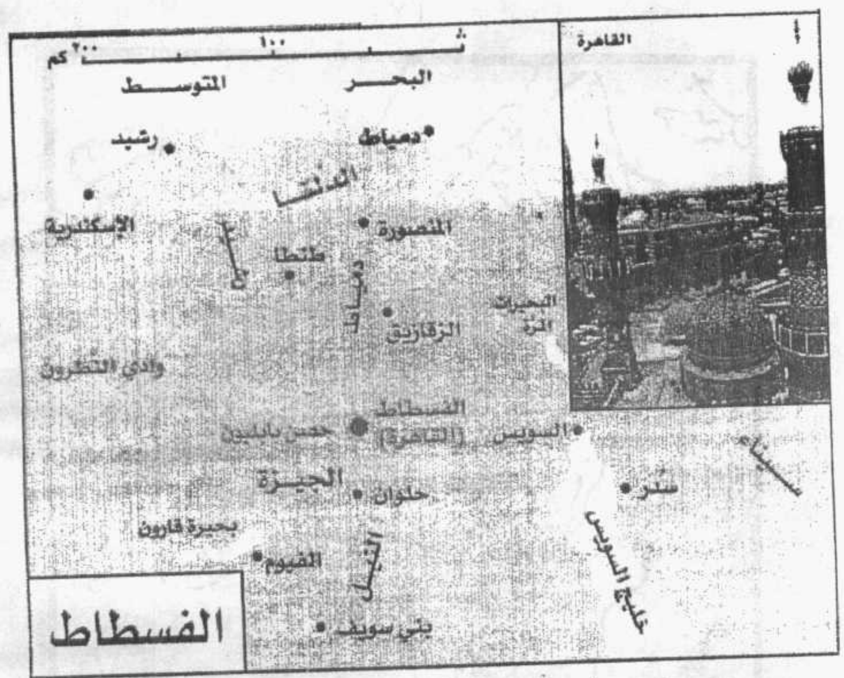
جولة استكشافية بأمر الخليفة العباسي واستمرت ٢٨ شهراً

رحلة سلام الترجمان .. بحثاً عن سد ذي القرنين

(٧)

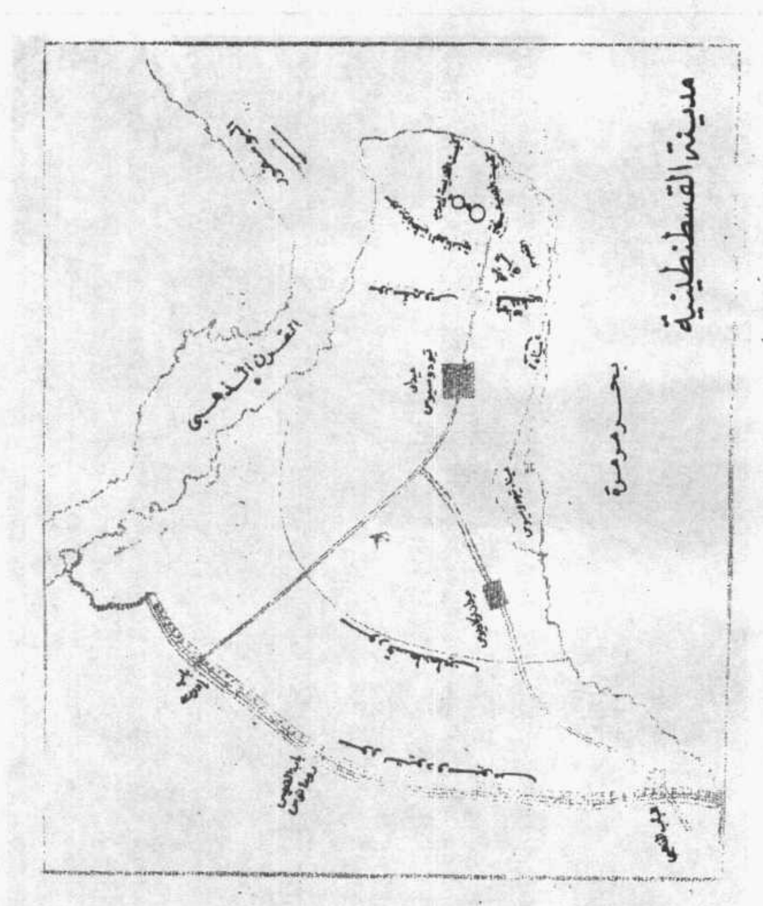


بلاد العرب قبل الإسلام



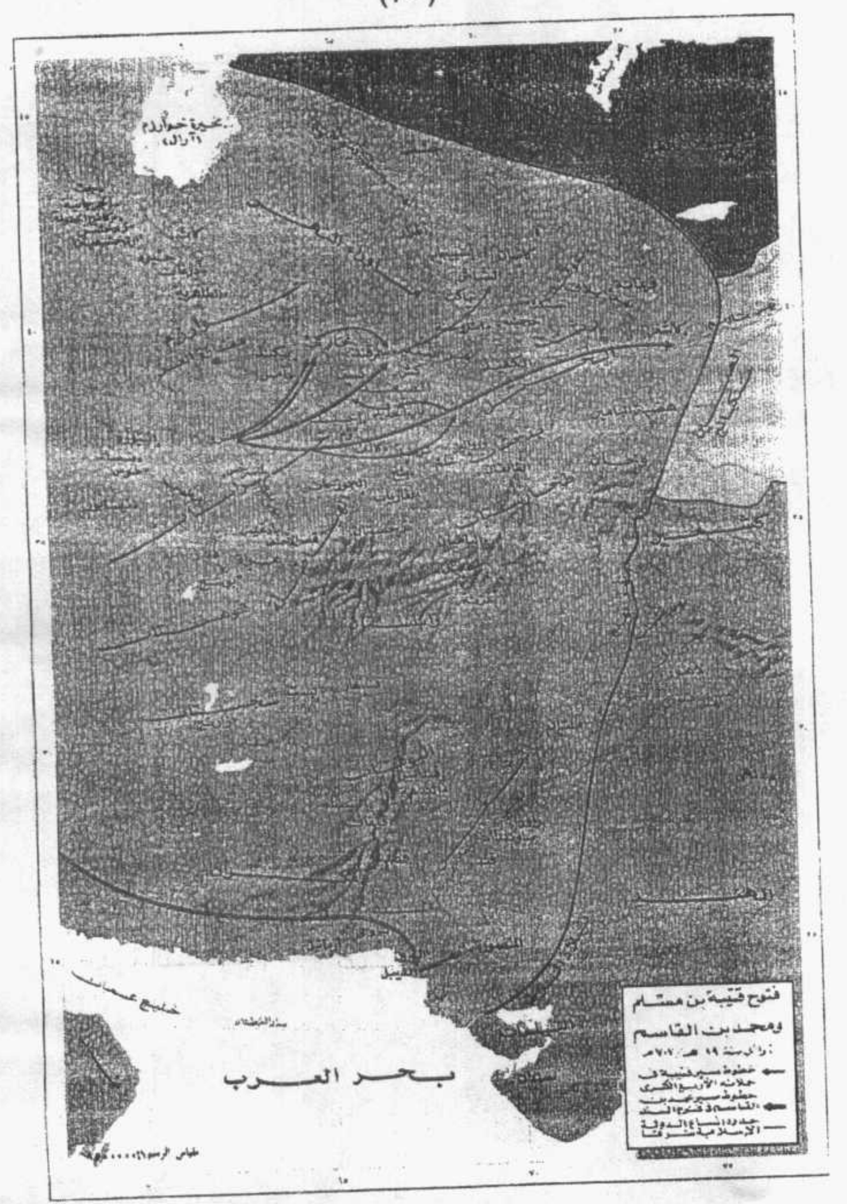
الفسطاط نقلاً عن أطلس الحديث النبوي لشوقي أبو خليل

(٩)



مدينة القسطنطينية نقلاً عن تاريخ الدولة البيزنطية لحسنين ربيع

(١٠)



فتوح قتيبة بن مسلم نقلاً عن أطلس تاريخ الإسلام لحسين مؤنس

- أساس البلاغة، للزمخشري - ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير - ط. جمعية المعارف ١٢٨٠هـ.

- الاشتقاق، لابن دريد. تحقيق: عبد السلام هارون - ط. القاهرة ١٩٨٥م.

- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر - ط. القاهرة ١٣٢٣هـ وما بعدها.

- إصلاح المنطق، لابن السكّيت. تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون ط. دار المعارف - القاهرة ١٩٤٩م.

- الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني. تحقيق: عبد الستار فراج - ط. بيروت ١٩٥٥م وما بعدها.

- الإكمال، للأمير علي بن هبة الله بن ماكولا - ط. حيدر آباد - الدكن ١٩٦٤م.

- الأمالي، لأبي علي القالي البغدادي - ط القاهرة ١٩٢٦م.

- أمالي ابن الشجري. تحقيق: محمود الطناحي - مكتبة الخانجي - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

- إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - ط. القاهرة ١٩٥٢م.

- الإيناس في علم الأنساب، للوزير المغربي. تحقيق: حمد الجاسر - ط. دار اليمامة - الرياض ١٩٨٠م.

- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي. مطبعة السعادة - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ.

- تاريخ الطبري. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - ط. دار المعارف ١٩٦١م وما بعدها.

- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، لابن حجر. تحقيق : محمد علي النجار، وعلي محمد البجاوي - ط. القاهرة ١٩٦٧م.

- التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، لابن الجيعان - المطبعة العلمية - القاهرة ١٩٩٨م.

- التعليقات والنوادر، عن أبي علي هارون بن زكريا الهجري. دراسة ومختارات، بقلم وترتيب: الشيخ حمد الجاسر - الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

- تهذيب اللغة، للأزهري. تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين. الدار المصرية للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٦٤-١٩٦٧م.

- جمهرة اللغة، لابن دريد - ط. حيدر آباد - الدكن ١٣٤٤ - ١٣٥١ هـ.

- الحروف، للخليل بن أحمد. تحقيق: رمضان عبد التواب.

- الحيوان، للجاحظ. تحقيق: عبد السلام هارون - ١٩٦٥م وما بعدها.

- خزانة الأدب ولُبّ لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادى. تحقيق: عبد السلام هارون - ط. الخانجى القاهرة ١٩٨٦م.

- الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة، لحمزة الأصفهانى. تحقيق: عبد المجيد قطامش. دار المعارف - مصر ١٩٧١م.

- القاموس الجغرافى للبلاد المصرية، لمحمد رمزى - ط. القاهرة ١٩٥٨م.

- القاموس المحيط، للفيروزابادى - دار الجيل - بيروت.

- اللباب فى تهذيب الأنساب، لعز الدين بن الأثير الجزرى - دار صادر - بيروت - ١٩٨٠م.

- لسان العرب، لابن منظور - ط. سنة ١٣٠٠ هـ.

- المؤتلف والمختلف، للآمدى. تحقيق: عبد الستار فراج - القاهرة ١٩٦١م.

- مجمع الأمثال، للميدانى. تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٩م.

- مجمل اللغة، لابن فارس. تحقيق: هادى حسن حمودى - منشورات معهد المخطوطات العربية - الكويت ١٩٨٥م.

- المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة، لابن سيده. تحقيق: مصطفى السقا وآخرين - مطبوعات معهد المخطوطات العربية ١٩٥٨م وما بعدها.

- مختلف القبائل ومؤتلفها، لابن حبيب. تحقيق: حمد الجاسر - ط. دار اليمامة - الرياض ١٩٨٠م.

- المخصَّص، لابن سيده - ط. بولاق - القاهرة ١٣٢١هـ.

- المصباح المنير، للفيومي. المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٢٥م.

- معاني القرآن، للفراء. تحقيق: محمد علي النجار وآخرين - القاهرة ١٩٥٥م - ١٩٧٢م.

- معجم أسماء خيل العرب وفرسانها - القسم الأول - الخيل القديمة، للشيخ: حمد الجاسر - الرياض - الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

- معجم ألفاظ القرآن الكريم. إصدار مجمع اللغة العربية - القاهرة - الطبعة الثالثة ١٩٨٩م.

- معجم البلدان، لياقوت الحموي. تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي. دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٠م.

- معجم الشعراء، للمرزباني. تصحيح وتعليق: ف. كرنكو - مكتبة القدسي - القاهرة، وبتحقيق: عبد الستار فراج - ط. الحلبي - القاهرة ١٩٦٠م.

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، للبكري. تحقيق: مصطفى السقا. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - الطبعة الأولى ١٩٤٥م.

- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس. تحقيق: عبد السلام هارون - ط. الحلبي - القاهرة ١٩٦٩م وما بعدها.

- المعجم الوسيط. إصدار مجمع اللغة العربية – الطبعة الثالثة – ١٩٨٣م.

- الموسوعة الثقافية، كتاب الشعب، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٢ م

- النباتات في القرآن، جمال الدين حسين، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٧ م.

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، للشريف الإدريسي – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة.

- النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري. تحقيق ودراسة: محمد عبد القادر أحمد – دار الشروق – القاهرة – ١٩٨١م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد – القاهرة ١٩٤٨م.

- معجم مصطلحات التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية.

- موسوعة من خزانة التراث الإسلامي، مكتبة الثقافة الدينية.

- قاموس المصطلحات التاريخية (انكليزي – عربي) مكتبة الأنجلو المصرية.

- كتاب زيارة جديدة للاستشراق، مكتبة الأنجلو المصرية.

- كتاب الطريق إلى صدام الحضارات، مكتبة الأنجلو المصرية.

- كتاب فن كتابة الأبحاث والرسائل الجامعية، مكتبة الفكر العربي.

- كتاب علم التاريخ واتجاهات تفسيره أمكتبة الأنجلو المصرية.

- موسوعة تاريخ العالم (منذ توحيد القطرين وحتى أحداث ١١ سبتمبر)،(٣ أجزاء)، نشر اليكتروني، دار كتب عربية.

http://www.kotobarabia.com/AdvancedResults.aspx?title=&subject=٠&publisher=٠&type=author&author=١١٥٥٥

- حاصل علي جائزة الاستاذ الدكتور عبد الحميد العبادي من الجمعية التاريخية.

- تكريم من الدولة في عيد العلم أعوام ١٩٩٦- ٢٠٠٤- ٢٠٠٥.

- مشرف تنفيذي لمشروع تطوير قدرات أعضاء هيئة التدريس بجامعة عين شمس

- مقرر سمينار التاريخ الإسلامي والوسيط بكلية التربية – جامعة عين شمس.

- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

التدريب والدورات:-

- دورة أساليب البحث العلمي ضمن مشروع تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس والقيادات جامعة عين شمس. عام ٢٠٠٤م.

- دورة مهارات التفكير ضمن مشروع تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس والقيادات جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م.

- دورة أخلاقيات وآداب المهنة ضمن مشروع تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس والقيادات جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م.

- دورة التدريس الفعال ضمن مشروع تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس والقيادات جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م.

- دورة التعلم الفعال ضمن مشروع تطوير كليات التربية عام٢٠٠٥م.

- دورة تدريب المشرفين التنفيذيين ضمن مشروع تنمية قدرات اعضاء هيئة التدريس والقيادات جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م.

فهرس